

هـى امرأة عربية

رواية

تأليف

داليا يسري

رقم الإبداع : ٣٤٥٨ / ٢٠١٣

تدقيق ومراجعة لغوية : أ \ سيد عبد المعطى

تصميم الغلاف إهداء من فريمز استوديو

محمد لطفى - محمد عودة

٠١٢٨٠٠٠٦٥٢٤

Frames.eg@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم
هذا العمل إهداء إلى الرجل ، الذي دعمني بكل حب ..
الرجل الذي صدقني وآمن بي .. وقدم حياته لنا بكل إخلاص ..
الرجل ، الذي لم يقل يوماً من أهميتي ، فقط لأنني قد خُلقَت امرأة ..
شكراً لك يا والدي العزيز ..
وإهداء إلى روح أمي الجميلة الدمشقية الرائعة ..
الغائبة الحاضرة دوماً ...
وإلى إخوتي .. دينا الأخت والأم والصديقة ..
طارق .. الأخ الأكبر والصغيرة فرح ..
محمد .. الأخ والصديق والحبيب ..
وإلى صديقتي الوحيدة ... سارة علام .. ربما لم تجمعني بك رابطة الدم ..
ولكن تكفي رابطة الروح والقلب ...

تنبيه : تم اهداء حق نشر هذا العمل إلكترونياً بصورة حصرية لأسرة موقع (مدينة الكتب) ،
لذلك لا يحق لأي موقع آخر نشر هذا العمل أو اجزاء منه بأى صورة ممكنة . ..

كلمة الكاتبة

بسم الله الرحمن الرحيم

ولدت في هذا البلد .. ونشأت وأنا أرى أنه من الطبيعي جدا والمعقول .. أن يفعل الإنسان كل شيء بالإجبار .. النوم بالإجبار .. تناول الطعام بالإجبار .. التعليم بالإجبار .. العمل .. الزواج .. وما إلى آخره .. حتى استسلم الجميع لفكرة .. وهكذا عاش ومات معظمنا بدون أحلام .. أو قد يمتلكون أحلاماً ، ولكنها لا تتعدى مجرد كونها أحلام....

وبحكم الطبيعة البشرية ، قد يتأقلم الإنسان مع أي شيء تحت أي ظرف .. مثل نوع الطعام .. طبيعة المعيشة .. لغة أهل البلد .. وأشياء كثيرة .. وهذه أشياء قد يتقبلها الإنسان بحكم الرضا بالقضاء والقدر ليس إلا ..

ولكن يا للخسارة على شعب عاش ومات الكثير منه .. فاقداً للتمييز بين معنى الرضا بأمر الله وبين الإستسلام والسلبية ... إنسان .. وإن بدا حراً فهو لا يزال سجين فكرته .. حبيس نفسه .. خائف منها ، وطائع لها ولكل ما توسوس له به ..

و بما أن لكل منا قصته .. التي يكتب منها سطوراً أو صفحات مع بداية كل يوم جديد من حياته .. كتبت هذه الرواية .. بغرض الدفاع عن فكرة .. الدفاع عن حق .. إلتقاط صورة جديدة لملامح امرأة شوهدا الغرب بمعتقداتهم وافكارهم ، وارتكبنا نحن في حقها جريمة كبرى تحمل عنوان (العادات والتقاليد) ... ولذلك فإنه لمن العار .. كل العار .. إلتصاق هذه الجريمة في الإسلام ، الدين الذي كرم المرأة وحفظ لها حقوقها ..

أما المرأة العربية .. فهي إنسانة .. جميلة الروح .. لها ملامحها الخاصة ، ولها طابعها الخاص .. مميزة .. متبوعة وليست تابعة .. مفكرة ومدبرة .. ربة منزل وعاملة .. محبة وطموحة ...

ومهما وصفت أو حاولت أن اصف .. لن اتمكن من وصفها حق الوصف...

كتبت هذه الرواية بهدف دعوة الناس من خلالها لتقبل حقيقة أن الإنسان لم يُخلق في هذا الكون وحده .. بل خُلِقَ ومعه آخرون ، مختلفون عنه .. لا يمكنه الانفصال عنهم ورفضهم ... وإنما فقط تقبلهم و تفهمهم .

كُتبت لأعرض كيف يمكن للثقافات المختلفة أن تتحدث وتتجاوز على لسان أبنائها ، كيف يمكن للثقافات أن تتأثر ببعضها البعض ...فللقاء بيننا وبينهم وارد دائماً في كل مكان وزمان ... ولتكن المعادلة الصحيحة إذا .. هي علوم الغرب وأخلاق العرب .. وعندما عرفت أن الإنسان مخلوق فاني .. تزول قدمه من الدنيا سريعاً ... حلمت بأن يذكرني الناس من بعدي بالخير ، ولإعتقادي بأن الإنسان ما كتب ، فكتبت حتى يبقى بعضي في الدنيا بعد زوالي منها... أما مريم .. تلك المتحدثة على صفحات هذه الرواية ... فهي منى وأنا منها .. وإن كنت قد خبأت بعض منها في قلبي ، والبعض الآخر استحضره خيالي على جناحيه العريضين في الليالي الهادئة.... فهي لاتزال جزءاً منى لا يعرفه إلا من اقترب كفاياً... وكل من حاورتهم مريم على صفحات هذه الرواية هم بالتأكيد شخصيات حقيقة ، وإن اختلفت الأسماء.

*إلى الله سبحانه وتعالى ... انت نبع الحياة ، ومصدر القوة والعدل والحب الوحيد ...
لم أكن لأنجح في أي شيء من دونك ... فكن معي دائماً يا الله ..
لأنني لن أتوقف يوماً عن كوني بحاجة إليك.*

داليا يسري

بسم الله الرحمن الرحيم

البداية

البداية.. بالحديث عن البدايات فى حياة كل إنسان..
نسال أنفسنا: ما البداية؟ أين البداية؟ كيف أصل للبداية؟
كيف وكل شىء يعوق طريقى.. أو فى حالة أخرى كيف ولا شىء يعوق طريقى؟!
حتى تكمن الإجابة فى حقيقة أنه إذا كان كل شىء يعوق طريقك، فهذا يعنى أنك وبالتأكيد لديك هدف.. بل وهدف عظيم أيضاً..
أما أن كان لا شىء يعوق طريقك.. ففى هذه الحالة ستعرف أنه وكما قال أحد الحكماء قديماً (إن كنت تمشى فى طريق خالٍ من العقبات، فتأكد أن هذا الطريق لا يؤدى إلى شىء).
وهنا تبقى الحقيقة.. إن وُجِدَ الهدف.. وُجِدَت الحياة، ووجد الإنسان معنى لبقائه..
إن لم تجد هدفك.. فابحث عنه، لأنه بالتأكيد سيظل فى انتظارك حتى آخر دقيقة فى عمرك..
وبالتأكيد أيضاً أنه لن يأتى من تلقاء نفسه ليلقى بنفسه راکعاً تحت قدميك..
ابدأ فى البحث عن البداية الجديدة.. ابدأ فى طى الصفحات القديمة الباهتة من كتاب حياتك،
واكتب من جديد على صفحة بيضاء بخطوط من ذهب.. ما سوف تفعله لنفسك، لدينك،
لوطنك..

ومن الناس من اختار النجاح والكفاح وفضل أن يصنع من سقطة فشل وقفة نجاح عظيمة، من الناس من سخر إرادته فى الطريق السليم وحقق بذلك ما لم يتوقعه أحد.. ومن الناس من اقتنع كلياً بعدم كفاءته للقيام بأى شىء.. حتى تلك الأشياء البسيطة وذلك ليس لأنه إنسان غبى، أو معدوم المؤهلات والمواهب. وإنما هو فاشل لأنه اقتنع واستسلم للهزيمة أمام صعوبات الحياة وما تتطلبه من تحديات، كما أنه فقد الإيمان بنفسه قبل أى شىء. متناسياً الحقيقة الرائعة التى يجب أن يعرفها وينصت لها الجميع.. وهى أنه لم يُخلق إنسان غبى، أو فاقد للمواهب.. أو فاشل بالفطرة. فلقد خلق الله تعالى الناس جميعاً على اختلافهم بمميزات فردية. فكل منا له مميزاته الفردية، ومن هو متفوق فى الكيمياء على سبيل المثال تجده فاشلاً فى الموسيقى. ومن هو حداد ماهر تجده فاشلاً فى الطب.. فلقد خلقنا جميعاً بمواهب مختلفة لكى نكمل بعضنا البعض. ونسد عجز بعضنا البعض ونعمر الأرض تبعاً لذلك. ويبقى دائماً الجميع فى حاجة للجميع.

أما عن هؤلاء الذين يعرفون هذه الحقيقة ولكنهم فقط لا يعرفون أين هي موهبتهم، وما هي الطريقة المثلى لإخراج هذه الطاقة من الداخل للنور.. فلا شك أن من يبحث لا بد أن يجد.. وإن كل فكرة بسيطة وسخيفة في نظر الناس من الممكن أن تكون هي نواة لحلم رائع تهز عروش البشرية أجمع بعقيريتها، إذا حصلت على النمو الصحيح في عقل من أوجدها. أما عن هذه البداية فهي قصة نجاح بكل ما تعنيه الكلمة..

لقد كانت مريم فتاة مصرية عادية جداً، لا تختلف كثيراً عن باقي فتيات جيلها سوى أنها كانت تمتلك دائماً نظرة تفاؤلية للحياة، فقد كانت دائماً ترى الجانب المشرق في كل شيء. وتثق بأن أى مصيبة تحدث هي بالتأكيد تحمل في خباياها خيراً.. فهي فتاة مؤمنة دائماً بالقدر وما يحمله من مفاجآت.

لقد قضت مريم أربعة أعوام في الكلية وهي مؤمنة تمام الإيمان بعدم قدرتها على فك طلاسم هذه اللغة الغريبة الصعبة، فقد كان لديها إيمان تام بغبتها المطلق وبأن إمكانية التحدث بهذه اللغة بمهارة تسبق بمراحل حدود إمكانياتها العقلية. وكانت مقتنعة أن جميع زملائها من الشباب يسبقونها بمراحل من الذكاء وذلك لأنه كان من شبه المستحيل أن تجد في قسم اللغة الروسية طالبة يمكنها أن تتحدث بها، فمن المعروف أن طموحات نسبة ليست بالقليلة من فتيات مجتمعها هي الحصول على العريس والزواج والإنجاب فقط لا غير، ومع ذلك لا يمكن إنكار أن هذا أيضاً كان جزءاً من أحلامها المستقبلية. فكل فتاة تحلم بالزواج والاستقرار، ولكنها فقط لم تكن تنتظر إلى الزواج كجزء من الطموحات أو الأشياء التي يمكن أن يخطط لها الإنسان، فالطموحات تختلف عن طريقة الحياة، والزواج هو طريقة من طرق الحياة والذي لا يمكن النظر إليه باعتباره طموحاً من الممكن أن يسعى الإنسان خلفه، فالزواج والحب نعمة كبيرة وهبة من عند الله وهو قدر من عند الله، وكما هو معروف أن لا أحد يستطيع الهروب من قدره، وإذا كان قدرها لا يزال غائباً عنها، فهذا لا يعنى بالتأكيد أنه لن يأتى ولا يعنى أيضاً أنها يجب أن تنتظره مكتوفة اليدين وأن تمضى حياتها في انتظاره فقط !!!

فكان التحدث باللغة الروسية لا يتعدى كونه حلمًا يلوح في خيالات مريم، الفتاة التي كنت ترتجف خوفاً قبل موعد الامتحانات.. وقد كانت بالطبع هي مزحة العائلة حيث كان يقال عنها.. (هذه هي التي تخصصت في لغة لا تستطيع حتى أن تلقى بها التحية).

كلية الألسن للغات، الكلية العريقة ذات السمعة الرائعة التي يتوافد عليها طلاب العلم من جميع أنحاء الجمهورية بل وأحياناً من خارج مصر لدراسة اللغة العربية هناك.. كانت هذه الكلية أيضاً ولا تزال حلم الكثير من طلاب الثانوية العامة وأعتقد أنها استحققت ذلك عن جدارة في الماضى فقط، فعندما أنشئت هذه الكلية كانت تعتبر منارة اللغات في مصر والعالم العربى. أما الآن فهي تحتاج إلى التجديد ولا أعنى هنا بالتجديد أنه تجديد معمارى أو تكنولوجى فقط ولكن أعنى أنه

تجديد شامل فى كل شىء.. تغيير كل المناهج التعليمية وتبديلها بمناهج فعالة تساعد الكلية على اللحاق بباقى الكليات والمعاهد المتخصصة فى اللغات فى العالم ..

مرت أربعة أعوام فى الجامعة وكانت مريم خلالها كلما التقت أحداً من خارج الكلية ترى فى عينيه نظرة انبهار عندما يعرف أنها تدرس فى كلية الألسن قسم اللغة الروسية حيث كانت دائماً تنهال عليها نفس التساؤلات حول الكلية والدراسة.. مثل:

هل هى صعبة ؟ هل يمكنك التحدث باللغة الروسية ؟ وكان هذا حقاً هو السؤال الأكثر إحراجاً على الإطلاق وكانت تجيب بمنتهى الصراحة: لا.. أنا لا أستطيع. لأنها لا تحب أن تكذب أو تتظاهر بشىء لا تملكه وفى هذه الحالة كانت ستعتبر أنها تكذب على نفسها وليس على الآخرين.. وهنا كانت تتغير تلك النظرة فى الحال من نظرة انبهار وإعجاب إلى نظرة شفقة بل وأحياناً سخرية !! كانت هذه النظرات جارحة للمشاعر جداً.

فقد كانت مريم بالرغم من إيمانها بأن الله قد أعطى كل إنسان طاقات إبداعية جبارة ومواهب ومميزات لا يتميز بها غيره، كانت لا تؤمن بنفسها وبقدرتها الشخصية على تحدى الصعاب وتحدى الحياة نفسها، أو تعرف هذه الحقيقة ولكنها لا تعرف من أين تبدأ، أو ماذا يفترض بها أن تفعل ..

مرت سنوات الكلية وكانت فيها مريم كالميتة الحية، وكانت ترى نفسها بهذه الصورة بعد التخرج كلما نظرت إلى الخلف وتذكرت حياتها أثناء الدراسة الجامعية لأنها أدركت حقيقة أن الحياة بلا هدف وبلا شغف وبلا علم ليس لها أى قيمة.

إن الدين الإسلامى فى الحقيقة أعلى من قيمة العلم والعلماء وطلبة العلم.. فالعلماء ورثة الأنبياء كما أن طلب العلم فضيلة وفريضة وعبادة ولكن للأسف الناس لا تلتفت إلى هذا الجزء من الدين وإنما فقط يلفتهم الجزء المظهري من الدين كالحجاب واللحية وغيرها من التناقضات التى قد لمستها مريم بنفسها فى المجتمع المصري. وهنا يبقى السؤال لماذا لا ينظر الناس إلى الدين ككل وليس كجزء؟؟ أى أن العلماء المسلمين فى القدم كانوا هم من وضعوا أسس العلوم الإنسانية التى تسير عليها الحضارات الأجنبية الآن وتسبقنا بمراحل وذلك لأنهم اتبعوا الدين الإسلامى قلباً وقالباً.. شكلاً ومضموناً. ولو التزمنا نحن الآن بما ورد فى كتبنا لفعلنا مثلهم أيضاً.

عندما انتهى عامها الرابع فى الكلية وظهرت النتيجة كانت كالصدمة التى أذهلتها. فقد اكتشفت أنها رسبت فى مادة الترجمة من العربية إلى الروسية فى الفصلين الدراسيين الأول والثانى !! وظلت مريم تسأل نفسها: ماذا حدث ؟ وماذا أفعل ؟ كانت الحقيقة بمثابة صدمة، فهى الوحيدة التى لم ترسب فى أى سنة طوال سنوات الدراسة الجامعية من بين صديقاتها. لذا توجب عليها البقاء فى المنزل لمدة عام آخر فى انتظار دخول الامتحان فى العام القادم.

وهنا بدأت رحلة المعاناة مع الملل والوحدة والشعور بالفراغ ومع الظروف الاقتصادية الصعبة التي تعاني منها مصر، كان من الصعب جدًا الحصول على وظيفة.. ولكنها لم تيأس، بل تذكرت أن لا شيء يحدث في الحياة بدون سبب، وأن الله قد أراد بها خيرًا عندما اختار لها دراسة اللغة الروسية وقد أراد بها خيرًا عندما لم تتمكن من العثور على وظيفة وجلست في المنزل بلا عمل. أدركت الحقيقة الكامنة خلف كلمة أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه وأنها لم تتقن عملها بعد، وهو دراستها فقد أهملتها طوال سنوات الدراسة في الجامعة ويجب أن تتقنها، وأن الآوان لم يفت وإنما سيظل هناك دومًا وقت في الحياة لطلب العلم طالما أن الإنسان لا يزال على قيد الحياة .. فطلب العلم لا يقتصر على عمر معين وإنما لطلب العلم في كل وقت وفي كل زمان.. هذه هي شريعة الله في الأرض، طلب العلم وتوظيف غريزة حب المعرفة في مكانها الملائم. فقررت أن نقضى وقت فراغها في دراسة اللغة الروسية من جديد.. بطريقة جديدة.

الفصل الأول

حوار مع صديقي الروسى

أندريه بانكوف

بناءً على هذا القرار بدأت مريم تبحث حولها، فنظرت حولها لتجد نافذة صغيرة تطل من غرفتها على العالم.

لذلك قررت أن تفتح النافذة وتتعلم من جديد ولكن هذه المرة بنية خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى....

وبدأت رحلتها في البحث على موقع عالمى للغات حيث يتيح دورات مجانية فى أى لغة مع إمكانية التعرف على أناس من حاملى اللغات المختلفة. فقد كانت تدرس كل يوم بحماس شديد. بعد ذلك بفترة وجيزة شعرت مريم بتحسن فى مستواها اللغوى وقررت أن تبحث عن صديق أو صديقة من روسيا لديه رغبة فى تعلم اللغة العربية على أن تعقد معه صفقة تبادل على أن يعلم كل منهما الآخر لغته..

استمرت فى البحث مطولاً وقد وجدت الكثيرين وأرسلت إليهم رسائل، لكى تعرض عليهم هذا العرض، ولكن الشخص الوحيد الذى وافق على هذا العرض كان رجلاً روسياً يبلغ من العمر ٤٢ عاماً اسمه أندريه بانكوف، يعمل كمترجم و يتقن اللغة الفارسية واللغة الهندية ولديه شغف باللغات الشرقية. وهنا بدأت رحلتها المعرفية العميقة فى جمهورية هى وحدها رئيستها، جمهورية العلم والمعرفة وكان موقعها غرفتها البسيطة حيث كانت تجلس بالساعات يومياً تتحدث معه. فقد كانت مريم فى هذه الأثناء تستخرج كلمات جديدة وتدرسها، أو تصلى وتدعو الله أن يساعدها

ويقدم لها يد العون في هذه الدراسة، ولطالما حاول إخوتها الأصغر سنًا منها إلهاءها عن الدراسة ولكنها كانت ترفض الخروج من الغرفة وترك العالم الذي قد فتح أبوابه لها أخيرًا. حتى عندما كان والدها يريد اصطحابهم خارج المنزل كانت تذهب معهم بعد نقاشات ومحاولات وكانت تخرج من هذا العالم وهي متذمرة. وكل ذلك بسبب هذا الشعور الذي بدأ ينتابها ألا وهو أن الوقت ينفد منها ويجب عليها تحصيل أكبر قدر ممكن من المعرفة في الوقت المتبقى. كانت أحيانًا تشعر أن اليوم لا يكفي وأنها بحاجة إلى المزيد من الساعات لإنهاء ما بدأته. في هذا الوقت وفي هذا العام شعرت أنها قد تغيرت تمامًا شخصيًا وفكريًا واجتماعيًا. فقد تحولت من فتاة مستهترّة إلى فتاة مسؤولة تتطلع إلى المستقبل، وفجأة تولدت عندها رغبة لا نهائية في معرفة كلمات وعبارات اللغة الروسية بل ومعرفة أشياء أكبر بكثير. حيث أدركت أن حب المعرفة الذي قد ولد بداخلها تجاه هذه اللغة قد بدأ يتوسع ويمتد إلى مجالات أخرى ولم يقتصر على اللغات فقط، فأصبح في حياتها هدف واضح بات يعلن عن نفسه الآن ويطالب بالحصول على الفرصة للخروج من سجنه.

كانت مريم في البداية تعتقد أن صداقتها بذلك الرجل صداقة مثمرة لها أكثر منه. وذلك لأنه مبتدئ في اللغة العربية بينما كانت هي تمتلك مستوى متوسطًا وتمتلك القدرة على تكوين جمل وعبارات على الرغم من الأخطاء اللغوية الفادحة التي كنت ترتكبها والكلمات الكثيرة التي كانت لا تعرف معناها باللغة الروسية، ومما زاد الأمر صعوبة أن ذلك الرجل لم يكن يتحدث الإنجليزية ولذلك لم يكن باستطاعتها أن يتفاهما في أغلب الأوقات. ولكن مريم كانت تعتمد في ذلك على رفيقي الدرب وهما قاموسان عملاقان بين اللغتين العربية والروسية، ولكن مراعاة القواعد النحوية في اللغة الروسية كانت مهمة صعبة جدًا بحيث أنه من الممكن أن تجعل أحد متحدثي اللغة يخطئ في الكلام.. ولكن هذا لم يوقف مريم فقد كانت في هذه الأونة من حياتها قد قررت بالفعل ألا تستسلم لليأس مهما حدث، وألا تتراجع مهما حدث، وإذا فشلت يكفيها شرف المحاولة كما أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهي على ثقة وإيمان بالله كبيرين.

أما عن أحاديثها معًا، فكانت حوارًا بين ثقافتين أو ديانتين وليست حوارًا بين شخصين، حوارًا بين مراحل عمرية مختلفة وبين طاقات إنسانية مختلفة.. فالكثير من الناس قد يعتقدون أنهما كانا يتحدثان في مواضيع لا معنى لها، ولكنهما في الحقيقة كانا يتبادلان ثقافتين بالمعنى الحرفي للكلمة.

ففي أول حديث لهما معًا اتفقا على أن يساعد أحدهما الآخر في التعلم وكانا يمضيان عدة ساعات وهما يتبادلان الأسئلة حول معاني ومفردات اللغتين العربية والروسية. ولكن لطالما شعرت مريم أن هناك شيئًا غاية في الأهمية يجول في نفس أندريه ويريد أن يسأل عنه. ولذلك آثرت مريم الانتظار على السؤال عن هذا الشيء، فقد كانت على يقين من أنه يومًا ما سوف

يخرج عن صمته قريباً فما هي إلا مسألة وقت قبل أن يتجرأ ويسألها، فمن الواضح أن فضوله يكاد يقتله خصوصاً بعد أن فهمت مريم من خلال أحاديثهما أن هذه تعتبر أول مرة بالنسبة له يتحدث فيها مع شخص مسلم وعربي، فمن المتوقع جداً أن يسأل أندريه عن أشياء تمس صلب الدين الإسلامى. وبالفعل كانت توقعات مريم فى محلها فقد بدأ الحوار حول الإسلام بينهما هكذا...

أندريه: هل أنتِ مسلمة حقاً.

مريم : نعم بالتأكيد، ولى الشرف..

أندريه : أنا أملك فى منزلى نسخة من المصحف الكريم باللغة الروسية، ولكن هناك بعض الآيات القرآنية التى لا أفهمها. وما لا أفهمه فيها حقاً، هو كيف يمكن لدين وكتاب مقدس أن يدعو الناس للإرهاب بهذه الطريقة السافرة؟!

مريم : لا لا.. بالطبع ليس الدين الإسلامى هكذا، هو ليس كذلك. الدين الإسلامى دين محبة وسلام ورحمة، والقرآن لم يدعُ أبداً المسلمين للقتل..

أندريه : إذن، اشرحى لى هذه الآيات.. أنتِ مسلمة وعربية. اشرحى لى لماذا قيل هذا الكلام فى القرآن.. من فضلك أنا أريد أن أعرف.

مريم : لا أستطيع أن أتحدث باللغة الروسية فى مثل هذه الموضوعات الصعبة التى تحتاج إلى شخص طلق اللسان، كما أننى لست فقيهة فى ديني. أنا مجرد فتاة عادية جداً.

أندريه : ماذا؟ هل تعنين بذلك أنك لست على دراية كاملة بتفاصيل دينك؟!

مريم : لا لا.. (وظلت تنهته فى الحديث لصعوبة الكلام ولعدم إلمامها بالمصطلحات اللازمة لما تريد أن تقول). واستطردت قائلة : أنا أعرف ماذا أريد أن أقول ولكننى لا أعرف كيف أقول بالروسية..

أندريه : نعم، وأنا متفهم.

مريم : حسناً، لدى الحل.. هل من الممكن أن تكتب إلى أسئلتك وأرقام الآيات القرآنية التى تود أن تتحدث عنها وتفهمها وسوف أفعل ما فى وسعى وأقوم بالعمل على ترجمة ما أستطيع للرد على أسئلتك.. لأننى الآن حقاً بالكاد أستطيع أن أفهمك ولا أعرف سوى أن أنفى هذا الحديث عن ديني. كما يجب عليك أن تعرف أن للقرآن الشريف كتب تفسير، يجب عليك قراءتها لتفهم معانى القرآن كاملة.. فهناك العديد من الآيات التى لا يمكن أن تفهم إلا بالسياق العام وإن أخذت بما تحمله من معنى فى السياق الخاص، سيغير هذا معناها بالكامل.

أندريه : حسناً.. سوف نرى، سأرسل إليك الليلة عبر البريد الإلكتروني رسالة مكتوباً فيها كل أسئلتى وأرقام الآيات، كما سأرسل إليك فيديو مصوراً باللغة العربية. أتمنى أن تسمعيه وأن تخبريني برأيك...

مريم : حسنًا، اتفقنا.. إلى اللقاء، على أن نلتقى مرة أخرى على شبكة الإنترنت فى اليوم والموعده المحددين.

* وهنا أغلقت مريم معه، وقامت بمشاهدة تسجيل الفيديو هذا مباشرة.. حيث كان عبارة عن تسجيل لامرأة سورية تركت الدين الإسلامى وهربت من سوريا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وظلت تهاجم الدين الإسلامى وسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بطريقة سافرة ومهينة لمشاعر أى إنسان مسلم. حيث كانت هذه المرأة تقص تجربتها مع الديانة الإسلامية، لدرجة أن مريم سمعتها تقول: لو كنت قد اضطررت لتكملة حياتى كامرأة مسلمة لكنت قد قتلت نفسى، فأنا أفضل الموت على الحياة كامرأة مسلمة فى مجتمع إسلامى . ثم استطردت الحديث لتقول أن الدين الإسلامى لم يعز المرأة ولكنه أدلها كثيرًا وسلبها حقوقها الإنسانية وغيرها من المهاجمة المثيرة للمشاعر ضد الإسلام والمسلمين بل وضد الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه. وكان هذا الحديث بأكمله قد استفز مشاعر مريم بدرجة رهيبه.. لدرجة أنها عازمت على أن تفعل أى شىء حتى تثبت لهذا الرجل كذب هذه المرأة.

ولذلك كتبت له رسالة، تقول: (لقد شاهدت الفيديو، وهى امرأة كاذبة بكل معنى الكلمة، ويجب لك أن تعرف أن الدين الإسلامى لم يأت بأى من هذه الأكاذيب، وسوف أشرح لك لاحقًا.. وأثبت صدق كلامى. وأنا فقط لا أملك الآن من المهارة اللغوية ما يكفينى للحديث فى هذا الموضوع).

* بعد أن أرسلت مريم الرسالة، استفاقت لتفكر فيما أقحمت نفسها فيه من موضوعات كبيرة. قد تكون عاقبة الخطأ فيها وخيمة عند الله قبل أى شىء. فقد كانت فى الحقيقة بحاجة لوقت للتفكير أكثر من احتياجها وقتًا للترجمة. وذلك لأن الحوار فيما بينهما قد اتخذ منحى آخر تمامًا بعيدًا عما توقعته مريم من قبل. مريم بالتأكيد كانت على علم تام بمدى عجزها اللغوى عن التحدث فى مثل هذه الموضوعات الصعبة. فى نفس الوقت الذى يعتبر فيه الدفاع عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والدين واجبًا على كل مسلم . وخاصة فى مثل تلك المواقف المثيرة للمشاعر. فمشاعر الخوف التى كانت تنتاب مريم من الإساءة لدينها ولنبيها - صلى الله عليه وسلم - عن غير قصد بسبب سوء اللغة، وأيضًا لأنها تعلم أنها إنسانة عادية وليست داعية إسلامية أو شيخًا من شيوخ الأزهر. حتى أن معلوماتها الدينية وإن كثرت قراءاتها من قبل فى علوم الدين وحياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا تتعدى كونها مسلمة عادية جدًا تصلى وتقرأ القرآن وتدعو الله بصفة دائمة. فهى على تمام اليقين من أنه ما زال هناك الكثير والكثير لديها لتتعلمه.

ولكن المشكلة الحقيقية هى أنها بعد ذلك الحوار المستفز الذى دار بينهما قد شعرت بالغيرة على دينها وعلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بطريقة غير طبيعية . وفكرت أن الامتناع عن الرد يعتبر حقًا من حقوق أى إنسان ولكن فى هذه الحالة كانت مريم على يقين من أنها لو امتنعت عن الرد وأخبرته مثلما اقترح عليها أخوها الأصغر، بأنها لا تحب التحدث فى الشؤون الدينية،

لكان وافقها ولكنه سيعتقد أن في امتناعها هذا قلة حيلة وضعفًا في مضمون الدين الإسلامي، فهي لا تمتلك الرد المناسب لأن دينها ينقصه أشياء كثيرة. وهذا ما رفضته تمامًا، ولم تستطع أن تقبل به، ولكنها كالعادة أدت صلاة استخارة قبل أن تقرر. وشعرت بعدها بارتياح لقرارها هذا وهو المتابعة في الحوار معه والدفاع عن دينها ورسول الله - صلى الله عليه وسلم، حيث شعرت أن هذا نداء الواجب الذي لا يمكنها التظاهر بعدم سماعه. فتوكلت على الله وصلت ودعته أن يساندها في اللغة وأن يسامحها إن أخطأت فقد كانت مريم فتاة دائمة الذكر لله وكانت دائمًا ما تدعوه بهذا الدعاء (رب أشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي).

وكانت أولى الآيات القرآنية التي أرسلها أندريه إلى مريم هي الآية رقم ٤ من سورة محمد والتي تنص على :

بسم الله الرحمن الرحيم (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) صدق الله العظيم
فعندما انتهت مريم من قراءتها هرعت إلى مكتبة أمها وأبيها التي توجد في منزلهم. فقد احتفظت فيها أمها - رحمها الله - بالكثير من الكتب الدينية من تفسير وسنة لأفضل أئمة المسلمين، وأنت بأحد أجزاء تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء ابن كثير. ثم عكفت اليوم بأكمله في غرفتها على ترجمة هذا التفسير من اللغة العربية إلى اللغة الروسية مستخدمة القاموس الذي تمتلكه حيث كان بمثابة العصا التي تتوكأ عليها في مواجهة أندريه وتساولاته العجيبة التي لا تنفك تكشف عن جوانب معادية تمامًا للإسلام والمسلمين. ثم قامت بكتابة الرد الملائم على ادعاءات هذه المرأة السورية على ورقة باللغة العربية وترجمتها إلى الروسية، حتى تتمكن من قراءة هذه التراجم له عندما تلتقيه على الإنترنت.

وفي اليوم التالي عندما التقيا وبدأ الحوار بدأت مريم تقرأ له تمامًا ما يلي :
عندما بدأ الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - الدعوة للدين الإسلامي في مكة المكرمة في الجزيرة العربية، حيث كان يقطن الكفار (كلمة تطلق على من يؤمن بغير الله الواحد الأحد آنذاك) بادئ ذي بدء، والذين لم يرحب كبارهم بالدعوة الإسلامية ولا بفكرة دعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى إله واحد أحد لا غير. حيث كان يهدد إيمان الناس بهذا الإله تجارة قريش ونفوذ كبارائها. ولذلك حاولوا منعه ثم قرروا قتله واجتمعوا له، وأخذوا من كل قبيلة أقوى وأفضل رجالها واجتمعوا له. وذهبوا عند منزله بنية قتله ولكن الله نجاه من كيدهم. وخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو وصديقه أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - في رحلتها الشهيرة من مكة إلى المدينة المنورة لاستكمال الدعوة للدين الإسلامي هناك .. حيث خرج أهل المدينة

المنورة لاستقبال الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمنتهى الترحاب والسعادة عندما علموا بقرب وصوله إلى المدينة. وبُني أول مسجد في الإسلام هناك، والذي كان يعتبر مدرسة المسلمين آنذاك.

وهنا قاطعها أندريه قائلاً : من فضلك أريد أن أسألك سؤالاً : هل تعتقد أن القوة والحرب من الممكن أن تجبر أى إنسان على الإيمان بالله ؟ أو اعتناق ديانة معينة ؟ ولماذا كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - حاملاً السيف فى يده دائماً ؟

فقلت له: لا بالطبع لا أعتقد ذلك بالتأكيد، لأن القوة لا تجبر أى إنسان على الإيمان بشيء، فالإنسان يؤمن عندما يتيقن قلبه بشيء ما، ولا يوجد أى إنسان يمكنه التحكم بقلبه. فأنت من الممكن أن تخبرنى الآن أنك مؤمن بالدين الإسلامى وأنا أصدقك، ولكن فى قناعتك وقلبك لا أحد يعرف بماذا تؤمن سوى الله. أما عن القوة فأحب أن أوضح لك أن جميع من آمن بالدعوة الإسلامية قد آمن بها عن رضا وعن قناعة تامة، وكل من اعتنق الدين الإسلامى آنذاك من سكان مكة الذين تركوا مدينتهم وأراضيهم وأملأهم فى سبيل الله من أجل اللحاق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المدينة المنورة. تركوا كل شيء لأجل الله والإسلام ولأنهم صدقوا الرسول - صلى الله عليه وسلم. كما أن سكان المدينة المنورة أيضاً اقتنعوا بالدين الإسلامى بمحض إرادتهم ولم يجبرهم الرسول على شيء.

وقد نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أصحابه عن تمنى الحرب { لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا } (صحيح البخارى. دار الشعب سنة ١٩٥٨ ج ٤ ص ٤٩)

وبما أن النبى نهى عن الرغبة فى الحرب وتمنى لقاء العدو، وهذا يدل على أن حالة الحرب حالة طارئة، لا يشرع للمسلم أن يتمناها إلا إذا قامت أسبابها. وتوافرت دواعيها.. كما أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - بسؤال الله العافية والسلامة، فإن قدر للمسلم لقاء عدوه فالمشروع حينئذ الصبر والثبات، وكل هذا يفيد أن الأصل فى العلاقة مع الغير مسلمين هو السلم.

وكان تبرير المسلمين على مر العصور للفتوحات الإسلامية هو أنها كانت لإزالة الطواغيت الذين كانوا عقبة فى وجه انتشار الدعوة إلى الله دون إجبار لأحد على اعتناق الإسلام، أى ما يسميه الفقهاء جهاد الطلب. يقول الدكتور القرضاوى : إن الدولة الإسلامية إذا استغاثت بها هؤلاء المستضعفون المضطهدون، ولو كانوا من غير المسلمين.. وكانت تملك القدرة على إنقاذهم مما هم فيه، وجب عليها أن تستجيب لدعوتهم وتغيث لهفتهم إذا طلبوا نجاتها. فإن نصرة المظلوم وإعانة الضعيف وردع الظالم عن ظلمه واجب شرعى. بل هو واجب أخلاقى فى

كل دين وكل مجتمع يقوم على الفضائل ورعاية القيم العليا، سواء كان المظلوم مسلمًا أم غير مسلم.

هذه الفقرة من كتاب: "أقباط مسلمون قبل محمد" ..

إن الإسلام يا أندريه لم ينتشر يومًا بالقوة.. وإن كنت لا تصدقنى يمكننى أن أستند فى حديثى هذا على أدلة من مراجع مسيحية أيضًا..

وعلى سبيل المثال.. اعتراف أحد أكبر القساوسة المؤرخين المعاصرين لوقت الفتح الإسلامى فى مصر أن الإسلام قد أنقذهم من بطش الروم المعتدين، مع العلم أن هذا القسيس لم يكن من محبى أو من مؤيدى الإسلام وكان هذا جليًا فى أسلوب كتابته..

ولكننى لن أروى لك بالضبط ما قد كتب.. سوف أنقل لك نقلًا كلماته..

قال: " إن الله الذى يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لجرأتهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين.. ونهض المسلمون، وحازوا كل مصر.. وكان هرقل حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا فى مصر.. وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم.. مرض هرقل ومات.. وساد المسلمون مصر.. وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم فى عمله، ويأخذ الضرائب التى حددها.. ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما سلبًا أو نهبًا وحافظ عليها (الكنائس) طوال الأيام" تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى ص ٢٠١، ٢٢٠..
منقول عن كتاب: "أقباط مسلمون قبل محمد"

- فهتم الآن يا أندريه، أن الإسلام لم ينتشر بالقوة، وأن المسلمين إن دخلوا بلدًا أصلحوا فيه وردوا المظالم والحقوق إلى أصحابها.. وباعتراف أهل الكتاب أنفسهم..

أندريه : نعم يا مريم.. أكملى حديثك.. أنا مهتم أن أستمع..

أما عن السؤال الآخر فهذا معتقد خاطئ تمامًا، من أخبرك أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يسير ومعه سيف أينما ذهب؟ لقد كان إنسانًا رحيماً وطيباً ورجلاً شجاعاً ولا يخاف إلا الله، فقد كان يحمل السيف فى أوقات الحرب فقط. كما لك أن تعرف أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد علّم المسلمين أن يحاربوا بشرف وبكرامة، وفى أثناء الحرب كان ممنوعاً على أى مسلم قتل امرأة أو طفل أو شيخ. وممنوع عليهم أيضاً انتهاك حرمة البيوت وقتل الناس بغير حق. إن القتل لا يعتبر شيئاً محلاً فى الدين الإسلامى كما يعتقد الكثير فى الدول الغربية. ثم أشارت مريم إليه أن يقرأ الآية رقم ٣٢ من سورة المائدة التى تقول : (من قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الأرض كأنما قتل الناس جميعاً ومن أحيها فكأنما أحيها الناس جميعاً)

والآية رقم ٦٨ من سورة الفرقان :

(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق)
وعندما قرأتها مريم شعرت أنه قد اقتنع بالفكرة ولكنه فقط لم يرد أن يعترف باقتناعه وهذا ما
سبب لها الحيرة. ثم أخبرته بعد ذلك أن الديانة تعتبر حرية شخصية وباعتراف من الرسول -
صلى الله عليه وسلم - نفسه، فهو لا يجبر أى إنسان على الإيمان بالله بالقوة ولكن الإنسان له
الحرية فى الاختيار. وهذا هو الدليل، ثم أشارت له أن يقرأ الآية رقم ٦ من سورة الكافرون (لكم
دينكم ولى ديني)

وبعد أن قرأها قال لمريم : حقاً لقد أعجبتنى هذه الآيات كثيراً.
فاستكملت مريم الحديث مرة أخرى : إن الدين الإسلامى قد علمنا الكثير من القيم والأخلاق
الحسنة، وأهمها هو احترام الآخرين مهما كانت عقائدهم ودياناتهم. فهناك على سبيل المثال
الكثير من الناس ممن يقدسون الأبقار، ومن يدينون بالديانة البوذية مثلاً.. فهل تعتقد أن هذا
سبب يدفعنا إلى احتقارهم وازدراؤهم أو التقليل من شأنهم ؟؟
فقال: بالطبع لا.. فكل إنسان له الحرية فى اختيار دينه وعقيدته.

مريم: بالضبط وهذا ما ورد فى الدين الإسلامى أيضاً ولكن الكثير من الناس يهاجمون الدين
الإسلامى بلا عقل وبدون معرفة حقيقية لتعاليمه. على الرغم من أنه دين سماوى اعتنقه ملايين
الناس عبر التاريخ وصولاً إلى يومنا هذا.

* ثم قررا أن يتابعا حديثهما وأن تتابع مريم القراءة وهو يتابع الاستماع.
مريم : بالحديث عن حقوق الإنسان فى الإسلام فيجب أن نوضح أن الإسلام هو من أرسى
أغلب وأهم قواعد حقوق الإنسان المعمول بها الآن فى أكبر الدول والتي عرفها العالم من بعده.
فقد قام بتحرير العبيد من النساء والرجال والأطفال كما استمر السعى فى سبيل القضاء على
العبودية منذ بداية الدعوة الإسلامية. كما أكد على حقيقة أن جميع البشر سواسية ولا فرق بين
إنسان وآخر إلا بالعمل الصالح.

وتوضيحاً لموقف المرأة فى الإسلام ووضع المرأة قبل الإسلام. كانت المرأة قبل الإسلام تعامل
باحترام ما بعده احتقار فى مجتمع يحترم الرجل فقط، ويعطى كافة الحقوق للرجال بينما تُحرم
النساء من كل شيء. فقد كان الرجل عندما يرزق بطفلة آنذاك يشعر بالعار ويأخذ الفتاة على
الفور ويدفنها حية، وكانت هذه عادة من عادات الجاهلية تسمى وأد البنات أى دفنهن أحياء. كما
كانت تعامل المرأة على أنها أحد عبيد الرجل أو شيء يمتلكه ويترك.. كانت تعامل معاملة غير
إنسانية بالمرّة.

ولكن تغير كل شيء فى الجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام، فقد حرم الإسلام وأد البنات بل
وقضى عليه تماماً وبدأ الناس فى الاقتناع بأن المرأة إنسانة لها الحق فى الحياة والتعليم تماماً

كالرجل، وأنه يجب على كل الرجال معاملة النساء معاملة كريمة والترفق بهن وحمايتهن. وبالفعل تنزلت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تستوصى الرجال بالنساء. منها على سبيل المثال أن الإسلام قد كرم الأم وجعل الجنة تحت أقدامها، كما وعد من يحسن معاملة أخواته من الفتيات بالجنة، وجعل من الفتيات وسيلة تفتح باب الجنة على مصراعيه في وجه أبيها. لذلك فمن غير العدل تمامًا القول بأن الدين الإسلامي حرم المرأة من حقوقها، ووصفه بأنه دين ذكوري بحت لا يراعى سوى حقوق الرجل.

لقد حافظ الإسلام على كرامة المرأة وغير من طريقة حياتها إلى الأفضل بالطبع.

إذن فكيف لك أن تصدق أن الإسلام أذل المرأة ولم يكرمها.. هل تصدقني الآن؟؟
لأنه منطقيًا إذا كان الإسلام أذل المرأة حقًا، إذًا فلماذا حرم هذه العادة ورد على المرأة حقوقها الضائعة؟!

أندريه : نعم اقتنعت، تابعي الحديث.

فاستكملت مريم قائلة :

بعد هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة المنورة أنشئت الدولة الإسلامية وتبعًا لها أنشئ جيش للمسلمين أيضًا هناك، ولكن هنا برزت المشكلة حيث أراد المسلمون زيارة الكعبة المقدسة في مدينة مكة التي كان يحكمها الكفار آنذاك، أعداء الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم.

فقرر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الخروج لزيارة بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وخرج معه المهاجرون والأنصار ومن لحق بهم من العرب، وليس معهم من السلاح إلا السيوف، وقد ساقوا معهم الهدى (الذبائح)؛ ليظهروا حسن نيتهم ويُعلموا أهل مكة أنهم جاءوا حاجين إلى البيت وزائرين له، ولم يأتوا لحرب أو قتال، بل لأداء العمرة. ووصل الخبر بمسير الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة، فإذا بقريش (أعداء النبي في ذلك الوقت) تفور من الغضب والغيط، فكيف يتجرأ المسلمون على المجيء إليهم، ودخول مكة بهذه السهولة؟! فلا بد من صدّهم ومنعهم من دخولها، وتعاهدوا على ألا يدخلها النبي - صلى الله عليه وسلم - والذين معه، وخرجت خيلهم يقودها خالد بن الوليد؛ لمنع الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من دخول مكة.

ولكن فجأة توقفت ناقدة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في مكان بالقرب من مكة يسمى الحديبية فعلم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن الله لا يريد له دخول مكة في تلك الآونة، ولذلك قرر الرسول - صلى الله عليه وسلم - التفاوض مع قريش، بشأن دخول المسلمين لزيارة الكعبة كل

عام، وكانت قريش قد فزعت لمعرفتها بعزم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيارة مكة، فأرسلوا أحدهم للتفاوض وبالفعل تم عقد صلح الحديبية وكان ينص على:

- أن يرجع المسلمون هذا العام ويعودوا في العام القادم.
- وأن تتوقف الحرب بينهما لمدة عشر سنوات.
- وأن من أراد أن يتحالف مع المسلمين فله ذلك، ومن أراد التحالف مع قريش فله ذلك.
- وأن يرد الرسول - صلى الله عليه وسلم - من جاء إليه من قريش دون إذن وليه، ولا ترد قريش من يأتيها من المسلمين.

ودخلت قبيلة خُزاعة في تحالف مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ودخل بنو بكر في تحالف مع قريش وقد كانت الحروب والعداوات بين خزاعة التي دخلت في تحالف مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم، وبين بنى بكر - التي دخلت في تحالف مع قريش - منذ غابر الأزمان، فأضحت كل واحدة في مأمن من الأخرى، ولكن حدث غدر من بنى بكر، فخرج نوفل بن معاوية في جماعة معه في شهر شعبان السنة الثامنة من الهجرة فأغاروا على خزاعة ليلاً، وهم على ماء يقال له الوثير، فأصابوا منهم رجالاً، وتناوشوا واقتتلوا، وأعانت قريش بنى بكر بالسلاح، بل وقاتل رجال منهم مع بنى بكر مستترين بظلمة الليل، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم.

لما أعانت قريش بنى بكر بالسلاح، وقاتلت معهم خزاعة التي كانت في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم، كان ذلك نقضاً للصلح الذي أبرمته مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالحديبية. وقد علمت قريش ذلك، ومن ثمَّ جاء أبو سفيان ليجدد الصلح مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم، وكان من واجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن ينصر المتحالفين معه من خزاعة، كما أن قريشاً نصرت، بل وحاربت مع حلفائها من بنى بكر.

فهم الغادرون الناقضون العهد، وأما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبعد خلق الله عن تلك النقيصة. ولذلك قاد الرسول - صلى الله عليه وسلم - جيش المسلمين وقاموا بفتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً طواعية وبكامل إرادتهم.

وبالطبع أنت الآن تتساءل عن سبب روايتي لك تلك القصة الطويلة، والسبب هو أنني أردت أن تعلم أن رسول الله لم يكن يوماً رجلاً يتوق للحرب وللقتل، وإنما هو رجل رحمة وسلام ولكنه يغار على دينه ويحافظ على عهده، ولا يعرف الغدر، وأكبر دليل على ذلك أنه لم يبادر كفار قريش بالحرب بل على العكس هو أراد السلام وهم أرادوا الحرب، وبما نقضهم لعهدهم وقتلهم الناس بغير حق، رد الله للمسلمين حقوقهم وكرامتهم ودخلوا مكة مرة أخرى منتصرين.

* طوال هذه القصة كان أندريه يستمع بانتباه وكانت مريم عادة ما تتوقف وتسأله بين الحين والآخر: هل فهمتني؟ هل أخطأت في الترجمة؟ هل اقتنعت بفكرتي؟ فقد كانت حواراتهما معاً لا تخلو أبداً من مثل هذه الأسئلة. وكان رده هذه المرة: نعم بالطبع فهمت. فسألته مريم: وهل تغيرت فكرتك عن الرسول - صلى الله عليه وسلم.

قال: نعم بعض الشيء، ولكنها لم تتغير كلياً فهناك الكثير من الأشياء التي أود أن أسأل عنها قبل أن أقرر في هذا الصدد.

* وعندها بالطبع سألت مريم عن رأى أندريه في مجهوداتها كمتريجة مبتدئة جداً. فقال لها: لديك الكثير من الأخطاء ولكن الكلام مفهوم، أنت فقط بحاجة للمزيد من التدريب. ثم أخذ يخبرها بتلك الأخطاء اللغوية كي تتجنبها في المرة المقبلة. حيث كان أندريه رجلاً صبوراً ومتقفاً، وساعد مريم كثيراً في تخطي محنتها مع اللغة الروسية، ولكن كانت دائماً ما تحتد بينهما الحوارات والنقاشات عندما يهاجم أندريه الدين الإسلامى وتحاول مريم أن تثبت له خطأ وجهة نظره، وخطأ تفهمه للإسلام.

* ثم تابعت مريم الرواية له. فكانت قد ترجمت له التفسير الحرفى للآية من كتاب: تفسير الجلالين (الإمام جلال الدين محمد بن أحمد ، والإمام جلال الدين عبد الرحمن)

وكان تماماً كما يلى. تفسير الآية رقم ٤ سورة محمد:

(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أى فاضربوا رقابهم أى فاقتلوههم والمصدر بضرب الرقاب هنا لأن الغالب فى القتل يكون بضرب الرقبة.

(حتى إذا أئخنتموهم) أكثرتم فيهم القتل.

(فشدوا) أى فامسكوا عنهم أى فأسروهم.

(الوثاق) ما يوثق به الأسرى.

(فإما مئاً بعد) أى تمنون عليهم بإطلاقهم من غير شىء.

(وإما فداء) أى تفادوهم بمال أو بأسرى مسلمين.

(حتى تضع الحرب أوزارها) أى أثقالها من السلاح أو غيره بأن يسلم الكفار أو يدخلوا فى العهد وهذه غاية للقتل أو للأسر.

(ذلك) خبر مبتدأ مقدر أى الأمر فيهم ما ذكر.

(ولو يشاء الله لانتصر منهم) بغير قتال

(ولكن) أمرم به

(ليبلوا بعضكم ببعض) منهم فى القتال فيصير من قتل منكم إلى الجنة ومنهم إلى النار.

(والذين قُتِلُوا) وفى قراءة (فاقتلوا) الآية نزلت فى يوم أحد حيث فشا فى المسلمين القتل والجراحات.

(فى سبيل الله فلن يضل) يحبط.

(أعمالهم) سيهديهم فى الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم.

صدق الله العظيم.

مريم : هذا هو تفسير الآية العظيمة يا أندريه. هل لديك أى أسئلة فى هذا الشأن؟

أندريه : نعم أريد أن أسأل : لماذا حل الإسلام قتل الكفار، إذا فأى إنسان لا يؤمن بالله وجب قتله. هذه فكرة مرعبة وإرهابية. لقد علمت ذلك عندما قرأت الكثير من آيات القرآن فهى تدعو إلى قتل أى إنسان غير مسلم أو لا يؤمن بالله.

مريم : هذا غير صحيح ولقد أخبرتك من قبل أن القتل بغير سبب حرام شرعاً، وهذه الآيات التى تتحدث عنها ل يمكن النظر إليها بمعزل عن ظروفها التاريخية فهى أوقات الحرب لترشد المسلمين ولا تعنى أبداً أنه يجب علينا قتل كل من لا يؤمن بالله. فالرسول - صلى الله عليه وسلم - بنفسه عندما قام بفتح مكة، آمن الكفار على أموالهم وأنفسهم ولم يستغل انتصاره فى قتل أى إنسان منهم. إذا فلو أن ما تقوله صحيح لكان قتل على الفور كل من لا يؤمن بالله. كما أن كلمة كافر ما هى إلا اسم يطلق على من لا يؤمن بالله سبحانه وتعالى، تماماً ككلمة مسيحي ومسلم ويهودى، ما هى إلا اسم ولا تعتبر إهانة، ولقد قرأت بنفسك من قبل الآية القرآنية التى تقول: (لكم دينكم ولى دينى) فالله أنزل الأديان على البشر وأعطى كل إنسان عقلاً وحرية

اختيار، فلك أن تفعل ما تشاء حتى يتوفاك الله إليه. وهذه هي شريعة الله في الأرض فهل تعتقد حقاً أن الرسول - صلى الله عليه وسلم، نبي الله في الأرض سوف يدعو إلى قتل المشركين بغير سبب وبغير حق !! هل تعتقد أنه سوف يحاول حرمان البشر من حريتهم الشخصية التي أعطاهم إياهم الله ألا وهي اختيار الدين !! هذا كلام باطل ولا حق فيه. وإنما دعا الرسول لقتل الكفار أثناء الحرب وذلك لما اقترفوه من جرائم في حق الإسلام والمسلمين وعلى ما يبدو لى أنك لم تقرأ أى شىء عن غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعن أسبابها الحقيقية.

أندريه : نعم أنا لم أقرأ فى الدين الإسلامى من قبل، ولكننى لا زلت لا أرى أى مبرر، لحت المسلمين على قتل المشركين حتى فى أوقات الحرب، كيف يعقل أن تأتى مثل هذه الإرشادات فى كتاب سماوى يدعو إلى دين من المفترض أن يتبعه الناس!؟

مريم : سؤال جيد ومهم جداً، وله رد بالطبع.. إن الإسلام دين شامل وكامل، حيث نرى فى القرآن الكريم إرشادات تقوم بتوجيه المسلمين للتصرف فى شتى مناحى الحياة (اجتماعياً، ثقافياً، علمياً، ودينياً بالطبع) فمن الطبيعى جداً والمنطقى أن ينتزل فى القرآن تبعاً لذلك آيات ترشد المسلمين فى أوقات الحرب، خاصة أن الدين الإسلامى فى ذلك العهد كان يعتبر ديناً جديداً، ولا يعرف الكثير تعاليمه. وحرصاً من الله على أن يتصرف المسلمون فى أوقات الحرب بطريقة آدمية مشروعة، كانت تنتزل على سيدنا محمد آيات ترشده هو والمسلمين لحسن التصرف.

أندريه (بصمت لبرهنة) : حسناً.

مريم : ولكن يا أندريه لى تعليق، إذا كنت لم تقرأ أى شىء عن الدين الإسلامى، فهل من الممكن أن تخبرنى عن مصدر معلوماتك عنه؟؟

أندريه : إن مصدر معلوماتى هو الفيديوهات المصورة التى تذاغ باللغة العربية مترجمة إلى اللغة الروسية عبر الموقع العالمى يوتيوب على شبكة الإنترنت. ولكننى لم أقرأ أى كتاب فى الدين الإسلامى من قبل سوى بعض آيات من القرآن الكريم المترجم.

وهنا قالت مريم له : التسجيلات المصورة لا تعد مصدر معلومات وخصوصاً لو تم بثها على موقع مثل موقع اليوتيوب، فهو موقع عالمى يذيع أى تسجيل لأى إنسان. وعندما نشاهد هذا الموقع نحن لا نعرف ما هو مصدر المعلومة وما هو دافع مقدم المعلومة فى قول مثل هذا الكلام. فكل إنسان لديه دائماً دافع لكل شىء قبل أن يقوله وقبل أن يفعله. فعلى سبيل المثال : أنت لا تعرف هذه السيدة التى تظهر وتسبب الدين الإسلامى، فلماذا تثق بها كل هذه الثقة

وتصدق كل ما تقوله ولا تصدق رسولاً قد أرسله الله - سبحانه وتعالى - إلى البشر وآمن بدعوته
مئات الملايين من البشر.

أندريه : ولماذا لا أصدقها ولماذا لا تصدقنيها أنتِ، لماذا لا تقتنعين بما تقوله هذه السيدة ؟
(كان يتحدث بلهجة فيها نوع من العصبية).

مريم : إننى لا أصدقها لأننى فتاة مسلمة ولست مسلمة فقط لأننى ولدت كمسلمة، أنا مسلمة
متقنة، فعلى الرغم من أنه لا يزال أمامى الكثير لأتعلمه فى أمور دينى الفقهية ولكننى قد قرأت
فى دينى من قبل وأعرف عنه الكثير . كما تحريت عن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من
أكثر من مصدر. وقرأت عن الكثير من مواقفه العظيمة. ولا أنتظر من سيدة مثل هذه أن
ترشدنى إلى دينى. وإن قدم إلى أى إنسان معلومات عن دينى بالتأكيد سوف أستطيع التمييز بين
ما هو صحيح وما هو خاطئ. أما أنت فلا تعرف عن الإسلام شيئاً سوى من هذه السيدة وغيرها
ممن يشوه صورة الإسلام ونبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم. فأنت تسمع من مصدر واحد وهذا
أكبر خطأ، ليس فقط فى مجال الدين وإنما فى الكثير من مجالات الحياة أيضاً.

فعلى سبيل المثال عندما يحدث خلاف بين صديقين لك، ويلجآن إليك للمشورة يجب عليك أن
تستمع إلى كل منهما على حدة فى البداية ثم تفكر قبل أن تصدر حكماً، وتقرر من منهما
المخطئ ومن على حق. هذا هو حال الحياة يجب أن تكون على موقف حيادى، لا هنا ولا
هناك. وبمنتهى الصراحة أنت لا تفعل ذلك الآن.

أندريه: أنت على حق فى ذلك يجب أن أستمع إلى الطرفين ولكن أنت أيضاً يجب أن تفعل
بالمثل وأن تستمعى إلى الطرفين.

مريم: حسناً وأنا أفعل فانا استمع إليك الآن، وأنا أيضاً لا أمانع فى أن أستمع إلى أى إنسان
وأنا أعرف جيداً أننى أستطيع الرد عليه وذلك لأن دينى كامل وإيمانى قوى وأى كلام خاطئ لن
يزرع هذا الإيمان فى أى شىء. أرسل لى عناوين هذه التسجيلات على الإنترنت من فضلك
وسوف أشاهدها وأكذب ما تقوله.

أندريه : حسناً سوف أرسلها لك الآن.

مريم : يجب أن تقرأ فى دينى كثيراً ولا تستند فى معلوماتك على مجرد موقع إلكترونى، فمن الممكن أن أقوم أنا الآن بتصوير فيلم وأهاجم فيه الدين المسيحى على الإنترنت. وأقوم بإذاعته على الإنترنت. فإذا شاهدته أنت هل ستصدقته؟؟

أندريه : لا.. بالطبع لن أصدقته.

مريم : لماذا؟؟؟..

أندريه : شكراً لقد أوضحت فكرتك كثيراً.

* وفى هذا اليوم اتفقا على أن يتوقفا عن التحدث فى الدين فقط فى هذه المرة، حتى المرة القادمة حتى تتاح لمريم الفرصة أن تشاهد أحد التسجيلات التى أرسلها لها. حيث كان الاتصال بشبكة الإنترنت ضعيفاً جداً لدى مريم فى المنزل، لدرجة أنها كانت بالكاد تتمكن من الحديث إلى أندريه عبر الإنترنت، وكانت تفقد الاتصال فيما بينهما أكثر من مرة أثناء المكالمة.

وانتقلا على الفور إلى الحديث عن الأحلام المستقبلية والطموحات. فسألته مريم ما هى طموحاتك المستقبلية؟

أندريه : أنا أعمل مترجماً وأحب السفر كثيراً، وأتمنى أن أستطيع التحدث باللغة العربية، أتمنى أن يصبح مستواى فى اللغة العربية مثل مستواك فى اللغة الروسية، حيث تعجبني لغتك كثيراً ولهجتك أيضاً جديدة جداً لم أسمعها من قبل.

وهنا ضحكت مريم وقالت له : إننى لا أتحدث اللغة الروسية بطلاقة كما تعتقد، كل ما قلته لك اليوم هو كلام مترجم ومكتوب مسبقاً. قمت بتحضيره طوال الليلة الماضية وأنا فقط أقرأه عليك ولولا هذه الترجمات، لما استطعت أن أتحدث بهذه السرعة والجودة.

أندريه: نعم أعرف ولكن هذا لا يمنع أن لغتك تعجبني ولكنك فقط بحاجة للتدريب، فبالرغم من أخطائك النحوية التى لا تغتفر، لا زلت أنت من قمت بهذه الترجمة. ونظراً لصعوبة اللغة الروسية على الاعتراف بأنه ليس من السهل أبداً الوصول إلى مستواك. أما أنا فلا يزال أمامي مشوار طويل من المتاعب مع اللغة العربية فهى لغة بالغة الصعوبة.

مريم : اللغة العربية صعبة والروسية صعبة وأعتقد أن كل لغة لها صعوباتها الخاصة ولكن لا تنس دائماً أن من جد وجد ومن زرع حصد. أى أنك بقدر مجهودك سوف تحصل على نتائج.

أندريه : نعم أتفق معك كثيرًا في هذا.

مريم : وأنا أكثر ما يعجبني في الغرب هو حبهم اللا نهائى واستعدادهم للتعليم فى كل مرحلة عمرية. فأنت مثلا تبلغ من العمر ٤٥ عامًا، وأغلب الرجال والنساء هنا فى مصر ممن هم فى مثل سنك لا يأبهون للتعليم، فليدهم مايشغلهم غير ذلك. حتى الشباب أيضًا. فأغلب الناس يعتقدون أن الإنسان يتوقف عن التعليم بعد الجامعة. فبعد الانتهاء من الدراسة الجامعية يتوقف الناس عن شراء الكتب والتعليم، وهذا ما لا يعجبني فى المصريين وفى غالبية الشعوب العربية أيضًا. لذلك أنا أحترم أى إنسان يقدر العلم ويستمر فى طلبه حتى مماته مثلك تمامًا. فأنت رجل فى الـ ٤٥ من عمرك ومع ذلك لا يزال لديك الكثير من الخطط المستقبلية والأحلام والطموحات.. أنا أحترم رغبتك فى المعرفة وعلى استعداد تام أن أساعدك فى دراسة لغتى.

أندريه: شكرًا جزيلًا وأنا أيضًا أحترمك كثيرًا، ولكنك لم تخبريني بعد عن طموحاتك وعن سبب رغبتك فى التحدث باللغة الروسية.

مريم : إننى أحلم أن أعمل كمتترجمة فورية باللغة الروسية، فلطالما أتخيل نفسى جالسة إلى جانب أحد الشخصيات المهمة فى مؤتمر ما أقوم بالترجمة بدلاً عنه. أعتقد أن مثل هذه الوظيفة تمثل متعة شخصية رائعة وجميلة. كما أتمنى أيضًا أن أصبح مؤلفة وأجد من يساعدنى على نشر كتبى وأفكارى. فأنا أحب الكتابة كثيرًا وخاصة تلك المستمدة من أحداث واقعية. فأعظم ما كتب فى الأدب هو ما أخذ من الواقع. أنا أحب أن أتطلع إلى وجوه الناس كثيرًا وأتأملها بدقة. حيث إننى أؤمن أن لكل إنسان قصة، مكتوبة على وجهه بلغة خفية، حيث دائمًا ما تروى عيون البشر مشاهد من حياتهم، من أصعب لحظاتهم إلى أكثرها سعادة، وعن مشاعرهم وأحزانهم وأحلامهم وحبهم والكثير من هذه اللقطات الموجودة فى حياة كل إنسان، ولا يتمكن من قراءتها والكشف عنها سوى الكاتب البارع ذى الموهبة الحقيقية. فالكتابة موهبة بحتة يصقلها العلم والدراسة وأتمنى أن أمارسها فى يوم من الأيام كى أتمكن من تقديم رسالة إلى المجتمع من خلالها.

أندريه : معك حق، أنا لا أستطيع الكتابة ولكنى أحب قراءة الكتب التاريخية كثيرًا، والسفر للتعرف على الحضارات الشرقية عن قرب. هل سافرت من قبل خارج مصر ؟

مريم : نعم لقد سافرت إلى سوريا العديد من المرات وذلك لأن سوريا هى بلدى الثانى فقد ولدت لأم سورية وأب مصرى ولكنى نشأت وترعرعت فى مصر، لذلك تجد أن ولائى الأول والأخير كان وسيظل دائمًا لمصر فقط وسوريا ما هى إلا ذلك البلد الجميل الذى تحن روحى إليه كلما

تذكرت والدتي العزيزة رحمها الله، فلن أستطيع أبدًا أن أنسى تلك الذكريات الجميلة التي جمعتنا بأمرى هناك...

أندريه : وأنا سافرت إلى الهند من قبل بل وقضيت هناك عامين من أجمل أيام حياتي.

مريم : إن الهند من الدول التي أتمنى أن أزورها في يوم ما، لذلك أود أن أسأل ما هو أكثر ما لفت انتباهك في الثقافة الهندية ؟

أندريه: أكثر ما لفت انتباهي هناك هو المطبخ الهندي والمأكولات الهندية، فليدهم هناك نوع من الخبز لا يخلو الأكل منه أبدًا، وهو رقيق ولذيذ حقًا.

مريم : حقًا، أنه شيء مشوق.

أندريه : وماذا عنك ؟ ما هي الدول التي تودين أن تذهبي إليها في المستقبل ؟

مريم : بالطبع روسيا، وانجلترا، وتركيا، وإيطاليا، كما أتمنى أن يتسنى لي الوقت والجهد الكافي في المستقبل كي أتعلم اللغتين التركية والإيطالية ولو حتى القليل منهما فأنا أهواهما كثيرًا.

أندريه : حقًا، أنتِ تتوين بالفعل السفر إلى روسيا ؟؟

مريم : نعم بالتأكيد سوف أفعلها، فأنا أتمنى كثيرًا السفر لزيارة المعالم السياحية الروسية، وشراء بعض الكتب من هناك، ثم العودة إلى مصر لاحقًا.

أندريه : حسنًا، يسرنى أن أستضيفك في شقتي الخاصة في أى وقت عند وصولك إلى روسيا.

مريم : شكرًا لذوقك الرفيع، ولكننى لا أستطيع أن أقبل هذا العرض أبدًا..

أندريه : لماذا ؟؟

مريم : النساء المسلمات لا يسكن مع رجال غرباء في نفس المنزل، مهما حدث. فهذا من المحرمات الأساسية في ديننا العزيز.

أندريه : لماذا ؟؟ أنه شيء يخلو من الرحمة أن يفرق الدين بين النساء والرجال بهذه الطريقة.

مريم : إذا كنت تعتقد أن الدين الإسلامي حرم السكن مع الرجال الغزباء على النساء فقط وأباحه للرجال فأنت مخطئ. هذا محرم بالنسبة للرجال والنساء. إن منع الاختلاط بين الرجل والمرأة بهذه الطريقة في الدين الإسلامي، هو موضوع آخر كبير ومعقد، لا أستطيع التحدث عنه الآن. من الممكن أن نؤجل النقاش فيه إلى المرة القادمة.

أندريه : حسنًا.. اتفقنا. ولكن هل من الممكن أن يسمح لكِ والدك بالسفر خارج البلاد لطلب العلم ؟

مريم : نعم بالتأكيد ولم لا !!! إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. فهو يعتبر أحد أضلع الدين الإسلامي الأساسية بل إن الدين الإسلامي قد اعتبر أنه من خرج في طلب العلم فقد خرج في سبيل الله. وهناك الكثير من الأحاديث الشريفة المنقولة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تحث على طلب العلم والتمسك به ومن أشهرها (اطلبوا العلم ولو في الصين) وأعتقد أنه من البديهي معرفة كم كانت الصين بعيدة في ذلك الوقت من الزمان حيث لم تكن هناك طائرات ولا وسائل نقل سريعة كما هو الحال الآن ومع ذلك فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - حث المسلمين على الاجتهاد وتحمل العناء في سبيل العلم وطلبه.

وهنا رد أندريه بأسلوب تعجبي شديد : إن هذه تعد المرة الأولى التي أعرف فيها أن الدين الإسلامي قد حث على العلم لهذه الدرجة وأنه قد أعظم من شأن العلم والعلماء.

مريم : بالطبع.. فإن الدين الإسلامي دين علم ولو قرأت في تاريخ العرب والمسلمين لوجدت أن العلماء المسلمين هم من وضعوا أسس العديد من العلوم الإنسانية الحديثة وكانوا متطورين جدًا في ذلك العصر...

أندريه: وهل اقتصر طلب العلم في الدين الإسلامي على الرجال فقط...؟؟ أم كان متاحًا للسيدات أيضًا...؟؟

مريم : لقد أخبرتك فقط منذ بضع ثوانٍ أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، فهو ليس شيئاً اختياريًا بل أنه من الفروض لدينا. إن الدين الإسلامي قد أمر المسلمين جميعًا بوجوب العلم والتعليم، ففي عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان للنساء الحق في الالتحاق بالصفوف التعليمية، ولكن في ذلك الوقت كان التعليم تعليمًا دينيًا في أغلبه لحدثة الدين الإسلامي في ذلك العصر ولوجوب تثقيف الناس ونشر الوعي الديني ولكن بعد ذلك تطور التعليم وتطورت المواد التعليمية لتشمل أشياء كثيرة.. والأهم من ذلك أن الدين الإسلامي قد قدس

العلماء لدرجة أن العلماء فى الإسلام هم ورثة الأنبياء.. أما طلبة العلم فهم دائماً فى رعاية الله ومحبهته.. فالملائكة تحف طلبة العلم بأجنحتها والحياتان فى المحيطات تسبح لطلبة العلم..

أندريه : حقاً.. أنه لشيء عجيب لم أسمع به من قبل.. ولكن لماذا لم يذع هذا من قبل عن الدين الإسلامى فى أى برنامج تليفزيونى؟

مريم : لنفس الأسباب التى قد حدثتكم عنها من قبل، وهى أن الدين الإسلامى له الكثير من الأعداء الذين يسعون جاهدين لتدمير وتشويه صورة الإسلام فى عيون العالم أجمع.. لذلك فهم يقومون بإنتاج تلك البرامج وترجمتها إلى اللغات الأجنبية..

أندريه : على الرغم من عدم اقتناعى بتلك الفكرة ومن أنها قد تكون تعبير عن رأيك الشخصى، ولكنها نظرية تحترم ويجب أخذها بعين الاعتبار.

مريم : شكراً لك ولكن أنا أصدق كثيراً تلك النظرية لأننى على يقين من أن من يقف خلف هذه الحملة التشويهية للدين الإسلامى لا يتحدث عن الدين بصورة منصفة وعادلة لأسباب سياسية بحتة.. والله أعلم بها..

* وهنا انتهت محادثتهما لهذا اليوم وذهب كل منهما إلى حياته على أن يلتقيا بعد يومين على نفس الموعد، وكان هذان اليومان بمثابة مهلة من الوقت قد طلبتها مريم لتشاهد ما قد أرسله لها من تسجيلات وتقوم بترجمة الرد على هذه الادعاءات التى رأتها فيها. ولكن الحقيقة أن تلك الأيام تعد من أصعب الأيام التى عانتها مريم فى حياتها، حيث كانت فى قمة حيرتها وخوفها فى آن واحد، فقد كانت تتتابها مشاعر خوف جبارة، وكان خوفها على دينها هو أكبر همها فى تلك الأيام، فقد كانت تخاف من الفتنة رغم قوة إيمانها بالله. وذلك لأنها إنسانة عادية جداً وليست أقوى البشر ولا هى أحد الأنبياء المعصومين من الخطأ. لذلك كانت خائفة على دينها وعلى نفسها خصوصاً بعدما شعرت بإحساس قوى يدفعها إلى الاعتقاد بأن هذا الرجل لا يريد فقط أن يفهم بعض الحقائق عن الدين الإسلامى، وإنما يسعى أيضاً إلى إقناعها بترك الدين الإسلامى وعدم أهلية هذا الدين للحياة. ولذلك ترددت مريم كثيراً فى استكمال الحديث معه، حتى إن أخاها الأصغر الذى يعد أحد أعز أصدقائها قد أشار عليها بإنهاء الحديث فى الموضوعات الدينية تماماً حتى يستريح بالها تماماً. خاصة بعد ما عانتها مريم من مشقة وعناء فى ترجمة هذه الكلمات الصعبة من آيات قرآنية ومواضيع جادة جداً ودقيقة وجديدة عليها. فقد كان هذا عناء ما بعده عناء حيث كانت تمضى أغلب ساعات اليوم صامدة أمام مكتبها الصغير لا تحرك ساكناً ولا تفعل شيئاً سوى الكتابة والترجمة والنظر فى القواميس التى كتبت بخط بالغ الصغر..

ساعات وساعات من الترجمة على مدار أشهر، حيث قامت بترجمة نصوص في تلك الأيام أكثر بكثير من أى نصوص ترجمتها فى خلال سنوات دراستها الأربع فى الجامعة. عندما كانت فى العادة لا تكلف نفسها عناء البحث فى القاموس وكانت تستعين بترجمات زملائها فى الدراسة مما ترتب عليه رسوبها فى مادة الترجمة فى عامها الأخير. فقد كانت هذه هى المشقة الكبرى فى حياتها والآن تفعلها بإرادتها !! تفعلها كى ترضى الله لا لى ترضى والدها بالحصول على أعلى التقديرات الدراسية !!! ولكنها بالطبع توكلت على الله وقررت أن تستكمل العمل فى سبيل الدفاع عن دينها، وكل هذه المخاوف التى فى نفسها قد زالت بمجرد أن صلت إلى الله وطلبت منه أن يساعدها فى تجاوز تلك الفترة.

لقد كانت مريم تشعر فى تلك الأيام بطاقة جبارة لم تشعر بها من قبل وكانت تلك الطاقة تحركها تمامًا كمحرك السيارات الحديثة بلا ملل ولا كلل من الترجمة.. حتى إنها قد ذهلت ذات مرة عندما قامت بترجمة ٢٠ صفحة من اللغة العربية إلى الروسية فى خلال أربع ساعات فقط !!!

وبعد ذلك كانت دائماً ما تصلى شكرًا لله على هذه النعمة التى جعلتها تستفيق من غيبوبة الكسل وتنتجه للعلم مرة أخرى.

أما عن التسجيلات الصوتية فكانت صادمة حقًا، لدرجة أنها لم تكن بحاجة لمشاهدتها كاملة حتى تفهم ما كانت تتحدث عنه.. فقد كانت عناوينها خير دليل على ما تحويه.. ولكن الصادم أكثر من هذه التسجيلات هو ما يلى: هذه التسجيلات جميعها بالفعل لبرامج تليفزيونية باللغة العربية مترجمة إلى اللغة الروسية ترجمة متخصصة جدًا، أى أن الجهة التى قامت بترجمة هذه البرامج هى جهة يعينها تشويه صورة الإسلام فى عيون الرأى العام الروسى !!

* وهنا يبقى السؤال أو بمعنى أدق الأسئلة : ما هى الجهة التى تقف خلف هذه البرامج ؟

* ما هى المحطات الفضائية التى تتولى إنتاج وتصوير هذه الموضوعات ؟

* لماذا لا يصدر من جهة المسلمين أى رد على كل هذه الاتهامات الباطلة ؟ ولا أعنى بهذا الرد استخدام سلاح المقاطعة للمنتجات الغربية مثلما حدث فى أزمة الدنمارك الشهيرة، وإنما أعنى هنا أن يكون سلاحنا على أى إساءة فى حق الإسلام هو الرد بنفس الطريقة.. فيما يعنى أن تقوم جهة عربية بنشر حملة منظمة من التسجيلات على مواقع الإنترنت أيضًا، تشرح حقيقة الإسلام والمسلمين كما هى فعلا وتتم ترجمتها بجميع اللغات. فالإسلام فى تلك التسجيلات هو كالمتهم المظلوم، فى المحكمة ولكن حتى المتهم له الحق فى الدفاع عن نفسه أما الإسلام فبلا

دفاع، ولكن أين أبناء المسلمين، أين الدفاع بالطرق التكنولوجية الحديثة؟؟. يجب أن نقدم الأدلة المضادة حتى يصل إلى الغرب الرأى والرأى الآخر، ويبقى دائماً الحق للمشاهد فى الحكم على حقيقة الأمور من وجهة نظر شخصية. فنكون على الأقل قد قمنا بواجبنا تجاه الدين الذى علمنا كل شىء فى الحياة، الدين العظيم الذى علمنا الأدمية كما يجب أن تكون.

* أعرف أنه بالتأكد ينتابكم الفضول حول تلك التسجيلات وما كانت تحتويه من إهانات واتهامات.. ولكننا سوف نقوم بتأجيل الحديث عنها الآن. وذلك حتى لا يتم الحديث عنها بصورة مفردة وإنما من الأفضل أن يتم فهم محتواها فيما بعد من سياق الحديث الجارى عنها.

ولكن فى تلك الفترة بالتحديد لم تتمكن مريم من مشاهدتها كاملة وذلك لأن هذه الفترة كانت فى أعقاب ثورة ٢٥ يناير ومثلها كمثل العديد من المصريين كانوا يعانون من سوء فى شبكة الإنترنت وذلك بسبب حرق وتدمير المراكز التى كانت تمد كل منطقة بخدمة الإنترنت والتليفون. فلم تساعدها الشبكة فى مشاهدة هذه المقاطع، ولكنها كانت بالكاد تستطيع التحدث مع أندريه مع عدة انقطاعات فى الاتصال بالشبكة. ولذلك قررت أن تعتذر مؤقتاً منه وتخبره بهذا بل أيضاً قررت أن تخبره بأنها ليست أحد علماء الدين وأنها تعرف الكثير عن دينها ولكن العلوم الدينية مثلها مثل أى علم، لا تنتهى أبداً، لذلك لا يزال هناك الكثير مما لا تعرفه فى الدين وذلك لترفع عن نفسها الحرج ولتبرئ ذمتها أمام الله.

وفى المحادثة التى تلتها عندما بدأ الحديث أخبرته مريم بكل ما انتوت عليه، وطلبت منه أن يمهلها بعض الوقت حتى تعود شبكة الإنترنت إلى نفس قوتها قبل الثورة وقررا أن يتحدثا فى موضوع آخر حتى ذلك الحين فوافق أندريه. ووقع الاختيار على موضوع الصداقة فقررا أن يتحدث كل منهما عن أصدقائه. وبدأ أندريه بالحديث.

أندريه : ليس لدى الكثير من الأصدقاء، فقط لدى صديقان أحدهما يعمل فى مركز لرعاية المعاقين، والآخر اسمه مايكل فوكس، وهو رجل إنجليزى الجنسية يعمل محققاً لمسرح الجريمة فى لندن، جمعتنى به صداقة بسبب رحلاتى المتعددة لهذه المدينة، ولا زلنا أصدقاء حتى يومنا هذا. فنحن غالباً ما نتحدث عبر الإنترنت مثلما أفعل معك الآن.

وهنا قطعت مريم حديثه بدهشة كبيرة قائلة : حقاً !! يعمل صديقك محقق مسرح الجريمة، إذاً فهو شرطى ؟

أندريه : لا هو ليس شرطياً، هو محقق فى مسرح الجريمة وليس شرطياً فمهمته أن يذهب إلى مسرح الجريمة هو وفريق العمل ليكون أول من يدخل إلى هناك قبل الشرطة. ثم يقوم بجمع الأدلة وتحليلها فى المعمل المخصص لذلك.. ثم تسليمها للشرطة فيما بعد لكى تتمكن من القبض على المجرم. أنا أتذكر عندما كنت فى لندن، ودعانى مايكل أنا وصديقتى لزيارته فى المعمل ومشاهدته عن كثب.

مريم : وهل ذهبتما؟؟

أندريه : نعم ذهبنا على الفور فقد كان يعترينا الفضول جداً، لدخول هذا المكان. وما إن دخلت أنا وصديقتى إلى المعمل حتى فوجئنا بجثة ممددة على المنضدة. ففقدت صديقتى الوعى.

مريم : أووه.. معها حق. أعتقد أنه شىء مريع أن يرى الإنسان جسد شخص مقتول.

أندريه : نعم مريع.. أتفق معك فى ذلك.

مريم : ولكنها مهنة مدهشة ومثيرة للاهتمام وفى نفس الوقت خطيرة.. أليس كذلك ؟

أندريه : نعم أنتِ على حق هى مهنة مثيرة وتحتوى على خطر فى نفس الوقت، ولكن عندما يحب الإنسان عمله تتلاشى من أمام عينيه أى أخطار مصحوبة بتلك المهنة، فلقد دخل مايكل المستشفى من قبل إثر تعرضه لبعض الجروح. بسبب وصوله إلى مسرح الجريمة مبكراً بينما كان القاتل لا يزال هناك، وفى أثناء محاولته الهرب قام بطعن صديقى مما أفقده إحدى كليتيه، ولكنه لا يزال يمارس المهنة وذلك لأنه شغوف بها، واختارها بإرادته وكانت هى وظيفة أحلامه.

مريم : نعم أنت على حق، فالحب والشغف يلغى الشعور بالخوف من أى أخطار ومصاعب تتعلق بالمهنة أو بمجال الدراسة، ولكن هل يحدثك عادة صديقك عن جرائم القتل التى تواجهه ؟

أندريه : لا ليس فى الغالب فنحن نتحدث فى أمور أخرى. أمور تتعلق بالأصدقاء من الرجال، لا أعتقد أنك كفتاة ستودين أن تسمعيها. أما بالنسبة لأمور العمل فنحن لا نتحدث إلا عن الحالات الغريبة التى تستدعى حقاً الوقوف عندها للتساؤل.

مريم : إذاً فهل يمكنك أن تخبرنى عن حالة من هذه الحالات التى حدثت بها صديقك ففضولى يكاد يقتلنى ؟

أندريه : نعم بالتأكيد، من أكثر الجرائم التي أثارت حيرة صديقي هي جريمة اعتداء على فتاة في عمر ١٦ عامًا من قبل صديقها الحميم، حيث تم القبض على الفتى وكانت الفتاة في المستشفى تجلس في حالة هدوء فظيع وكانت هذه حالة شاذة، فعادة عندما تتعرض فتاة للاعتداء تكون في حالة جنونية. وبعد أن أمضى فريق المعمل الجنائي الليلة في البحث عن الأدلة، وأمضت الشرطة الليلة في مهمة البحث والقبض على المجرم. قامت الفتاة بالتنازل عن القضية وقالت إنهما قد تصالحا وأنها كانت مشكلة فيما بينهما ولا تريد لأحد أن يتدخل.

* وهنا تعجبت حقًا مريم، بل وتطرق إلى ذهنها سؤال أرادت كتمانها ولكن فضولها كالعادة منعها من فعل ذلك فقررت إطلاقه ألا وهو :

مريم : عذرًا أندريه ولكن حقًا لا أفهم، وكيف من الممكن أن يقوم فتى بالاعتداء على صديقه الحميمة؟؟

* فكان رده بمنتهى الهدوء : هذا شيء طبيعي جدًا قد يحدث لأي إنسان تحت تأثير المخدر أو الكحول فهذه الأشياء تجعل الإنسان غائبًا عن الوعي وفاقدا القدرة على التحكم في نفسه وتصرفاته. فعادة وعلى سبيل المثال في الأعياد لدينا في روسيا جميع الرجال يكثرون من الشراب مما يفقدهم السيطرة على تصرفاتهم، فعادة ما تكون ليلة العيد لدينا مليئة بحوادث السرقة والالاغصاب وهكذا. لذلك من المتعارف عليه أنه من المفترض عدم خروج الفتيات من المنزل في ليلة العيد.

* وهنا تهتت مريم وأخذت نفسًا عميقًا، وشردت بعيدًا لوهلة حيث كانت تفكر في إحدى نعم الله علينا ألا وهي تحريم الخمر ومغيبات العقل على الإنسان وذلك لنفعه، فانه لم يحرم أى شيء إلا لحكمة إلهية هدفها الأول والأخير هو منفعة الناس في الدنيا والآخرة.

ثم استكمل الحديث مرة أخرى فقال أندريه : الآن قد حان دورك، حدثيني عن أصدقائك ؟

مريم : لطالما كانت أقرب صديقاتي هي أختي الكبرى، فنحن مقربتان جدًا، ولقد مررنا بكل شيء معًا، فهي تقف إلى جانبي دومًا وأنا أيضًا أفعل نفس الشيء معها.

أما عن صديقاتي فلدى صديقتان أحبهما كثيرًا : سارة وجهاد، هما صديقتاي منذ أن كنت في الجامعة ولكنهما تدرسان في قسم اللغة الإنجليزية وليس اللغة الروسية، ولكنهما طريفتان جدًا، كما تربطنا علاقة قوية فهما تعرفان جيدًا ما معنى كلمة صداقة. وكيف أنني عندما أتعرض

لأزمة أجدهما إلى جانبي، حتى أنني لم أنس أبداً موقفاً من أحلى مواقفهما معي وذلك عندما كنت في الجامعة وذهبت لأجدهما قد قامتا بعمل احتفال بعيد ميلادي وقامتا بدعوة جميع صديقاتي.. وقد كان هذا يوماً من الأيام التي لا تنسى. كما أنني لا أعرف ما هو السبب في أنني عندما أكون برفقتهم أضحك كثيراً من قلبي، وأفرح كثيراً.. فهما رائعتان بمعنى الكلمة، هما أفضل صديقتين قد تحظى بهما أي فتاة على الإطلاق. حتى أنني أذكر أحد المواقف الطريفة التي حدثت لنا معاً وذلك عندما كنا في الجامعة، وكانت سارة تقلد أحد الأساتذة بطريقة ساخرة وأنا وجهاد كنا نضحك سويًا معها حتى إذا ظهر هذا الأستاذ فجأة من خلفها وكان يسمعها ويعرف أنها تسخر منه ولكنه ظل صامتاً كي يستمع إلى ما تقوله حتى النهاية. وظللنا ننظر إليها ونحاول أن نسكتها من دون أن ننطق باسم ذلك الأستاذ ولكن جميع محاولتنا ذهبت عبثاً، فإذا بها تستدير لتجده واقفاً أمامها ترتسم على وجهه ملامح الغضب الرهيبة.

أندريه (ضاحكاً) : وماذا فعل معها هذا الأستاذ ؟

مريم : لا شيء سوى التوبيخ ثم قال لها: لو تكرر منك هذا التصرف سوف أتخذ ضدك إجراءً قانونياً.. ولكن هذا بالطبع لم يمنعها فقد فعلتها مرات عديدة ولكن في منزلها حتى لا يراها أحد.

أندريه (ضاحكاً): أنتِ إنسانة محظوظة لتحظى بمثل هؤلاء الرفيقات، ولكن أما من أي صديق حميم في حياتك؟

مريم : بالطبع لا، فأنا فتاة مسلمة ولا أصادق الرجال، فهذا شيء محرم تماماً في ديننا. العلاقة بين الرجل والمرأة حرام قبل الزواج كما أشرت لك من قبل . وهذا شيء مسلم به ومعروف لكل المسلمين.

أندريه : لماذا ؟ أنا لا أجد أي مبرر يمنع هذه العلاقة، فديني لا يمنع ذلك.. وما المانع في ذلك ؟ أعتقد أن هذا شيء مقيد للحريات الشخصية والعاطفية أيضاً، ولماذا يجب على الإنسان كلما أحب امرأة أن يتزوجها وماذا يحدث لو نفذ الحب بينهما.

مريم : يحدث طلاق، مع العلم أن مسيحيي مصر والعالم العربي يتبعون نفس القاعدة، فلا توجد علاقة بين الرجل والمرأة إلا بعد الزواج. وأنا لا أعتقد أن مسيحيي المشرق ملتزمون بعدم وجود علاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج لأسباب تتعلق بالعادات والتقاليد المشتركة بيننا فقط.. وإنما لأسباب دينية أيضاً..

أندريه : الطلاق حرام فى الدين المسيحى.

مريم : وكذلك الطلاق حرام لدى مسيحيى العرب ولكنهم لا يرتكبون تلك الخطيئة أبداً.

أندريه: هل لديك صديقات مسيحيات ؟

مريم : نعم بالتأكيد الكثير والكثير منهن، ومنهن صديقة مقربة جداً منى أيضاً، وهى الأخرى شأنها شأن جميع بنات العرب المسلمات منهن والقبطيات لا يمكن أن يكون لها علاقة بأى رجل قبل الزواج. كما أننا لا نفرق بين مسلم ومسيحى حتى فى أبسط تعاملاتنا، فنحن نخرج سوياً ونأكل سوياً ونفعل الكثير معاً وما المانع فى ذلك، بل وما أكثر منه أن أكثر أصدقاء أبى المقربين كان مسيحياً وعندما توفاه الله حزن أبى كثيراً وظل يرمى عائلته من بعده، فكان يساعد والدتهم فى حل مشكلاتها مع ولديها وكان بمثابة أب لهم. فمسيحيو ومسلمو العرب لا يفرقهم أى شىء.

أندريه : وهل ذهبتِ إلى الكنيسة من قبل ؟

مريم : نعم ذهبت فى حفل زفاف إحدى صديقاتى.

أندريه : ولكننى لست مقتنعةً بتحريم العلاقة بين الرجل والمرأة، أريد التوضيح من فضلك ؟ وأريد أن أسألك ألا تخافين إذا تزوجتِ برجل وتزوج عليكِ امرأة أخرى ؟ ألم يعطِ الإسلام الرجل الحق فى الزواج من ٤ نساء ؟؟ ماذا ستفعلن حينئذ ؟؟

مريم : لا هذا لن يحدث ولكن دعنا ننتقل إلى هذا الموضوع فى المرة القادمة، فهناك الكثير لنتحدث عنه بهذا الصدد، لدى الكثير لأخبرك به. فقط أطلب منك الانتظار حتى أقوم بترجمة ردى.

أندريه: أنا لا أريد الاستماع إلى ترجمات من كتب، أنا أريد رأيك الشخصى، أخبرينى الآن.

مريم : لم أكن أنتوى أن أخبرك عن هذا الأمر من كتب فى الأساس لأننى أعرف الإجابة مسبقاً ولدى رأى بالفعل ولكن حتى رأى يحتاج إلى ترجمة، فكما تلاحظ هذه أيضاً كلمات جديدة على ذهنى أعطنى فرصة وسوف آتيك بالرد غداً.

* وافترقا على أن يلتقيا غداً فى نفس موعدهما الساعة الثانية ظهرًا بتوقيت القاهرة والواحدة ظهرًا بتوقيت موسكو. ولكن مريم كانت قد تعودت دائماً أنها وبعد كل محادثة بينهما تتوقف

لنتنقط أنفاسها وتفكر فى الدروس والعبر المستفادة من هذا الحوار المدهش، كما تفكر كيف ستعد العدة للقاء الغد. فكانت تعتبر دائماً محادثاتنا مع ذلك الرجل كالمبارزات، ولكن الفرق هنا هو أن الأسلحة المستخدمة ليست السيوف وإنما هى الألسنة التى تتحدث وذلك لأن مريم تعتقد أن وقع الكلمة وتأثيرها أهم وأكبر بكثير من وقع السيف أو الأسلحة بصفة عامة. التى تحقق نجاحاً على الأرض وهذا النجاح يزول مع الوقت وقد ينساه الناس ودائماً ما يكون مصحوباً بدماء، ولكن الكلمة لها تأثير تاريخى معبر تغير معنى الكثير من الجمل وتقلب حياة الملايين، وتقوم بتربية أجيال، وتثبت براءة اختراع إنسان وغيرها من الإنجازات التى لا تعد ولا تحصى للكلمة.

ولكن بعد هذه المحادثة الطويلة تأملت مريم الدرس الذى تلقته منه : ألا وهو حب الإنسان لمهنته أو للعلم الذى يتلقاه. فقد عرفت مريم فى ذلك اليوم المعنى الحقيقى للشغف فى الدراسة أو العمل. ووحده الله يعلم كم تمننت مريم أن يمتلك كل إنسان فى مصر بلدها مثل هذا الشغف العظيم تجاه مهنته أو مجال دراسته، وظلت تتخيل وتتساءل : ماذا لو أصبحت مصر حقاً هكذا ؟ ماذا لو أحببنا ما ندرس ؟ ماذا لو اختار كل منا مجال دراسته بإرادته ولم يفرض عليه أحد أى شىء ؟ فماذا لو احترمت المجتمع مهنة النجار والعامل تماماً مثل احترامه لمهنة المهندس والطبيب ؟؟ ماذا لو ؟؟ والكثير من ماذا لو ؟؟ آه يا بلدى الحبيبة لو تصبحين أم الدنيا حقاً وعلى أرض الواقع وليس فقط فى خيالات أبنائك وشعارات تطلقها الأغاني والحواديت عنك...!!!.

كما أن ما لفت نظر مريم أكثر هو قضية مهمة يعانى منها الشعب المصرى بل والشعب العربى أجمع، ألا وهى التقليد الأعمى للغرب فى كل شىء. فقد كانت مريم تعتقد أنه لا يمكن إنكار حقيقة أن للغرب جانباً مشرقاً من حياتهم يجب أن نتأثر به حتى نتقدم ونلحق بركب الحضارة والتطور مثلهم.. ومن أمثلة هذا الجانب : الحفاظ على الوقت والمواعيد، وجود هدف فى الحياة، وجود طموحات، حب العمل. ولكن الوجه الآخر فى حياة الغرب وهو الأبخع، وهذا الذى يتوجب علينا غض البصر عنه : مثل التورط فى علاقات محرمة، شرب الخمر وتعاطى المخدرات وغيرها من الأشياء التى لا تتلاءم ومجتمعنا العربى الإسلامى أو حتى المسيحى.

* بعد يومين أتى موعد اللقاء المنتظر.....

مريم : فى المرة السابقة سألتنى عن سبب تحريم العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج.. ولكن الإسلام لم يحرم ذلك لسبب واحد فقط وإنما لعدة أسباب.. وهى : أن هذه العلاقة لا تحفظ للمرأة حقوقها وكرامتها بل إن هذه العلاقات لا تتعامل مع المرأة على أنها كيان يحترم ويقدر ويجب الحفاظ عليه، وإنما تتعامل معها على أنها شىء لا روح له.. فليس من المحبب أن تقضى المرأة

حياتها بلا استقرار تنتقل من رجل إلى آخر ومن علاقة إلى أخرى. فليس فى هذا أى نوع من أنواع الحفاظ على حقوق الإنسان التى وكما حدثتلك من قبل أرساها الإسلام بقوة فى المجتمع العربى منذ بداية الدعوة الإسلامية.. فأنا شخصياً لا أرى فى هذا النموذج من الحياة أى نوع من أنواع الشرف ولا الكرامة ولا الاستقرار أيضاً.

ولأن العلاقة الأسرية فى الدين الإسلامى شىء مقدس جداً، فالفه حرم هذه العلاقات لأنه عندما ينتج عنها أطفال فهؤلاء الأطفال يكونون بلا آباء، مما يدمر صحتهم النفسية. وذلك لأن الإسلام على تمام الوعى والإدراك كم من المهين والصعب أن يولد طفل بلا أب، ويحيا حياة بكاملها وهو على علم بأن والده قد تخلى عنه لأنه لا يرغب فيه كابن. كما أن للأب دوراً أسطورياً فى حياة أبنائه، وبما أن الإسلام كرم الإنسان والمرأة فقد أعطى الإسلام كل إنسان الحق فى أن يعرف هوية والده وأن يعيش معه.. فبالنظر إلى حياة أى أسرة مسلمة ستجد أن الأب والأم يعيشان معاً فى تناغم وتراحم وود متبادل بين جميع أفراد الأسرة، حتى الأبناء تجدهم على علاقة قوية جداً ببعضهم.. حيث يجب أحدهم الآخر ويتحمل الكبير مسئولية الصغير.. كما أن الفتاة أو الشاب لا ينتقل من منزل الأسرة إلا عندما يتزوج ويحين الوقت له كى يؤسس أسرة جديدة..

هناك حديث شريف عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة) وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى.. وذلك ليحث المسلمين على رعاية الأطفال اليتامى وإعطائهم كامل حقوقهم فى الحياة.. ولكن حتى لو حصل الطفل اليتيم على رعاية أبوين عطوفين بديلين.. فهل تعتقد أن هناك ما قد يعوض أى طفل عن حب وحنان أبويه الحقيقيين ؟؟؟

أندريه: بالطبع لا يوجد من قد يحب الإنسان مثل أمه وأبيه الحقيقيين..

فاستكملت مريم : نعم هذا حقيقى.. كما أن لك أن تعرف أن الدين الإسلامى لم يحرم أى شىء بدون سبب وجيه جداً وعادة ما يكون هذا السبب لمصلحة الإنسان نفسه وللحفاظ عليه.. فأود أن أذكرك بالأمراض التى تنتشر بسبب هذه العلاقات وأشهرها وأكثرها انتشاراً مرض الإيدز والمعروف جداً انتشاره فى الدول الغربية وليس فى محيط البلدان العربية المسلمة..

إن الدين الإسلامي ينظر إلى المرأة تمامًا كالجوهرة المكونة جسداً وروحاً.. لقد أمر الله الرجال بحماية النساء، ولا أعنى هنا حماية جسدية فقط وإنما حماية عاطفية وروحية ونفسية أيضاً.. وذلك لأنه معروف جداً أن النساء أضعف من الرجال فى التكوين الجسدى والروحى والعاطفى..

* ثم توقفت مريم لبرهة وسألته: لقد أخبرتني من قبل أنك لم تقرأ أبداً عن الدين الإسلامى، ولكن ترى هل قرأت عن الدين اليهودى أى شىء؟؟

أندريه: لا لم أقرأ عن الدين اليهودى من قبل، ولكن اليهود هنا فى روسيا هم أصدقاؤنا تماماً مثل المسيحيين فى مصر.. والدين اليهودى دين مسالم ومتسامح أيضاً، ولا يعتبر مثل الدين الإسلامى فى شىء.. فهو لا يتدخل فى حياة الناس بتلك الطريقة أبداً.

مريم : لقد أخبرتك من قبل أننى بالفعل أحترم كل الأديان السماوية، وغير السماوية ومعتقدات البشر أجمع.. لأنه ليس من شأنى أن أحاكم الناس بسبب معتقداتهم.. ولكن بالنسبة للديانة اليهودية فهناك بعض المعلومات الخاطئة لديك التى أعتقد أنها بحاجة للتصحيح.. فأعتقد أن هناك نوعاً من أنواع التشابه، حتى ولو كان ضئيلاً بين الدين الإسلامى والدين اليهودى.

أندريه : هل قرأت عن الديانة اليهودية من قبل؟؟؟؟

مريم : نعم لقد قرأت عنها بعض الشىء، ولكننى لا زلت لا أعرف الكثير أيضاً فأنا فى النهاية لست يهودية. وكل ما عرفته لا يخرج عن نطاق المعلومات العامة. فقد قرأت عدة مقالات فى الصحف عن الثقافة الإسرائيلية، التى كانت بالتأكيد تتضمن معلومات عن الدين اليهودى.

أندريه: وكيف يعقل أن تقرأ عن الديانة اليهودية ولا تقرأ شيئاً عن المسيحية التى هى ديانة الكثير من أصدقاؤك؟؟

مريم : لأنها ديانة الكثير من أصدقاؤى، لم أهتم أن أعرف عنها كثيراً. فأخلاق أصدقاؤى المسيحيين بالفعل تعكس الكثير من القيم والأخلاق الرفيعة، التى تتم عن تربية صحيحة.. على العكس من تصرفات الإسرائيليين المشينة ضد الشعب الفلسطينى الأعزل، فذلك قد جعل من الواجب على البحث والتساؤل حول السبب النابع من هذا الاتجاه الجماعى فى تصرفاتهم، أردت أن ألقى نظرة خاطفة لعلى أعرف سبب هذا الخلل السلوكى لديهم، بل وأكثر من ذلك فقد عكفت لبعض الوقت على دراسة اللغة العبرية وتعلمت القراءة والكتابة بالعبرية.. نفس السبب أيضاً. فنحن مؤمنون بأن من عرف لغة قوم أمن مكرهم. ومثلما يتعلمون هم اللغة العربية والدين

الإسلامى حتى يتوغلوا فى حياتنا أكثر وأكثر فقد حاولت أن أفعل المثل وإن كنت قد توقفت بالفعل عن دراسة اللغة العبرية بعد ٤ دروس..

أندريه : لماذا ؟؟؟

مريم : حتى أتابع دراستى للغة الروسية بتركيز كامل..

أندريه: حسناً.. لقد فهمت ولكن ما هى المعلومات الخاطئة التى بحاجة للتصحيح بشأن الدين اليهودى...؟؟؟

مريم : حسناً...!!! هل لديك فكرة أن العلاقات بين الرجل والمرأة بدون زواج شرعى تسمى زنى ؟؟؟

أندريه : نعم أعرف..

مريم : ولكن الزنى لا يعد من المحرمات لدى المسلمين فقط، وإنما لدى اليهود أيضاً. ولكن الفرق يكمن فى العقوبة، ففى الدين الإسلامى تقتصر عقوبة الزنى على الرجل والمرأة (الزانى والزانية) فقط، أما الطفل الذى قد ينتج عن تلك العلاقة فهو برىء مما فعل أبواه ولا ذنب له فى ذلك...

أندريه: نعم. هذا جيد.. وما ذنب الطفل فى الطريقة التى قد جاء بها إلى الدنيا.

مريم : عقوبة الزانى فى الدين اليهودى لا تقتصر على الزانى والزانية فقط وإنما تشمل أبناءه وأحفاده حتى الجيل العاشر. لأنه فى هذه الحالة يعتبر ابن خطيئة ويجب أن يقع عليه عقاب جماعى هو وخلفه من بعده. وهذا هو نص التحريم (لا يدخل ابن زنى فى جماعة الرب حتى الجيل العاشر ١٣٥، فهذا عقاب جماعى ولكن بالوراثة ١٣٦) ما رأيك فى تلك الطريقة بالعقاب ؟؟؟

أندريه : أنه عقاب غير منصف بالمرّة.. فما ذنب كل تلك الأجيال القادمة من بعدهم فى خطيئة الأجداد القديمة، ولكنه مع ذلك دين يحترم ويجب عدم الإساءة إليه..

مريم : لا دخل لى فى مدى إنصاف وعدل الديانة اليهودية.. ولكن الهدف من إيضاحى لك تلك المعلومة عن الدين اليهودى مع كامل احترامى له، ليس الإساءة بالطبع. فقد أخبرتك من قبل أننى أحترم جميع الأديان السماوية والمعتقدات غير السماوية. ولكن ما حدثتك بذلك إلا لأقوم

بتوضيح نقطة واحدة وهى أننى أريد أن أعرف ما هو سبب تحدثك بالسوء عن الدين الإسلامى وبالحسنى عن الدين اليهودى، بالرغم من أنك لم تقرأ شيئاً لا عن هذا ولا عن ذلك.. كما أردت أن ألفت انتباهك إلى جانب من جوانب الدين الإسلامى الرائعة، من حيث العدل والإنصاف بين الناس، وإيتاء كل ذى حق حقه. فليس من الممكن إطلاقاً أن يقوم الإسلام بتوقيع عقوبة على شخص لم يقترف ذنباً. ومع ذلك فإن وسائل الإعلام الغربى التى يتعمد أغلبها تشويه صورة المسلمين، وتتغاضى عن الدين اليهودى. بل أكثر من ذلك، فإنها تظهر مستوطنى إسرائيل فى أحسن صورة بدون ذكر كم المجازر ومحافل القتل الجماعية التى يقومون بها على أرض فلسطين.

أندريه : هل تعنين أن هناك قوة عالمية تتعمد تشويه صورة الإسلام لدى الرأى العام العالمى، لصالح تحسين صورة إسرائيل؟؟؟

مريم : سواء كنت أعنى ذلك، أو لا أعنيه. فى كلتا الحالتين هو رأى شخصى، يعينى وحدى. ولكن جل ما أود لفت انتباهك إليه...هو ثرى ما هو السبب وراء هذا التشويه المتعمد لصورة الإسلام؟؟

أندريه : لا أعرف ولكننى تعودت أن أشاهد الكثير من البرامج عن الدين الإسلامى عبر الإنترنت، ولم أشاهد ولو لمرة شيئاً عن الدين اليهودى.. ولا أعرف عنه شيئاً بالرغم من كثرة أصدقائى اليهود. فلم يحدثنى منهم أى شخص بأى من تعاليم الدين. لذلك لا أعرف عنه شيئاً. وليس من اللائق هنا فى تقاليد المجتمع الروسى أن أسأل أى إنسان عن دينه أو عقيدته، لذلك أنا لا أبادر بالسؤال أبداً...

مريم : وأنا أتفهم كثيراً ما تقول، ولكن وجهة نظرى هى أن تحاول أن تقرأ فى الدين الإسلامى أولاً ثم تتحدث عنه. ومرة أخرى أطرح نفس السؤال.. لماذا لا تتوقف وسائل الإعلام الغربية عن تشويه صورة الإسلام، فى نفس الوقت الذى يوجد فيه تعظيم إعلامى على حياة الإسرائيليين على سبيل المثال.. لماذا الإسلام على وجه الخصوص..؟؟

أندريه : سوف أفكر فى إجابة لهذا السؤال لاحقاً.

* ثم انقلوا للحديث عن موضوع آخر.....

أندريه : هل تفكرين فى الزواج ؟

مريم : بالطبع حالى كحال أى فتاة أو امرأة طبيعية أود أن يكون لى أسرة وزوج وبيت وأطفال..
وحياة رائعة..

أندريه : ألا تخافين من أن يتزوج عليكِ زوجك بعد زواجك منه ؟

مريم : لا أخاف من هذا وأعرف أنه لن يحدث إن شاء الله.

أندريه : كيف ولماذا برأيك يسمح الدين الإسلامى بتعدد الزوجات ؟.. فإذا تحدثنا عن العدل
فإذن أنا لا أعتقد أن هذا شىء عادل أبداً.. لماذا يحق للرجل الزواج بأكثر من امرأة فى نفس
الوقت بينما لا يمكن أن تتمتع المرأة بنفس هذا الحق؟

مريم : نعم سوف أشرح لك كل شىء بهذا الصدد، ولكن فى البداية أود منك أن تقرأ الآية القرآنية
التي تتحدث عن تعدد الزوجات. وهى الآية رقم ٣ من سورة النساء.

(وإن خفتن ألا تقسطوا فى الينامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربع فإن خفتن
ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا)

مريم : لقد أحل الله تعدد الزوجات ولكنه لم يوجبه على المسلم، أى أنه إذا لم يستطع المسلم
العدل بينهن فعليه بالزواج من واحدة فقط.. أما عن تحليل تعدد الزوجات فله أسباب مهمة.. مثل
:

من الممكن أن يكون هناك رجل يحب زوجته كثيراً وهى لا تستطيع الإنجاب، وهو لا يريد أن
يطلقها وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يتنازل عن حقه فى أن يصبح أباً.. وفى هذه الحالة أتاح
الله له أن يتزوج امرأتين لكى ينجب طفلاً ويحتفظ بزوجته فى نفس الوقت..

* قبل أن تستكمل مريم الحديث، قاطعها أندريه قائلاً : ولم لا يحاول أن يعالجها ؟ ولم لا
ينتظرها ؟ أين ذهب الإخلاص؟

مريم : ماذا لو فشل جميع الأطباء فى علاجها.. ماذا لو ؟

أندريه: يذهب إلى طبيب آخر خارج البلاد.

مريم : إذا كان قضاء الله وقدره أن تلك المرأة لن تتجب أبداً، إذاً فلن يتمكن أى طبيب من
علاجها حتى لو أنفقت ملايين من الأموال والسنوات فى سبيل ذلك. لن يتمكن أى إنسان من

تغيير قدر الله وسيكون عليها هنا أن تتقبل الأمر الواقع هي زوجها .. ولكن ماذا لو ذهب إلى طبيب آخر خارج البلاد وفشل في علاجها هو أيضاً ؟

أندريه: يصبر ويدعو الله أن يرزقه بطفل منها، إن الله يسمع المحتاجين ويلبى شكوهم.. ألسنت مؤمنة بالله ؟ أم ماذا ؟

مريم : بالطبع أنا مؤمنة بالله وبالطبع مؤمنة بأن الله يسمع عباده ولكن الفكرة هنا هي أن الناس تختلف فيما بينها في قدراتها ورحمتها وأيضاً في سعة صدرها وقدرتها على الصبر والتحمل.. هكذا خلقنا الله مختلفين في كل شيء على الرغم من كثرة عددنا.. لذلك هناك بعض الناس تستطيع أن تصبر وأخرى لا تستطيع.. فما العمل إذا كان قدر الله هو أن لا تتمكن هذه المرأة أبداً من الإنجاب، أو إذا كان الرجل لا يمتلك القدرة على الصبر.. هل يرتكب علاقة محرمة؟؟؟

بالطبع لا لأن الإسلام قد حرم العلاقات بدون زواج، فكيف إذا يعطى الرجل السبب كي يفعلها رغمًا عنه.. لو كان الإسلام حرم تعدد الزوجات وحرم العلاقات في نفس الوقت لكان بذلك يعتبر ديناً ناقصاً وليس شاملاً.. فلقد حرم شيئاً هو بنفسه قد أجبر الناس على فعله.

وهناك أسباب أخرى، مثل أن هناك نوعاً من الرجال لا يستطيع أن يكتفى بامرأة واحدة أبداً حتى لو تزوج من فتاة أحلامه وأحب زوجته، لن يكتفى بامرأة واحدة أيضاً.. ولا تخبرني أن هذا النوع ليس موجوداً لأن هذا غير صحيح لأنه موجود في مصر وفي روسيا وفي أمريكا وفي كل العالم. وكما أخبرتك من قبل، إذا حرم الإسلام تعدد الزوجات ومنع العلاقة بين الرجل والمرأة بدون زواج، فالإنسان في هذه الحالة هو كامل بلا عيوب وبلا أخطاء وبلا شهوات.. ولأن الدين الإسلامي لا يرغم الناس على فعل أشياء هي خارج طاقة البشر لذلك حلت تعدد الزوجات.

أندريه : إذا ساوى الدين الإسلامي حقاً بين الرجل والمرأة وجميع البشر لماذا لم يعطِ المرأة الحق في تعدد الأزواج أيضاً مثل الرجل، هذه تفرقة عنصرية ؟

مريم : نعم كنت على وشك تفسير هذه النقطة إليك أيضاً.. فبالطبع ساوى الإسلام بين جميع البشر، ولكن مفهوم المساواة مختلف هنا، فالنساء تختلف عن الرجال في الكثير من الأشياء بحكم طبيعتهما الخقية، مثل الضعف الجسدى ورقة القلب والعاطفة الزائدة بكثير عن الرجل . فالمرأة على سبيل المثال تفكر بقلبها ولا تفكر بعقلها مثل الرجل.. لذلك قرارات الرجل تكون صارمة. ولكن هناك سؤالاً يتطرق إلى ذهنى الآن، هل تعتقد أن المرأة من الممكن أن تعمل كعاملة بناء أو ضابط في الجيش أو الشرطة؟؟

أندريه: نعم.. بالطبع أعتقد أن ذلك أمر ممكن، ففي بلادى النساء تشارك فى الجيش والشرطة بل وأكثر من ذلك فى عمليات الإطفاء والعمل فى البناء أيضاً.

مريم : حسناً...!! فى بلادى.. النساء لا يمكن أن يقمن بمثل تلك الأعمال.. وذلك لوجود القناعة التامة لدى النساء قبل الرجال أن للمساواة حدوداً يجب الوقوف عندها.. فقط من باب العلم بالشيء لقد كنت أعرف مسبقاً بأنه فى بلادك مسموح للنساء بممارسة تلك الأعمال. ولكننى أردت أن أعلمك أن النساء هنا فى الدول العربية معززات مكرمات، حتى بالنسبة للمرأة التى لا تعمل وتمكث فى المنزل تربي أبناءها يكون الوضع بادئ ذى بدء فيه صون وحفظ لكرامتها، ودور أكبر وأعظم بكثير تقوم به تجاه أبنائها ومجتمعها بأكمله ليس فقط أسرتها..

* وهنا استوقفها أندريه للسؤال : وإذا كنتِ حقاً تعرفين تلك المعلومة بالفعل، فلماذا سألتِ؟؟

مريم : لكى أقوم بالاستناد إلى رأيك فى إيضاح حقيقة معينة ولكن فقط أعطنى الفرصة كى أستكمل الحديث....!!!

أندريه : تفضلى ولكِ مطلق الوقت والحرية..

مريم : شكراً لك.. لو نظرت لامرأة تعمل كمجندة فى الجيش.. على سبيل المثال فستجد أنها امرأة مفقولة العضلات فاقدة تماماً للشعور بالرحمة التى هى صفات أساسية فى أى امرأة على وجه الأرض قد أعطاها لها الله. أليس كذلك؟؟

أندريه: صدقاً يجب الاعتراف بأننى ألاحظ الكثير من النساء العاملات فى مجالى الجيش والشرطة.. لهن نفس تلك المواصفات التى قد تحدثتِ عنها.. ولكن لسن جميعهن على هذا الحال أيضاً.. هناك بعض منهن لسن كذلك..

مريم : نعم أعرف ولكن أهم شيء فى المرأة هو ليس مجرد شكلها كامرأة وإنما فقط رحمتها ورقة قلبها والكثير من الصفات الأخرى، وإذا فقدت المرأة أنوثتها سواء المظهرية أو الجوهرية فهى فى تلك الحالة من وجهة نظرى الشخصية جداً لا يمكن اعتبارها امرأة. كما أن منع المرأة من المشاركة فى الجيش كمجندة، أو العمل فى أعمال تحتاج إلى قوة عضلية كبيرة هو جزء من تكريم الإسلام لمكانة المرأة فى الإسلام.. فالإسلام لم يرض للنساء أن يعانين من الكثير من المشاق التى يعانى منها الرجال..

أندريه : ولكننى لا أرى فى ذلك معاناة جسدية كبيرة..

مريم : حسناً.. هيا نرى على سبيل المثال. بالنسبة للمرأة المجنّدة فى الجيش، كيف تتحمل مشقة حمل البندقية والسلاح. وأنت على خير دراية بأن حمل الأسلحة يحتاج إلى قوة. لأن هناك العديد منها ثقيل الوزن جدّاً، وله ارتداد عند إطلاق النار، قد يطيح بحامله تماماً إذا لم يكن ذا جسد قوى وثابت على الأرض. أما بالنسبة للمرأة التى تعمل كضابط شرطة.. ماذا يحدث لو تعرضت للضرب والاعتصاب أثناء تأدية عملها..؟؟ ماذا يحدث لو لم تتمكن من الدفاع عن نفسها أمام رجل مفتول العضلات؟؟

أندريه: حسناً.. فى هذه الحالة فقط تكونين قد تغلبتِ على.. ولكن هذا لا يعنى فشل المرأة الكامل فى تلك المهنة..

مريم : هل تعرف أن أضعف رجل، يفوق أقوى امرأة فى القوة العضلية.. وذلك بحكم التركيبية الخلقية للرجل.

أندريه: أتفق معك فى هذا.. ولكن مع التدريب، كل شىء من الممكن أن يتحول إلى حقيقة..

مريم : أنا أتساءل ترى.. كيف يتمكن التدريب من تغيير طبيعة خلقية؟؟.. بالطبع التدريب فى أى مجال يساعد على الاحترافية والتمكن.. ولكن هل من الممكن أن تتمكن من الحصول على قامة أقصر مع التدريب....؟؟

أندريه: بالطبع لا.. فطول القامة، أو قصر القامة جزء من الطبيعة الخلقية التى لا يمكن تغييرها أو التحكم فيها..

مريم : إذا والفرق بين الرجل والمرأة فى الطبيعة الخلقية أيضاً شىء لا يمكن التحكم فيه ولا تغييره مع التدريب ولا حتى الطب الحديث.. تماماً مثل الحمل والإنجاب.. هل يستطيع الرجل الإنجاب؟؟ هل يستطيع الرجل على سبيل المثال تحمل آلام الولادة المبرحة مثل المرأة؟؟؟

أندريه: أوه يا إلهى.. مريم.. لقد تفهمت الفكرة تماماً ولكن جل ما أحاول إثباته هو أن لكل قاعدة شواذ...

مريم : أعرف أن لكل قاعدة شواذ ولكن من وجهة نظرى أن المساواة بين الرجل والمرأة لا يجب أن تمتد لتشمل كل شىء وذلك لأننا لسنا مثل الرجال فى كل شىء بحكم طبيعتنا. فلقد تطرق إلى ذهنى سؤال الآن : إذا كان الرجل والمرأة فعلاً قد خلقا سواسية فى كل شىء : إذا فلماذا قد

خلق الله الجنس البشرى من رجال ونساء، لو أراد الله أن يجعلنا متشابهين لماذا لم يخلق الله البشر من جنس واحد فقط، إما رجال وإما نساء؟؟

أندريه: لا أعرف حقًا، أنه سؤال محير وجديد تمامًا، فلم يتطرق إلى ذهني من قبل مثل هذا السؤال..

مريم : إن الله قد خلق الرجال والنساء لكي يكمل أحدهما الآخر، فما تقوم به المرأة من دور رائد في المجتمع لا يستطيع أن يقوم به الرجل والعكس صحيح، ولو كان الله قد خلقنا سواسية في كل شيء حقًا لكان خلق البشر جميعهم من جنس واحد فقط إما رجال وإما نساء.. فالمرأة ليست مثل الرجل في كل شيء، وليس في ذلك أى عيب.. فالمرأة تلد والرجل لا يلد.. المرأة هي من تحتضن حياة أخرى بداخلها وليس الرجل.. فالمرأة في الإسلام تحظى برعاية لا يحظى بها الرجل.. والمساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام لها معنى ومفهوم آخر، مثل المساواة في الحقوق، فالمرأة لها الحق في التعلم والعمل وغيرها من الحقوق الإنسانية التي لا تجعلها تعيش كالعبيد مثل ما كان يحدث قبل الإسلام.

كما أريد أن أسألك ماذا يحدث لو تزوجت المرأة بأكثر من رجل فى آن واحد؟؟؟ سيحدث بالتأكيد مشكلة خلط أنساب وأعراف، وهذه تعد كارثة قد تدمر حياة أى أسرة.. هل فهمتني الآن : لا يوجد فى ذلك أى نوع من أنواع التفرقة العنصرية.. فالدين الإسلامى يتميز بأنه دين شامل وكامل، دين لكل زمان ومكان ولكل حالات البشر، فالدين الإسلامى لم يغفل عن حالة واحدة من حالات البشر.. وهو ليس لحالة خاصة وإنما هو لكل الناس.

كما أن تعدد الزوجات ليس مسموحًا به فى الدين الإسلامى فقط وإنما فى الدين اليهودى أيضًا.. وهو بذلك يكون مسموحًا به فى ديانتي سماويتين.

أندريه : نعم أعرف بهذا الأمر.. وماذا فى ذلك..

مريم : إذًا.. ما هو السبب أن الصحف الأوروبية دائمًا ما تسخر من تعدد الزوجات فى الإسلام ولا يعير أى منهم اهتمامًا للديانة اليهودية مما يؤكد على فكرة الاضطهاد غير المبرر للإسلام.. مع العلم بأن التعدد قد وُجِدَ بالفعل عبر التاريخ منذ القدم ، وهذا ليس بشيء مستحدث فى الإسلام .. الإسلام فقط فتنه ووضع حدًا للظروف التي من الممكن أن تسمح به ولم يجعله فرضاً يجب الإلتزام به.

أندريه: مممممم..الإضطهاد.. حسنًا هذا وارد..

مريم : وفى مقارنة بسيطة مع عدد زوجات النبى - صلى الله عليه وسلم.. وقد بلغن الإحدى عشرة.. وعدد زوجات أحد أنبياء بنى إسرائيل (سليمان عليه السلام) كما عرفه الكتاب المقدس اليهودى وهو ما يسمى بالعهد القديم بالنسبة للعقيدة المسيحية... ومع اختلاف ظروف وملابسات زواج الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - بالفعل.. وهو أمر لن نتطرق إليه الآن لأننى أعرف أننى لو فعلت لن أوفيه حقه..

أحب أن ألفت انتباهك إلى هذه الفقرة..

جاء فى الإصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول ما يلى :

" وأحب سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، مؤابيات وعمونيات وادوميات وصدونيات وحيثيات، من الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان وراء هؤلاء بالمحبة وكان له سبعمائة من النساء السيدات. وثلاثمائة من السرارى، فأمالت نساؤه قلبه وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملى قلبه آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصدونيين، وملكون رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر فى عينى الرب، ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه.. حينئذ بنى سليمان مرتفعًا لكمشوش رجس المؤابيين على الجبل المواجه لأورشليم، وكذلك مرتفعًا لمولك رجس بنى عمون.. وهكذا فعل لجميع نساءه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن.. فغضب الرب على سليمان، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين، وأوصاه فى هذا الأمر ألا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب...

أندريه : ما هذا يا مريم.. هل تنتقدين العقيدة اليهودية السماوية.. ؟

مريم : لا بالطبع.. حاشا لله.. أنا من أكون حتى أنتقد أى ديانة.. وإنما فقط ألفت انتباهك إلى وجود تناقضات فى أسلوب تعامل المجتمع الدولى مع المسلمين، والنظر للمسلمين ونبينهم الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم.. وتعاملهم مع اليهود، ووصفهم بأنهم من شعوب العالم المتحضر.. وهو بالطبع شىء لا يمكننى رفضه لأن هذا الوصف يندرج تحت بند حرية الرأى..

وإنما السؤال.. ومن حيث المبدأ. إذا كان تعدد زوجات أى نبي كان شيئاً محرماً بما قد ورد بالفعل من انتقادات وجهت من قِبَل الكثيرين للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم. إذا فلم لم يعامل (النبي سليمان عليه السلام) بنفس الطريقة.. لما قد ورد عن علاقاته النسائية.. بنصوص صريحة فى التوراة...؟؟؟؟

أندريه : لا أعرف.. فمن الواضح أننى لست مسئولاً عن آلية عمل وسائل الإعلام.

مريم : نعم ولكن أنت مسئول عن رأيك الشخصي إن صدقت ما تنشره وسائل الإعلام عن المسلمون ... وأنا فقط أتعجب للتناقض فى الأسلوب لا أكثر..، هل هناك أى أسئلة بخصوص تعدد الزوجات أيضاً، أندريه ؟؟؟

أندريه: لا يوجد.. ولكن أريد أن أسألك هل شاهدتِ أى شىء من التسجيلات التى قد أرسلتها لك بعد ؟؟

مريم : لا للأسف لم أتمكن من ذلك ولكن هل يمكن أن تنتظر فمن المحتمل أن يعمل الإنترنت عندى جيداً مرة أخرى.. من الممكن أن أشاهدها ونتحدث عنها فى المرة القادمة.. هل يمكننا أن نتحدث عن موضوع آخر الآن؟؟ هل يوجد لديك أى أسئلة بشأن اللغة العربية؟؟

أندريه: نعم بالتأكيد يمكننا الانتقال إلى أى موضوع آخر.. وخصوصاً هذا الموضوع لأنه يوجد لدى الكثير من الأسئلة بشأن اللغة العربية.. ولكن قبل أن أبدأ أريد أن أخبرك مرة أخرى أننى معجب جداً بلغتك الروسية.. مستواك جيد جداً.. هذا مؤكد.. أنا أتمنى أن أصبح مثلك فى اللغة العربية..

مريم : شكراً لك، أنا لا زلت أعمل على تحسين مستواى كما ترى، فهناك الكثير من الأخطاء النحوية التى لا تغتفر.. ولا أعرف ما هو حل هذه المشكلة...

أندريه : لا الحقيقة أن مستواك فى اللغة جيد جداً ويزداد تحسناً مع الوقت، وهذا لا يمنع القول أنك طالبة متفوقة، أخبرينى كيف فعلتِ ذلك؟؟ ومن أين لكِ بكل هذه الكلمات، أنتِ تعرفين الكثير من مفردات اللغة الروسية.. حتى تلك التى نستخدمها نحن فى الحياة العامة.. إننى مبهور جداً وذلك لأننى على علم تام بمدى صعوبة لغتى الأم.. وكثرة مفرداتها ومعانيها وأفعالها وتشابها..

مريم : حسنًا، فى البداية درست هذه اللغة فى الكلية هنا فى مصر على مدى ٤ سنوات ولذلك فأنا أعرف الكثير من مفردات اللغة الروسية القديمة، أما عن مجهوداتى أنا الشخصية فتكمن فى أننى لا أضيع وقتى أبدًا فأنا أدرس دائمًا.. عن طريق زيارة المواقع التعليمية على الإنترنت وجمع المعانى والمفردات والجمل من عليها ودراستها وحفظها جيدًا، كما أننى أجمع المفردات والمعانى الجديدة من لقاءاتنا معًا وأكتبها لى أدرسها فيما بعد، وبجانب ذلك أقوم بالاستماع إلى أغاني باللغة الروسية ومحاولة ترجمتها، والبحث عن التسجيلات باللغة الروسية على شبكة الإنترنت، ولذلك بالرغم من كونى عاطلة عن العمل، فأنا من أكثر الفتيات انشغالًا فى مصر .

أندريه : حقًا !! أنت ممتازة تفعلين كل هذا ومن أين لك كل هذه الطاقات الجبارة التى تدفعك لفعل كل هذا؟؟

مريم : شكرًا لك مرة أخرى، هذه الطاقات عادة ما تأتىنى من دينى، ففى الكثير من الأحيان أتوقف بسبب شعورى بالملل والفراغ ولكننى أرتاح عندما أدعو الله لى يخلصنى من هذا الملل ويدخل السعادة والطاقة على قلبى مرة أخرى كى أتمكن من المتابعة..

أندريه : نعم نعم هذا جيد.. سأفعل مثلك وأجمع المفردات وأستمع إلى الأغاني العربية.

مريم : ونعم هذا بالتأكيد جيد جدًا، ولكن أندريه أريد أن أسألك عن شىء قد لفت انتباهى فى اللغة الروسية بل وفى الشعب الروسى عامة.. وهى لماذا كل روسى له اسمان، أحدهما اسمه الحقيقى على الورق والآخر اسمه الشخصى الذى يستخدمه كل الناس فى الحياة العامة وفى التعاملات العادية..؟؟؟ مثل تاتيانا - تانيا، ناستيا - نتاشا، ألكسندر - ساشا... وهكذا.

أندريه : نعم هذا حقيقى ولا أعرف ما هو السبب، لكن يمكنك أن تقولى أنها العادات والتقاليد المتبعة منذ قديم الأزل هنا.. فالاسم الرسمى هو فى الأوراق الرسمية كجواز السفر والبطاقة الشخصية وشهادة الميلاد وغيرها من المستندات المهمة، والاسم الآخر هو ما يطلق على الفرد من محبيه بصفة شخصية كالأصدقاء والوالدين.. فمن يحبك لا يستطيع أن يناديك باسمك الرسمى..

مريم : وما هو اسمك الآخر يا أندريه؟؟؟

أندريه : اسمى الآخر هو أندروشا.

مريم : إذا فأنا اسمى مريم، ماذا يحدث لو ذهبت للعيش فى روسيا هل سيطلق على مريم هكذا أم اسم آخر؟؟

أندريه : اسمك هو اسم مريم، أى مثل اسم السيدة مريم العذراء. وهذا الاسم منتشر هنا فى روسيا كثيراً، ولكنه لا ينطق مريم ولا يكتب مريم.. بل هو ماريا.. النسخة السلافية من الاسم هى ماريا والاختصار الفعلى للاسم هو ماشا.. فماريا تسمى ماشا هنا.. من الممكن أن يلقبوك الناس بماريا.. أو ماشا..

مريم : لم أكن أعرف أنه يوجد فى روسيا اسم ماريا ولكننى لم أكن أعرف أنه يعنى مريم..

أندريه : ما رأيك فى أن ألقبك بماريا أو ماريوشا فهو أسهل كثيراً..؟؟

مريم : عذراً لا أود ذلك، فصدقاً الفكرة تعجبني ولكن أحب أن أنادى باسمى العربى.

أندريه : حسناً لا مشكلة مريم كما تحبين، ولكن أنا الآن أود أن أذهب فلدى الكثير من العمل، هل من الممكن أن نستكمل أحاديثنا لاحقاً مثلما نعمل دائماً؟؟

مريم : نعم بالطبع.. وفى المرة القادمة سأحاول أن أشاهد أحد هذه التسجيلات وأوضحها لك. إلى اللقاء أندروشا هل من الممكن أن أستخدم هذا الاسم على سبيل التغيير؟؟؟...

أندريه: لا للأسف فلا أحد يلقبني بهذا الاسم سوى أمى وهى الآن متوفاة لذلك لا أحب أن يلقبني أحد ليس قريباً منى بالدرجة بهذا الاسم.. من فضلك لقبيني بأندريه فقط...

مريم : حسناً لا يهم، أنا متفهمة لفكرتك جيداً أندريه وأعتذر عن ذلك، لن ألقبك بهذا الاسم مرة أخرى..

أندريه: إلى اللقاء..

مريم : إلى اللقاء أندريه..

* بعد هذا الحوار كانت مريم سعيدة جداً وقضت الليلة بأكملها تشكر الله، بسبب اعتراف اندريه بلغتها الجيدة ومستواها العالى.. كانت سعيدة بما حققته ولكن الحقيقة أن مستواها اللغوى ظل يتقدم ويتقدم يوماً بعد يوم، كانت مع مرور الوقت قد بدأت تصبح أمهر وأقدر على التحدث بسرعة أكبر يوماً بعد يوم .. حتى إن أذنها التى لم تكن تستطيع أن تفهم كلمة واحدة فقط باللغة

الروسية أصبحت اليوم قادرة على الفهم بسرعة أكبر من السابق.. كل هذا من فضل ربها.. فقد قارب حلمها على الحدوث.. لقد قاربت على التحدث بطلاقة.. وأخيراً أصبح هناك أمل فى أن يأتى يوم وتتحدث فيه مريم الروسية كما كانت تحلم منذ سنوات....

والحقيقة أنها كانت سعيدة أيضاً لأنها جعلت إنساناً اعتاد أن يحتقر المسلمين والإسلام، يحترمها ويتعلم منها، بالرغم من أنها كانت على يقين من أن فكرته عن الإسلام لم ولن تتغير بشكل كامل ولكن بصفته فتاة مسلمة فكانت مريم ترى نفسها كسفيرة لدينها مثلما يقول بعض الناس أن كل إنسان سفير لدينه بالعمل الطيب والخلق الحسن وخاصة أمام المجتمع الغربى، ولقد نجحت مريم فى كسب احترام أندريه وتقديره عن جدارة . وفى حقيقة الأمر أن مريم كانت تلامس احترام أندريه لها كل يوم فى أسلوبه وانبهاره بشخصها وأفكارها وطريقتها فى التعليم.. كل هذا كان مبعث سعادة لها، خاصة مع علمها بأن بعضاً من زميلاتها وزملائها من المصريين قد قالوا عنها يوماً مجنونة. بسبب وجهات نظرها الخاصة جداً والمستقلة. فقد قال عنها صديق أجنبى غير ذلك واعترف بأفضليتها وذكائها. بل وكان فى كثير من الأحيان يقول لها : مريم أنتِ فتاة طيبة جداً.. كل هذا أضاف أملاً كبيراً فى حياة مريم. أمل فى مستقبل مشرق وحياة سعيدة، ونجاح والأهم من كل هذا هو أمل فى أنها يوماً ما سوف تجعله يحترم الدين الإسلامى ويعترف به كرسالة سماوية مثل اعترافه باليهودية والمسيحية، وأن يساهم فى تغيير فكرة إنسان عن الإسلام. فلم يكن يوماً غرض مريم فى التحدث معه هو إقناعه باعتراف الدين الإسلامى ولكن كان هدفها الأول والوحيد هو الدفاع عن دينها والحفاظ على كرامتها وماء وجه المسلمين أمامها. وهذا كان أهم ما فى الأمر والذى كان بمثابة الحصول على جائزة نوبل فى عيون مريم.. فهو إنجاز كان يستحق الاحتفال به....

ولكن لم يكن هناك الكثير من الوقت فقد كانت المهلة المتبقية أمامها من الوقت قليلة جداً، فقضت تلك الليلة تحاول أن تشاهد أحد هذه التسجيلات الصوتية التى أرسلها لها أندريه.. مفكرة بالوعد الذى قد قطعته بمشاهدتها وقول الحق. ولا شىء سوى قول الحق بغض النظر عن ماهية هذا الحق، ولكن يجب أن تقول الحق لأن مريم كانت بالفعل قد قطعت عهداً على نفسها منذ زمن ألا تخلف وعداً وأن تحفظ عهداً وإذا سألتها شخص ما عن رأيها فى شىء يجب أن تخبره بكل صراحة أو تباعاً، لذلك كان يجب أن تلتزم معها بكل حرف قد قالته.. لذلك بقيت طوال الليل أمام جهاز الكمبيوتر تحاول أن تفتح أحد هذه التسجيلات ولكن الاتصال كان بطيئاً جداً وللأسف لم تتمكن من فتحه أبداً.. ولذلك فى اليوم التالى عندما قابلته وأخبرته كانت بالفعل تقول الحقيقة.. ولقد دار بينهم الحوار كالاتى :

أندريه : مرحبًا مريم.. كيف حالك؟؟ هل من جديد؟؟

مريم : مرحبًا أندريه.. أنا بخير والحمدلله.. ولا يوجد ما هو جديد فى حياتى كل شىء على ما يرام.. وأنت كيف حالك؟؟؟ هل من جديد؟؟

أندريه: لا.. أنا بخير، كل شىء كما كان من قبل... لا يوجد جديد، هل شاهدت أى شىء من التسجيلات التى قد أرسلتها إليك؟؟؟

مريم : لا للأسف لم أشاهد أيًا منها بعد، وذلك كما تعلم بسبب سوء شبكة الإنترنت هنا فى هذه الأيام، ولكن لدى فكرة أخرى إذا لم تمنع، هل من الممكن أن تحدثنى أنت عن محتوى أحد هذه التسجيلات؟؟

وكان أحد هذه التسجيلات بعنوان: (حقيقة الكائن الذى ظهر للرسول محمد - صلى الله عليه وسلم) بالطبع لم يكن عنوان الفيديو يحتوى على كلمتى الرسول صلى الله عليه وسلم.. كتب الاسم فقط.. وذلك لأننى بالفعل كنت قد رأيت الصفحة ولكننى لم أتمكن من مشاهدتها.

أندريه : نعم بالفعل يمكننى ذلك وسيسرنى بالفعل أن أروى لك الملخص.. يتحدث هذا الفيديو عن حقيقة الكائن الذى ظهر للرسول - صلى الله عليه وسلم، وهو لم يكن ملاكًا من الله.. أنه شىء آخر..

وهنا ذهبت مريم لبرهة بعيدًا عن ذلك الحوار بذهنها لتقول بينها وبين نفسها : أستغفر الله العظيم.. ما هذا الكلام الغريب !!!..

مريم : أندريه ما هذا؟؟ من الذى قال هذا الكلام ؟ هذا بالطبع غير صحيح تمامًا..

أندريه: ولماذا تقولين أن هذا الكلام غير صحيح؟؟ فأنت لم ترى الملاك الذى نزل عليه، ولم يره أى إنسان أيضًا؟؟ وحده هو من رأى هذا الملاك؟؟ كيف تكونين متأكدة ولماذا صدقه الناس؟؟؟

مريم : الإيمان بالله ورسوله هى كلمة تحوى فى معناها ما يعادل الكثير من الكلمات، ولكننى لن أشرح معناها فسأكتفى فقط بسؤالك، كرجل مسيحي متدين بالطبع. لماذا تصدق بسيدنا عيسى عليه السلام والسيدة مريم.. هل رأيت الملاك وهو يتنزل عليه أو عليها؟؟ هل رأيت عين بشر ذلك غيرهم؟؟

أندريه: لا لم أر ولم ير أحد ولكن سيدنا عيسى عليه السلام كانت له معجزات كثيرة جعلت الناس تؤمن به، ولكن محمدًا عليه الصلاة والسلام ليس لديه أى معجزات.. ولكن على حد علمى أنك يا مريم كمسلمة مؤمنة بوجود المسيح عليه السلام.. أليس كذلك؟؟؟

مريم: مبدئيًا سيدنا محمد عليه السلام كانت لديه معجزات بالفعل، ثانيًا: أنا كفتاة مسلمة أو من بالطبع بوجود سيدنا عيسى عليه السلام وبالسيدة مريم وبالرسالة المسيحية العظيمة بالتأكيد، وليس معنى سؤالى لك عن مصدر إيمانك به هو أننى لا أو من به.. أنا فقط أحاورك بلغة المنطق وليس بلغة الدين لأنك مسيحي ولا تؤمن بما أو من به.

أندريه: نعم.. ولكن لماذا تواصلين الدفاع عنه وعن رسالته وأنت لم تتحققى منها بنفسك؟؟

مريم : بالطبع أوصل الدفاع عنه وسأواصل مدى الحياة فعل هذا، وأنا مع مبدأ أن الإنسان يجب أن يتوقف فى دينه ويتحقق منه بنفسه حتى يكون على تمام الإيمان بما هو عليه.. ولكن معنى كلمة التحقق له حدود أيضًا فى عالمنا وهو أن أتحقق من كتب ومراجع عن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم، أن أتفقه فى أمور دينى.. وما لا أفهمه أسأل عنه حتى أعرف الكثير عن دينى.. وقد فعلت ذلك ولا زلت أفعله حتى الآن لأننى وبكل صراحة لست على معرفة كاملة بأمر دينى، لا يزال أمامى الكثير لأدرسه وأتعلمه.. أما عن طريقته فى التحقق من الأمور فلكى أقوم بها يجب على أن أعود بالزمن للوراء مئات السنين حتى أقابل الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأطلب منه أن أرى الملاك مثلما رآه.. وهل هذا شىء منطقي من وجهة نظرك؟؟ هل هذا ممكن أو محتمل؟؟

أندريه: لا.. هذا ليس شيئًا ممكنًا بالطبع وليس هذا ما أعنيه، ولكن أنت متمسكة جدًا بهذا الدين على الرغم من عدم معرفتك الكاملة به.. لماذا؟؟

مريم : عدم معرفتى الكاملة لا تعنى عدم معرفتى تمامًا ولا تعنى عدم رغبتى فى المعرفة، ولكننى فقط ما زلت أتعلم، وأعتقد أنه لدى ما يكفى من الدلائل التى تجعلنى أثق فى دينى وفى رسولى - صلى الله عليه وسلم.

أندريه: نعم ولكن لماذا لم ير الناس الملاك مثلما رآه سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - آنذاك؟؟

مريم : يا الله !!! حسنًا تعال نفكر معًا بالمنطق؟؟ لو أراد الله أن يرسل ملاكًا لسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - مع إمكانية أن يراه الناس، إذا لماذا أرسل الله سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كرسول؟؟ ألم يكن الأحرى به أن يرسل ملاكًا للبشر مباشرة كرسول للناس بدلًا من سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم؟؟ إذا رآه الناس، إذا فما الحاجة من وجود بشر كرسول.. ستكون الرسالة موجهة من الله إلى البشر أجمع مباشرة؟؟

أندريه: وما المانع فى احتمالية إرسال ملاك للبشر كرسول..؟؟ ماذا كان سوف يحدث إذا أرسل الله ملاكًا مباشرة للبشر برأيك؟؟

مريم : حسنًا.. سوف أوضح لك الفكرة عن كذب.. نحن بالطبع متفقان على فكرة وجود إله واحد يحكم البشر أجمع وهو المسئول عن جميع الرسائل السماوية بدءًا من الكتاب العبرى وصولًا إلى الإسلامى...!!

أندريه : نعم بالطبع.. متفقان على ذلك.

مريم : وبالتأكيد متفقان على فكرة أن الله قد خلق جميع الناس أحرارًا، وأعطاهم العقل وحرية الاختيار فى كل شىء.. وأن الله القادر على كل شىء كان ولا يزال بالطبع قادرًا على إجبار الناس على عبادته وسلبهم حريتهم الشخصية فى تقرير مصيرهم فى الدنيا. مثلما فعل مع الحيوانات، فالحيوانات بلا عقل وتعبد الله دائمًا.. كان من الممكن أن يجعلنا الله كذلك ولكنه لم يفعل. لذلك خلق الجنة والنار لكى يجزى بهم الناس بعد الوفاة. فمن اختار الطريق الصحيح يدخل الجنة ومن لم يفعل يدخل النار. أليس كذلك.. !!

أندريه: نعم بالطبع.. أكملى من فضلك لكى أتمكن من الوصول إلى فحوى وجهة نظرك..

مريم : حسنًا.. لو كان الله قد أرسل ملاكًا إلى البشر كرسول، فى ذلك الزمن البعيد الذى كانت تُعبد فيه الأصنام التى لا تتفعل ولا تضر.. كان سيعد هذا الملاك دليلًا قاطعًا وواضحًا ومرئيًا جدًا على وجود الله. فكان من الطبيعى فى ذلك الوقت أن كل هؤلاء الأشخاص سوف يؤمنون بوجود الذات الإلهية على الفور. أليس كذلك؟؟

أندريه: نعم بالتأكيد.. وهذا هو الأصح..

مريم : لا.. هذا هو ليس الأصح من إرسال رسول من البشر.. لأن فى ذلك تعارضًا مع فكرة الإرادة الحرة للبشر.. وفكرة الإيمان نفسها.. فمثلًا.. أنت رجل مسيحي متدين ومؤمن بوجود الله

بالرغم من أنك لم تره من قبل. وشعورك تجاه الله الذى يدفعك للصلاة والدعاء كلما واجهتك مشكلة. هو تأكيدك التام من أن الله هناك وهو من يستجيب الدعوات ويرفع الظلم عن الناس
أليس كذلك...!!

أندريه : نعم أنا مؤمن بوجود الله وهذه ليست أول مرة أخبرك فيها بتلك المعلومة.

مريم : أعرف.. أنا أسأل فقط بصيغة التأكيد على حقيقة وليس بغرض معرفة معلومة.. ولكن دعنا لا نخرج عن صلب الموضوع. فجل ما أود أن أوضحه أن الله عندما أعطى الإنسان الإرادة الحرة والحق فى الاختيار، كان ذلك ليقرر الإنسان مصيره.. ولو كان الله قد أنزل ملاكًا للبشر فسيكون ذلك بمثابة نوع من أنواع سلبهم تلك الإرادة. بل أنزل الله الإسلام إلى رسول من البشر موجه للبشر، لأن الرسول إلى أى قوم يجب أن يكون منهم، وهذا أيضًا يتعارض مع فكرة إرسال ملاك للبشر. فلو كان البشر ملائكة لجاؤهم رسول منهم . ولكن الله قد أرسل رسولاً من البشر وترك كل منهم لكى يؤمن بما يريد أو لا يؤمن تمامًا، وفى النهاية يعود كل إنسان فى الآخرة إلى الله ليقرر ماذا يفعل بكل إنسان.. هل فهمت ???

أندريه : مهلاً.. هل تقولين أن الله قد أرسل بشرًا كأنبيا إلى البشر لكى يميز بين الخبيث منهم والطيب.. هل تشككين فى قدرة الله على معرفة الخبيث من الطيب من البشر الذى هو بنفسه قد خلقهم...??

مريم : لا.. بالطبع لا.. أستغفر الله العظيم.. إن الله بالتأكيد يعرف كل شىء عن كل شىء.. يعرف مستقبل الإنسان وكل خطوات حياته حتى قبل أن يولد ولكن الفكرة هنا، هى أنه ما الفائدة من خلق الجنة والنار، إذا لم يكن الله قد أعطى البشر الحرية الكاملة فى الاختيار.. ففكرة الثواب والعقاب تتنافى وفكرة إجبار البشر أجمع على فعل الخير أو سلوك نفس الطريق.. هل فهمت...??

أندريه : نعم.. ولكن فى الدين المسيحى كانت معجزة نبي الله عيسى، هى إحياء الموتى وشفاء المرضى. وهذه معجزات واضحة وصريحة جدًا مقارنة بما جاء به رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم.. ومع ذلك فأنا لا أعتقد أبدًا فى فكرة أن الله بهذه الطريقة قد يسلب حرية الاختيار من شخص ما..

مريم : لا بالطبع لا.. ولكن طبيعة الشعوب التى أنزلت إليها الرسالات السماوية تختلف فيما بينها. والله هو الأعلم بذلك..

أندريه : مهلاً.. لا أفهم حقاً..

مريم : على سبيل المثال إذا كان لديك ابنتان .. إحداها عنيدة جداً ومنتردة، والأخرى مطيعة.. وأنت تريد إقناعهما بالذهاب للمدرسة. وعندما تخبرهما بذلك، سوف تستجيب المطيعة على الفور بالطبع ولكن الأخرى سوف تتمرد وترفض معلة ذلك برفضها تلقي الأوامر من أى إنسان.. لذلك سيتطلب تعاملك مع الطفلتين طريقة مختلفة من الحوار.. فالحوار مع المطيعة يختلف تماماً عن الحوار مع العنيدة.. فالعنيدة دائماً تريد حواراً مطولاً وشاقاً كي تقوم بأى شىء.. وما أحاول الوصول إليه من ذلك الحوار هو أن طبيعة الشعوب التى أرسلت إليها الرسائل الثلاث مختلفة، لذلك طريقة الإقناع والتعامل التى استخدمها الأنبياء الثلاثة مختلفة.. هل اقتنعت الآن؟؟

أندريه: تقريباً.. بدأت أستوضح الفكرة الآن .

مريم : مما يقودنا معاً إلى سؤال أهم من هذا وهو، إذا فكرت فى احتمالية إرسال الله ملاكاً للبشر بدلاً من نبي من البشر، فلماذا بالأحرى لم تطرح نفس السؤال على نفسك أولاً!! مثل لماذا أرسل الله سيدنا عيسى عليه السلام وهو بشر إلى المسيحيين.. لماذا لم يرسل ملاكاً إليهم أيضاً.. !!!

* وهنا صمت أندريه لبرهة.. !!

مريم : أعرف الإجابة عن هذا السؤال مسبقاً.. وهو لأنك مؤمن متأكد من الدين المسيحى، فليس هناك من سبب يدفعك للتشكك فى دينك.. وهو ما يجعل منى أنا أيضاً مؤمنة متأكدة من الدين الإسلامى ومن وجود الله وليس هناك أى إنسان أو أى شىء على وجه الأرض يدفعنى للتخلى عن هذا الدين.

أندريه : حسناً.. وما الذى يجعلك متأكدة تمام التأكد من أن هذا الكائن هو ملاك بالفعل..؟؟

مريم : أندريه هذه ليست المرة الأولى التى تطرح علىّ فيها نفس السؤال؟؟ ومن الواضح أنك لا تعرف حقيقة أن البشر العاديين يختلفون عن الرسل والأنبياء.. فالرسل والأنبياء هم صفوة البشر وأحسنهم خلقاً، هم أناس معصومون من الخطأ ونحن غير ذلك.. فمن الطبيعى أن نتخذهم قدوة ومثالاً أعلى ولكن ليس من الطبيعى أن نطالب بالمساواة بهم.. فنحن لسنا مثلهم حتى نطالب بالمساواة، وهذه القاعدة تنطبق ليس فقط على محمد.. وإنما على محمد وعيسى وموسى وكل نبي أيضاً.. هذا بالإضافة إلى أن القرآن الكريم هو معجزة لغوية بحد ذاتها قد كتبت، بأسلوب

إلهى لا يقوى بشر على كتابة ما يعادله ولا حتى محاكاته.. فكيف من الممكن ألا يكون هذا الملاك ملاكاً وليس مرسلًا من الله..؟؟

أندريه: نعم أعرف أننا لسنا سواسية مع الرسل والأنبياء.. ولكن أنا لا أؤمن بمحمد، فأنا أصدق بوجود موسى وعيسى ولا أؤمن بأى نبي من بعد عيسى أبدًا، ولذلك أنا غير مقتنع بأن هذا ملاك مرسل من عند الله للرسول محمد - صلى الله عليه وسلم.

مريم : إذاً فماذا يكون إذا لم يكن ملاكاً.. مع العلم أنك بهذه الكلمات تكذب حقيقة وجود رسول آمن به ملايين من البشر عبر التاريخ وهزت رسالته قلوب البشر..

أندريه : لدى فكرة أخرى.. إذا كان كلامك حقًا صحيحًا وهذا القرآن لم يكتب بأيدي بشر، فمن الممكن أن يكون هذا الكائن هو جنى أو شيطان والرسول - صلى الله عليه وسلم - قد اختلط عليه الأمر...

مريم : حسنًا.. بالطبع هذا الكلام خاطئ وليس به أى نوع من أنواع الصحة ولكننى سأتركك الآن وسوف نستكمل هذا الحديث لاحقًا.. حيث إن هناك الكثير لأقوله ولا أملك ما يكفينى من فصاحة اللسان..

أندريه: نعم بالطبع ولكننى لا أريد أن أسمع منك كلامًا مشتقًا من كتب، أنا أريد أن أعرف رأيك الشخصى.. وأعتقد أن باستطاعتك أن تقوليهِ الآن فأنت تتحدثين الروسية بسرعة وببراعة..

مريم : لقد أخبرتك من قبل أننى لا أنقل لك كلامًا من كتب سوى ما تعلق منها بالتفسير والسنة والقرآن، وهى مجالات تخص علماء كبارًا لا يمكننى الوصول إلى نفس مستوى علمهم الآن، ولكن أريد أن ألفت نظرك إلى أنه حتى رأى الشخصى بحاجة إلى ترجمة فى بعض الأحيان. فأنا لا زلت أتعلم وهناك الكثير من المفردات والكلمات التى لا أعرفها بعد. وهذه اللغة التى تظن أننى بارعة فيها ما هى إلا كلام أقرأه من على الورق، وهذا الكلام كالعادة مترجم مسبقًا، وهذه ليست أول مرة أخبرك فيها بهذا.. فأنت تعرف بالفعل..

أندريه: نعم أنا أوافق سوف أنتظر منك الرد، مع العلم بأننى لست مقتنعًا بما قلته..

مريم : أعرف أنك لست مقتنعًا بهذا الكلام ولذلك أنا بحاجة إلى الوقت لترجمة رأيى المقنع إن شاء الله، كى أتمكن من إقناعك لأن مثل هذا الموضوع الخطير لا ينبغى أن يمر مرور الكرام على أذاننا..

* ثم اتفقا على أن يلتقيا فى اليوم التالى فى نفس الموعد الذى يلتقيان فيه كل يوم، ولكن مريم كانت تعتقد أن ما حدثها به أندريه فى ذلك اليوم هو أخطر ما حدثها به من قبل، ليس ذلك فحسب ولكنه يعد من أخطر ما سمعته من محاولات لتثويبه وتلويث الدعوة الإسلامية.. وقررت أن ترد عليه مستخدمة لغة المنطق كى تتحاور معه حوارًا من عقل إلى آخر، لا من دين إلى دين، فكل منهما له ديانتة التى يؤمن بها. وكانت مريم تعرف أنها لا تستطيع أن تدحض وجهة نظره من خلال إثباتات قرآنية وإنما يجب أن تفعلها باستخدام لغة المنطق والحوار وبالفعل فعلتها. فقد ظلت طوال الليل تعمل على ترجمة ذلك الرد الوافى الكافى الشارح لكل شىء.. تمامًا مثل المحامى الذى يستعد للدفاع عن متهم فى قضية خطيرة، ولكن الفرق أن فى قضية مريم لا يجوز أن يتهم ولا يجوز أن تتغاضى عن فكرة الدفاع عنه. حتى لو لم تنجح فى إقناعه بأى شىء فيكفيها شرف المحاولة.

فى اليوم التالى كان النقاش والجدل بينهما تمامًا كالاتى :

مريم : مرحبًا أندريه.. مساء الخير.. كيف حالك؟؟

أندريه : مرحبًا مريم. مساء الخير..أنا بخير وأنتِ ؟

مريم : أنا بخير.. وأنا على استعداد تام كى أقرأ لك ما أعددته من ترجمة..

أندريه : حسنًا.. وأنا كلى آذان صاغية..

مريم : سوف أتحدث معك الآن أندريه بلغة المنطق والحوار العقلى، بغض النظر عن اختلاف ديانتينا.. لقد وضعت فى المرة السابقة احتمالية أن يكون من ظهر للرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الغار ليس ملاكًا وإنما شيطان أو جنى..

دعنا الآن نتحدث عن طبيعة الجن والشياطين..

أولًا : الشياطين هى كائنات تكره الإنسان، ويوجد بينها وبينه صراع منذ بداية الخلق.. فهدف البقاء للشياطين هو إيذاء الإنسان وجعله ينحرف عن مساره والتسبب فى إدخاله النار..

ثانيًا : الجن، وهم من تتشابه حياتهم بحياة الإنسان حيث إن الجن ينقسم إلى أنواع ولكل منهم دينه، فمنهم من يخاف الله ويخشى عقابه ومنهم من يعصاه ولا يؤمن به ومنهم من لديه نفس رغبة الشيطان ألا وهى انحراف الإنسان عن مسار الخير وإدخاله النار....

فلنفترض أن كلامك صحيح.. لو كان الملاك الذى ظهر للرسول - صلى الله عليه وسلم - فى الغار هو شيطان، فكيف يعقل أن يحاول شيطان أن يرسل رسالة سلام ومحبة للناس، كيف يعقل أن يحاول شيطان أن يجعل الناس أتقياء يخافون الله ويحثهم على مساعدة الفقراء والطيبة وعدم السرقة والأمانة والشرف.. وغيرها من القيم الحسنة التى رسخها الدين الإسلامى فى النفس المسلمة.. إن هذا بالطبع يتنافى مع طبيعة الشياطين وطبيعة الصراع الذى بينهم وبين الإنسان منذ قديم الأزل وبداية الخليقة..

أما عن الافتراض الآخر وهو احتمالية أن يكون هذا الكائن جنياً : فإذا كان هذا الجنى من النوع الذى يعصى الله ويتمنى هلاك الإنسان، سيبقى هنا نفس السؤال الذى قد طرحناه من قبل حول الشياطين.. إن هدف الرسالة الإسلامية يتنافى وهدف هذا النوع..

أما النوع الآخر الذى يخشى الله وعقابه : كيف بالأحرى له أن يفعل ذلك وهو يخاف عقاب الله، هل سينتحل شخصية ملاك مرسل من الله سبحانه وتعالى..؟؟ هل سيقوى على ذلك.. بالإضافة إلى حقيقة أن القرآن الكريم أتى بالعديد من الآيات التى فيها تنبؤ عن أحداث سوف تقع فى المستقبل. والمستقبل هو شىء لا يعلمه فى الأرض ولا السماء سوى الله.. إذا فكيف سيعرف شيطان أو جنى أو حتى ملاك شيئاً عن المستقبل إلا إذا أتاه الله بهذه المعرفة وأذن له بها؟؟ ولماذا يخبر شيطان أو جنى بما يؤكد رسالة من سبقوه من رسل وأنبياء مثل سيدنا عيسى عليه السلام، وسيدنا موسى عليه السلام وتلك الرسالات التى قد سبقت الإسلام..؟؟ لو كان حقاً من كتب ذلك الكتاب العظيم هو جنى أو شيطان، لكان بالتأكيد نفى وجود أى دين من قبله.. ولكن على العكس فقد أكد على تلك الرسالات وهذا يعنى أنه كتاب من الله سبحانه وتعالى حقاً..

هل لديك أى أسئلة؟؟؟ الآن؟؟

أندريه : لا.. أكملى حديثك...

مريم : بالحديث عن معجزة الرسول - صلى الله عليه وسلم.. فقد كان القرآن الكريم هو المعجزة والرسالة فى آن واحد، ليكون هو بذلك المعجزة الوحيدة التى لم تقن ولم تنته بموت النبى الحامل لها. فالقرآن الكريم هو معجزة لغوية بحد ذاتها لا يستطيع إنسان أن يكتب مثل هذا الكلام ولا أن يأتى بمثله...

أندريه: عذراً ولكن على حد علمى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يقرأ أو يكتب.. فكيف له أن يأتى بمثل هذا الكتاب..

مريم : ها أنت بنفسك قد قلتها وهذا يعتبر جزءًا لا يتجزأ من المعجزة السماوية، فقد كان قوم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - أبلغ الناس وأقدرهم على كتابة الشعر والتفنن في الحديث باللغة العربية والعلوم البلاغية وغيرها من البراعة في فنون اللغة. ولذلك كانت المعجزة هي في أن يأتي سيدنا محمد بهذا الكلام المقدس رغم عدم قدرته على الكتابة أو القراءة مثلهم.. وأن يتحداهم في أن يأتوا بمثل هذا الكلام، وهذا بالفعل ما حدث آنذاك فلم يستطيع أى منهم أن يأتي بمثله.. ولو حتى بحرف مما فيه.

أندريه : ولكن ألم يكن باستطاعته تأليف هذا الكلام؟؟

مريم : بالطبع لا.. لم يكن باستطاعته ولنتحدث منطقيًا، كيف لم يستطع من هم على معرفة بالقراءة والكتابة آنذاك كتابة مثله بينما سيستطيع هو؟؟؟

أندريه : نعم ولكن أليس من الممكن أن يكون ما ظهر له إما جنياً أو شيطاناً؟؟

مريم : يا إلهي أندريه ألم أفند لك هذه الكذبة منذ قليل.. أنت لم تفهمنى أم ماذا؟؟

أندريه : حسناً.. لماذا لم ير بقية الناس هذا الملاك مثلما رآه هو؟؟؟ إذا كان هو فعلاً ملاكاً من الله لماذا لم يره بقية الناس في ذلك الوقت لكي يصدقوا؟؟

مريم : مبدئيًا سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - كان يسمى في قومه آنذاك بالصادق الأمين الذى لا يكذب أبدًا ولا يخون العهد الذى قد ائتمن عليه.. أبدًا أبدًا.. لذلك فقد تولى مقاليد بعض القوافل التجارية آنذاك، فقد كان أكثر شخص مؤتمن في قومه لما عرف عنه من صدق اللسان والشرف. وعندما جاء بالدعوة الإسلامية آمن بها الكثير وصدقوه لهذا السبب..

* أما عن سؤال لماذا لم ير بقية الناس الملاك مثله.. فهناك حقيقة يجب أن تعلمها أن الله يرسل إلى كل قوم رسولاً منهم، يتحدث بلغتهم ويفهم طبيعتهم مجتمعهم وتكون معجزته في نفس المجال الذى برع فيه هؤلاء القوم، فمعنى كلمة معجزة هو أن تأتي بشيء يفوق قدرتى في نفس مجال براعتى . مثل سيدنا موسى عليه السلام.. فقد برع قومه في استخدام السحر، ولذلك كانت معجزته هي السحر الذى بهر السحرة وجعلهم يخرون ساجدين في نفس اللحظة وأمنوا بالله الواحد الأحد..

* أما سيدنا عيسى عليه السلام فقد برع قومه في استخدام الطب، لذلك كانت معجزته تقتضى التفوق عليهم وهى أنه امتلك القدرة على شفاء الناس وإحياء الموتى بإذن الله.

* وكذلك سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، قد ولد في قوم برعوا في فنون اللغة العربية، لذلك كانت معجزته هي معجزة لغوية وهي القرآن الكريم، وبالفعل لم يستطع أفقه فقهاء عصره أن يأتي بمثل هذا الكلام السماوي الخالص..

إذن فلو نظرت في حياة كل رسول فستجد أن كل رسول قد نزل على قومه الذي هو منهم، فلا يصلح أن يُرسل رسول مصرى إلى روسيا والعكس، لأنه في هذه الحالة لن يعرف كيف يتعامل معهم..

أندريه : لا هذا ليس صحيحًا ولكن سيدنا عيسى عليه السلام كان يسافر كثيرًا لنشر الدعوة المسيحية ونجح بالفعل في ذلك..

مريم : نعم ولكن الدعوة المسيحية قد بدأت في موطنه هو مسقط رأسه حيث ولد وحيث ينتمي..
أليس كذلك؟؟

أندريه : نعم.. هذا صحيح..

مريم : نعود الآن مرة أخرى إلى نقطة لماذا لم ير بقية الناس الملاك، وأقول لك لو أراد الله للناس أن يروا الملاك مثل الرسول - صلى الله عليه وسلم، إذا فما الفائدة من إرسال رسول بشرى يهديهم.. لكان أرسل ملاكًا، وهذا لا يصلح حيث لو كان الناس في حال ملائمة لاستقبال ذلك لأرسل الله لهم رسولا من الملائكة، ولكن الناس بشر لذلك وجب إرسال رسول بشرى منهم.. هذا بالإضافة إلى أن مصطلح إنسان مؤمن، هو مصطلح يطلق على من يؤمن بالله ورسوله وملائكته حتى دون أن يراهم، ولو فكرت بمثل هذه الطريقة في كل شيء، ألا وهي أنك لا تؤمن سوى بما تراه عينك فإنك في هذه الحالة سوف تتحول إلى إنسان لا يؤمن بالله تمامًا لأنك لا تراه.. أليس كذلك؟؟؟

أندريه : مريم.. لقد أخبرتك مرارًا وتكرارًا أنني مسيحي متدين.

مريم : إذا فكيف تكون مؤمنًا لهذه الدرجة بما لا تراه عينك؟؟ فأنت لم تر الملاك الذي أنزل على السيدة مريم العذراء؟؟ لماذا أنت مؤمن؟؟

أندريه : مؤمن بسبب المعجزة التي حدثت ألا وهي أن سيدنا عيسى عليه السلام تحدث وهو في المهده رضيعًا..

مريم : نعم هذا صحيح وأنا مؤمنة به مثلك تمامًا . ولكنك لم تره وهو يتحدث، أنت لم تكن هناك كيف لك أن تتأكد؟؟

أندريه: هناك الكثير من الناس ممن رأوه وهو يتحدث..

مريم : كيف تعرف أنهم لم يكذبوا بهذا الشأن؟

أندريه : لا يكذبون لأنهم كانوا كثيرين..

مريم : نعم أعرف وأعتذر عن تحدثي معك بهذا الأسلوب المشكك، أنا أيضًا فتاة مؤمنة وعلى يقين تام بمعجزات سيدنا عيسى عليه السلام وأحترمه كثيرًا، ولكنني فقط أردت أن أثبت لك وجهة نظري وهي أنه لا يصح أن نتساوى مع الأنبياء وأن نشكك في أشياء مثل هذه لأنه لو عملنا بتلك القاعدة التي نتحدث بها وتستخدمها فلن نكون مؤمنين أبدًا.. هذا بالإضافة إلى أنه في ديني يجب على كل مسلم أن يحترم أخاه من أي دين آخر، حتى لو لم يكن هذا الإنسان مؤمنًا بوجود الله سبحانه وتعالى، فنحن ليس لدينا الحق بالسخرية أو التشكيك بعقائد الآخرين.. فكما قلت لك من قبل العقيدة الدينية في الدين الإسلامي هي حرية شخصية تمامًا.. وقد كفلها الإسلام أيضًا حيث إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنفسه قد أمن أهل الكتاب على أنفسهم وأموالهم وبيوتهم وأولادهم ولم يضطهد أيًا منهم بسبب دينه. هل فهمت ما أرمى إليه من أفكار؟؟

أندريه: نعم..

مريم : وهنا يبقى السؤال المنطقي الأهم.. كل أحداث الرسالة النبوية أو أغلبها قد وصل إلينا من خلال القرآن الكريم.. ولو كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس رسولًا . لو كان قد كذب لا سمح الله بشأن رسالته وكتب القرآن بنفسه وهذا بالطبع ليس صحيحًا، إذًا فلماذا سوف يكتب مثل هذه الأحداث التي قد يستخدمها البعض في إدانته أو مهاجمته بأى شيء فيما بعد، أو لو كان الأمر كذلك يستحق النقد فعلاً.. لماذا لم ينتقده أبناء عصره...!!!.. إذا فعل ذلك لا سمح الله وكتب القرآن أعتقد أنه كان سيكتبه (أستغفر الله العظيم) بما يحلو له وبما يجعل صورته حسنة، أليس كذلك...؟؟؟

أندريه : نعم هذا سؤال محير وإجابته تحتاج للتفكير..

مريم : هذا ليس بسؤال محير أبداً بل على العكس، الإجابة واضحة وسهلة ألا وهو أن القرآن الكريم كتاب سماوى خالص كتب بيد الله ولم يكتبه بشر لذلك هو بهذه الطريقة.. هل فهمت.. لم يكتب القرآن بشر ولا شيطان ولا جنى ولا حتى ملاك، إنما هو الله الواحد الأحد هو من كتبه..

أندريه : نعم ولكن إذا كان فعلاً كتاباً من عند الله فلماذا الطلاق مسموح فى الدين الإسلامى وهو حرام فى الدين المسيحى ؟؟ الله واحد مرسل الرسالات جميعها فعلاً وهذه حقيقة لا أختلف معك فيها.. ولكن لماذا يحرم الله الطلاق فى دين ويسمح به فى آخر ؟؟ إن الله واحد وكلماته لا تتغير فى كل الأديان؟؟

مريم : وها نحن نتحدث فى موضوع جديد بلا سابق إنذار وقد غلبنى التعب الآن، ولكن تعال نتحدث عن هذا الموضوع فى المرة القادمة حيث إن الرد على هذا الموضوع أيضاً منطقى وبسيط وأنا أعرفه جيداً وبتلخص فى فكرة بسيطة ولكنها لا تتطرق إلى ذهن الكثير من الناس فقط لا غير، وسوف أطرحها عليك فى المرة القادمة، كما يجب أن أكون مستعدة لغويًا..

* وكانت المهلة المتفق عليها فى هذا اليوم بينهما هى يومان، بالرغم من أن يوماً واحداً فقط كان كافياً لترجمة ما تريد أن تقوله، ولكن الحقيقة أن هذه المناقشات الجادة والمستمرة بلا انقطاع بينهما قد أرهقت مريم بعض الشيء، هذا بالإضافة إلى أن مريم كانت تجلس بالساعات الطويلة بلا انقطاع كى تترجم هذا الكلام، مما جعل فى الأمر مشقة أكبر بالنسبة إليها. فقررت أن تحصل على يوم للراحة ويوم للترجمة...

* وكانت قد اعتادت على أن تروى لأخيها الصغير محمد البالغ من العمر ١٤ عاماً عن حواراتها معاً، وعن هذه النقاشات وكان دائماً ما يسألها نفس السؤال بعد كل رواية.. كيف تصبرين على هذا الرجل واتهاماته من دون رد الإساءة إليه بالضعف ؟؟ كيف تتحملين كل هذا وتتحملين هذه النقاشات الطويلة ؟ أنا لو كنت مكانك لما تحملت كل هذا ولكنك رددت إليه هذه الإساءة بما لا يمكن أن يتحملة هو، حتى لا يتحدث بهذا الأسلوب عن دينى بعد ذلك...

وقد كان محمد أخوها صغير السن وقليل الخبرة وضيق الأفق ويتعامل مع كل شىء من منطلق أعصابه وكرامته، وهذا ليس غريباً بالنسبة لطبيعة المرحلة العمرية التى يمر بها.. ولكن مريم كانت دائماً ما ترد عليه هكذا. إن الدين الإسلامى دين يسر وليس دين عسر كما أن رد الإساءة بالإساءة والخطأ بخطأ أكبر منه لا يمكن أن يغير أى شىء للأفضل، بل للأسوأ دائماً. وأنا فى تعاملاتى معه أعتبر نفسى سفيرة للدين الإسلامى، إذا أسأت له فى شىء سوف أكون عاملاً من عوامل تشويه صورة دينى أمامه بل وأمام مجتمع بأكمله.. لأن حواراتنا لا تمثل حوارات بين

فردين فقط، وإنما هي حوارات بين ثقافتين ومجتمعين ودولتين.. وكل منا سفير لدينه. وبما أن الدين الإسلامى دين معاملة، ودين أخلاق فى الأول والآخر، فأخلاق المسلم لا يصح أن تكون هكذا أبدًا.. يجب أن يكون المسلم واسع الصدر، ومتسامحًا.. هذا بالإضافة إلى أن أسلوبى معه يرغمه على احترامى والاعتذار لى كلما تجاوز الحدود..

ثم استكملت قائلة : هل فهمت الآن لماذا أصبر على ما يقوله.. هل فهمت أن الغضب والانفعال والتعصب لا يحسن الأمور كثيرًا. ولكنه فقط يزيدنا سوءًا كما أنه ليس من عوامل التحضر واحترام الرأى والرأى الآخر.

ومر اليومان والتقيا فى الموعد المتفق عليه.. وكان الحوار كالاتى :-

أندريه : مرحبًا مريم ! كيف حالك؟

مريم : أنا بخير والحمدلله وأنت؟؟

أندريه : أنا بخير..

مريم : هل أنت جاهز للاستماع إلى ردى على سؤالك السابق أم لا؟؟

أندريه : نعم بالطبع.

مريم : ولا أريد أن أذكرك أنك إن لم تفهم شيئًا من ترجمتى، أوقفنى للشرح والاستفهام...

أندريه: نعم.. بالطبع سأفعل.. تفضلى..

مريم : فى المرة السابقة سألتنى لماذا حلل الدين الإسلامى الطلاق بالرغم من تحريمه فى الديانة المسيحية، وكيف هذا والله واحد أحد..

أندريه : نعم وأيضًا، لأن الدين المسيحى قدس العلاقة الزوجية واعتبر أن الرجل والمرأة بعد الزواج يصبحان شخصًا واحدًا وروحًا واحدة فى جسدين.. هكذا قدس الدين المسيحى هذه العلاقة، وحرّم الطلاق مهما حدث..

* ثم أرسل أندريه إلى مريم فقرة من الكتاب المقدس الإنجيل تتحدث عن تحريم الطلاق حيث يقول الكتاب المقدس بهذا الصدد "فقال آدم: هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى. هذه

تدعى امرأة لأنها من امرئ أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً" (تكوين ٢: ٢٣-٢٤)

أندريه : ففي الدين المسيحي كما أخبرتك عندما يرتبط الرجل والمرأة برباط الزواج المقدس يصبحان جسداً واحداً والعهد الجديد يضيف لهذه "الوحدة" التالي، "إذاً ليسا بعد اثنين بل جسداً واحداً. فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان" (متى ١٩: ٦).

مريم : نعم والدين الإسلامى أيضاً قدس العلاقة الزوجية جداً، واحترمها كثيراً.. وقد اشتمل فى تعاليمه على قوانين وإرشادات الحفاظ على العلاقة الزوجية والحياة الأسرية السعيدة. ولكن هنا الفرق فى أن الدين الإسلامى دين شامل وكامل، وسع جميع حالات البشر وجميع أنواعهم، ولم ينزل لفئة معينة أو لطائفة بعينها.. فأنت تتحدث هنا عن نوع من الزواج قائم على الحب والترابط بين الزوجين، وهذان الزوجان بشر، والبشر يخطئون.. فلا يوجد إنسان كامل..

* ماذا يحدث فى حالة أن الدين الإسلامى حرم الطلاق، ثم حدث أن امرأة تزوجت من رجل ظنت أنها تحبه، وهو كان يتظاهر بأنه شخص جيد قبل الزواج، وبعد أن تزوجها اكتشفت حقيقته.. ماذا يحدث.. كيف تتعد عنه فى هذه الحالة.. كيف ستقوم بتصحيح هذا الخطأ؟؟

أندريه : تسامحه، فى ديننا التسامح هو أهم شىء، تسامحه حتى النهاية..

مريم : وحقيقة التسامح اللانهائى والحب غير المشروط حقيقة قد تشتمل على قصور وعدم تفهم لطبيعة البشر المختلفة المتباينة، فالتسامح يأتى من القلب، وقلوب الناس لا تتشابه فيما بينها. فإذا كان هناك من يستطيع أن يتسامح بتلك الطريقة ويحب بتلك الطريقة فبالتأكيد هناك الكثيرون ممن لا يستطيعون فعل ذلك. وماذا لو لم تستطع أن تسامحه ؟ ماذا لو تحول هذا الحب بعد الزواج إلى كراهية وعداء حتى أصبحت الحياة بينهما مستحيلة إذاً فما العمل؟؟

ماذا يحدث لو خان أحد الطرفين الآخر، والآخر فقد القدرة على مسامحته؟؟؟ ماذا يحدث لو كان هذا الزواج من نوعية زواج المصالح، وبعد أن انقضت هذه المصالح لم يعد بهم حاجة إلى تكملة الحياة معاً؟؟ هناك ألف ماذا وماذا إذا بحثنا فى هذا الصدد، فنوعية المشكلات التى قد تحدث بين الزوجين غير محدودة ولا يمكن حصرها ولكنى فقط أقوم بإعطاء أمثلة على ذلك.

أندريه: التسامح التسامح التسامح، هكذا هو الدين المسيحي قائم على التسامح..

مريم : مع احترامي لدينك وعقيدتك أندريه ولكن هذا التسامح الزائد عن الحد، ليس من سمات كل البشر.. بل أنه ينتمى فى مسماه الحقيقى بالصفة الإلهية التى لا يمتلكها البشر بصورة كاملة .. فليس كل الناس تستطيع أن تسامح وتغفر خطيئة كبيرة مثل الخيانة.. أنا مثلاً كفتاة مسلمة لو تزوجت من رجل واكتشفت أنه كذب علىّ وخاننى سوف أطلب الطلاق على الفور لأننى لن أستطيع الحياة مع شخص، سأنظر كل يوم إلى وجهه لأتذكر خيانتة.. فالسماح فى هذا الشأن خارج عن طاقتى.. هل فهمت؟؟ الدين الإسلامى لا يحمل النفس البشرية ما يفوق طاقتها.. فنحن لسنا بملائكة كى نسامح بلا نهاية. فالله أعطى الناس الإرادة الحرة ونزل العبادات والطاعات ومنها التسامح، فمن يستطيع سيجازيه الله بالخير، ومن لا يستطيع سوف يعطيه الله ما يستحقه والله هو خير حاكم.

أندريه: نعم لقد فهمتك، ولكن الطلاق يظل خطيئة..

مريم : إن أبغض الحلال عند الله الطلاق، ولكنه شىء لا بد من وجوده.. فدعنا لا ننسى وجود طائفة معينة من الرجال والنساء ممن يحبون الخوض فى علاقات كثيرة، والدين الإسلامى حرم العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج، فإذا كان الزواج فى الإسلام رابطاً أبدياً لا رجوع عنه.. إذاً فهو شىء أيضاً خارج عن طاقة البشر.. لأنه فى هذه الحالة سوف يكون الإسلام بنفسه هو من دفع الناس لكى تقيم علاقات محرمة فيما بينهم.. كما أن كل إنسان قبل أن يتزوج سوف يحاول بكل ما أوتى من قوة ألا يخطئ الاختيار، ولا يوجد إنسان لا يخطئ هل فهمت وجهة النظر الإسلامية فى ذلك، وهذا طبعاً مع كامل احترامى للدين المسيحى والمسيحيين حول الأرض، ولك دينك ولى دينى، ولكن هذا هو الدين الذى ولدت عليه وسأموت عليه إن شاء الله..

أندريه : إذاً فلماذا حرم الله الطلاق فى الدين المسيحى واليهودى وحله فى الدين الإسلامى..؟؟ أليس الله واحداً، إذاً فكلمته لا بد أن تكون واحدة فى جميع الديانات.. أم ماذا؟؟

مريم : إذاً الله أرسل رسالته السماوية على أجزاء وليس على جزء واحد.. أول رسالة كانت التوراة.. والثانية كانت الإنجيل.. والثالثة كانت القرآن.. تعال نفكر معاً. لماذا يرسل الله ثلاث رسائل إذا كان محتوى الثلاث رسائل واحداً تماماً، ولا يوجد بينهم أدنى اختلاف، وأدنى إضافات؟؟؟

أندريه : لا أعرف حقاً.. إن هذا السؤال لأول مرة يتطرق إلى ذهنى.. حقاً أنه شىء لا أعرف له إجابة..

مريم : حسنًا.. سوف أوضح لك الفكرة عن كُتب.. إن الله قد أرسل رسالته إلى البشرية على أجزاء ولم تنزل كاملة مرة واحدة.. فكان أول كتاب يحمل جزءًا وتنقصه أشياء، وثاني كتاب نفس الشيء يحمل جزءًا وتنقصه أشياء، والثالث وهو القرآن الكريم والذي جاء على يد خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وسلم، جاء بالرسالة من الله كاملة وكان هو الدين الشامل الكامل خاتم الرسالات، القرآن هو الكتاب الذي احتوى على كل ما يتعلق بحياة البشر على جميع أشكالهم وألوانهم، فهو كتاب يحمل قانونًا سماويًا يصلح لكل العصور ولكل حالات البشر. لذلك نزلت الرسالة السماوية على أجزاء وكتب ومراحل ولذلك الثلاثة كتب تختلف عن بعضها البعض.. لأنه وبالمنطق لو أراد الله أن تحتوى جميع الكتب السماوية على نفس الشيء فلماذا إذاً تنزل الرسالة على ثلاثة كتب.. أعتقد أنه لو أراد الله ذلك لأرسل نبيًا واحدًا بكتاب واحد للبشرية أجمع.. هل فهمت..

أندريه: لا زلت لا أستطيع أن أستوعب الفكرة..

مريم : حسنًا.. الفكرة من البداية تكمن في أن الله أرسل رسالته إلى البشرية على أجزاء، أول جزء في التوراة، ثم استكملت في الجزء الثاني وهو الإنجيل، وكان تنقصه أشياء، لذا أنزلت الرسالة كاملة مرة أخرى في الرسالة الثالثة والشاملة والأخيرة، والتي نعتقد نحن المسلمين أنها محفوظة منذ أنزلت وحتى يوم القيامة ولم يتغير فيها حرف، وهو بالطبع القرآن.. هل وصلت الفكرة الآن ؟؟

أندريه : نعم لقد فهمت ما ترمين إليه ولكنني لا زلت على حيرة من أمرى بعض الشيء، ففي ديني نحن نعرف جيدًا أن آخر أنبياء الله هو عيسى بن مريم " عليه السلام " .

مريم : أندريه من فضلك أجبني على هذا السؤال المنطقي، لماذا أرسل الله ثلاثة كتب لو أراد أن يكونوا جميعهم يتحدثون بنفس الشيء ؟؟

أندريه : لا أعرف حقًا.. أنه شيء محير جدًا.. ولكن في ديني ورد أن سيدنا عيسى عليه السلام هو آخر أنبياء الله إلى الأرض..

مريم : وفي ديني ورد أن سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو آخر أنبياء الله في الأرض.. بل وورد أيضًا أن سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا موسى عليه السلام قد عرفا بالفعل بقدم نبي اسمه محمد من بعدهم.. وتحدثت صحف التوراة الأصلية عن قوم محمد - صلى الله عليه وسلم - أيضًا.. وورد أيضًا في ديني قول سيدنا عيسى عليه السلام لقومه، سوف يأتي من بعدى نبي اسمه أحمد فاتبعوه..

أندريه : هكذا ورد فى دينى ولذلك أنا لا أومن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ولا رسالته..

مريم : وهكذا ورد فى دينى، ولك دينك ولى دينى واختلاف الرأى لا يفسد للود قضية، وهذه آراء شخصية وحرية تعبير..

أندريه : نعم أتفق معك فى هذا فاختلاف الآراء لا يعنى بالضرورة أننا لسنا أصدقاء. أليس كذلك ؟

مريم : نعم بالتأكيد.. من أهم سمات التحضر عدم التعصب عند اختلاف الآراء..

أندريه : مريم.. وماذا يحدث لو تطلقت امرأة من زوجها وتزوجت بآخر ثم طلقت منه وأرادت أن تعود إلى زوجها الأول.. هل يستطيع رجل فى الدين الإسلامى أن يتزوج زوجته مرة أخرى بعد أن تزوجت من رجل آخر؟؟

مريم : نعم بالطبع يستطيع.. لأنه فى هذه الحالة تكون الزوجة قد أقامت مع زوجها الآخر علاقة شرعية تحت ظل الزواج الشرعى. فلا يمكن أن يعتبرها الإسلام فى هذه الحالة نوعاً من أنواع الرجس لذلك من المستحل أن يرد الرجل لنفسه زوجته حتى وإن تزوجت وتطلقت من رجل غيره .

أندريه : هذا منطقى ..

مريم : نعم بالطبع فكما أخبرتك من قبل، أن أى شىء فُرض فى الدين الإسلامى قد فرض لسبب منطقى وبغرض مصلحة الجميع.

أندريه : ولكن يا مريم إذا كان القرآن فعلاً هو كلمات من الله سبحانه وتعالى، إذا كان فعلاً كلمات سماوية. إذاً فلماذا يجد الكثير من الناس صعوبة بالغة فى اتباعه وتقبله.. وقد يستغرقهم ذلك فترة زمنية طويلة ؟ مثلى أنا مثلاً فأنا مؤمن بوجود الله ولكننى غير مؤمن بمحمد ولا بكتاب القرآن.. ورغم كل ما تقولينه أنا لا أعتقد أن القرآن كتاب سماوى حقاً أو دين يمكن لإنسان سوى وطبيعى أن يتبعه ويؤمن به..

مريم : أندريه .. أنت بالطبع تعلم عن اختلاف طبقات البشر ، فبين البشر تجد عامل النظافة و الطبيب والاستاذ الجامعي ..

أندريه : نعم .. بالتأكيد.

مريم : حسناً .. ماذا يحدث لو دخل الأستاذ الجامعي في نقاش حول موضوع مهم مثل (الإجهاض على سبيل المثال) هل تعتقد انه سوف يكون من السهل أن يفهم عامل النظافة الغير متعلم وجهة نظر الأستاذ الجامعي !!..

أندريه : لا بالطبع سوف تكون هناك صعوبة ... بسبب اختلاف ثقافتيهما..

مريم : حسناً هذا كان حال رجلين من طبقات مختلفة من البشر ، ماذا تعتقد بالنسبة لكلمات منزلة من عند الله سبحانه وتعالى .. الإله الذي خلق البشر على اختلافهم وخلق كل شيء آخر .. هل تعتقد أن اسلوبه في الكتابة سوف يكون مثل أسلوب سائر البشر ...؟؟

أندريه : لقد أوضحت وجهة نظرك .. شكراً ..

مريم : عفواً أندريه .. ولكن أود أن اخبرك أيضاً أن الشيوخ والطلاب من دارسى اللغة العربية والشريعة أقدر من غيرهم على فهم وتفسير هذا القرآن الكريم .. ونحن نستمع إليهم ونلجأ إليهم في الفهم .. لذلك فإن القرآن الكريم ليس بمعضلة لغوية يستحيل فهمها تماماً هل فهمت ..

أندريه : نعم فهمت .. ولكن يا مريم لو القرآن حقاً هو دين الله، إذًا فلماذا لا يتبع الجميع حقاً هذا الدين..؟؟

مريم : يا أندريه أنت رجل مؤمن بالله.. أليس كذلك..!!

أندريه : نعم بالطبع..

مريم : إذًا فأنت متأكد أن الله يمكنه أن يفعل كل ما يريد.. !!

أندريه : نعم بالتأكيد.. إن الله يستطيع أن يفعل ما يشاء..

مريم : إذًا.. فلو أراد الله لكل البشر من كل أنحاء العالم أن يؤمنوا بالدين الإسلامى ويتبعوا القرآن.. ويتوقفوا عن شرب الخمر وارتكاب المعاصى من وجهة نظر الإسلام.. لفعلها.. أليس كذلك..

أندريه : أنا مؤمن بالفعل بأن الله قادر على كل شيء..

مريم : فلو أراد الله للناس جميعاً أن يؤمنوا بكتاب واحد لجعلهم مؤمنين بحظة، ولكن الله خلق الحياة ومنح البشر عقولاً وحرية اختيار وقدرة على التمييز بين ما هو صواب وما هو خاطئ.. حتى جعل الدنيا كمرحلة اختبار لأفعال الإنسان الذى إما ينتقل إلى الجنة بعد الوفاة، أو ينتقل إلى النار حتى يُعاقب على أفعاله... فلو أجبر الله الناس على اتباع الإسلام لانتهدت مرحلة الاختبار وهى الحياة وانتقل الجميع إلى الجنة.. وهذه هى الحكمة من حرية الاختيار وقدرة البعض على الاقتناع والاتباع، والآخرون لا.. هل فهمت..

أندريه : نعم لقد فهمت..

مريم : حسناً أندريه.. قبل أن أذهب اليوم هل من أفكار جديدة للمرة المقبلة؟؟ أو أى أسئلة؟؟

أندريه: نعم بالتأكيد يوجد المزيد ولكن الآن للأسف لا يتطرق إلى ذهنى أى أسئلة..

مريم : حسناً.. فلنجعل المرة القادمة مناقشة حرة فى أى شىء...

أندريه : نعم... إلى اللقاء...

مريم : إلى اللقاء...

* وفى هذه المرة كانت مريم مرتاحة البال نوعاً ما لأنها لن تضطر إلى مواجهة أى مناقشات حادة ومرهقة هذه المرة.. وكان الحوار ممتعاً نوعاً ما حيث كان كالاتى..

أندريه : مرحباً مريم.. كيف حالك..؟

مريم : أنا بخير وأنت ؟

أندريه : أنا أيضاً بخير..

٨ ثم استمر الحديث بعد ذلك لمدة ساعة تم فيها تبادل الأسئلة حول اللغتين العربية والروسية.. وعندما انتهيا من تبادل الأسئلة كان الحوار بينهما كالاتى..

أندريه : وما هى الكتب المفضلة عندك..؟؟

مريم : كتبى المفضلة هى كتب الشعر والتاريخ..

أندريه: وأنا أيضًا أحب نفس الكتب، وما هم الكتاب المفضلون تحديدًا..

مريم : فى الشعر العربى المفضلون لدى هما الشاعر السورى الشهير .. (نزار قبانى)، وهو يكتب قصائد رومانسية رائعة. أما الآخر فهو (صلاح جاهين) وتعد رباعياته من أروع ما كتب..

أندريه: وماذا تعنى رباعيات فى الشعر العربى ؟؟

مريم : رباعيات هى نوع من أنواع الشعر العربى الذى تتطلب كتابته مهارة كبيرة من الشاعر، حيث أنه يكتب على أربعة أبيات متوازية فى القافية ويجب أن تحتوى هذه الأبيات على معنى رائع.. ولقد نجح صلاح جاهين فى فعل ذلك بمنتهى البراعة.

أندريه : هذا رائع..

مريم : كنت سأعرض عليك أن أترجم لك البعض منها، ولكنى لا أعتقد أنك حتى مع الترجمة ستفهم.. لأن أغلبها قد كتب باللغة العامية المصرية..

أندريه: شكرًا لك على هذا العرض ولكن ما دام فى الأمر صعوبة، فلا يهم..

مريم : لو لديك اهتمام بالأشعار الرومانسية من الممكن أن أنقل لك قصيدة للشاعر نزار قبانى.. فهو يكتب باللغة العربية الفصحى الرائعة..

أندريه : حقًا.. أود ذلك.. شكرًا لك على هذه المساعدة الرائعة..

مريم : أخبرنى عن شعرائك المفضلين من روسيا..

أندريه : فى حقيقة الأمر لا يهمنى كثيرًا الشعر الرومانسى، وليس لدى شاعر مفضل بعينه.. فأنا أختار من الشعر ما يعجبني معناه وما أشعر بأن محتواه وكلماته قد لامست قلبي ومشاعري.. وهناك قصيدة رائعة تسمى (جورافلى) والتي تعنى بالعربية الغرائيق وهو نوع من أنواع الطيور.. للشاعر (راسول جامزاتاف) يمكننى أن أرسلها لك لتقرئها، وإذا هنالك أى شيء لا تفهمينه يمكننى أن أساعدك...

مريم : شكرًا جزيلاً لك أندريه سوف أفعل بالفعل، ولكن لا داعى لأن ترسلها إلى فيمكننى أن أحصل عليها من خلال موقع البحث عبر شبكة الإنترنت.

أندريه: حسناً كما تريدون ولكن لا تترددى فى سؤالى عن شىء إذا لم تفهمى..

مريم : سوف أقرأها وأسألك.. شكراً لك..

أندريه : ولكن هل قرأت أى شىء لكتاب روسيين من قبل، أو هل لديك أى كاتب أو شاعر روسى مفضل..؟؟

مريم : نعم لقد قرأت للكثيرين منهم بل ودرستهم أيضاً على مدار أعوام دراستى فى الجامعة، ولكننى كنت أتعرف عليهم فى محيط دراسى بحت.. ولم أكن أقرأهم بسبب حبى لهذه التحف الأدبية لذلك لا أذكر أى شىء لهم..

أندريه: نعم أنت محقة أحياناً عندما يدرس الإنسان شيئاً، بدون أى دافع حب للشىء قد ينسى ما درس بسرعة البرق..

مريم : هذا صحيح، ولكن هناك مشكلة أخرى ألا وهى ندرة الحصول على كتب باللغة الروسية فى مصر.. فإذا أردت أن تحصل على كتاب، إذاً فعليك أن تقوم بعمل نسخة من الكتاب الأصلى من مكتبة الجامعة.. فهناك مثلاً القاموس الروسى الروسى. وهو القاموس الأكثر ندرة فى مصر، فلقد بحثت عنه أنا وأصدقائى كثيراً ولكن بلا فائدة حتى أننى أذكر ذات مرة أن أحد البائعين عندما سألناه عن هذا القاموس قال لنا.. إذا أردتموه إذاً فلتذهبوا وتشتروه من روسيا بأنفسكم فهو غير موجود فى مصر.. ولذلك كانت دائماً تحدث مشاكل بين الطلبة فى المكتبة حول هذا الكتاب فهو دائماً محجوز.. حتى أننا أطلقنا عليه القاموس المشكلة..

أندريه : نعم أتفهم هذه المشكلة، ولكن يمكنك دائماً طباعة ما تريدون من كتب من على شبكة الإنترنت...

مريم : بالطبع أنت محق وهذا ما أفعله فى هذه الأيام ولكننى لا أطبع كتباً بالكامل، فقط مقالات بعينها.. حتى لا تكون الموضوعات طويلة جداً بطريقة تجعلنى أشعر بالملل وأنا أترجمها وأنقلها..

أندريه : هذا جيد وإذا أردت أن تسألى فى أى شىء، فأنا فى الخدمة..

مريم : شكراً أندريه.. شكراً جزيلاً..

أندريه: ولكن مريم، من هو مثلك الأعلى فى الحياة؟؟ أعتقد أنه يجب أن يكون لكل إنسان مثل أعلى خاصة إذا كان هذا الإنسان ناجحًا.. فلا بد من وجود مثل أعلى دائمًا. هل لديك مثل أعلى أم لا..؟؟

مريم : نعم يوجد مثل أعلى، فى الواقع هما اثنان.. أحدهما داخل العائلة والآخر من خارجها بالطبع.. عن أى منهم تود أن تعرف..؟؟

أندريه: الاثنان من فضلك.

مريم : حسناً.. من داخل العائلة هناك مثلى الأعلى الأول وهى والدتى رحمها الله.. فقد درست اللغة الإنجليزية فى كلية الآداب جامعة دمشق.. وكانت امرأة مثقفة متدينة . ذات علاقة وثيقة بالله.. كانت تصلى بانتظام وتقرأ القرآن كما كانت أيضاً تعتنى بنا حق العناية. فلم تكن يوماً من هؤلاء النساء اللاتى ينجبن أبناءهن ويتركنهم لآخرين للعناية بهم.. كما أنها كانت مثقفة جداً وكثيرة القراءة، فكانت دائماً تحرص على اقتناء وقراءة كتب كثيرة باللغة الإنجليزية والعربية، وسافرت للعديد من دول العالم مثل لندن وباريس والسعودية والأردن. كما أننى لا زلت أذكر حتى الآن قصة الحب العظيمة التى جمعت بينها وبين أبى.. فلا يمكننى أن أنسى تلك الخطابات الرائعة التى كانت ترسلها إليه أثناء سفره فى الخارج وكان هو بدوره يحتفظ بها كذكرى.. فوحده الله يعلم كم كانت امرأة رحيمة القلب طيبة ومحبة لكل الناس. وكم أردت وتمنيت أن أصبح مثلها، أو أن أشبهها ولو حتى فى أى شىء بسيط.

* وهنا صمت أندريه لبرهة ثم واصل الحديث وكانت تبدو فى صوته ابتسامة هادئة جميلة...

أندريه : أتمنى أن تتعم والدتك بالجنة وتحيا مع الأخيار..

مريم : شكراً جزيلاً أندريه..

أندريه: وماذا عن مثلك الأعلى الآخر من خارج العائلة..؟؟

مريم : مثلى الأعلى من الجانب الدينى هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - أشرف البشر.. الذى تعلمنا منه كل شىء، والذى يملك أفضل الخلق.. أما مثلى الأعلى فى الوقت الراهن من خارج العائلة فهو العالم المصرى الكبير الدكتور أحمد زويل الحاصل على جائزة نوبل فى الكيمياء. ليصبح بذلك أول عالم مصرى وعربى يحصل على جائزة نوبل فى الكيمياء.

أندريه : حقًا. أنه شيء رائع أن يحظى العالم أجمع بمثل هؤلاء العلماء. ولكنني لم أسمع به من قبل هنا في روسيا.

مريم : اعتقدت أن العلماء مشهورون في العالم أجمع وليس فقط في وطنهم الأم.

أندريه : هم بالفعل كذلك ولكنني لست مهتمًا بمجال الكيمياء والعلوم لكي أتابع مثل تلك الأخبار. ولم أكن أعتقد تمامًا أنك من المهتمين بالكيمياء والعلوم أبدًا.

مريم : لا.. لقد أسأت فهمي. أنا لست مهتمة بالكيمياء ولم أكن يومًا مهتمة بأى فرع من فروع العلوم الطبيعية مثل الكيمياء أو الفيزياء أو غيرها. أنا فقط مهتمة بسيرة حياة ذلك الرجل العظيم. فهو حقًا شخص ملهم بكل ما تعنيه الكلمة.. فلو نظرنا إلى قصة حياته نظرة شاملة لوجدنا أنه صعد السلم من أسفله إلى أعلاه، وهذا في حد ذاته يعتبر قمة النجاح. فالنجاح من وجهة نظري ليس هو الشيء الذى نحصل عليه بدون جهد من خلال الآخرين، ولكن النجاح هو الذى يأتى بعد مشقة وتعب. وها هو أثبت أنه لا يوجد شيء مستحيل، فنحن كنا نعيش فى بلد من السهل جدًا أن تحطم أحلام أى إنسان، وتجعله يتخلى عن أحلامه ويستسلم للواقع، ولكن وحده الشخص الشجاع المؤمن لا يستسلم لليأس أبدًا. وهذا ما أستخلصه دائمًا من مشاهدة المؤتمرات والندوات التى يقدمها ذلك الرجل فى العديد من الأماكن سواء فى مصر أو فى الخارج. فهو دائمًا يشعرنى بالأمل والتفاؤل، وأن هناك دائمًا فرصة متساوية لكل إنسان أن ينجح فى تحقيق أحلامه بغض النظر عن عدم حبه أو إعجابى بالكيمياء..

أندريه: أه.. نعم فهمتك..

مريم : ولكن أنت أخبرنى من هى أو هو الشخص الذى يمثل مثلك الأعلى؟؟

أندريه : مثلى الأعلى سيدتان.. السيدة الأولى وهى مريم العذراء بالطبع التى يعرفها العالم أجمع.. أنا أحبها جدًا، وأخطو على نهج المسيحية الخالصة لذلك أعتقد أنها هى ويسوع معًا مثلى الأعلى من الجانب الدينى. أما مثلى الأعلى الآخر فهى المذيعة الأمريكية المشهورة أوبرا وينفرى. وغالبًا أنا أفتدى بها لنفس الأسباب التى ذكرتها منذ قليل عن اقتدائك بعالم الكيمياء المشهور فى بلدك. فهى امرأة نقشت بيدها على الصخر حروف كلمة النجاح من النور. تعجبني عزيمتها فى الوقت الذى كانت براثن التفرفة العنصرية لا تزال تترك آثارها فى عقول المجتمع الأمريكى، ولكن بنجاحها ذلك أثبتت أن لا شيء مستحيل ولا يمكن أن يتم التفريق بين شخص وآخر بناءً على لون بشرته فقط....

مريم : نعم أعرف أنت محق، فأنا أيضاً أحترم النجاح والناجحين وخاصة هؤلاء من بدأوا مشوار نجاحهم من الصفر إلى أرقى وأعلى المراتب إطلاقاً سواء فى العلم أو الإعلام أو أى مجال شريف.. هل تعرف أن والدى أيضاً يعتبر من هؤلاء..

أندريه : حقاً!!!! كيف هل أنت من أسرة غنية؟؟

ضحكت مريم ثم قالت : لا.. بالطبع أنا لست من أسرة غنية، ولكننى من أسرة متوسطة الحال كأناس كثر فى مصر، ولكن ما أتحدث عنه هو أن والدى وإخوته كانوا من أسرة فقيرة، فقد توفى جدى فى الوقت الذى كان فيه أبى وإخوته فى عمر صغير. فكان أبى وهو طفل يعمل ليعول أسرته وإخوته وفى نفس الوقت يتعلم.. واستمر فى ذلك حتى تخرج من الجامعة. وسافر للعمل بضع سنوات فى السعودية ثم تزوج من أمى بعدها وعاد إلى مصر لبناء عمل مستقل هنا فى مصر.

أندريه : من الواضح أن لوالدك روحاً مثابرة عظيمة..

مريم : نعم بالتأكيد هو كذلك، وأحياناً أعتقد أننى ورثتها عنه. ولأنه أيضاً كان يعمل بكد وفقه الله..

أندريه: مريم.. من فضلك أريد أن أذهب الآن، هناك بعض الأشياء التى أريد أن أهتم بها..

مريم : لا مشكلة فى ذلك، ولكن قبل أن ننهى المكالمة اليوم، ألا يوجد أى أسئلة فى ذهنك متعلقة بالدين الإسلامى أو الثقافة الشرقية.. للحديث عنها فى المرة المقبلة لا أكثر.

أندريه: نعم فى الحقيقة يوجد وكنت أنتوى الحديث عنها فى أول المكالمة ولكننى فقط نسيت.. أريد أن أسألك لماذا جميع المسلمين إرهابيون؟؟

مريم : أندريه، لا يصلح أبداً أن نعمم قاعدة على مجتمع بأكمله ونصفه بصفة واحدة فقط.. فالبشر قد خلقوا مختلفين فى الأشكال والألوان والشخصيات والمعادن.. هكذا هى الطبيعة البشرية، إذًا فكيف نستطيع أن نفعل ذلك مع حاملى ديانة بأكملها، وليست أى ديانة.. إنها الإسلام.. هل لديك أى فكرة عن عدد حاملى الديانة الإسلامية فى العالم..؟؟ ليس فقط فى البلدان العربية ولكن فى جميع أنحاء العالم..

أندريه : أعلم أنهم كثيرون ولكن لماذا هم إرهابيون.. فهناك بن لادن وتنظيم القاعدة وحزب الله....

مريم: حسناً، سوف نتحدث في هذا لاحقاً وليس الآن.. ولكن هل لديك أى أسئلة أخرى حتى أستعد..

أندريه: نعم يوجد.. لماذا أنتِ مسلمة...؟؟؟

مريم : لماذا أنا مسلمة !!! أنه أغرب سؤال قد سمعته فى حياتى ولكننى سوف أجيبك فى المرة المقبلة فهناك الكثير من المفردات الجديدة التى يجب أن أمتلكها كى أخبرك عن هذا...

أندريه: نعم إلى اللقاء..

مريم : إلى اللقاء...

* وفى المرة التى تليها كانت قد ترجمت له ما تريد أن يعرفه تماماً، وقد حفظت أيضاً تلك الكلمات عن ظهر قلب.. حتى لا يخونها لسانها فى التعبير أثناء الحديث معه..

وكان الحوار بينهما كالاتى :-

مريم : مرحباً أندريه، كيف حالك؟؟

أندريه : مرحباً مريم.. أنا بخير وأنتِ؟؟

مريم : أنا بخير.. هل أنت مستعد الآن لفتح النقاش فى مسألة الدين الإسلامى والإرهاب...؟؟

أندريه: نعم بالطبع أنا مستعد.. ولكن أنتِ هى من يجب أن أسألها عن ذلك.. هل أنتِ مستعدة لغويًا...؟؟؟

مريم : نعم بالطبع كذلك.. أنت فى المرة السابقة اتهمت المسلمين جميعاً بأنهم إرهابيون.. لماذا؟؟

أندريه: نعم جميع المسلمين إرهابيون، لأنهم هم من يقومون بعمليات تفجير إرهابية حول العالم.. هنا فى روسيا وفى أمريكا، وهم بأنفسهم من يعترفون بذلك.. فلديك على سبيل المثال.. جماعة أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة، أو حزب الله فى لبنان.. والجماعات المسلحة التى تقطن فى غزة

فى فلسطين.. هل نسيت التفجيرات التى حدثت فى الفترة الأخيرة فى أحد المطارات الروسية بسبب الإرهاب الإسلامى؟؟ أم نسيت احداث ١١ سبتمبر التى راح فيها آلاف الضحايا الأبرياء..

مريم : نعم أعرف كل هذا وأعرف ما ترمى إليه أيضًا.. ولكن مبدئيًا هناك العديد من المتطرفين، الذين يقومون بعمليات القتل والتفجير تلك مقابل المال. وهم فقط يستترون وراء الإسلام.. حتى يقوموا بتشويه صورة الدين الإسلامى وجنى المال فى آن واحد وهم بالفعل لهم مصالح من خلف ذلك..

أندريه: كيف لك أن تقولي هذا.. هم يعتبرون أن من يقوم بتنفيذ عملية إرهابية هو شهيد ويقاىل فى سبيل الله.. ويستخدمون فى عملياتهم كلمات من القرآن الكريم تنطبق فى محتواها على الموقف وتحلل القتل.

مريم : طبيعة القرآن الكريم.. هو أن هناك العديد من الآيات التى لا يمكن أن تحصل على معناها كاملاً من الآية نفسها منفردًا.. ولكن يجب أن نقرأ السورة كاملة أو عدة آيات حتى تفهمها.. والدين الإسلامى له أعداء كثيرون حول العالم، كما أننى لا أنكر أن يكون منهم من هو مسلم ويفعل ذلك من نفسه ولكنه فقط لا يفهم دينه حق الفهم.. لقد أخبرتك بالفعل أن هناك الكثير من المسلمين ممن هم مسلمون على الورق فقط، ولا تربطهم بدينهم أى معرفة سوى هذه.. فلو ظهر من هؤلاء إرهابى يقتل باسم الإسلام، فهو بالتأكيد إنسان مضلل لغيره ويسعى لتشويه صورة الإسلام. هذا بالإضافة إلى أنه لا يمكنك تعميم حقيقة واحدة على كافة المجتمع الإسلامى، لا يمكن أن تقول أن جميع المسلمين إرهابيون.. البشر يختلفون ولا يوجد تشابه.. بينهم فى كل شىء أبدًا حتى الإخوة التوأم يختلفون عن بعضهم فما بالك بشعب بأكمله أو بالأحرى عدة شعوب تحمل نفس الدين..

أندريه : أعلم أن هناك مسلمين طيبين ولا يمكنهم أن يقتلوا أى أحد.. وأنا أيضًا لا أدين المسلمين الإرهابيين فى أى شىء، أنا أدين الإسلام نفسه، أنا أدين القرآن نفسه.. فهو من أعطاهم سببًا للقتل بين صفحاته (أستغفر الله العظيم)

مريم : لا بالطبع أنا لا أتفق معك فى هذا.. فلو أتيتك أنا على سبيل المثال بكتاب.. يحتوى على فكرة معينة.. وهدف معين وشرحت لك هذه الفكرة مرارًا وتكرارًا.. ثم ذهبت عنك وأنت لا زلت لا تفهم الفكرة، وأصبحت تتعامل مع الكتاب ومفهومه بطريقة خاطئة، بل وتشرحه للآخرين

بطريقة خاطئة.. إذًا فهي غلطة من منا.. أنا التي شرحت الكتاب عدة مرات، أم أنت الذى لم تستطع أن تستوعب الفكرة وتفهم ما يرمى إليه الكتاب..؟؟

أندريه: نعم ولكن هذا ذنب الإسلام..

مريم : وأى ذنب للإسلام فى أن هناك طائفة من الناس لم تفهمه جيدًا؟؟ أى ذنب هذا؟؟ لقد قلت من قبل أن الله قد خلق الناس جميعًا أحرارًا؟؟ ولم يجبر أحدًا على فعل شيء بالقوة.. تمامًا فالقرآن كتاب سماوى قد نزل إلى الناس.. من فهمه منهم وعمل به فهو له، ومن لم يفعل فهو له أيضًا.. هل تعتقد أن الله قد يجعل الناس تفهم الكتاب وتعمل به بالقوة..؟؟؟

أندريه : لا أعتقد ولكن لماذا لا تحدث توعية ضد الإرهاب فى العالم الإسلامى..؟؟ لماذا لا يدافع المسلمون عن أنفسهم؟؟؟

مريم : من قال أنه لا توجد هناك توعية ودفاع من جهة المسلمين.. فنحن نقوم بحملات إعلانية عبر شاشات الفضائيات العربية من أجل الدفاع عن اسم الإسلام وتبرئته من تهمة الإرهاب.. وهذه الحملة تسمى (الإرهاب.. أنا مسلم، أنا ضده)

* ثم أرسلت له تسجيلات مصورة من هذه الإعلانات..

أندريه : هذا جيد، ولكن لماذا لم يظهر شيخ فى روسيا أو أى أحد حول العالم من رؤساء الدول العربية.. أو من شيوخ الأزهر للاعتذار بعد كل أزمة..

مريم : من الواضح أنك لا تتابع الأخبار جيدًا.. لأن هناك دائمًا اعتذارات وتعازٍ تقدم من قبل كل رؤساء الدول وليس العربية فقط للدولة التى تعرضت لأى حادث..

أندريه : نعم ولكن لماذا لم يظهر كبير شيوخ روسيا لكى يعتذر؟؟؟ أليس من اللائق به أن يفعل..

مريم : من الواضح أننى وشيخ روسيا شخصان مختلفان.. ولا أعرف لماذا لم يفعل لأننى لست هو.. ولست حتى شيخًا من شيوخ الأزهر المصرى..

أندريه : ولكن لماذا لا يوجد رد فعل جماهيرى متعاطف من ضحايا العمليات الإرهابية..

مريم: لا أفهم تمامًا ما تقصد إليه؟؟

أندريه : أى أنه تتوجه مظاهرات فى مصر والعالم العربى تمامًا كالتى حدثت فى التحرير، من شيوخ الأزهر والمسلمين لكى تعارض الإرهاب..

مريم : مبدئيًا يا أندريه مصر والعالم العربى كما هو واضح غارقان فى المشكلات حتى آخرهم.. فلا يوجد من لديه وقت لكى يتوجه فى مظاهرة ضد الإرهاب.. كما أن الأوضاع قبل الثورة كانت مختلفة، فلقد كانت فئة الشباب فقط هى التى تقوم بعمل مظاهرات ولقد كانوا جميعهم يتعرضون للضرب المبرح بسبب ذلك بل ودخول المعتقل بلا رجعة.. لذا فأعتقد أنه من المنطقى جدًا أنه لو قام أحد بمظاهرة هنا فى مصر أو أى بلد عربى سوف يفعلها لأجل محاربة الفساد أولاً وعندما نفرغ من محاربة الفساد سوف نتجه بالتأكيد إلى تبرئة سمعتنا.. أليس كذلك فالأهم يأتى دائماً قبل المهم..

أندريه : نعم ولكننى أعتقد أن قضية محاربة الإرهاب ليست بلا أهمية..

مريم : وأنا أيضاً.. ولكن نحن نواجه مشكلات أكبر منها فى الوقت الراهن..

أندريه: لقد شاهدت فيلمًا عن الإرهاب كان يتحدث فيه بطل الفيلم عن كيفية تنفيذه لتلك العمليات هو وأصدقائه وكيف أنه مقاتل باسم الله.. وأنه يعد ذلك شرفًا عظيمًا..

مريم : مبدئيًا، أنت تحصل على معلوماتك من مصادر خاطئة.. فما هو هذا الفيلم.. أى إنسان من الممكن أن ينتج فيلمًا، وينشره بسهولة عبر العالم.. ولكن هل تأكدت من مصداقية صانع الفيلم أولاً؟؟ هل تأكدت من أنه لا توجد لديه أى أهداف شخصية تجعله يرغب فى تشويه صورة الدين الإسلامى..؟؟

أندريه : ولماذا لا أصدقه؟؟ وما الذى قد يدفع أى إنسان لذلك؟؟

مريم : نعم هناك الكثير من أعداء الإسلام حول العالم.. وممن لديهم مصالح مادية فى ذلك، وهناك الكثير ممن يكرهون الرسول - صلى الله عليه وسلم - أيضًا.. إذا أردت الاستماع لشيء فعليك الاستماع للطرفين أو على الأقل إلى شخص واحد محايد.

أندريه: وأنا ألومه فى أن هناك الكثير ممن يكرهونه.. هذا ذنبه وهذا خطأه..

مريم : من فضلك تحدث ببعض الاحترام عن نبي أحبته أمم عبر التاريخ، وتبعته أمم، وصدقته أمم.. وبالرغم من ذلك فأنت قد تركت كل هؤلاء وتحدثت عن الأقليات..

أندريه : ومن قال لك أنهم أقليات..

مريم : بالطبع أقليات.. لأن عدد المسلمين كبير جدًا لدرجة أنه لا يمكن حصره. وأنت لماذا لا يمكن أن تفهم فكرة أن قلوب البشر لا تجتمع أبدًا بصفة كاملة على شيء.. فاليهود بالتأكيد لا يحبون سيدنا عيسى عليه السلام.. هل هذا ذنبه...؟؟؟ وهل ذنب سيدنا عيسى على السلام أننى على سبيل المثال لا أتبع الديانة المسيحية.؟؟؟

أنت مثلاً.. هناك بعض الناس ممن يحبونك والبعض الآخر ممن يكرهونك.. هل هذا ذنبك.. وهل كل من يعرفك يحبك...؟؟؟ بالتأكيد لا.. وهذا شيء لا يحدث.

أندريه: نعم أنا أتفق معك..

مريم : إذا فالشيء الخارق للطبيعة حقًا والذي يستوجب الوقوف عنده هو كيف أحبت كل هذه الأمم هذا النبي فى وجوده واستمرت فى حبه بعد مرور كل هذا الزمن.؟؟؟

أندريه : ذلك لأنهم يؤمنون برسالته ولأنهم مسلمون..

مريم : تمامًا أنت محق ومن لا يحبه، قد يكون غير مؤمن بوجوده، أو له مصالح شخصية أو سياسية فى تشويه صورته..

أندريه : نعم ولكن أنتِ مسلمة وتحبين سيدنا عيسى عليه السلام وتؤمنين به أيضًا، ولا تهاجمينه..

مريم : هذا صحيح، وذلك لأن الإيمان به وحبه واحترامه هو جزء من عقيدتى التى أوجبت على كل مسلم احترام وحب والإيمان بجميع من سبقوا من الرسل والأنبياء...

أندريه: نعم ولكن لماذا جميع الإرهابيين حول العالم مسلمون فقط ؟؟ لماذا لا يوجد آخرون ؟؟

مريم : أولاً من أين لك أن تتأكد كل هذا التأكيد أن هؤلاء الإرهابيين جميعهم مسلمون.. هل كنت معهم أثناء التخطيط لهذه العمليات الإرهابية؟؟

أندريه : لا بالطبع لم أكن معهم أثناء التخطيط للعمليات الإرهابية ولكن هذا واضح فهناك الإرهابيون المسلمون الذين يعترفون بأنفسهم وبكل فخر بما فعلوه من سفك دماء وقتل أبرياء لا ذنب لهم فى سبيل الله..

مریم : إذا فأنت الآن تقوم بتعميم قاعدة على مجتمع بأكمله وهذا لا يصلح ولو فعلت مثلك لاتهمت روسيا بالكامل بالإرهاب.. أيضاً وللقبت روسيا بأنها بلد عصابات أليس كذلك.. فعلى حد علمي أنه يوجد في روسيا مستوى جريمة عالٍ.. ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن كل الشعب الروسى مجرم وكل الشعب الروسى محتال وقائل ولس...

أندريه : هذا صحيح ولكن المجرمين فى روسيا لا يرتكبون الجرائم تحت اسم الدين المسيحى ولا يستطيعون فعل ذلك لأن الدين المسيحى لم يعطهم الفرصة لذلك مثلما فعل الدين الإسلامى..

مریم : وهذا لا ينفى عنهم إمكانية ارتكاب جرائم بشعة، كما أننى قد حدثتكم من قبل أنه لا ذنب للدين الإسلامى فى أن هناك عددًا من الناس لم يفهموه ويستغلونه لأهداف أخرى..

أندريه : ولكن ألم يعلم سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - بذلك عندما أتى بتلك الآيات.. ألم يعلم المستقبل!!!!.. لماذا أتى بتلك الآيات إذا كان قد عرف بأنه سوف يأتى من بعده قوم يستخدمونها فى الإساءة إلى دين الإسلام..

مریم : إن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ما هو إلا رسول من البشر.. لا يعلم من المستقبل سوى ما سمح الله له بأن يعلم.. وبالتأكيد أن الله قد علم المستقبل وعلم ما سوف يحدث عندما يأتى المستقبل.. ولكن الله قد خلق الناس وخلق لهم الخير والشر وأعطاهم الحرية لكى يختاروا ما يريدون حتى يحاسبهم بعد ذلك بما اقترفت أيديهم وأنفسهم..

أندريه : حسنًا.. ويبقى السؤال لماذا جميع الإرهابيين مسلمون؟؟ أو لماذا يتخذ هؤلاء الإرهابيون على حد قولك الإسلام كشعار لهم؟؟

مریم : مبدئيًا ليس كل الإرهابيين مسلمين بل يوجد الكثير من جنسيات وديانات أخرى.. هذا بالإضافة إلى أن سبب اتخاذهم للدين الإسلامى كشعار لهم هو نوع من أنواع محاولات تشويه صورة الإسلام لصالح جهات شخصية وسياسية.. أما عن اتهامك الدين الإسلامى نفسه بالإرهاب وبأنه هو من سمح لهؤلاء باتخاذهم شعارًا.. إذا فما هو قولك عن الحملات الصليبية على بلاد الشام.. عندما أتى أمراء أوروبا المسيحيون رافعين الصليب على جميع أعلامهم لاحتلال القدس لما فيها من خيرات، ادعاءً منهم بأنهم قد أتوا لأجل تحرير القدس وكنائسها من الحكم الإسلامى، وأخفوا نواياهم الحقيقية تحت أعلام الديانة المسيحية.

أندريه : لا أعرف بهذا الشأن..

مريم : لا تعرف بهذا الشأن !!! ولا تعرف أيضًا أن يوم دخول الحملات الصليبية للقدس يعد من أشهر المذابح التي عرفها التاريخ، حيث وصف المؤرخون آنذاك مشهد شوارع المدينة بأنها كانت عبارة عن بحور وبحور من الدماء.. حيث قتلوا كل من فيها، ومن كل الديانات الإسلامية واليهودية وحتى المسيحيين من الذين يتعارضون مع مذهبهم آنذاك. فلم يسلم من شرهم أحد.. ما هو تفسيرك لذلك؟

أندريه : لا أعرف عن هذا ولكن سوف أتحرى عن هذا وأخبرك برأى فيما بعد..

مريم: إذا سبقي السؤال.. وليكن نفس السؤال الذى طرحته على. وهو لماذا هؤلاء المسيحيون ارتكبوا تلك الفظائع تحت اسم الديانة المسيحية.. وهل الديانة المسيحية والإنجيل هما السبب فى تلك المذبحة الشنعاء؟؟ هل يصح أن يشير التاريخ بأصابع الاتهام إلى الدين المسيحى ويعاقبه على ذلك..؟

أندريه : لا أعرف فى المرة المقبلة سوف أجيبك.. حتى أجمع معلومات عن هذه الحملات..أنا أيضًا.

مريم : وأنا سوف أنتظر الرد والتفسير منك على هذا، وأريد أن أعرف ما هو سبب ثقنك بأن جميع التفجيرات الإرهابية فى العالم وراءها مسلمون فقط؟؟

أندريه : الولايات المتحدة الأمريكية لا تكذب أبدًا، وهم دائمًا يمسون بهم ويزجون بالإرهابيين فى السجن ويعاقبونهم..

مريم : أعتقد أنه من دون المنطق أنه عندما تتحدث الولايات الأمريكية عن الإرهاب يصدقها الجميع، وهى فى الأساس هى وإسرائيل هم من ابتدعوه وأوجدوه فى العالم.. ومع ذلك الناس تصدقها وتكذب المسلمين..

أندريه : من قال هذا؟؟؟ من قال إن الولايات المتحدة الأمريكية هى من افتعلت الإرهاب هى وإسرائيل..؟؟

مريم : نعم أمريكا تتحدث بما لا تفعل، ولا تقبل على مواطنيها ما تقبله على كل العالم.. مع احترامى أندريه ولكن أنت متحيز إلى جانب أمريكا وإسرائيل وتتنظر إلى الإسلام والمسلمين بعنصرية والمفترض بك أن تكون حياديًا. فأنت تتابع من الأخبار ما يحلو لك فقط.. وتقرأ من القرآن الآيات التى تم تفسيرها بطريقة خاطئة فقط.. أين الحيادية..

أندريه : أنا لا أفعل ذلك بل أنتِ تتهمين إسرائيل وأمريكا بالإرهاب، ولماذا بلا أسباب.. أليس لإسرائيل الحق في أن تكون لها دولة مستقلة؟؟ لماذا أنتم المسلمون والدول العربية تكونون كل هذا العداء لإسرائيل ولماذا يقوم الفلسطينيون من وقت إلى آخر بعمليات انتحارية إرهابية...؟؟؟ لماذا يريد الفلسطينيون قتل الإسرائيليين المسالمين..؟؟

مريم : عندما قلت لك إنك تنظر إلى الأمور من جانب واحد فقط كنت أعنى ما قلته حرفياً.. ولكن سوف أسألك الآن.. هل تابعت من قبل أخبار الحملة الأمريكية على العراق؟؟

أندريه : نعم أعرف بهذا الصدد..

مريم : أعنى هل تابعت عن كثب.. أى هل تعرف أسبابها الحقيقية.. هل تعرف شيئاً عن جرائم الأمريكان المرتكبة في العراق من قتل وتعذيب وعمليات اغتصاب جماعية...؟؟؟ هل تعرف ما هو سجن أبو غريب؟؟؟

أندريه: لا أعرف.. لم أسمع بهذا من قبل..

مريم : إذاً فيجب عليك أن تعرف ما أتحدث عنه قبل أن تبدأ بإطلاق الاتهامات.. فأنت تسمى ما يفعله بعض المتطرفين المسلمين المنبوذين من مجتمعاتهم ومكروهين على ما فعلوه.. بالإرهاب.. ولكن بما يسمى ما فعلته أمريكا في العراق، وصفق لها العالم عليه.. لقد شنت الولايات المتحدة الأمريكية حرباً بأكملها على العراق مدعية أنها تريد القضاء على السلاح النووي الموجود هناك ولكنها لم تستطع لأنها لم تجد هناك أى سلاح نووى.. بل في حقيقة الأمر أن يد الولايات المتحدة الأمريكية ملطخة بدماء الضحايا العراقيين، فقط لأجل الحصول على براميل بتروك أكثر من غيرها وبلا مقابل.. ألا يجعل هذا من أمريكا البلد التي صنعت الإرهاب على كوكب الأرض؟؟؟ ما رأيك في ذلك...

أندريه : لا أعرف ولكن سوف أتأكد من حقيقة هذه المعلومات ثم أعود لأخبرك برأى لاحقاً ولكن ليس الآن...

مريم : وهل تعرف كم هو عدد المذابح التي ترتكبها القوات الإسرائيلية على أرض فلسطين كل يوم...؟؟ هل تعرف أى شيء عن هذا؟؟ أم أنك قد تركت كل ما ارتكبه إسرائيل من مذابح ضد نساء وأطفال ومدنيين عزل وانتهاكات وهدم منازلهم.. لكى تتحدث عن بعض العمليات الانتحارية التي غرضها الانتقام.. لتلقب الفلسطينيين بالإرهابيين؟؟؟

أندريه : لم أسمع يوماً بأى مذبحه ارتكبتها إسرائيل على أرض فلسطين...

مريم : سوف أحضر لك فى المرة المقبلة أسماء بعض المذابح التى ارتكبتها إسرائيل هناك والتى لا زالت بالفعل ترتكبتها حتى يومنا هذا..

أندريه : سوف أنتظر منك أسماءهم وسوف أبحث فى الأمر بنفسى.. ولكننى حقاً أقسم بأن هذه أول مرة أستمع فيها إلى مثل هذه المعلومات..

مريم : لا حاجة بك لكى تقسم فأنا أصدقك ولكن عدم معرفتك بهذا من قبل ما هو إلا دليل على ما أقوله، وهو أن الإعلام أحياناً يكون مضللاً ويعمل لصالح جهات خفية من مصلحتها أن تجعل إسرائيل تبدو فى عيون الرأى العام العالمى كالضحية المعتدى عليها، وليس العكس.. إذاً اسأل نفسك من فى صالحه إخفاء هذا عن الرأى العام العالمى.. ومن فى صالحه تشويه صورة الإسلام فى عيون العالم..؟؟

أندريه : لا أعرف لن أقتنع حتى أبحث وأرى وأتمعن بنفسى..

مريم : إذاً فلا تنس اسم أحد أشهر السجون الأمريكية فى العراق وهو سجن أبو غريب.. ابحث عن هذا الاسم عبر الإنترنت وأتمنى أن تجد صوراً لما كان يحدث بداخله.. حتى تتفهم جزءاً مما عاناه شعب العراق من أجل أن يتأكد الرئيس الأمريكى الأسبق جورج بوش فقط أن بلده سوف تحصل على حصة كبيرة من البترول العراقى.

أندريه : سوف أفعل.. الليلة أيضاً..

مريم : ولكن أريد أن أوضح فكرة أخرى، قبل أن تصدر حكماً على شخص ما عليك بتحري الحقائق أولاً والاستماع إلى كل الجهات وعدم التحيز..

أندريه : حسناً.. أعتذر لك، فأنت محقة فى ذلك..

مريم : وأنا أعتذر عن حديثى معك بأسلوب شديد اللهجة بعض الشىء..

أندريه : لا عليك لم يحدث شىء..

مريم : أنت محق.. نلتقى غداً.

أندريه : إلى اللقاء...

* أنهت مريم المكالمة هذه المرة وأخذت نفساً عميقاً من هذا الجدل الحاد، الذى دار بينهما.. فقد أرهقتها كثرة الكلام، ولكن الجدل لم ينته بعد.. فجلست على شبكة الإنترنت لتقوم باستخراج أسماء وتواريخ بعض من تلك المذابح حيث إنها لم تكن تذكر منها إلا القليل، وبالفعل قد فعلتها وفى اليوم التالى، كان هذا ما دار بينهما من جدال..

أندريه : مرحباً مريم.. كيف حالك..

مريم : مرحباً أندريه.. أنا بخير.. وأنت؟؟

أندريه : أنا أيضاً بخير...

مريم : أندريه لقد أحضرت لك العديد من أسماء وتواريخ وأماكن المذابح التى ارتكبتها القوات الإسرائيلية فى فلسطين، ولكن من فضلك أحضر لى قلماً وورقة حتى تتمكن من تدوينها عندك.

أندريه : نعم سوف أفعل.. لحظة من فضلك .

مريم :

- مذبحه يازور ديسمبر ١٩٤٨.

* لقي معظم سكان القرية حتفهم وهم عزل ونيام فى الفراش...

- مذبحه شرفات ٧ فبراير ١٩٥١.

* والتى أسفرت نتائجها عن ١٠ شهداء من بينهم اثنان من الشيوخ، وثلاث من النساء، وخمسة أطفال. و ٨ جرحى جميعهم من النساء والأطفال.

- مذبحه بيت لحم ٢٦ يناير ١٩٥٢.

* أسفرت عن ٨ شهداء.

- مذبحه قرية قلمة ٢٩ يناير ١٩٥٣.

* عندما قامت قوات الاحتلال بدك القرية دكاً كاملاً بمن فيها وأسفرت تلك المذبحة عن ٩ شهداء، وعشرين جريحاً.

- مذبحة مخيم البريدج ٢٨ أغسطس ١٩٥٣.

* نتائجها ٢٠ شهيداً، و٦٢ جريحاً.

- مذبحة قلقيلية ١٠ أكتوبر ١٩٥٣.

* أسفرت عن شهيد وخسائر مادية فادحة.

- مذبحة قبية ١٥ أكتوبر ١٩٥٣.

* أسفرت عن ٦٩ شهيداً من بينهم نساء وأطفال وشيوخ، كما تم نسف ٤١ منزلاً وخزان مياه ومسجد فى حين أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قادوس المكونة من ١٢ فرداً، وتعد هذه المذبحة علامة شهيرة فى انتهاك إسرائيل للقانون الدولى والأعراف الدولية فضلاً عن حقوق الإنسان.

- مذبحة نحالين ٢٩ مارس ١٩٥٤.

* أسفرت عن ١١ شهيداً، و١٤ جريحاً.

- مذبحة دير أيوب ٢ نوفمبر ١٩٥٤.

* فى الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرج ثلاثة أطفال من قرية يالو لجمع الحطب، تتراوح اعمارهم ما بين الثامنة والثانية عشرة، وبالقرب من قرية دير أيوب فاجأهم الجنود الإسرائيليون فهربت منهم طفلة فأطلق عليها الجنود الإسرائيليون الرصاص وأصابوها فى قدمها، ولكنها واصلت الهرب حتى وصلت إلى أهلها.. فهرع أهل الطفلين الآخرين لنجدتهما ووافوهما إلى الموقع المشهود. فشهدوا نحو اثنى عشر جندياً إسرائيلياً يسوقون أمامهم الطفلين باتجاه بطن الوادى فى الجنوب، فأوقفوهما وأطلقوا عليهما النار ثم هربوا واختفوا بعد ذلك.. وقد توفى أحد الطفلين على الفور أما الأخرى فقد توفيت فى صباح اليوم الذى تلاه فى المشفى الذى نقلت إليه.

- مذبحة غزة الأولى ٢ فبراير ١٩٥٥.

* أسفرت عن ٣٩ شهيداً و٣٣ جريحاً.

- مذبحه غزة الثانية ٤ و٥ ابريل ١٩٥٦.

* أسفرت عن ٥٦ شهيداً، و١٠٣ جرحى.

- مذبحه الرهوة ١١ - ١٢ سبتمبر ١٩٥٦.

* حدثت عندما هاجمت القوات الإسرائيلية مدرسة ومركز شرطة، وخلفت وراءها ١٥ شهيداً بالإضافة إلى نصف المدرسة بالكامل.

- مذبحه كفر قاسم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦.

* أسفرت عن ٤٩ قتيلًا، و١٣ جريحاً.

- مذبحه خان يونس الثالثة ٣ نوفمبر ١٩٥٦.

* وأسفرت عن ٢٧٥ شهيداً .

- مذبحه السموع ١٣ نوفمبر ١٩٦٦.

* والتي أسفرت عن ١٨ قتيلًا و١٣٠ جريحاً.

مذبحه صبرا وشاتيلا ١٦ - ١٨ سبتمبر ١٩٨٢.

* والتي أسفرت عن ١٥٠٠ شهيد من أطفال ونساء وشيوخ عزل بلا أى أسلحة وبلا أى مقاومة. كما تركت القوات الإسرائيلية خلفها المئات من أشباه الأحياء، بالإضافة إلى تعرض العديد من النساء إلى الاغتصاب المتكرر.

وقد فضحتها مجلة تايم الأمريكية فى عددها الصادر يوم ٢١ / ٣ / ١٩٨٣...

وهنا قاطعها أندريه قبل أن تستكمل قائلا : مريم... كفى، أعتقد أن هذه مادة بحثية كافية بالنسبة إلى.. شكراً لا أريد أن أعرف المزيد من هذا..

مريم : كما تحب ولكن أود أن أعلمك أن هناك المزيد والمزيد من هذه المذابح التى لا زالت مستمرة حتى يومنا هذا.. والتي لا تعد ولا تحصى.. كما أنه يوجد الكثير من القتلى الذى لا

يعرف عنهم أحد أى شىء حيث تقوم إسرائيل بإبادة شاملة لأفراد الأسرة الواحدة حتى لا يبقى منهم من يود الانتقام...

أندريه : حسناً.. سوف أبحث بنفسى حول هذه المذابح وأتقصى بنفسى من كل شىء حول سجن أبو غريب أيضاً.

مريم : وهناك شىء آخر أيضاً هل سمعت بشهيدة الحجاب من قبل؟؟؟

أندريه : لا لم أسمع.. ما هذا؟؟

مريم : كانت امرأة تعيش فى ألمانيا، اسمها مروة الشريبنى. وقد قتلها أحدهم انتقاماً منها لأنها فقط ترتدى الحجاب.. وقد فعل ذلك لإظهار العداء للمسلمين والدين الإسلامى...!!!
أليس هذا تعصباً؟؟ أم هو من المسموح قتل المسلمين، وغير المسلمين ممنوع...

أندريه : لا بالطبع غير مسموح بالقتل بالنسبة للجميع وليس فقط فئة بعينها..

مريم : إذاً بماذا يسمى قتل امرأة لأنها ترتدى الحجاب.. إرهاب.. أليس كذلك؟؟

أندريه : نعم.. إرهاب.

مريم : إذاً فالإرهاب لا يأتى من جانب المسلمين فقط، وليس كل الإرهابيين فى العالم مسلمين فقط، أليس كذلك؟؟

أندريه : ولكن هذه حالة أقلية.. فهذا إنسان واحد، أما أنا فأتحدث عن الكثير والكثير من الإرهابيين المسلمين..

مريم : وهل ما تحدثت عنه أنا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل أقلية أيضاً؟؟

أندريه: يجب أن أتأكد بنفسى قبل أن أخبر برأى.. فى المرة القادمة سوف أحدثك برأى..

مريم : على الرغم من أن التأكد أولاً ثم التحدث برأى لم يكن أسلوبك فى تتبع الحقيقة حول الدين الإسلامى والمسلمين من قبل.. ولكننى سأقبل بهذا الرد . ولكن هذه المرة ستكون الأسئلة موجهة منى لك..

أندريه: حسناً.. كما تحبين ما هى أسئلتك للمرة القادمة...!!

مريم : أولاً ما هو تعريف كلمة الإرهاب..؟؟ هل الإرهاب هو ارتكاب جرائم القتل باسم الدين..؟؟ أم الإرهاب هو ارتكاب جرائم القتل الشنيعة وغير المبررة على وجه العموم..؟؟ هل يوجد لدى الحكومة الأمريكية أو الصهيونية على سبيل المثال رخصة حرة للقيام بعمليات القتل الممنهجة ؟

لماذا عندما ترتكب الأقلية المنبوذة من المسلمين المتطرفين الخارجين عن دينهم جرائم قتل أو جرائم تفجير، يعترض العالم أجمع على هذا.. ويراقب ما حدث هناك بكل اهتمام ويهاجم الإسلام والمسلمين بالكامل وتدين ما حدث.. أما عندما ترتكب أمريكا وإسرائيل أو حتى أى قوة خفية مثل هذه الجرائم الشنيعة التى تنتهك الإنسانية أجمع ضد المسلمين، يصفق لهم الجميع ولا يلتفت أى إنسان إلى تلك الكوارث المشينة التى تحدث.. حتى حقوق الإنسان نفسها تهب لمساعدة فئة معينة من بلدان العالم دون غيرها.. لماذا؟؟؟

أندريه: أى أسئلة أخرى...!!

مريم : نعم هناك الكثير ولكن أظن أننى من الممكن أن أوجّلها إلى المرة القادمة فأنت بحاجة للتزود ببعض المعلومات قبل أن تعطنى الرد المناسب.

أندريه : عندك حق.. سوف ننتظر للمرة القادمة وسوف أجب على كل ما تريدين.

وانتهت المكالمة هذه المرة وغادر ساحة المعركة الكلامية كل منهما، والأفكار تملأ رأس كل منهما.. فمريم كانت تستشيط غيظاً، مثلها كمثل أى إنسان عربى حر.. عندما يتم ذكر مثل هذه الموضوعات مثل شرعية قيام دولة إسرائيل وما ارتكبه من مجازر فى فلسطين وما ارتكبه الأمريكان فى العراق أيضاً.. وتلك الصورة المناقضة تماماً التى تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية أمام العالم.. هذا الوجه الزائف الذى ترتديه أمريكا عندما تعلن عن حربها ضد الإرهاب وفى نفس الوقت ترتكب جرائم بشعة هنا وهناك.. من وجهة نظر مريم تلك الجرائم تعتبر أكبر مأساة.. والمأساة الأكبر منها هى اقتناع العالم بفكرة الحرب الأمريكية على الإرهاب !!! وتصفيق أمريكا والعالم أجمع لإسرائيل على هذه الجرائم..!! أليس فى هذا تناقض كبير.. ولماذا لا يرى العالم ذلك التناقض مثلما يرى الإرهاب الإسلامى.. !!! كانت تلك التساؤلات جميعها تدور فى رأس مريم فى آن واحد.. وكانت فى تلك اللحظة حقاً على استعداد تام أن تعطى عمرها كله مقابل تلك القضية.. وهى الدفاع عن الإسلام وكشف الوجه الآخر لأمريكا وإسرائيل أمام الرأى العام الأجنبى.. ولكنها عادت لتقول لنفسها.. قضيتى الحالية هى أن أفنع أندريه بتلك الحقائق، إن نجحت سوف أحاول أن أنتقل إلى المرحلة الأبعد منها وهكذا..

• أما عن أندريه.. فهو فى تلك اللحظة انطلق حائرًا، لا يعلم ماذا يقول، وماذا يفعل، وظل يسأل نفسه، هل ما سمعته لتوى هو حقيقة؟؟؟ هل تلك المجازر والمذابح موجودة حقًا!!! يجب أن أتأكد أولاً ثم أفكر ماذا سأفعل فيما بعد وماذا سأقول لها.. وبالفعل فى تلك الليلة كان كل منهما يستجمع قواه بكل ما لديه من معلومات ليثبت صحة وجهة نظره للآخر. فقد ظل أندريه طوال الليل جالساً أمام جهاز الكمبيوتر يستعرض أهم الأخبار المتعلقة بتلك الأحداث، وظلت مريم حتى الفجر تدعو الله أن يشد من أزرها ويزودها بالطلاقة اللازمة كي تتمكن من الرد على أندريه ولكي تثبت وجهة نظرها هى الأخرى. وقبل أن يشق أول ضوء للنهار طريقه فى السماء فى بلديهما.. كان قد استسلم كل منهما إلى النوم والسكون المؤقت.. الذى يسبق العاصفة بالطبع..

وفى اليوم التالى كان اللقاء.

مريم : مرحباً أندريه.. كيف حالك..؟؟

أندريه : أنا بخير.. وأنتِ؟؟

مريم : أنا أيضاً بخير.. أندريه هل تأكدت من حقيقة المعلومات التى أرسلتها إليك...؟؟

أندريه : نعم لقد فعلت ما استطعت أن أفعله، ولكننى للأسف لم أتمكن من متابعة أخبار المذابح الإسرائيلية، فقد استغرق ملف الحرب الأمريكية فى العراق وقتى بأكمله...

مريم : حقاً وهل رأيت ما يتعلق بسجن أبو غريب فى العراق..؟؟ هل رأيت الأسباب الحقيقية خلف تلك الحرب..؟؟

أندريه : نعم للأسف رأيت تلك الصور المتعلقة بذلك السجن وأنا آسف جداً..

مريم : ولماذا برأيتك فعل المسيحيون الأمريكان ذلك بالمسلمين..؟؟ هل تعتقد أن للدين المسيحى أى علاقة فى ذلك..؟؟

أندريه : لا أعرف لماذا ارتكب الأمريكان تلك الجرائم الشنيعة هناك .. ولكن فى أمريكا يوجد الكثير من الناس ممن لا يؤمنون بالله.. هم من فعلوا ذلك.. هم من اقترفوا تلك الجرائم..

مریم :أنا لا أعرف لماذا تصر على ربط الدين بالجريمة .. وأنا لا أرى أن للديانة المسيحية دخل في ذلك ولا الإسلام ولا غير ذلك .. ولكن السؤال هنا ..كيف عرفت أن من فعل ذلك هم ملحدون ؟؟ هل لديك أى وثائق تثبت صحة وجهة نظرك...؟؟

أندريه : لا ليس لدى ولكننى أعرف عن يقين أنه لا يوجد شخص مسيحي متدين يمكنه أن يفعل ذلك..

مریم : حقًا...!! إننى أتعجب هل هذا اعتراف منك بأن الشخص المسيحي غير المتدين قد يفعل أى شىء...؟؟

أندريه : لا بالطبع المسيحيون لا يمكن أن يقتلوا ويفعلوا هكذا..

مریم : ولكنهم قد فعلوها أندريه فأغلبية مواطنى أمريكا مسيحيون، والأهم من كل هذا أن من اتخذ قرار إعلان الحرب على العراق ومن سمح بكل هذا.. هو الرئيس الأمريكى جورج بوش المسيحي الديانة..

أندريه: ولكن هذا لا يعنى أن المسيحيين الأمريكان هم من فعلوها..

مریم : وكيف عرفت هذا !! هل كنت معهم أثناء ذهابهم للحرب ؟؟؟ هل ذهبت إلى هناك وعرفت كل جندى أمريكى فى العراق على حدة ؟؟؟

أندريه : لا لم أفعل.. ولكن أنا فقط أعرف ذلك وأشعر به..

مریم : إذا فأستميحك عذراً، أنت على خطأ واضح فى هذا. كيف تعرف وتكون متأكدًا هكذا، يجب أن يكون لديك دليل..

أندريه: حسنًا.. هناك بعض المسيحيين ممن لا يفهمون دينهم حق فهمه ولو فهموه لما فعلوا ذلك أبدًا..

مریم : حقًا.. إذا فإن ما فعله مسيحيو أمريكا هناك يعتبر إرهابًا، ولكنك بررت هذا بعدم فهمهم لدينهم حق فهمه.. فأود أن أفق عند هذه النقطة هنا لأوضح لك أننى قد أثبتت وجهة نظرى فى أن الإرهابيين المسلمين أيضًا لا يفهمون دينهم حق فهمه.. لذلك لا يجب الربط بين الدين وتصرفات أفراده الدموية على وجه الخصوص .. فلا الديانة المسيحية دعت للقتل

ولا الديانة الإسلامية فعلت أيضاً .. ولكن ها نحن هنا نجد إناس من هؤلاء وهؤلاء يفعلوا ..
ولذا فمن يرتكب الجرائم بإسم الإسلام لا يفهم دينه..هل لديك أى اعتراض على ذلك؟؟..

أندريه : لا.. ولكن بم تفسرين ما فعله صدام حسين وما يفعله القذافى ببلده ليبيا الآن؟؟ هم
إرهابيون أيضاً ومسلمون..؟؟ لماذا فعلوا ذلك؟؟ لماذا هم مسلمون؟؟

مريم : أنت الآن تتحدث عن شخصيات منبوذة تهاجم من قبل شعوبهم، بل ومن قبل العرب
أجمع. لو كان المسلمون إرهابيين لما انتفضوا ضد هؤلاء الحكام الطغاة القتلة الجبارين.. لا
يمكن إنكار حقيقة أن الإرهاب موجود فى العالم الإسلامى.. ولكن على العكس من العالم
الغربى، فالإرهاب هنا مُدان ومُنْبُوذ ومكروه.. أما هناك فلا أحد يتصدى لما تفعله أمريكا أو
إسرائيل لا من بعيد ولا من قريب.. فهل يمكنك رؤية الفرق بيننا وبينكم بوضوح الآن.. أم لا
؟؟

أندريه : ولكن لماذا يتخذ الإرهابيون الإسلام كعباءة لهم كما تقولين؟؟ أليس العيب فى
الإسلام نفسه..؟؟ ألم يكن هو من أعطاهم الحق فى فعل ذلك؟؟

مريم : لماذا تصر دائماً على فكرة ربط القتل بدين بعينه، أو ربط أى جريمة بدين بعينه..
فالإرهاب يعنى قتل الأبرياء بغير سبب.. وهذا يحدث فى كل بلد وفى كل دين مع اختلاف
الدوافع بالطبع.. فقد خلقت الدنيا من الخير والشر، ولا يوجد مكان على وجه الأرض يخلو
من ذلك . وإذا طبقنا تلك القاعدة التى تتحدث عنها إذاً فسأسألك سؤالاً مهماً جداً، وجوابك
عنه يوضح الكثير . .

أندريه : تفضلى.

مريم : إذا كنت تعتقد حقاً، أن للإسلام ذنباً فى اتخاذ كقناع يخفى خلفه الإرهاب.. إذاً فهل
يمكن تفسير ماهية الحملات الصليبية على بلاد الشام وبيت المقدس على وجه الخصوص
؟؟ وقد اخفت هذه الحملات رغباتها ومطامعها السياسية والإقتصادية تحت قناع الدين .. فقد
أنت هذه الحملات إلى بلاد المشرق تحت شعار حماية الصليب وحماية مسيحيى بيت
المقدس الذين عاشوا طوال تلك السنوات فى سلام تحت العهد الإسلامى العادل الذى لا
يفرق بين مسلم ومسيحى ويهودى.. وعلى الرغم من عدم احتياج مسيحيى القدس فى ذلك
الوقت للحماية . وعدم استعانتهم بأى شخص.. فقد قرر أمراء أوروبا الذهاب للاستيلاء على
القدس من أجل تحقيق مطامعهم الشخصية فى الحصول على المال والسلطة فى مدينة

القدس التي كانت مليئة بالخيرات..وقد اتخذوا من الدين المسيحي ورمز الصليب غطاءً يخفى نواياهم الحقيقية..

أندريه : لقد دخلوا القدس آنذاك لأنها مدينة مقدسة وكان فيها مقدسات مسيحية.. أرادوا الذهاب لزيارتها..

مريم : حقاً.. ولكن لو كانوا قد أرادوا الذهاب لزيارتها حقاً كما تقول، لكانوا ذهبوا إلى هناك سلمياً.. فلم يمنع الحكام المسلمون أى شخص قط من زيارة دور العبادة.. ولكنهم لم يذهبوا من أجل المقدسات.. بدليل أنهم لم يحترموا تلك المقدسات أبداً.. فقد قتلوا كل من فى المدينة بمجرد دخولهم إلى هناك حتى الناس التي ذهبت للاحتماء فى المساجد والمعابد والكنائس ظناً منها أنهم سوف يحترمون دور العبادة.. لحقوا بهم وسفكوا دماءهم أيضاً.. ووصف المؤرخون ذلك اليوم شوارع المدينة بأنها كانت كبحور وبحور من الدماء.. فكيف يفعل المسيحيون هذا بمدينة يفترض أن تكون مقدسة بالنسبة لهم..

أندريه : لا أعرف حقاً، فهم من مذهب مسيحي وأنا من مذهب مسيحي آخر.. إذا أردت أن تعلمى السبب عليكِ بسؤال شخص آخر من نفس مذهبهم..

مريم : حقاً.. أهذا هو جوابك..؟؟ وهل تعتقد أن الدين المسيحي قد سمح بالقتل وسفك الدماء هكذا..؟؟

أندريه: بالطبع لا.. لم يسمح..

مريم : أعرف أندريه.. وأنا لا أتهم الديانة المسيحية بأى شىء، ولكننى فقط أريد أن أوضح وجهة نظرى، وهى أنه من غير المقبول أن يتم التعامل مع جريمة ارتكبت بأيدى بشر مضللين من منطلق أن ديناً بعينه هو المذنب فيها، فالمبدأ واحد بالنسبة للجميع وإن اختلفت الأديان وتبدلت الأدوار.. هذا ما أعنيه وأتمنى أن تصلك الفكرة وأن تتفهم..

أندريه: نعم لقد فهمت..

مريم : حسناً الآن أريد أن أعرف ما هو مفهوم كلمة إرهاب من وجهة نظرك؟؟

أندريه: الإرهاب هو قتل الأبرياء بغير حق.. وبدون سبب..

مريم : حسنًا. وأنا أتفق معك في هذا الرأي فكل قاتل إذاً هو إرهابي، ولكن ماذا لو كان القتل دفاعًا عن النفس هل يظل إرهابيًا..؟؟

أندريه: لا ولكن على حمام الدماء أن يتوقف بأية حال فأنا لا أحب القتل ولا أحب الدماء..

مريم : لا يوجد إنسان طبيعي وسوى يحب القتل والدماء، ولكن أحيانًا يكون القتل ضرورة عندما يكون دفاعًا عن النفس. ولكن تعال نتخيل معًا أنك جالس في منزلك كالعادة.. ودخل فجأة لص ويده سكين محاولًا قتلك به، ولكنك فجأة استدرت وتناولت سكينًا بيدك أنت أيضًا وحالفك الحظ وقتلته قبل أن يقتلك.. هل تعتقد أنك في هذه الحالة سوف تعتبر مجرمًا وقاتلاً وإرهابيًا..؟

أندريه : لا بالطبع.. فقد كان هذا الرجل يحاول قتلي ويجب أن أذاع عن نفسي..

مريم : وهذا ما يحدث بالطبع بين الإسرائيليين والفلسطينيين.. فالإسرائيليون هم المعتدون والفلسطينيون هم الضحايا.. أليس من حق الضحية أن تدافع عن نفسها..؟؟ أم على الضحية أن تُقتل بكل هدوء وبلا مقاومة.

أندريه : ولكن على حمام الدماء أن يتوقف.. فليس المهم من بدأ ولكن المهم أن على أحد الطرفين أن يتقبل وجود الآخر ويتوقف عن القتل.. من منهم يبدأ.. هذه ليست القضية..

مريم : لا على العكس تمامًا فهذا هو لب القضية نفسه.. فعلى سبيل المثال الذي قد طرحته عليك من قبل.. هذا الرجل الذي افترضنا أنه حاول قتلك.. من الواضح أنه يريد شيئًا منك لن يأخذه إلا بوفاتك، لذا فهو لن يتوقف عن محاولة قتلك لأجل السلام وحقق الدماء.. ولكن هل أنت على استعداد أن تفعل المثل.. أن تستسلم وتتقبل حقيقة قتلك على يده من أجل حقن الدماء والحفاظ على حياته؟؟

أندريه: بالطبع لا.. فلن أتنازل عن حياتي لأجله..

مريم : إذا فسوف يتوقف حمام الدماء في فلسطين.. عندما يتوقف اليهود عن الاعتداء على الفلسطينيين وقتلهم وإبادتهم من على وجه الأرض.. هل فهمت الفكرة..؟؟

أندريه : ولكن الفلسطينيين أيضًا يقومون بضرب اليهود وقتلهم.. فيجب أن نتوقف فلسطين عن حربها ضد إسرائيل.

مریم : مبدئيًا.. يجب أن تعرف أن الأمم المتحدة قد أقرت أكثر من مرة، حق الدفاع المسلح للشعوب المحتلة.. ثم أخبرني من فضلك أي حرب هذه التي بلا أسلحة وجيش، أم أنك تعتبر أنه عندما يرشق طفل فلسطيني دبابة إسرائيلية بحجر فهذا يعتبر سلاحًا.. المشكلة يا أندريه هي أنك لا تقوم أبدًا بتقصي الحقائق كما أرسلها إليك.. فلو راجعت تفاصيل حتى مجزرة واحدة من تلك التي قد أرسلتها إليك لوجدت أن الجيش الإسرائيلي هو من يقوم بقتل الفلسطينيين العزل بلا أي سبب، وهدم منازلهم وطردهم من بيوتهم من أجل الاستيلاء على أراضيهم.. ولكن للأسف أنت تنظر للأمور من وجهة نظر واحدة فقط.. وعذرا فأنت لديك نظرة تفتقر إلى الموضوعية والحيادية في كل شيء..

أندريه : لا هذا ليس صحيحًا أبدًا فأنا أنظر بموضوعية إلى الأشياء، ولكن أريد أن أسألك : لماذا يقوم الفلسطينيون بعمليات انتحارية في إسرائيل.. ويقومون بقتل أبرياء ومدنيين بلا سبب..؟؟ عليك الاعتراف بأن هذا النوع من التفجيرات يعد إرهابًا...

مریم : لا لن أعترف بذلك أبدًا لأنه ليس حقيقيًا.. فلا تتس يا أندريه أبدًا أن إسرائيل دائمًا تبدأ بالقتل، كما أحب أن ألفت نظرك أن في إسرائيل لا يوجد مدنيون أبدًا. فكل مواطن في إسرائيل هو جندي في الجيش وذلك لقلة حجم الكثافة السكانية في إسرائيل حتى أصبح من الصعب عليهم أن يكون الجيش منفصلًا عن الشعب. فعندما يقتل أي مواطن إسرائيلي لا يمكن أن يكون مدنيًا البتة.. كما أنه عليك الاعتراف بأن الانتقام دائمًا حق مكفول للطرفين..

أندريه : نعم ولكن الفلسطينيين بهذه الطريقة يقومون بجلب الدمار والخراب على أنفسهم.. بقتلهم اليهود بغير حق.

مریم : لا أعرف لماذا أنت مُصر على تسمية قتل الإسرائيليين أنه بغير حق، ولا أعرف ما هو سبب افتتاعك بحقيقة أن إسرائيل هي الضحية بالرغم من عدد المجازر وأسبابها وتواريخها التي قد أرسلتها لك بالفعل من قبل.. ولكنني فقط سوف أكرر لك حقيقة أن إسرائيل هي من تشن حرب إبادة على الشعب الفلسطيني منذ أن أعلنت دولة إسرائيل وحتى يومنا الحالي.. لإنقاص عدد الفلسطينيين وإرغامهم على الهرب من بلادهم وتركها لإسرائيل. حتى تستطيع إسرائيل إقناع العالم بأن فلسطين هي أرض بلا شعب وهم شعب بلا أرض..

أندريه : نعم ولكن لماذا تتكرين أحقية إسرائيل في إنشاء دولتها المستقلة..

مريم : ولماذا لم تقبل روسيا أن تتنازل عن جزء من أرضها لإسرائيل حتى تنشئ عليه دولتها المستقلة..؟؟

أندريه: لا بالطبع هذا ليس حلاً مقبولاً، لأن وطن اليهود الأصلي ليس هو روسيا، وإنما أرض فلسطين. فلقد كانت وطنهم منذ قديم الزمن وخرجوا منها ومن حقهم العودة إليها.

مريم : إذا كنت حقاً تصدق تلك الكذبة المدعاة بأن لأهل إسرائيل أحقية تاريخية في أرض فلسطين فيمكنني أن أثبت لك عكس ذلك.. وبالأدلة..

أندريه : حسناً.. كلى آذان صاغية..

مريم : إثبات من التوراة على أن اليهود لم يسكنوا فلسطين كلها قط..

" لم يفتح العبرانيون في أرض الميعاد إلا منطقة التلول الداخلية فقط، ولم يزيدوا عليها شيئاً، أما مدن الساحل فقد استطاعت أن تصمد لهجوم العبرانيين، وظل أسباط إبراهيم أجيالا عديدة شعباً مغموراً يعيش في منطقة التلال الخلفية مشغولاً بمناوشات لا نهاية لها مع الفلسطينيين وسواهم من القبائل النازلة حولهم وبخاصة المؤابيون وأهل مدين " سفر يسوع الإصحاح الثالث عشر.

إن اليهود في التاريخ القديم لم يدخلوها يوماً، ولم يحكموها يوماً.. بل هم من رفضوا دخولها في أول مرة مع موسى عليه السلام.. وبناءً على ذلك ظلوا سنوات بعيداً في فترة التيه..
أندريه : مريم.. أنا غير مقتنع بهذا الحديث..

مريم : يقول wells في كتابه the outline of history p. 279

ولا يستطيع أحد أن يقول أن أرض الميعاد قد وقعت يوماً في قبضة العبرانيين، على أن مما وطد ملك داود وهياً له شيئاً من الاتساع أن أمور مصر في عهده كانت مرتبكة، فخفت هيمنتها على فلسطين وبلاد الشام، وكانت أمور الدولة الآشورية مرتبكة كذلك. وقد منح هذا لداود شيئاً من حرية الحركة والنشاط والتبسط وممارسة السيادة.

(الفقرتان المكتوبتان بالأسود السميك هما من كتاب مقارنة الأديان - أحمد الشلبي - اليهودية (صفحة ٦٣)

أندريه : هذا لا يمنع أن اليهود بشر، ومن حقهم التواجد في أى مكان، وخاصة لو احتوى هذا المكان على مقدسات دينية يهودية.

مریم : أولاً أنا أعترض على أحقية كل إنسان فى التواجد فى أى مكان، لو كان هذا الحق مكفولاً لما بقيت للجنسية أهمية. لذا فيجب على كل إنسان أن يعيش فى وطنه، وإن عاش خارجه يجب أن يتم ذلك بموافقة سلطات تلك الدولة.. كما أننى لاحظت فى حديثك أنك تخلط بين اليهود والإسرائيليين.. فأنا عندما أتحدث عن اليهود أنا لا أعمم قاعدة هنا، وإنما أتحدث عن هؤلاء الذين سكنوا أرض فلسطين وأعلنوها دولة جديدة.. فاليهودى إنسان أنا لا أكرهه، أنا حانقة على من احتل الأرض منهم فقط.. أما عن مسألة المقدسات اليهودية الموجودة على أرض فلسطين وحقهم فى التواجد هناك.. هذا شىء واجب عليهم زيارته، ولكن كان من الممكن ألا يقوموا بإخفاء معالم دولة فلسطين، وإنشاء دولة مستقلة.. كان من الممكن أن يسكنوا فلسطين ويعيشوا فى سلام مع المسلمين بلا حرب وبلا دماء. هناك ألف حل وحل لهذه المسألة فجميعهم بعيدون كل البعد عن القتل والدماء.

أندريه: لا أدري ما هو الحل المناسب وأنا لست إسرائيليًا، إذا أردت أن تطرحى تلك الفكرة فاطرحيها على شخص إسرائيلي، قد يعرف هو الرأى المناسب أكثر منى.

مریم : حقًا.. أنا لا أعرف للصهيونيين سبيلاً على أرض مصر، كما أظن أنه من المستبعد أن يحدث تعاون فيما بينى وبينهم.

أندريه : لماذا؟ بهذه الطريقة ستكونين فتاة عنصرية..

مریم : أرفض هذه الكلمة (عنصرية)، فأنا لست كذلك.. كما أننى خصصت بحديثى هذا الصهاينة فقط، وليس كل اليهود. لأن اليهود هم من أهل الكتاب وأنا لا أكره أى إنسان أو أبادره العدا بـسبب دينه أبداً.. وأنت تعلم جيداً ما هو الفرق بين اليهودى والصهيونى..

أندريه : هل تعين أنه من الممكن أن تقوم علاقة صداقة قوية بينك وبين إنسان يهودى مثل تلك التى بينك وبين صديقتيك العربيتين المسلمتين.

مریم : لا.. هذا بالتأكيد لن يحدث أبداً.. لأننى على تمام الثقة من أن صديقتى المسلمتين لن أجد لهما مثيلتين من اليهود على وجه الخصوص الصهاينة منهم.. أما فى حال إن كنت تقصد اليهودى العادى البعيد عن إسرائيل، أو بالأحرى البعيد عن الصهيونية.. فهذا أمر يتوقف على طبيعة الإنسان نفسه، لأننى تعلمت ألا أطلق الأحكام على الناس بسبب دينهم، وإنما أخلاقهم وتصرفاتهم هى التى تحكم عليهم من وجهة نظرى. فمن يعلم كيف أو أين من الممكن أن تجبرنى الحياة على تكوين علاقات جيدة مع أحدهم.. أما عن مرتكبي المجازر وما شابه، فهذا

أمر آخر أنا أرفضه تمامًا. لأننى لن أنسى أبدًا ما قد رأيته فى الأخبار بعينى من ذبح وتعذيب وقتل الأبرياء وتلك الجرائم البشعة التى ارتكبتها اليهود ضد الفلسطينيين، بل إننى لن أنسى أيضًا مشاهد الحرب الإسرائيلية على لبنان، عندما حاولت إسرائيل أن تعتدى على لبنان هى الأخرى ولكن تصدت لها الجماعة الإسلامية التى تطلق عليها الولايات المتحدة الأمريكية جماعة حزب الله الإرهابية، ولولا تصديها لهم لكانت لبنان محتلة هى الأخرى الآن.. لن أنسى أبدًا ما رأيته من عمليات قتل أطفال ونساء وغيره..

أندريه : ما قد رأيته من الممكن أن يكون تضليلًا إعلاميًا لتشويه صورة إسرائيل فى عيون العالم العربى.. وأنا أعتقد أن هناك بالفعل أناسًا فاسدين فى إسرائيل ولكن يوجد أيضًا بينهم أناس خيرون..

مريم : أى تضليل إعلامى هذا الذى تتحدث عنه.. أنت تقول أن مشاهد الحرب والقتل التى كانت تبث مباشرة على القنوات العربية جميعها تضليل.. ومن قد يقوم بتزييف أشياء كهذه .. أنت فقط لا تريد أن تقتنع بالحقائق التى أظهرتها أمامك. أنت لا تريد أن تراها.

أندريه: لأننى أفتنع بما يراه عقلى وليس قلبى فقط.

مريم : والإنسان بلا قلب يخسر آدميته وإنسانيته، وما فعلته إسرائيل على مدار التاريخ لا يعد فقط انتهاكًا للفلسطينيين.. بل وللإنسانية جميعًا أيضًا..

أندريه: لكن ولماذا تصدقين أنتِ هذا...؟؟

مريم : أندريه لقد صدقت أنت من قبل ادعاءات أذاعتها قنوات فضائية من خلال برامج وبدون أى أدلة على عدم صلاحية الدعوة الإسلامية لمجرد أنك رأيته فى برامج تليفزيونية.. وصدقت أن المسلمين إرهابيون، لمجرد أنك شاهدت فيلمًا على شاشة التليفزيون قد أنتجته جهة لم تعلن عن نواياها الحقيقية ولا عن مصادر معلوماتها.. ولا تريدنى أن أصدق ما قد رأته عيناي من مشاهد حية تنقل عبر الفضائيات عن معارك جارية فى ساحة القتال.. وما رافقته هذه المشاهد من مشاهد جثث أبرياء...!!! ألا تجد أن فى رأيك هذا تناقضًا كبيرًا!!!!

أندريه: ولكن لا يمكن تعميم قاعدة على شعب بعينه.. كما قلت أنت بنفسك سابقًا..

مريم : لقد قلت ذلك وأنا على تمام الاقتناع به، ولكن فى حالة إسرائيل الوضع يختلف فكل مواطن إسرائيلي هو جندى فى الجيش، وإن لم يكن جنديًا فى الجيش فهو مسئول عما يحدث من

جرائم بشعة، فالوضع فى أوروبا وإسرائيل وغيرها من الدول الكبرى يختلف تمامًا عن الوضع هنا فى بلدان الشرق الأوسط. فى الخارج عندما يريد رئيس جمهورية أو رئيس وزراء أن يتخذ قرارًا حاسمًا بصدد شىء ما فمن الممكن أن يقوم بعمل استفتاء شعبى فى البداية يتصرف بناءً على نتائجها فيما بعد.. وهذا يعنى أن كل مواطن إسرائيلى وإن لم يكن مجندًا فى الجيش فهو صانع قرار مثله كمثل رئيس الوزراء.

أندريه: ولكن من الممكن أن تكون هناك أقلية جيدة فى إسرائيل..

مريم : أنت تقصد أرض فلسطين، التى سوف تظل دائمًا أرض فلسطين. ومهما تعددت أسماؤها وتغيرت ظروفها.. فهى أرض فلسطين إلى الأبد وستظل دائمًا القدس هى عاصمة فلسطين وليست عاصمة إسرائيل كما يدعون، ولكن إن كنت تتحدث عن أقلية، فمن يعلم الحقيقة.. أنا لا أستبعد أى شىء وأرفض التعميم دائمًا كما أخبرتك، ولكن هذه الأقلية وإن وجدت، ستظل دائمًا أقلية ضئيلة وغير مؤثرة.

أندريه: يجب أن تغيرى وجهة نظرك العدائية هذه تجاه إسرائيل فهى لم تفعل لك شيئًا. كما أنها دولة قائمة بالفعل وموجودة على الخريطة العالمية ومصداق عليها من قبل دول كبرى، بل ومن قبل بلدك مصر أيضًا.

مريم : لن أغير وجهة نظرى وأنت عليك تقبل تلك الفكرة، فاختلاف الرأى لا يفسد للود قضية.. وهذا رأيك فى إسرائيل، وهذا رأى فيها. وكل منا قد أوضح وجهة نظره فلا داعى لمحاولة فرض رأى على الآخر. كما أننى على دراية كاملة باعتراف بلدى بدولة إسرائيل سياسيا، ولكن هذا أمر مختلف.. فهذه تُسمى علاقات دبلوماسية.. كما أن ما قد حدثتكَ عنه هو رأى الشخصى وليس رأى بلدى.. وأنا أيضًا لا أمثل رأى العامة من أهل بلدى.. أنا أتحدث بلسانى فقط وأنت يجب أن تتقبل هذا الرأى لأن هذه هى الديمقراطية.

أندريه : أنتِ محقة.. هذه آراء شخصية..

مريم : أندريه.. أريدك أن تعلم أيضًا أن المسلمين لا يبادرون أى إنسان بالكراهية والحقد أبدًا. وإن حدث ذلك فهو لا يحدث بلا أسباب.

أندريه : أنا لا أفهم.

مريم : أعنى أن المسلمين لهم مواقف مشرفة عبر التاريخ فى جميع أنحاء العالم سواء تجاه اليهود أو المسيحيين، فكونك مسلمًا هى حقيقة ترتبط دائمًا برغبتك فى مساعدة الناس بلا مقابل.

أندريه : لم أسمع يومًا عن قصة تاريخية تروى عن مساعدة من المسلمين للمسيحيين أو لليهود.

مريم : حسنًا، دعنا من علاقة المسلمين بالمسيحيين لأننى لست بحاجة للحديث عن التاريخ حتى أوضح مدى صداقتنا بهم. إذا أردت أن تعرف عنها المزيد ما عليك سوى أن تلقى نظرة عن كثب على العلاقة التاريخية الوطيدة ما بين مسيحيى مصر ومسلميها على سبيل المثال. فلا تجد فى أبناء منزل مسلم من ليس له على الأقل عدة أصدقاء مسيحيين. أما عن مساعدة المسلمين لليهود التى يتناساها التاريخ ويتجاهلها المؤرخون فلسوف اروى لك عنها.

أندريه : نعم، وأنا أستمع.

مريم : لقد قرأت منذ عدة أيام فقط مقالًا أعجبنى كثيرًا، عن فيلم فرنسى سوف يتم عرضه فى باريس.. أو بالأحرى قد تم عرضه بالفعل. يروى دور المسلمين فى إنقاذ اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية، فى فترة الاحتلال النازية لباريس. فقد كان شيخ المسجد واسمه قدور بن غابريت يمنح شهادات لليهود على أنهم مسلمون، حتى لا يقوم النازيون بقتلهم.

أندريه : وaaaaaaaaااو !!! حَقًّا.. هذه فعلا أول مرة أسمع فيها مثل هذا الكلام. من فضلك أريد أن أعرف اسم الفيلم والمخرج وكل التفاصيل.

مريم : نعم كما تحب.. بالتأكيد سأخبرك الآن.

* وهنا أدركت مريم على الفور حاجتها لقراءة الخبر قراءة حية، بلا انتظار للمرة القادمة. فقد كان الحماس يثور بداخلها كالبركان. مما دفعها للإمساك بالقاموس الضخم فورًا والعكوف على بداية الترجمة بمجرد النظر للخبر باللغة العربية ثم تحويلها للغة الروسية من تلقاء نفسها. وإذا وقفت أمام كلمة لم تعرف معناها. كانت تطلب منه الانتظار للنظر فى القاموس. مما أخذ منها وقتًا أطول وطاقة ومجهودًا أكبر بكثير من الترجمة على انفراد ثم القراءة لأندريه لاحقًا. ولكن هذه هى مريم، كتلة متحركة من الطاقة الخلاقة التى لا تنفك تكسر حواجز غير المعقول وغير الممكن وتتطلق إلى الأمام.

مريم : سأقرأ الآن عليك نص الخبر، ولكن عليك أن تصبر فسأفعلها ببطء. وقد أخطئ..

أندريه: لا عليك، لديك كل الوقت. أنا أسمعك.. تفضل.

مريم : نص الخبر كالتالى: " لا يزال الغموض يحيط بالدور الذى لعبه المسلمون فى إنقاذ حياة بعض اليهود فى فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية لكن فيلمًا جديدًا سيبدأ عرضه هذا الأسبوع يلقى بعض الضوء على هذا الدور الذى لا يعرفه كثير من الفرنسيين.

فيلم (الرجال الأحرار) للمخرج إسماعيل فروخى سيبدأ عرضه فى باريس يوم ٢٨ من هذا الشهر. يتناول الفيلم قصة قدور بن غابريت مؤسس مسجد باريس الذى دافع عن اليهود والمتطوعين فى المقاومة أثناء الاحتلال النازى لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية.

تدور أحداث الفيلم حول الشاب الجزائرى يونس المهاجر فى فرنسا والذى يدير تجارة فى السوق السوداء.

تقبض الشرطة على يونس وتجبره على التجسس على المسئولين عن مسجد باريس الذين تشتبه سلطات النازى وحكومة فيشى فى أنهم يساعدون اليهود ومقاتلى المقاومة الفرنسية بمنحهم شهادات بأنهم مسلمون.

ويتتبع الفيلم حكاية يونس الذى يؤدى دوره الممثل طاهر رحيم وتحوله من إنسان ساذج إلى مقاتل من أجل التحرير.

ويأمل فروخى مخرج (الرجال الأحرار) أن يساهم الفيلم فى تغيير نظرة الناس إلى المسلمين الذين انخرطوا فى المقاومة لكن كتب التاريخ تجاهلتهم إلى حد بعيد.

وقال فروخى: "كانوا رجالا استقروا فى فرنسا وتطوعوا وهذا أمر بالغ الأهمية. هذا يعنى أن المسلمين أيضًا كان لهم دور فى تاريخ فرنسا. لكنهم ظلوا مستبعدين حتى الآن. لم أر قط أى صور أو وثائق.. لم أر أيا من ذلك. لا توجد أى أفلام مصورة".

وأضاف: "أرى أن من المهم أن نقر بذلك وأن نتعلمه فى المدرسة".

وتختلف تقديرات المؤرخين لعدد اليهود الذين أنقذهم زعماء مسجد باريس. إذ يقول البعض أن ما فعله قدور بن غابريت أنقذ قرابة ١٦٠٠ شخص من الموت بينما لا يزيد العدد على ٥٠٠ شخص فى تقدير ألان بواتييه المستشار السابق لوزارة الداخلية الفرنسية للشئون الدينية.

ويصف المؤرخ بنجامين ستورا الذى قدم المشورة فى الجانب التاريخى لصناع فيلم (الرجال الأحرار) اليهود الذين أنقذهم المسجد قائلاً: "كان هناك.. يهود سفارديم يتحدثون العربية ومختنون. تمكنوا من الحصول على شهادات تثبت أنهم ينتمون إلى الدين الإسلامى وربما كان ذلك ما أنقذ حياتهم. هذه الحقيقة معروفة جيداً. لا توجد وثائق تذكر لكن توجد روايات شهود".

وعثر دليل بوبكر المدير الحالى لمسجد باريس على خطاب حرر عام ١٩٤٠ يبين مدى الشكوك التى كانت تساور سلطات حكومة فيشى فى قدور بن غابريت.

الرسالة كتبها وزير في حكومة فيشى وقال فيها أن سلطات الاحتلال النازي تشتهبه في أن المسجد يمنح شهادات لليهود بأنهم مسلمون.

وقال بويكر "جاء لى من هذه الورقة رمز وأمر من السلطات الألمانية كتبوا إلى مسجد باريس أن الأئمة والدارسين في مسجد باريس كانوا يوزعون بعض الشهادات لشخصيات وأشخاص وناس يهود كأنهم مسلمون".

ويسير فيلم (الرجال الأحرار) على خطى كتاب المؤرخ الأمريكى روبرت ساتلوف "بين الصالحين.. قصص ضائعة عن المحرقة في الأراضى العربية" الذى يتضمن قصصاً لم ترو عن مقاومة العرب والمسلمين للنظام النازى خلال الحرب العالمية الثانية.

ومن الشهادات التى يتضمنها كتاب ساتلوف رواية عن رئيس بلدية إحدى المدن فى تونس فتح بيته لستين يهودياً ليختبئوا فيه بعد أن هربوا من معسكر ألمانى للسخرة وقصة على عبد الجليل الذى أنقذ يهودياً من غارة فى تونس.

ويشير اسم الكتاب إلى وصف "الصالحين" فى نصب ياد فاشيم التذكارى بالقدس لضحايا المحرقة النازية والذى يطلق على "الصالحين فى الأمم الذين خاطروا بحياتهم لإنقاذ اليهود".

لكن قرابة ٢٣ ألف اسم "للصالحين" يضمها النصب التذكارى اليهودى ليس بينها اسم عربى واحد. غير أن بعض المؤرخين يعكفون على إعادة النظر فى دور العرب والمسلمين فى الحرب العالمية الثانية كما أن فيلم فروخى سيثير على الأرجح مزيداً من النقاش بخصوص موقع أولئك الرجال والنساء فى كتب التاريخ".

أندريه : مريم شكراً لك على الترجمة الرائعة..

* كان أندريه فى هذه اللحظة يتمم باللغة الإنجليزية قائلاً: "الرجال الأحرار.. الرجال الأحرار.. الرجال الأحرار"، وصوت حركة أصابعه على لوحة مفاتيح الكمبيوتر يدوى فى أذن مريم. مما جعلها تدرك أنه يبحث عن هذا الخبر بنفسه عبر الإنترنت ليتأكد من صدق المعلومات التى قدمتها له مريم.

أندريه : نعم مريم، يبدو أنك محقة بشأن هذا الموضوع.. وكان للمسلمين دور رائع فى حماية اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية حقاً.

مريم : نعم هذا حقيقى، يجب عليك أندريه أن لا تشك أبداً فى رغبة وحب كل إنسان مسلم فى حماية والدفاع عن المظلومين.

أندريه : ولكن متى سينتهى حمام الدم الفلسطينى الإسرائيلى يا ترى؟؟

مريم : سينتهى عندما يشاء الله...

أندريه: حسنًا كما شئت، كما أنني متعب جدًا ولا أستطيع أن أكمل معك الحوار أكثر من ذلك.
إلى اللقاء الآن..

مريم : مهما كنت متعبًا بالتأكيد أنت لست متعبًا أكثر منى..إلى اللقاء...

* وكان هذا اللقاء الحافل ما هو إلا بداية جديدة فى سلسلة حواراتهما وجدالاتهما غير المتناهية.. التى طالما كانت ينتهى معها كل منهما وهو منهك اللسان، ومملوء الفكر.. وقوى العزيمة على الفوز فى إثبات وجهة نظره للآخر.. وها قد جاء اللقاء التالى وكان الحوار بينهما تمامًا كما يلى :

أندريه : مرحبًا.. مريم كيف حالك؟؟

مريم : أنا بخير.. وأنت ؟

أندريه: أنا أيضًا بخير.. مريم أريد أن أسألك سؤالًا هامًا جدًا؟؟

مريم : بالطبع أنا كلى آذان صاغية...

أندريه : لقد أخبرتتى من قبل أن الدين الإسلامى قد انتشر بالطرق السلمية، بدون استخدام السيف والقوة.. وأنه قد انتشر بالإقناع فقط.. أليس كذلك.

مريم: نعم بالطبع هذا صحيح..

أندريه : إذاً بم تفسرين اتساع حدود الدولة الإسلامية حتى بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد استمرت الدولة الإسلامية فى الانتشار والتوسع باستخدام القوة لنشر الإسلام.. بم تفسرين ذلك؟

مريم : أعتقد أننا قد ناقشنا ذلك الجزء من قبل بالفعل.. ولكن لا يمكننى سوى أن أرشدك مرة أخرى لقراءة التاريخ الإسلامى بتمعن حتى تعرف أن المعارك التى خاضها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه كانت فريضة لحماية الحق ورد المظالم وقمع العدوان وكسر الجباة، بعد ذلك كانت حروب الإسلام لتحرير المضطهدين والعبيد. ولقد كان الإسلام يستخدم المسلمين لا للفتح المجرد، إنما للتحرير الذى يطلق عليه الفتح.. لا للاستعمار وإنما للهدى لا لفرض قيود جديدة على الناس، وإنما لتحريرهم.. ولفك قيودهم. ذلك كان هو نوع حروب الاسلام بعد موته - صلى الله عليه وسلم.. أما فى حياته فقد كانت حروبه كلها ردًا للسيوف أن تهوى على رقاب

نساء ورجال وأطفال يؤمنون بأحدية الخالق وحب الكائنات.. هذا بالطبع صحيح وشيء لا يمكن إنكاره أبداً.. ولكن هناك نقطة أود أن أوضحها لك حتى لا يختلط عليك الأمر.. لقد امتدت أطراف الدولة الإسلامية لتشمل كل تلك الدول تحت الخلافة الإسلامية كدولة سياسية وجغرافية واحدة وليس كدولة دينية تفرض الدين على مواطنيها بالقوة فقد كانت الدولة الإسلامية تضم تحت إمرتها المواطنين الأقباط واليهود والمسلمين ولا تفرض عليهم أى قيود لإرغامهم على الدخول فى الدين الإسلامى. مع العلم بأن الخلفاء المسلمين عندما كانوا يقومون بفتح مدينة ما وضماها للدولة الإسلامية، كانت تلك المدينة تحظى بكامل الرفاهيات والمميزات التى تحظى بها العاصمة، من تعليم وخدمات ومرافق وغيرها.. ويتم نشر الدين الإسلامى فى تلك المناطق بنفس الطريقة المتبعة، وهى بناء المساجد ونشر الدعاة فى جميع أرجاء البلاد، ومن اعتنق الدين الإسلامى فقد اعتنقه عن اقتناع. ومن لم يقتنع وظل على دينه وعقيدته فهذه حريته التى لا يعاقبه عليها القانون.. كما أحب أن ألفت انتباهك إلى أن الخلفاء والحكام المسلمين هم من أعدل وأفضل من عرفت البشرية من قادة وحكام.. فقد كانت الدولة الإسلامية تمتد وتتسع سياسياً وجغرافياً باستخدام القوة، ولكن الدين الإسلامى لم ينتشر بالقوة والخوف أبداً.. مفهوم.

أندريه : هذا كلام غير مُقنع، ترددونه أنتم المسلمون كى تبرروا تلك الغزوات الدامية التى قمتم بقيادتها ضد العالم، كما أن الغزوات الإسلامية سواء فى حياة الرسول أو بعد ذلك جميعها تثبت حقيقة واحدة، وهى أن النبى محمد ما هو إلا رجل يحمل السيف أينما ذهب ويهوى القتل. وهو من أرشد المسلمين من بعده لهذا الطريق.

مريم : من فضلك تحدث بأدب عن رسول أمتى عليه أفضل الصلاة والسلام، ومرة أخرى لا تحكم على شىء أنت لا تعرف عنه شيئاً، ودعنى أقوم بشرح هذا الموضوع بالتفصيل. إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يوماً رجل سيف يقتل هكذا بلا سبب، فكما أوضحت لك من قبل أن أى معركة دخل فيها المسلمون كانوا لا يقاتلون سوى من يقاتلهم من الرجال فقط، لذلك فتجد أنه من قواعد القتال الإسلامى أن المسلمين لا يغيرون على امرأة أو طفل أو شيخ أو حتى رجل أعزل. على عكس ما حدث أثناء الحروب الصليبية فيما مضى أو حتى أثناء الحرب الأمريكية على العراق حديثاً على سبيل المثال. وهو موضوع طويل لا أريد الخروج عن موضوعى والتطرق إليه الآن، لذلك اكتفيت بالإشارة إليه فقط.

أندريه : نعم.. ولكننى أريد أمثلة، فعلى حد علمى أن حدود الدولة الإسلامية فى أوج حضارتها امتدت من حدود الصين شرقاً إلى شاطئ الأطلسى غرباً فى أقل من مائة عام، وهل كان هذا الامتداد فقط لأجل نصرة الظلم..

مريم : هل نسيت ما قرأته عليك من قبل، من كتابات القس والمؤرخ المسيحي يوحنا النقيوسي..؟؟

أندريه : لا لم أنس ولكنه ليس بالدليل الكافي..

مريم : أنت دائماً ما تناقش نفس الموضوع عدة مرات.. ولكن إن كنت تريد الحصول على مزيد من الأدلة.. فلك هذا.. انتظر لحظة..

أندريه : تفضلى.

مريم : حسناً أندريه.. سوف أقرأ عليك الآن بتمهل ما عندي من أدلة.. إن لم تفهم استوقفنى للتوضيح كالعادة، كما يمكنك إحضار ورقة وقلم لتدوين ما يمكن تدوينه حتى تتمكن من التأكد من صحة هذه المعلومات..

أندريه : حسناً.. عندي كل شيء تفضلى.. أنا أستمع.

مريم : بعد صلح الحديبية بدأ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بإرسال رسله يكتب يدعو بها ملوك العالم وحكامه، وكان من بينهم ثلاثة من الحكام المسيحيين، هم هرقل الروم، والمقوقس حاكم مصر، والنجاشى ملك الحبشة.. ثم أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - جيوشه لقتال المسيحيين من عرب وروم فى دومة الجندل، ثم فى مؤتة، ثم فى ذات السلاسل.. وقد سجلت كتب السيرة النبوية ذهاب المسلمين إلى الشام قبل الحديبية، حيث كان الأريسيون (طائفة من القبط) يعيشون تحت نير اضطهاد المسيحيين المثلثة، عرباً وروماً، ولم يفرق مثلثة هذه البلاد بينهم وبين الأريسيين فى المعاملة، ولم يشفع لهم كونهم تجاراً يحملون سلعاً بين المدينة والشام، فأذوهم كثيراً.

اعتدى رجال من جذام ولخم على دحية الكلبي (أحد المسلمين) فى السنة الخامسة للهجرة فأرسل لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سرية زيد بن حارثة فى حسمى. اعتدت قبيلتنا مذحج وقضاعة على زيد بن حارثة ورجال معه خرجوا للدعوة إلى الله فى منطقة وادى القرى...

أما بعد صلح الحديبية فإن الصراع قد اتخذ شكلاً أكثر دموية :

ضرب شرحبيل بن عمرو الغسانى عنق الحارث بن عمير الأزدي، وهو رسول أرسله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى حاكم بصرى بالشام التابع لحكم الروم. (المسلمون والروم فى عصر النبوة ص ٨٧ نقلًا عن الصلابي).

أساء الحارث بن أبي شمر الغساني حاكم دمشق استقبال رسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهدد بإعلان الحرب على المسلمين وغزو المدينة. قتل المسيحيون العرب الدعاة في منطقة ذات أطلاح الذين خرجوا للدعوة إلى الإسلام تحت إمرة عمرو بن كعب الغفاري، والذي تحامل رغم جرحه ووصل جريحًا إلى المدينة ليخبر النبي - صلى الله عليه وسلم.

قتل مسيحيو الشام بتشجيع من الروم كل من يعتنق الإسلام من أهل البلاد وكانت أشهر تلك الحالات، حالة قتل فروة بن عمرو الجذامي. وإلى معان الذي أسلم وصلبوه على ماء يقال له عفراء بفلسطين وقتل وإلى الشام من أسلم من عرب الشام. (الصراع مع الصليبيين لأبي فارس ص ٢٠ نقلًا عن الصلابي ص ٤٥٧) أرسل النبي - صلى الله عليه وسلم - لهرقل الروم الرسالة التي أرسلها مع الصحابي الجليل دحية الكلبي، محذرا إياه من استمرار اضطهاد النصارى الموحدين مسميًا إياهم بالأريسيين كما كانوا يلقبون في ذلك الوقت..

نص الرسالة : -

" بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد بن عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم - سلام على من اتبع الهدى - أما بعد فإنني أدعوك بدعاية الإسلام : اسلم تسلم، واسلم يؤتلك الله أجرًا مرتين - فإن توليت فعليك إثم الأريسيين ."

نص رسالة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للمقوقس حاكم مصر من قبل هرقل الروم مع الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة محذرا إياه من استمرار اضطهاد الأقباط : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط. سلام على من اتبع الهدى وأما بعد فإنني أدعوك بدعاية الله ألا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله فإن توليت فعليك إثم القبط ."

وبعث النبي بهذه الرسالة مع عمرو بن أمية الضمري رضى الله عنه إلى الأصحم ملك الحبشة الملقب بالنجاشي، وكان ذلك في شهر المحرم سنة سبع للهجرة وهذا نصها : " بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة.. سلام عليك، فإنني أحمد إليك الله الملك القدوس المهيم وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاه إلى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وإن تتبعني

فتؤمن بي وبإلذى جاعني، فإنى رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاعوك فأقرهم ودع التجبر، فإنى أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل. وبلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتى.. والسلام على من اتبع الهدى".

ويلاحظ عدم تحميل النبى - صلى الله عليه وسلم - ملك الحبشة إثم أحد مثلما فعل مع هرقل والمقوقس إذ حملهما إثم الأريسيين وإثم القبط، كما لم يسجل التاريخ ذهاب أى جيش مسلم للحبشة التى كان ينعم الناس فيها بحرية الاعتقاد.

ويؤيد الدكتور معروف الدواليبى فى الأريسيين، ما قاله من أن النبى - صلى الله عليه وسلم - إنما عنى بقوله: فإن توليت فعليك إثم الأريسيين أتباع أريوس، الفرق المسيحية الوحيدة القائلة ببشرية المسيح النافية لألوهيته.

وقد تحدث الإمام أبو جعفر الطحاوى عن هذه الفرقة فقال ذكر بعض أهل المعرفة بهذه المعانى أن فى رهط هرقل فرقة تعرف بالأروسية، توحد الله.. وتعترف بعبودية المسيح له. ولا تقول شيئاً مما يقوله النصارى فى ربوبيته وتؤمن بنبوته، فإنها تمسك بدين المسيح مؤمنة بما فى إنجيله، جاحدة لما يقوله النصارى سوى ذلك.

الفقرات التى كتبت بالخط الأسود السميك نقلت جميعها عن كتاب أقباط مسلمون قبل محمد.. لفاضل سليمان.

مريم : لقد انتهيت.. هل فهمت كل شىء يا أندريه..

أندريه : من حيث اللغة نعم، ولكن من حيث الفكرة أنا أتعجب..

مريم : هل تتعجب، لأننى أخبرك أن المسلمين لم يبدأوا العدوان يوماً.. أم هل تتعجب لأنك رأيت فى نماذج رسائل الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه، نماذج لحوار قائم على الرغبة فى حقن الدماء والحفاظ على حقوق الإنسان...!!!

أندريه : مريم.. أنتِ تتحدثين طبقاً لمصادر إسلامية.. هذه ليست مصادر تاريخية تخصنى، أو تخص الكنيسة..

مريم : ويمكنك أن تتحقق بنفسك، وتتأكد مثلاً من حقيقة عدم دخول الجيوش الإسلامية الحبشة يوماً، التى كان يتمتع سكانها بالفعل بحرية العقيدة..

ولا تنس كيف أخبرتك من قبل عن كلام القس المصرى المؤرخ يوحنا النقيوسى، وعن كيفية أن المسلمين عندما دخلوا البلاد لم يأخذوا من مال الكنيسة شيئاً، وأنقذوا المسيحيين من نير الرومان.. لا تنس ذلك.. فجميعها أدلة على أن الإسلام لم ينتشر بالقوة، ولو فعل.. إذاً فكان بالأحرى بك أن تقرأ عن المجازر التى ارتكبتها المسلمون لإرهاب غير المسلمين فى أى بلد فتحوها.. وإنما هذا لم يحدث، لأن أهالى البلدان المفتوحة عندما اعتنقوا الإسلام اعتنقوه عن رضا.. هل تفهم الآن...؟؟

أندريه : أنا أفهم.. ولكن هذا لا يمنع أننى سوف أبحث لأتأكد..
مريم : وأنا أؤيد ضرورة هذا البحث.

أندريه: ولكن على حد علمى أن المسلمين كانوا يخصصون نوعاً معيناً من الضرائب يتم فرضه على أهل الكتاب فقط، فلو كان كلامك حقاً صحيحاً، ولا يوجد هناك تفرقة بين المسلمين وغير المسلمين فى عهد الدولة الإسلامية أو فى التاريخ الإسلامى. إذًا فما هو تفسيرك لوجود هذه الضريبة..؟؟

مريم : هذه الضرائب كانت موجودة بالفعل وتسمى الجزية أو الخراج وكانت مفروضة على غير المسلمين من مواطنى الدولة الإسلامية وليست مفروضة على جميعهم أيضاً.. فلقد كانت تفرض على الرجال البالغين فقط.. أى الرجل القادر على الاشتراك فى الحرب.. ويعفى منها النساء والأطفال والشيوخ والرجال غير القادرين على دفع الجزية.. وكانت تفرض عليهم دون المسلمين، لأنهم كانوا يحصلون فى مقابل دفعها على خدمات كثيرة مثل تنظيم المرافق العامة، والحفاظ على ممتلكاتهم، ونشر الأمن والطمأنينة. والأهم من ذلك أن هذه الضرائب كانت مقابل عدم مشاركة أهل الذمة فى الدفاع عن الكيان الإسلامى والمشاركة فى الحرب فى حالة وجود خطر محتمل. ففى مقابل هذه الضرائب يتحمل المسلمون مسئولية القتال لأجل الدفاع عن الوطن بينما يمكن غير المسلمين فى منازلهم آمنين. وأعتقد أن هذا شئ نبيل جداً لا يمكنك أن تجده فى أى دولة أو نظام حكم غربى متقدم يقوم على أسس الديمقراطية.

أندريه : حقاً.. وهل كانت تُفرض على المسلمين ضرائب فى المقابل.

مريم : نعم بالفعل كانت تُفرض عليهم ضرائب أخرى لم تُفرض على غير المسلمين. إن المسلمين فى مقابل الجزية والخراج يتحملون أعباء مالية كثيرة يؤدونها للدولة كالزكاة بأنواعها المختلفة والصدقات والتكاليف الطارئة. وقد ضرب المسلمون أروع الأمثلة فى تمسكهم بمقتضى التزامات عقد الذمة، فكانوا يردون الجزية إلى أصحابها إذا داهم المسلمين خطر أجنبى قد لا يتمكنون لسبب ما من حماية الأقليات فى بلادهم. ومن ذلك ما فعل أبو عبيدة بن الجراح حينما حشد الروم جموعهم على حدود البلاد الإسلامية الشمالية، فكتب أبو عبيدة إلى كل والٍ ممن خلفه فى المدن التى صالح أهلها، يأمرهم أن يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية والخراج، وكتب إليهم أن يقولوا لهم: «إنما رددنا عليكم أموالكم، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم اشتربتم علينا أن نمنعكم وأنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط، وما كتبنا بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم». فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم

الأموال التي جبوها منهم قالوا: "ردكم الله علينا ونصركم عليهم (أى على الروم النصارى)، فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقى لنا مما يدل على أن هذه الأقليات كانت فى رضامطلق وفاء وإخلاص أصيل لحكم المسلمين".

أندريه : أنه حقاً أسلوب تنظيم رائع، فى إدارة شئون الدولة والعدل وعدم التفرقة بين مواطنيها.

مريم : نعم بالفعل هذا من أهم الأسس والدعائم التي أرساها ووضعها الإسلام فى حياة المسلمين. حتى تكون منهجاً يسير عليه الناس لقرون وقرون من الزمان. فالإسلام هو دين كل زمان ومكان. فقد كان المسلمون عند فتحهم أى بلد، يقومون بنشر الأمن والأمان فيها، وإعادة الاستقرار إليها وجعلها تبدو تماماً كقطعة من البلد الأم، فكان غرض المسلمين بجانب نشر الإسلام هو نشر الحضارة والثقافة والعلم والتقدم، لأن المسلمين فى ذلك العصر كانوا فى أوج حضارتهم وتقدمهم، وكانوا دولة القوة والحق والعدل التي تهابها جميع الدول آنذاك. فهناك حديث شريف عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعد أيضاً دليلاً على أن غرض المسلمين لم يكن هو الحصول على سلطة أو مال أو بسبب أى دافع دنيوى زائل مثل هذا "روى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عرضاً من عرض الدنيا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أجر له. فأعظم ذلك الناس، وقالوا للرجل: عد لرسول الله، لعلك لم تفهم. فقال: يا رسول الله، رجل يريد الجهاد فى سبيل الله، وهو يبتغى عرضاً من عرض الدنيا؟ قال: لا أجر له. فقالوا للرجل: عد لرسول الله. فقال له الثالثة، فقال: لا أجر له".

وهناك حديث شريف آخر أيضاً يتحدث فى نفس الشأن حيث روى عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه "أن أعرابياً جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال: أن الرجل يقاتل للذكر، ويقاثل ليحمد، ويقاثل ليغنم، ويقال ليرى مكانه، فمن فى سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله». " فهل لا زلت تعتقد يا أندريه بعد هذا الكلام، أن مقصد وغرض المسلمين من القتال كان لأسباب مادية دنيئة؟؟

أندريه : هذا فقط ما سمعته وأردت التحقق منه، فأنا كما تعرفين لم أقرأ بتمعن ولا مرة فى شئون الدين الإسلامى.

مريم : وهو سبب أغرب يجعلنى أتعجب من عدم معرفتك لشيء عن ديننا الحنيف ومع ذلك رغبتك الملحة فى مهاجمته، فأعتقد أنه كان الأحرى بك بدلا من أن تقوم بتسمية الفتوحات

الإسلامية احتلالاً وسفكاً للدماء بغرض نشر الدين، ألا تنسى الحملات الصليبية على بيت المقدس التي قامت بسفك دماء وقتل ونهب كل من فيها تحت اسم وشعار الصليب.. أليس كذلك!!!

أندريه : أعتقد أن من قاموا بتلك الحملات الصليبية ليسوا مسيحيين حقيقيين، بل هم من مدعى المسيحية. نحن نخجل منهم.

مريم : وهذا شيء من اللازم أن يجعلك تتفهم من يقوم بارتكاب عمليات إرهابية ونسبها إلى الإسلام، فكما خجلت من الحملات الصليبية الدموية، نحن أيضاً نتبرأ من أى شخص يُسمى نفسه مسلماً ثم يقوم بقتل أبرياء. فما أغرب وسائل الإعلام الغربى التي تُطلق على المسلمين كل ما هو سيئ وتبحث خلف الدين الإسلامى محاولة منهم أن يجدوا أى شيء يدينون به هذا الدين العظيم، ومحاولة منهم لإسقاطه وتخلى الناس عنه وهو لم ولن ينجح فيه أحد أبداً. لأن الإسلام دين خالد والقرآن كتاب يحميه الله على الأرض، لذلك فهو لن يسقط أبداً.

أندريه : حسناً يا مريم أنا أحترم معتقداتك مهما كانت اختلافاتنا.

مريم: وأنا أريد أن أسألك، لماذا تتهم الفتوحات الإسلامية بالاحتلال والرغبة فى السيطرة والاستعمار. بينما يعرف العالم أجمع عن القائد الإغريقى الإسكندر الأكبر الذى جاب العالم شرقاً وغرباً فقط ليقوم بتوسيع حدود دولته، وترك بصمات راسخة فى تاريخ كل الأمم. ولا يزال يُعتبر هذا القائد من أعظم قادة التاريخ، بينما يعتبر محمد - صلى الله عليه وسلم - رجلاً مبعوضاً فى الغرب، بالرغم من أنه كان يسعى لنشر الخير والسلام والحب بين البشر، عن طريق فتوحاته الإسلامية التى كان هدفها الأول والأخير إعمار الأرض.

أندريه : هو سؤال مهم، ولكنه لم يتطرق إلى ذهنى من قبل ولا مرة.

مريم : ولن يتطرق إلى ذهن أى إنسان لا يسعى لمعرفة الحقيقة بصدق يا أندريه، يجب أن تقرأ كتباً ومراجع عن الدين الإسلامى كى تتمكن من أن تفهم.

أندريه : أعدك أننى سوف أحاول أن أفعل ذلك.

مريم : وأنا أتمنى أن تفعل حقاً.

أندريه : مريم أود أن أسألك سؤالاً ملحاً جداً، يتطرق إلى ذهنى كثيراً.

مريم : أى سؤال؟؟؟

-أندريه : أنت فتاة ذكية ومتفتحة ومتقفة، فطريقة تفكيرك ونجاحك فى تحقيق أحلامك والوصول إلى ما تريدين هو من أسلوب حياة الغرب المسيحيين المتقدمين الذين يقدرّون قيمة الوقت والعمل وليس المسلمين...الأجدر بك أن تعيشى فى بلد آخر، وتعتنقين ديانة أخرى.. كى تقدرك الحياة وتعطيك أكثر من ذلك بكثير، إذًا لماذا أنت مسلمة ..؟؟

مريم : مبدئيًا شكرًا لك على هذا.. ولكن أود أن أوضح لك شيئًا، وهو أن التزامى دينى قلبًا وقلبًا هو ما أوصلنى إلى ما أنا عليه، وحبى وإخلاصى لله وللدين الإسلامى هو ما سيوصلنى إلى تحقيق أحلامى والوصول إلى أعلى المراتب فى الحياة بإذن الله. إن النجاح والثقافة ليسا شيئًا يتعلق فقط بجنس بعينه أو ديانة أو جنسية.. وإنما النجاح طبقًا لأحد القوانين التى أرساها الله على الأرض من خلال الإسلام يكون سببه الأساسى هو كثرة العمل والاجتهاد.. فى دينى الإسلامى لكل مجتهد نصيب.. ولذلك فقد وصلت إلى ما أنا عليه فالنجاح ليس قصرًا على المسيحيين أو اليهود، وإنما النجاح هو الجائزة التى تصبح من حق كل إنسان مجتهد.

أندريه : ولكن لماذا الدول الإسلامية والعربية أصبحت فى مؤخرة ركب الحضارة.. لو كان كلامك صحيحًا لكنتم الآن أنتم القوة العظمى فى العالم أليس كذلك؟؟

مريم: نعم أنت محق فى أن الدول العربية قد تخلفت بمراحل عن ركب الحضارة العالمى.. ولكن هذا لسبب واضح وهو أن أغلب العرب والمسلمين للأسف الآن لا يتبعون الدين الإسلامى كما يجب أن يكون.. مثل عدم اتباع الدين الإسلامى فى البحث العلمى، ونهب المال العام، وعدم تطوير التعليم الأساسى والجامعة وعدم دعم البحث العلمى فى الجامعات العربية.. هذا بالإضافة إلى المعاناة من الكثير من المشكلات الاقتصادية، ومن المشكلات السياسية. وأيضًا لأن العديد من الدول العربية عاشت تحت حكم استبدادى لسنوات طويلة من الزمن مما ترك أثرًا كبيرًا على طبيعة تفكيرها وطريقة حياتها. فكل هذه تعد من معوقات التقدم الحضارى.. ولكن لو نظرت إلى التاريخ الإسلامى فى القدم.. لوجدت أن العلماء المسلمين هم من ارسوا قواعد العلوم الإنسانية تقريبًا فى جميع مجالات العلوم الإنسانية الموجودة الآن..

أندريه : أخبرينى عن بعضهم من فضلك..

مريم : حسنًا، مثل العالم المسلم الحسن بن الهيثم، الذى قدم إسهامات كثيرة فى الرياضيات والبصريات والفيزياء وعلم التشريح وعلم الفلك والهندسة والطب وطب العيون وعلم النفس والفلسفة

والإدراك البصرى والعلوم بصفة عامة مستخدمًا تجاربه التى اعتمد فيها على المنهج العلمى. ومن أشهر إنجازاته، أنه هو من أثبت حقيقة أن الضوء يأتى من الأجسام إلى العين، وليس العكس كما كان يعتقد فى تلك الفترة. كما تنسب إليه مبادئ اختراع الكاميرا. وهو أول من شرح العين تشريحًا كاملاً ووضح وظائف أعضائها. وهو أول من درس التأثيرات والوظائف النفسية للإبصار. كما احتوى كتابه المناظرة على معادلة من الدرجة الرابعة حول انعكاس الضوء على المرايا الكروية ما زالت تعرف باسم مسألة ابن الهيثم.

أندريه: حسناً.. هذا جيد. أليس لديكِ أى فكرة عن الفترة الزمنية المحددة التى كان يعيش فيها هذا الرجل؟؟

مريم : أنا لا أتذكر التواريخ والأرقام بطريقة جيدة لذلك أمهلنى لحظات سوف أبحث عبر شبكة الإنترنت عن هذه المعلومة.. لقد ولد الحسن بن الهيثم فى العام ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م - وتوفى سنة ٤٣٠ هـ / ١٥٤٠ م.

أندريه: لقد كان هذا منذ زمن بعيد حقًا، ومن المبكر جدًا لهذا الرجل أن يكون له كل هذه الإنجازات العلمية.

مريم : نعم بالتأكيد أنت محق، كما يوجد هناك الكثير والكثير من علماء هذا العصر ولكن أنا لدى ذاكرة ضعيفة بعض الشيء ولا أتذكر أسماء أخرى، لذلك سأكتفى بإعلامك بهذا الرجل فقط.

أندريه : حسناً وأنا أعدك بأننى سوف أبحث بدقة أكثر عن هذا الرجل وأقرأ عنه المزيد لأتأكد بنفسى مما قدمه هذا الرجل للبشرية.

مريم : وأنا سعيدة بهذا الوعد جدًا.

أندريه: ولكن ترى ما هو الفرق بين مسلمى القدم ومسلمى الآن.

مريم : أعتقد أن الكثير من المسلمين الآن لا يتبعون الدين الإسلامى قلبًا وقالبًا، أى أن الدين الإسلامى فى الأساس لم يقم على المظاهر فقط.. مثل ارتداء الملابس الإسلامية، والصلاة، وقراءة القرآن فقط.. وإنما الدين الإسلامى قام على كل هذا وأهمها اتباع أخلاقيات الدين الإسلامى فى التعاملات الحياتية.. مثل التعامل بمبادئ الإسلام.. مثل عدم الكذب، والخيانة، الوفاء بالوعد.. احترام الغير ومعاملتهم كما تحب أن تعامل من الآخرين. مودة الجار وصلة الرحم.. وأهم من كل هذا.. حب العلم والقراءة والتوغل فى البحث العلمى حيث إن الدين

الإسلامى قد كرم العلم والعلماء وطلبة العلم فى الدين الإسلامى تحفهم الملائكة.. ومن خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله إلى أن يرجع، وهذا يعنى أنه إن مات فى أثناء ذلك فهو شهيد.

هل تذكر ذلك الحديث النبوى الذى أخبرتك عنه من قبل؟؟

أندريه : أى حديث؟؟

مريم : هذا الذى يحدثنا فيه سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - (اطلبوا العلم ولو فى الصين)، هل لديك أدنى فكرة عن بعد الصين عن الجزيرة العربية فى ذلك الوقت...!!!

أندريه : نعم، نعم لقد تذكرت هذا الحديث وأفهم معناه جيداً أيضاً، فبالرغم من المسافة الهائلة بين الصين والجزيرة العربية والمشقة التى قد يتكبدها المسافر، فقد حث الرسول محمد" صلى الله عليه وسلم" طلبه العلم أن يذهبوا إلى أقصى الأرض فى سبيل طلب العلم.

مريم : نعم لقد فهمته بالضبط، كما أنه يوجد الكثير من الآيات القرآنية التى تحث على طلب العلم وتكرم العلماء، حتى أن الدين الإسلامى قد اعتبر أن العلماء هم ورثة الأنبياء . ولو اتبع المسلمون الآن نهج الإسلام هذا لكنا الآن على قمة الهرم الحضارى بين دول العالم الحديث، بل وكنا تخطيناهم بمراحل.. ولكن للأسف هذا ما نحن عليه وهذا ما نحاول أن نعيد بناءه وتعديله فى المجتمعات العربية من جديد..

ولقد استسلمت أنا شخصياً فى فترة من حياتى لهذا التيار الجارف، وأضعت الكثير من الوقت الذى سيحاسبنى عليه الله فى يوم ما. ولكن الحمد لله أننى قد أفقت فى الوقت المناسب وقيل فوات الأوان.. وها أنا الآن أحاول بقدر الإمكان أن أعمل كثيراً حتى يوفقتى الله ويجازينى بما أستحق، وبما اجتهدت فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.. فنجاحى هذا الذى تمتدحه هو من فضل ربي، ومن فضل اتباعى لدينى..

أندريه: هل تقولين أنك تتبعين الدين الإسلامى بالكامل.. ولا تقومين بفعل أى شىء خاطئ.. إذا فأنت تظنين أنك إنسانة كاملة ولا يوجد أى إنسان كامل..

مريم : من قال أننى إنسانة كاملة، ومن قال أننى لا أخطئ.. أنا إنسانة عادية جداً. وبالتأكيد يوجد هناك بعض الجوانب التى تتقصى فى دينى.. فلا يوجد منا من هو كامل، إن الكمال لله وحده. ولكننى فقط أوضح لك أن ما وصلت إليه هو بفضل اتباعى لأوامر دينى فى مجال العلوم.. ولكن علاقتى برى، والتزامى بدينى.. أنا أعتبرها علاقة شخصية جداً.. تشبه فى سريتها

العلاقة بين الرجل وزوجته، وأفراد الأسرة الواحدة فيما بينهم.. فالله ربي هو الوحيد القادر على الجزم فى مدى التزامى، وإذا كنت أستحق الجنة أم النار، وإذا كان إيمانى كاملاً أم لا.. فاتباع الدين الإسلامى بالقلب والأخلاق والمبادئ أهم بكثير من اتباعه بصورة مظهرية فقط.. مثل هؤلاء الإرهابيين عندما أخبرتك أنهم لا يفهمون دينهم حق فهمه.. فكان هذا ما أعنيه حقاً. هو أنهم لو اتبعوا مبادئ الدين الإسلامى من حيث عدم قتل النفس التى حرم الله قتلها، لما كانوا قد أساءوا لصورة الإسلام بتلك الطريقة.. هل فهمت؟؟

أندريه : ولكن هناك دول كثيرة مثل، إنجلترا وأمريكا وفرنسا وغيرها من الدول التى أحرزت تقدماً هائلاً فى العلوم الإنسانية.. لو كان ما تقولينه صحيحاً إذاً فلماذا سمح الله لهم بهذا التقدم على الرغم من عدم اعتناقهم الدين الإسلامى، أو بالأحرى عدم اعترافهم به.. ما هو تفسيرك لهذا؟

مريم : تفسيرى واضح وصريح ولقد أخبرتك إياه بالفعل.. ألا وهو أن الله يعطى كل إنسان من النجاح والتقدم بقدر عمله واجتهاده، فبغض النظر عن ألوان الناس وأشكالها ومناصبها وجنسياتها وديانتها. فالعدل هو القانون السماوى الذى يسرى فى الأرض رغماً عن أقوى البشر وأكثرهم ثراء على الإطلاق . والله يعطى كل إنسان من النجاح على قدر عمله. وهم يعملون بجهد أكبر بكثير مما نفعه نحن، لذا من العدل أن يحققوا نجاحات تسبقنا بكثير..

أندريه : حقاً.. لقد فهمت، ولكن لماذا تدافعين عن هذا الدين بقوة جداً، لماذا مع العلم بقولك أنك لست على دراية كاملة بعلوم دينك..؟؟

مريم: هذا طبيعى وذلك لأننى أقرأ فى الدين الإسلامى بإرادتى وليس من باب الدراسة.. كما أننى لست من علماء الدين، أنا فتاة مسلمة عادية جداً. وهذا كل شىء، ولقد ولدت على الإسلام، وسأموت على الإسلام إن شاء الله. وسأظل أدافع عن هذا الدين حتى ينقطع النبض عن قلبى...

أندريه : حسناً.. كيفما شئت...!! العجيب فى الأمر حقاً يا مريم.. هو أنك متمسكة بهذا الدين، بالرغم من وجود تناقضات واضحة جداً فيه..

مريم : حقاً...!! تناقضات وفى دينى...!!! وما هى تلك التناقضات يا ترى...!!!

أندريه : كيف من الممكن أن يكون الملاك الذى أنزل على محمد (عليه أفضل الصلاة والسلام) فى الغار أول مرة نزل فيها الوحي قام بضربه ليرغمه على القراءة...

مريم : ضرب من...!!!! حقاً.. هل أنت مقتنع بهذه المعلومة الخاطئة. أندريه.. إن سيدنا جبريل عليه السلام عندما نزل على سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام لأول مرة كان يحتضنه ويضمه إلى صدره بشدة، ولم يكن يضره أبداً.. ولكن إن كنت أنت مقتنعاً بهذه المعلومة.. فأنا لن أسألك عن مصدرها لأننى أعرف مسبقاً.. ولكن يكفينى أن أخبرك أن هذه المعلومة غير صحيحة بالمرة وسوف أقوم برواية المشهد الذى أنزل فيه الوحي لأول مرة كما هو من كتاب يروى عن أنبياء الله لدى فى المنزل حتى تتضح لك الصورة أكثر فأكثر..انتظر لحظة..

أندريه : حسناً..

مريم : وهكذا أخذت مريم تقرأ بالعربية ثم تترجم بصوت عال لأندريه الآتى (كان يجلس فى غار حراء يوماً، حين فوجئ بجبريل يقف على باب الغار.. احتضنه الملك وضمه إلى صدره بشدة وهو يأمره قائلًا :
_ اقرأ..

قال محمد بن عبد الله_ ما أنا بقارئ...

يريد أن يقول أنه لا يعرف القراءة والكتابة فكيف يقرأ إذا...؟؟

عاد الملك يضمه لصدره ضمًا شديدًا حتى ظن الرسول أنه الموت، ثم أطلقه الروح الأمين وهو يأمره اقرأ..

وعاد يرد قائلًا : ما أنا بقارئ..

ويعود الملك الكريم لاحتضانه ويعود ليأمره أن اقرأ..

ويجيب مرتجفًا : ماذا أقرأ...؟؟؟

وهنا تلا جبريل عليه السلام أول آيات فى آخر رسالات السماء إلى الأرض :

(اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) الآيات من ١ إلى ٥ من سورة العلق.

بعدها اختفى الروح الأمين مثلما ظهر فجأة.. حينها أحس الرسول نفس الخوف الذى أحسه موسى وهو يستمع إلى النداء الأقدس فى وادى طوى.. ومثلما جرى موسى فرعًا.. هرع محمد بن عبدالله عائداً إلى بيته...) هذه الفقرة من كتاب أنبياء الله لأحمد بهجت.

مريم : هل الكلام مفهوم بالنسبة لك..؟؟

أندريه : نعم مفهوم.. شكرًا على الترجمة..

مريم : أما من أسئلة يا صديقي العزيز ...؟؟

أندريه : نعم.. لماذا تعد الحياة في سوريا في وسط ذلك المجتمع الإسلامي جحيماً..؟؟

مريم : جحيماً !!!! من قال ذلك. يعيش في سوريا العديد من المذاهب منهم الأكراد والشيعية والسنة، والكثير من المسيحيين بسلام منذ العديد من السنوات بلا مشاكل، فكل منهم يعرف كيف يحترم الآخر. وأنا بنفسى قد سافرت إلى هناك عدة مرات، وعائلة أمى تعيش هناك. وأستطيع أن أؤكد لك بنفسى أن الحياة هناك جميلة وعادية جداً. ولا يوجد فيها أى نوع من أنواع الاضطهاد.

أندريه : بالطبع ستكون حياتك هناك هادئة، لأنك مسلمة مثلهم. ولكن ماذا لو فكرت في تغيير عقيدتك وترك الدين الإسلامي مثلما فعلت تلك السيدة السورية (المرأة التى تحدثنا عنها من قبل، التى تركت الدين الإسلامي وهربت للاستقرار فى أمريكا)...؟؟؟ بالتأكيد ستتحول حياتك إلى جحيم.. أليس كذلك..؟؟

مريم : حسناً، لأجل التوضيح فقط. هنا فى الدول العربية بالنسبة للمسيحيين والمسلمين، الأمر سيان. فالخروج عن العقيدة سواء كان لأجل اعتناق الإسلام، أو الخروج عن الإسلام لأجل اعتناق المسيحية. ليس مقبولاً تماماً. فعلى سبيل المثال هنا فى مصر قد حدثت العديد من المشكلات التى أوشكت على أن تتحول إلى فتنة طائفية بين المسلمين والمسيحيين. بسبب فتاة أعلنت إسلامها. أو العكس. فذلك الرفض يكون من طرف الديانتين وليس الإسلام وحده.

أندريه : ولكن لماذا؟؟؟

مريم : إذا أردت إلقاء اللوم على أحد، فألقى باللوم على العادات والتقاليد، وعدم تقبل فكرة الحريات الشخصية وانعدام ثقافة الديمقراطية.. وليس الأديان السماوية. فالبشر طريقة تفكير مرتبطة فى أغلبها بالعادات والتقاليد وتعود إلى أسلوب التنشئة، ولا علاقة لها بالأديان.

أندريه: ولكن هذه الطريقة موجودة فقط لدى العرب وليست لدى الغرب فى شىء.

مريم : هذا ليس صحيحاً بالمرّة، فطريقة التفكير هذه موجودة لدى الكثير من البشر على اختلاف ألوانهم وجنسياتهم، بل هى موجودة لدى الأسر اليهودية أيضاً. فلقد قرأت اليوم عبر الإنترنت عن قصة فتاة يهودية أثارت ضجة فى الأوساط الإسرائيلية بسبب اعتناقها الإسلام..

أندريه : أين قرأت هذه القصة بالتحديد؟؟

مريم : قرأتها على موقع إخبارى عربى. وسوف أنقلها لك تمامًا الآن كما قرأتها، فقط أعطنى لحظة، أندريه.. هل من الممكن أن أقرأ لك هذا الخبر فيما بعد. حيث أنه طويل جدًا وصعب ولا يمكننى أن أترجمه الآن فورياً.

أندريه : حسنًا بالتأكيد سوف أنتظر للمرة القادمة، لا عليك ولكن ما هو رأيك الشخصى حول ذلك.. هل تتقبلين فكرة مثل هذه فى مجتمعك.. أنت شخصياً؟؟ ماذا لو تركت إحدى صديقاتك الدين الإسلامى وتحولت إلى المسيحية..؟؟ ماذا ستفعلن حينها؟؟

مريم : حسنًا. وجهة نظرى الشخصية كفتاة مسلمة أن الخروج عن الدين الإسلامى، ليس مقبولاً أيضاً. ولكن هو شئ ليس من الممكن أن أعطى فيه حكماً، فمن بيده الحكم فى أمر كهذا وحده هو الله. هو من نعبده سواء كنا مسيحيين أو مسلمين. ومن وجهة نظرى أننى لو فعلت إحدى صديقاتى المسلمات ذلك، فإننى بالتأكيد لن أقطع علاقتى بها، بل من المحتمل أننى سوف أتحدث إليها عن أسباب تركها للدين الإسلامى وأحاول أن أنهاها عن ما فعلته. فإذا استمرت على هذا الرأى، إذا فهذه حريتها الشخصية، ولا دخل لى فى ذلك.. وسوف أتبع الآية القرآنية التي تقول (لكم دينكم ولي ديني). فالتعصب الدينى ليس من سمات المسلمين.. مفهوم؟؟؟

أندريه: ولكن لو حدث وتحول إنسان مسلم إلى الدين المسيحى.. ألن تقتله عائلته انتقاماً لفعلته تلك؟؟

مريم: من قال ذلك؟؟؟ أنا لست على تمام الثقة من منح امكانية قتل المرتد عن الدين فى الإسلام ، فلا يمكننى الرد بالإيجاب او بالسلب لأن هذا الشأن بحاجة الى شيخ ، ولكن أنا لا أعتقد أن شخصاً مسلماً سيقوى على قتل ابنه، ولكن أعتقد أنه فى هذه الحالة ستقف الأسرة عند حد قطع العلاقات مع هذا الفرد من العائلة وحرمانه من الميراث.

أندريه: ولكن لو حدث العكس لما قطعت الأسرة المسيحية أبداً علاقتها بابنها لأجل ذلك.. المسيحيون مختلفون عنكم.

مريم : وهذا أيضاً معتقد خاطئ تماماً.. فلا توجد أى عائلة مسيحية بإمكانها أن تفعل ذلك، هل تعرف أن لدى صديقة مصرية من أم يونانية وأب مصرى. إن والدتها صديقتى خرجت من الدين المسيحى وأصبحت مسلمة، وتزوجت من والد صديقتى. وقد نجح زواجهما واستمر لما يقرب ٢٥

عامًا. ولكن عندما قررت تلك السيدة الخروج من الدين المسيحي، حرمتها عائلتها من الميراث، وتخلت عنها تمامًا.. حتى أن والدتها أخبرتها أنهم لا يعتبرونها ابنتهم من ذلك اليوم وصاعدًا..

أندريه: وماذا حدث بعد ذلك؟؟

مريم: لم تتردد تلك السيدة ولم تعد عن قرارها وها هي الآن.. ولكن عائلتها ما لبثت أن عادت الإتصال بها مرة أخرى بعد فترة زمنية.. وعادت الأمور إلى نصابها..

أندريه : نعم، أتفهم.. ولكن من الممكن أن تكون قد اعتنقت الإسلام فقط، لأنها أحببت ذلك الرجل، وليس عن اقتناع بالإسلام.. أليس كذلك..؟

مريم : لا بالطبع هذا ليس صحيحًا.. فهي عندما تزوجت هذا الرجل المصرى فى بداية زواجهما ظلت مسيحية لمدة تزيد على العام بعد الزواج.. ثم تحولت إلى الإسلام بملء إرادتها بعد ذلك.. لذا فلا يمكن أن نقول أن رغبتها فالزواج هي ما دفعها للإسلام.. كما أنك لا تعرفها، إنها سيدة مثقفة ذات عزيمة، ولا يمكن أن تقتنع بدين لأجل الحب فهي تزن كل شىء بعقلها قبلًا.. كما أن أسبابها الحقيقية هي شىء لا يعينى.. فالعلاقة بين العبد وربيه هي علاقة شخصية..

أندريه : وهل من المحلل فى الإسلام الزواج من غير المسلمين..؟

مريم : بالنسبة للرجال نعم، هو كذلك.. وبالنسبة للنساء لا.. ليس محللاً.

أندريه : لماذا..؟؟؟ أليست هذه تفرقة أيضاً..؟

مريم : كنت متأكدة أنك سوف تطرح هذا السؤال.. لا يا أندريه هذه ليست تفرقة فى شىء، وهو أمر قد تم لسبب وجيه جدًا.. وهو أن الأطفال دائماً ما يحصلون على دين وجنسية واسم والدهم.. والعكس لا.. فالرجل إن تزوج من غير مسلمة، سيكون أولاده مسلمين.. أما المرأة المسلمة فستنجب أبناءً غير مسلمين وهو أمر غير مستحب..

أندريه: حسنًا فهمت .. ولكن أريد أن أسأل.. السيدة المسيحية التى أخبرتك عنها التى تركت الدين الإسلامى وهربت إلى أمريكا.. قالت إن النساء المسلمات غيبات وليست لديهن سيرة مهنية رائعة كالتى لدى نساء الغرب، وأن الإسلام طمس حقوق المرأة وقضى على كيائها.. لماذا؟؟

مريم: من الواضح أندريه أنك تأخذ كلام تلك السيدة على محمل الجد فعلاً.. ولكن فقط لكى تعرف أن هناك الكثير من المعتقدات الخاطئة عن حياة المسلمين فى الدول العربية والسيدات

وغيرهن.. وأكثرها عن السيدات هي أن سيدات العرب غيبات ولكن من قال هذا. فالمرأة الآن تعمل في كل المجالات تقريباً مثل الرجل، كما أن هناك العديد من النساء اللواتي يمتلكن سيراً ذاتية رائعة وفي نفس الوقت تمتلك أسرة رائعة. فالمرأة في الوطن العربي تشكل الحياة العائلية جزءاً لا يتجزأ من حياتها، ولا يمكن أن تجد امرأة تعيش بلا أسرة، وهذا هو الأهم ثم يأتي بعده الانتماء إلى مهنة بعينها والتفوق فيها. فهنا في مصر على سبيل المثال قد تجد المرأة وزيرة، وسفيرة ومحامية وقاضية وطبيبة، وكاتبة وغيرها.. فلا وجود لمثل تلك المعتقدات الآن. ولكي أكون صادقة معك، هناك بالفعل من السيدات من تأثر الابتعاد عن الحياة العملية والتفرغ التام للاهتمام بالأطفال، وهناك من تفضل أن تفعل كلتا المهمتين في وقت واحد. تماماً مثل ما يوجد في أى مجتمع سوى هناك دائماً الاتجاه والاتجاه المضاد.. وما تقوله هذه السيدة ليس حقيقياً ولو كان هذا فعلاً حقيقياً إذاً فكيف أنا هكذا فتاة مسلمة استطعت أن أحقق نجاحاً على الصعيد الشخصي في مجال دراستي الجامعية وتمكنت من التحدث باللغتين الروسية والإنجليزية.. كيف؟؟

أندريه : أعتقد أنك حالة استثنائية..

مريم : لا لست كذلك، هناك الكثير من النساء والفتيات المسلمات، اللواتي حققن نتائج مذهلة في شتى مجالات العلم.. ولكن أنصحك بألا تستمع لتلك السيدة مطلقاً فمن الواضح أن فكرتها عن الإسلام مشوهة وهي تسعى لتشويهها لدى الجميع.. كما أن هناك العديد من المعتقدات الخاطئة التي أراها في الأفلام الأجنبية عن المسلمين وطريقة حياتهم.. مثل أن العرب وحتى الآن لا يزالون يعيشون في خيام في الصحراء ويتنقلون عبر الجمال.. ولا أعرف لماذا؟؟ بالرغم من أنك لو قمت بزيارة لأي دولة عربية ستجدها طبيعية جداً، ويوجد فيها طرق وسيارات.. وهناك معتقد آخر أيضاً مثل أن جميع المسلمين من الرجال يرتدون الجلابية فقط، والنساء العباءة فقط.. وهذا أيضاً خاطئ، ففي بلدين مثل مصر وسوريا المسلمون من الرجال والنساء يرتدون ما يحلو لهم.. والمعتقد الخاطئ الأكبر بين كل هذا هو أن الرجل الشرقي يقوم بحبس زوجته وابنته في المنزل حتى لا يراها أحد، كما أن الفتاة في المجتمع العربي ليس لها أى شخصية ولا أى قرار في أى شىء.. وهذا خاطئ تماماً. فأنا مثلاً فتاة مسلمة ولكن والدى يحترم رأى كثيراً، بل ويأخذ به في الكثير من الأحيان. كما أن قراراتى تحترم.. وهذا هو الحال المتعارف عليه في العديد من العائلات وليس فى عائلتى فقط.

أندريه : حسناً مريم، لقد أسعدنى كثيراً الحديث معك، ولكننى الآن متعب جداً وأود الحصول على قسط من الراحة.. هل من الممكن أن نستكمل الحديث غداً..

مريم : نعم بالطبع من الممكن فأنا أيضاً متعبة وأود الحصول على قسط من الراحة.. ولكن أما من أسئلة لمناقشة الغد..؟؟ !!!

أندريه : لا يوجد الآن سوى أننى فى انتظار ترجمة المقال الذى يروى قصة الفتاة التى تحولت إلى الديانة اليهودية، كما أننى أعتقد أنه من الأفضل أن نترك الموضوع حرًا للغد..؟؟

مريم : حسناً.. كما شئت.. إلى اللقاء.

أندريه : إلى اللقاء.

*وكانت نهاية هذا الحوار فاصلة جداً ومهمة فى حياة مريم على وجه الأخص.. فقد أيقنت مريم فى نفسها أنها قد بدأت تتحول من إنسانة تنهته فى الكلمات إلى متحدثة بارعة ومجادلة ماهرة باللغة الروسية.. بشهادة أندريه نفسه ولكن كانت على تمام المعرفة، ولكنها كانت تعرف أن اللغة الروسية تشبه فى دراستها البحر، الذى لا يمكن أن ينفذ مهما شربت منه، فكل يوم تكتشف مريم أن هناك المزيد والمزيد من المفردات التى يجب عليها أن تتعلمها.

وقد ذهبت فى ذلك اليوم وهى مرتاحة البال من حوار الغد، على الرغم من ذلك الإحساس الداخلى الذى كان يحدثها عن معرفة أندريه المسبقة عن الأسئلة التى سوف يسألها فى اليوم التالى ولكنه لم يرد أن يفصح عنها فى تلك الليلة حتى لا تستطيع مريم الاستعداد بالرد المناسب وتكون الغلبة فى الحوار لصالح أندريه. وعلى الرغم من شكوكها، فلم يمنعها ذلك من النوم مرتاحة البال فى تلك الليلة لأنها قد عرفت أخيراً أن الله قد فتح عليها، وأصبحت تقريبا قادرة على الرد بلا استعداد مسبق.. وهذا هو أهم ما فى الأمر..

أما على الجانب الآخر، فقد كانت شكوك مريم بالفعل فى محلها. فإن أندريه لم يكن يخبئ فى جعبته سؤالاً واحداً فقط حول الإسلام، بل قائمة بكاملها من أجل مواجهة مريم بها. ولكنه قد فضل ألا يخبرها بذلك مسبقاً. لأنه كان هو الآخر قد اقتنع تمام الاقتناع أنها قد أصبحت طليقة فى الحديث بالصورة الكافية التى تؤهلها للرد الفورى بلا أى استعداد مسبق وأنها فقط تستخدم هذه الحجة كى تحصل على الوقت الكافى للتحضير للرد. وحتى لا تكون لها الغلبة فى الحوار قرر ألا يخبرها مسبقاً من الآن فصاعداً حتى يستطيع أن يريح الجدل.. بينما كانت ولا تزال ساحة الحوار بينهما هى القاضى الوحيد، الذى دائماً ما يقول كلمته فى نهاية كل حوار مثير..

وجاءت المرة المقبلة كالعادة وكان الحوار بينهما كالتالى :-

أندريه: مرحبًا، كيف حالك؟؟

مريم : أنا بخير، وأنت؟؟

أندريه: هل ترجمتِ الخبر المتفق عليه؟؟

مريم : نعم بالتأكيد وهذا هو نص الخبر كما تمت ترجمته بالضبط " أثارت فتاة يهودية ضجة كبيرة عندما أعلنت إسلامها فى إسرائيل، مما دفع صحيفة ידיעות أحرונوت الإسرائيلية إلى نشر صورتها بالصفحة الأولى من طبعتها الإقليمية، المعروفة باسم ידיעות هاعيميك. ونقلت الصحيفة عن الفتاة، التى أخفت اسمها، واكتفت بالإشارة إليها باسم جى، قولها إنها تشعر بالراحة منذ اعتنقت الإسلام، لأنه ببساطة دين رائع.

وتعيش الفتاة، وهى فى العشرينيات من عمرها، مع أسرة مسلمة فى مدينة يافا، وتقول أن مسيرة تغيير ديانتها إلى الإسلام بدأت منذ سنة تقريبًا، عندما تعرفت على شاب مسلم ونشأت بينهما علاقة صداقة وطيدة، فاعتادت زيارته فى منزل أسرته، وبدأ فى تعليمها بعض آيات من القرآن الكريم. وبدأت الفتاة فى أخذ أجزاء من القرآن إلى بيتها، وذات يوم كانت والدتها تنظف غرفتها، فعثرت على هذه الأوراق، وانقلب المنزل من هول المفاجأة. وتقول: عدت إلى المنزل فوجدت أمى تبكى فى غرفة الصالون، بينما ظل أبى يصرخ بشدة، وحاولت أن أشرح لهما بأننى فقط مهتمة بالأمر من باب الفضول، لكنهما لم يصدقانى.

كل ذلك لم يمنع جى من الاستمرار فى الطريق الذى اختارته، وراحت تبحث عن المزيد من الكتابات عن الإسلام والقرآن على شبكة الإنترنت، وطلبت من شقيقة الشاب المسلم أن تزودها بالمزيد من الكتب والمعلومات. وما زالت جى تحتفظ بهويتها التى تقول إنها يهودية، رغم حيازتها تصديقاً رسمياً من المحكمة الشرعية يثبت أنها قد أسلمت. وزادت مشاجراتها مع أبيها حتى قررت مغادرة البيت، وتقول: قال لى إننى إذا أسلمت فسوف يتبرأ منى ولن يعتبرنى ابنته، وأخذ يهددنى وقاطعنى تمامًا، حتى إختى أخذوا يتوسلون لى حتى لا أغير دينى إلى الإسلام، ولكننى لم أهتم بكل ذلك. وتضيف: أنا لا أكره اليهودية، على العكس، أنا أحترم كل الأديان، ولكننى أشعر بالراحة فى الإسلام. لذلك قررت أن ذلك هو ما أريده، وتوجهت إلى صديقتى المسلمة التى تقيم فى يافا، وأسرتها التى قررت مساعدتى.

ونقلت الصحيفة الإسرائيلية عن والدته جى قولها: لم يكن يخطر ببالي فى أشد الكوابيس صعوبة أن أمورًا كهذه يمكن أن تحدث، وفى اللحظة التى أخبرتنى فيها أنها ستعلن إسلامها، شعرت أن جسدى ينهار، ولم أتمالك نفسى. وتضيف: أنا ابنة أسرة من الناجين من المحرقة النازية، وتذهب ابنتى لتحول دينها من اليهودية إلى الإسلام.

دقّت أجراس الخطر فى الكيان الصهيونى، من تزايد أعداد اليهود الذين يعتنقون الإسلام كل عام، خاصة فى السنوات الخمس الأخيرة، واعتبر مسئولون صهاينة أن ذلك يهدم فى المقابل الجهود الصهيونية الدعوية لجعل اليهود أغلبية فى فلسطين المحتلة. وقالت صحيفة معاريف الإسرائيلية إنها حصلت على إحصائيات رسمية من وزارة الداخلية فى دولة الاحتلال، تؤكد أنه فى السنوات الخمس الأخيرة، أقدم مئات الإسرائيليين من مختلف شرائح المجتمع الإسرائيلى على إشهار إسلامهم، علاوة على قيام آخرين باعتناق المسيحية، وأضافت الصحيفة أنه بين الأعوام ٢٠٠٥ وحتى ٢٠٠٧، تلقت وزارة العدل الإسرائيلية ٣٠٦ طلبات من إسرائيليين يريدون أن يغيروا دينهم، وأن ٢٤٩ من المتقدمين لتغيير دينهم، أكدوا أنهم يريدون إشهار إسلامهم، فى حين أكد ٤٨ من العدد الإجمالى أنهم قرروا اعتناق المسيحية.

وقال مصدر فى منظمة (إلى الأبد يا عائلات إسرائيل)، والتى تحارب ظاهرة قيام اليهود بترك دينهم واعتناق الإسلام أو المسيحية: أن الوضع على أرض الواقع أخطر بكثير، وأن الظاهرة مقلقة للغاية، مؤكدًا أن الأرقام التى أوردتها الصحيفة الإسرائيلية، بناء على إحصائيات وزارة العدل فى الدولة الصهيونية، لا تعكس الحقيقة المرّة، حيث إن مئات الإسرائيليين قاموا بتغيير دينهم من اليهودية إلى الإسلام أو إلى المسيحية، دون أن يتوجّهوا بشكل رسمى إلى وزارة العدل، كما هو متّبع فى مثل هذه الحالات.

ليس هناك بالتأكيد منظمات فلسطينية فى الأرض المحتلة، تتولّى التبشير بالإسلام بين اليهود، وإنما هى جهود أفراد استطاعوا بفضل الله وبالقدوة الحسنة نشر الإسلام، فى مقابل منظمات صهيونية عاتية، يأتيها التمويل السخى من كل أثرياء اليهود فى جميع أنحاء العالم، سواء لجلب اليهود إلى الأرض المحتلة، أو تعليمهم أصول الديانة اليهودية، وهى منظمات قام الكيان الغاصب بفضل جهودها، وبدأت أعمالها حتى من قبل صدور وعد بلفور المشؤوم عام ١٩١٧م

أندريه: حقًا.. أنه لشيء عجيب أن يتحول اليهود إلى الديانة الإسلامية والمسيحية، من المؤكد

أن هناك شيئاً ما ينقص بالديانة اليهودية لذلك هم يتركونها.

مريم: أستمحك عذراً أندريه، فمسألة وجود ما ينقص الديانة اليهودية هي مسألة لا يمكننا نحن كبشر البت فيها بصفة عامة. بمعنى أنه لا يصلح أن نلقى باللوم على الدين اليهودي، وإنما فقط يمكننا القول بأن هؤلاء الناس ممن تحولوا عن الديانة اليهودية سواء إلى الإسلام أو إلى المسيحية. إنما تحولوا فقط لأنهم وجدوا الراحة والسلام النفسى فى ديانات أخرى، وهذا السلام قد وجدوه بصفة شخصية. فكما أخبرتك عن رأيى من قبل وهو أنه لا يصح أبداً أن نلقى باللوم على أى دين سواء الإسلام أو المسيحية أو حتى اليهودية. يجب أن نظل دائماً حياديين.
أندريه : حسناً.. أنتِ محقة فى ذلك، يجب أن نلتزم الحيادية.

مريم : ولكن الآن أريد أن أسألك، هل لديك أى اقتراحات لموضوع اليوم ؟

أندريه: بالطبع لدى وهى أسئلة تخص الدين الإسلامى فى طبيعتها أيضاً..

مريم : وأنا على أتم الاستعداد للرد على تلك الأسئلة...

أندريه : لماذا عندما يقوم أحد ما بالقيام بعملية إرهابية يسمى شهيداً؟؟

مريم : إن ضحايا العمليات الإرهابية من مفجريها ومفتعلها لا يمكن احتسابهم عند الله شهداء، من مات شهيداً هو من مات فى سبيل الله..

فقاطعها أندريه قائلاً : والموت فى سبيل الله هو ما يدفع الإرهابيين للقتل هنا وهناك تحت شعار القتل لأجل الله..

مريم : لو تركتني لأكمل حديثي لشرحت لك الفكرة بوضوح.

أندريه: أنا آسف للمقاطعة، تفضلى..

مريم : لا عليك..، مبدئياً إن الله يحق الحق بكلماته وإن أراد شيئاً فيقول له كن فيكون. لذلك أنا لست مقتنعة بفكرة القتل لأجل الله، فإن أراد الله بقوم الموت لماتوا، وإن أراد لهم الحياة لعاشوا... كما أن من مات فى العمليات الإرهابية من مفتعلها لا يعتبر شهيداً، بل يحتسب عند الله قاتلاً. لأنه قد قتل النفس التى حرم الله قتلها. أما مفهوم كلمة شهيد، فلأسف هذا المفهوم مشوش عند أغلب الغرب، بسبب الإعلام الغربى الذى قد أوصل مفهوماً خاطئاً عن المسلمين..

أندريه : وكيف ذلك ؟؟
مريم : هناك حديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الصدد حيث إن الشهداء في الإسلام سبعة وهم (من مات في سبيل الله، والمطعون شهيد، والمبطون شهيد، والغريق شهيد، والحريق شهيد، وصاحب الهدم، والمرأة تموت بجمع، والرجل يموت بذات الجنب، والرجل يموت بداء السل)..

أندريه: لا أفهم أى شىء مما قلته..

مريم : نعم سأوضح لك.. من مات في سبيل الله هو من مات في ساحة القتال.

أما المطعون فهو : من مات بداء الطاعون.

المبطون : داء البطن، مثل الإسهال.. وقيل أنه الاستسقاء وانتفاخ البطن..

الغريق : الذى يموت غريقاً.

صاحب الهدم : الذى يموت تحت الهدم.

صاحب ذات الجنب : وهى قرحة تكون فى البطن جانباً.

المرأة الجمع : وهى التى تموت حاملاً جامعة ولدها فى بطنها. فالشهادة فى الإسلام لا تقتصر فقط على القتال، لذلك لا يحل لهؤلاء الإرهابيين تلقيب قتلاهم بالشهداء. فمفهوم الشهادة فى الإسلام لا يقتصر فقط على من يقاوم فى الحرب، كما أن الشهادة أثناء القتال لها شروط..

أندريه: وما هى تلك الشروط ؟؟

مريم : أن يكون القتال لسبب شريف مثل الدفاع عن الأرض المنكوبة.. مثل الوضع الذى دار فى حرب السادس من أكتوبر العظيمة، والتى انتصر فيها المصريون عن جدارة..

أندريه: ومن قال إنها أسباب شريفة، فكل جهة تقاوم لأسباب شريفة من وجهة نظرها..

مريم : ولكن الوضع يختلف مع إسرائيل وهو أمر تحدثنا فيه من قبل ولن نتطرق له مرة أخرى.. أنا فقط أطرح الأمثلة للدفاع عن الوطن دائماً ما يعتبر شريفاً.. مثل ما حدث تماماً فى روسيا على سبيل المثال : عندما غزا المغول روسيا وحارب الجنود لأجل وطنهم..

أندريه: نعم لقد فهمت.. ولكن دعينا الآن من ذكر الشهداء.. أود أن أسألك عنها منذ فترة ولكنى قد نسيت.. هل لك أن تحدثني عن ثورة مصر وأسبابها..!!

مريم : نعم بالتأكيد.. ولكن لثورة ٢٥ يناير فى مصر العديد من الأسباب التى يطول شرحها ولكنى سوف أحاول تلخيصها فى الآتى، من أسباب ثورة يناير..

* لا يوجد أى نوع من أنواع الديمقراطية وحرية الرأى والاختيار فى مصر، فعلى سبيل المثال أن رئيس الجمهورية قد استولى على الحكم لمدة ٣٠ عامًا . بلا أى نوع من أنواع الانتخاب...

وهنا قاطعها أندريه:.. إنها مدة طويلة جدًا، أعتقد أن هذا الرجل قد التصق على كرسى الحكم بالفعل...

فضحكت مريم وقالت : نعم بالفعل تعفن، لذلك قرر أن يقوم بتوريث الحكم بالقوة إلى ابنه الأصغر الذى كان يقوم بإعداده منذ سنوات لدخول الحياة السياسية، وتهيئته لكى يصبح رئيسًا.. بالقوة.

أندريه : لا أفهم، كيف يصبح رئيسًا بالقوة وكيف وصل من الأساس والده إلى كرسى الحكم على الرغم من عدم انتخابه؟؟

مريم : الحصول على الحكم بالقوة يحدث نتيجة تفشى الفساد فى البلاد، فيتم عمل انتخابات رئاسية بصورة صورية فقط. ولكن فى الحقيقة تكون تلك الانتخابات مزورة تمامًا بناءً على رغبة الحاكم الموجود على الكرسى فى الوقت الحالى.

أندريه: ولكن كيف وصل حسنى مبارك إلى الحكم؟؟

مريم : بعد حادثة اغتيال الرئيس الأسبق أنور السادات رحمه الله، كان حسنى مبارك هو نائبه. فتولى الرئاسة آنذاك ومنذ ذلك الحين وهو الرئيس.

أندريه : كيف اغتيل؟؟ من قتله؟؟

مريم : سوف أشرح لك.. لقد اغتيل الرئيس السادات الذى هو أحد أعظم من حكم مصر من الرجال، بل أنه من أعظم الحكام فى التاريخ الإنسانى أجمع، فى حادثة العرض العسكرى، الذى كان يقام سنويًا فى القاهرة. والذى أشيع بعد ذلك أن من قتلوه هم الجماعة الإسلامية فى مصر، والتى لا إنكار بالطبع فى تورطها ولكن كانت هناك يد خفية خلف ذلك لا يعلمها إلا الله..

أندريه : وكيف عرفتِ عن ذلك.

مريم : بالمنطق بالطبع، فعلى سبيل المثال، أنت تعرف جيداً أن أى رئيس جمهورية تكون الإجراءات الأمنية مشددة جداً حوله أينما تحرك وأينما ذهب..

أندريه : نعم بالتأكيد، حتى هنا أيضاً يحدث المثل..

مريم : إذا ما هو احتمال أن يذهب رئيس جمهورية مصر العربية، أكبر وأهم دولة فى الوطن العربى ويجلس فى مكان مكشوف وتقترب منه سيارة وعليها رجال بالزى الرسمى العسكرى للجيش المصرى مدججين بالسلاح بلا مساعدة داخلية من المقربين من الرئيس نفسه..؟؟

أندريه: احتمال معدوم تماماً...!!!

مريم : بالطبع، وهذا ما أعنيه وهو أن إثبات تورط رجال ممن كانوا مقربين إلى الرئيس السادات فى تلك الجريمة الشنعاء التى غيرت مجرى تاريخ مصر والدول المحيطة بالتأكيد لا يحتاج إلى أدلة جنائية ولا تحقيقات ممتدة، وإنما فقط إلى العقل والمنطق.. حيث تبقى عدة أسئلة معلقة فى الهواء منذ ذلك الحين، مثل كيف وصلت تلك السيارة وعبرت من نقاط التفتيش ولجان حماية الرئيس بلا توقف؟؟ من جهز هؤلاء الرجال بتلك التجهيزات والملابس العسكرية؟؟؟ والأدهى من ذلك أن الرجل الذى أطلق الرصاص على الرئيس السادات قد حكم عليه بالإعدام، ولكن قيل أنه شوهد فى فندق فى فرنسا حياً بعد إعدامه.. إذاً كيف؟؟

أندريه: يا إلهى.. أعتقد أن هذه الجريمة تعتبر من الجرائم التاريخية التى قيدت على أن تبقى لغزاً؟؟؟ ولكن ترى لماذا ترك المصريون حسنى مبارك يحكمهم كل هذه الفترة الزمنية الطويلة؟؟

مريم : حسناً.. لا أعرف السبب، ولا أعرف أيضاً سبب سكوت المصريين كل هذا الوقت واستيقاظهم الآن.. ولكن هذه الجريمة حقاً تزعجنى كثيراً لأن ذلك الرئيس العظيم كان على وشك إقامة نهضة حقيقية فى البلاد، ولكن للأسف سبقته يد الغدر..

أندريه: لقد أزعجنى ذلك أيضاً ولكن لماذا لم يحاكم، وكيف أغلقت التحقيقات فى تلك الجريمة...؟؟

أندريه : هى جريمة مزعجة ومؤسفة فعلاً..

أندريه: ولكن ترى هذه هى وحدها أسباب الثورة؟؟

مريم : لا بالتأكيد هناك الكثير .. والكثير منها، والحديث عنها يطول جداً..

أندريه: وأنا مستمع جيد، فقد شاهدت هذه الثورة فى الأخبار مثل غيرى حول العالم ولكن يسرنى أن أستمع إلى أسبابها الرئيسية من مواطنة مصرية.

مريم : حسناً.. وأنا يسرنى أن أخبرك عنها.. مبدئياً. كان السبب الرئيسى هو تردى الأحوال الاقتصادية وارتفاع نسبة ديون مصر.

أندريه: حقاً !!

مريم : أندريه، إذا كانت قمة الهرم فاسدة فبالأكيد أسفلها قد بنى على فساد..

أندريه: أنتِ محقة.

مريم : كنا قد تعودنا خلال سنوات النظام السابق أن نقرأ كل يوم على صفحات الصحف عن أن مصر تحرز تقدماً اقتصادياً هائلاً. ولكن الشعب المصرى لا يشعر بأى شىء من ذلك. فعلى الرغم من ارتفاع معدلات البطالة بصورة غير طبيعية، فقد ارتفعت أيضاً الضرائب. فالحكومة هنا تأخذ ضرائب على كل شىء.. كل شىء بصورة غير عادية ولا تتلاءم وظروف الشعب المصرى الاقتصادية المتردية.. أما ما يستفز الشعب المصرى كثيراً فهو أن مصر دولة غنية جداً. بل وأكثر من ذلك أن مصر دولة تنافس فى ثرائها دول الخليج..

أندريه: لا.. مصر ليست ثرية.. مصر معروفة عالمياً بأنها دولة فقيرة وتستدين كثيراً.

مريم : نعم هذه هى الصورة الظاهرة أمام المجتمع العالمى. ولكن الحقيقة غير ذلك تماماً. فنحن لدينا موارد كثيرة منها الموارد الطبيعية والسياحة.. التى تدر دخلاً كبيراً جداً على الاقتصاد المصرى. وأهمها على الإطلاق، قناة السويس هل لديك فكرة عن حجم عائدات قناة السويس المادية يومياً؟؟؟

أندريه : أعرف أنها كثيرة ولكن كم لا أعرف.

مريم : يقدر دخل قناة السويس بحوالى ١٣ مليون دولار فى اليوم الواحد.. هل تتخيل ذلك...!!!

أندريه: يا إلهى : أنه كثير حقاً.. جداً جداً.

مريم : نعم وهنا يبقى السؤال. كيف تعاني مصر من كل تلك المشاكل المادية والاقتصادية وتستدين من الدول الأخرى بذلك القدر. وفي نفس الوقت لدينا ذلك الدخل الموهول؟؟؟ كيف؟؟ وأين تذهب هذا النقود؟؟ ولماذا يملك فرد في حكومة الرئيس الأسبق فقط، ذلك القدر من المال الذى يقدر بمليارات الدولارات فى بنوك مصر والخارج ؟ ويملك قصوراً فارهة الفخامة هنا وهناك.. وفى نفس الوقت يوجد آلاف الفقراء فى مصر بلا عمل ولا منزل ولا حتى طعام؟؟؟

أندريه: أنه وضع مريع.. ورئيس فاسد. لقد قرأت مسبقاً عن تضخم ثروات مبارك وعائلته ورجاله غير المسبوق، هذه ليست أول مرة أعرف فيها بهذا الشأن.

مريم : بالطبع أعلم بأن ما أخبرتك به لا يشكل حتى جزءاً من الأسباب ..

أندريه: وهل توجد أسباب أخرى؟؟ أنا شخصياً أظن هذا كافياً؟؟؟

مريم : نعم يوجد بالتأكيد ولكن دعنا لا نتطرق إلى الأسباب بالكامل الآن، فهو موضوع يطول شرحه كما يقال.

أندريه : نعم.. أنت محقة فأنا بالفعل أعرف الكثير عن المشكلات فى بلدكم، ولدى الكثير من الأصدقاء ممن قاموا بزيارة مصر بالفعل.. وعادوا ليخبرونى عنها قائلين بأن جميع المصريين لصوص..

مريم : مهلاً أندريه.. لماذا تقول على المصريين لصوص؟؟

أندريه : لأنهم يقومون بعمليات نصب على الأجانب من زوار البلد، ويقومون برفع الأسعار بطريقة غير طبيعية..

مريم : أعرف أنهم يفعلون ذلك ولكن يمكنك القول أن لدى التاجر المصرى طريقة خاصة فى البيع والشراء تسمى " الفصال "، وهى أنه على سبيل المثال يقوم بإعطاء السعر للشخص بناءً على مظهره حتى مع المصريين أنفسهم . فإذا كان مظهرك يوحى بأنك رجل غنى فسيقوم ببيع نفس المنتج لك ولكن بسعر أعلى، وإذا كنت تبدو كرجل فقير سيقوم بإعطائك سعراً أرخص على نفس السعر وهكذا.. ويبقى دورك مبنياً على مفاوضته فى السعر لأجل الحصول على أفضل عرض.. إنها طريقة بيع تتميز بالصعوبة قليلاً أكثر من كونها أسلوب حياة أو رغبة فى السرقة.. يتسم بها المصريون وحدهم.

أندريه : نعم.. نعم فهمت..

مريم: ولا تنس يا أندريه أن ما وصل اليه حال المصريين، ليس بسبب سوء خلقهم أو سوء دينهم.. وإنما بسبب سوء دولتهم وحكومتهم الذى استمر لمدة ٣٠ عامًا متواصلة..

أندريه : أنتم لديكم الكثير من الفساد السياسى.. ونحن أيضًا لدينا فساد، فالفساد موجود فى كل دولة. ولكن فى بلدكم له الأغلبية الساحقة. ولكن لو كان رئيس الجمهورية فاسدًا ومجلس الشعب أيضًا.. ماذا عن الوزراء، ألم يحدث ولو حتى مرة أن جاء فى مصر رئيس وزراء شريف..؟؟

مريم : للأسف لا.. لأن الرئيس الفاسد بالتأكيد سوف يشكل حكومة ترعى مصالحه هو أولاً.. وهذا ما حدث بالفعل واستمر لمدة ٣٠ عامًا.. والمذهل فى الأمر أن أحد الوزراء السابقين فى حكومة مبارك الذى ظل ينتقل طوال الأعوام ما بين وزير ورئيس لأحد المجالس إما مجلس الشعب أو الشورى.. أن بعد الثورة اتضح أن ذلك الرجل كان على علاقة مباشرة بمقتل فنانة من أشهر الفنانات فى الوطن العربى.. وغيرها من الفضائح الأخرى التى اتضحت وظهرت بعد الثورة.....

أندريه : مريم هذه الفضائح شىء طبيعى جدًا وليس فى بلدك وحدها، وإنما فى بلدان كثيرة لأن الفنانات غالبًا ما يتورطن مع رجال السياسة فى علاقات سرية تسفر عن جرائم قتل مجهولة الفاعل.

مريم: نعم أعرف ذلك.. ولكن الحمد لله أن نجحت الثورة أخيرًا فى انتزاع السلطة من بين أفواههم.. لقد خرجنا إلى عصر جديد من الحرية والديموقراطية، ولقد سقط حسنى مبارك من أعلى الهرم إلى أسفله هو وأعوانه..

أندريه : حقًا. إن الدنيا غريبة جدًا.. يوم بأعلى الهرم الاجتماعى، والآخر بأسفل الهرم الاجتماعى...

مريم : سبحان الله المعز المنزل.. يُعز من يشاء ويُدل من يشاء.. ولكن يبقى السؤال: هل إمكانية وجود سياسى شريف تقتصر فقط على عالم الأحلام ولا يمكن أن تحدث الواقعة؟؟

أندريه : نعم أعتقد ذلك.. لا يوجد سياسى شريف حتى هنا أيضًا، نحن نعانى من نفس الشىء، فكل سياسى يخفى شيئًا فى جعبته. ولكن الفرق أن السياسيين هنا ليسوا على نفس درجة الفساد فى مثل بلدك..

مريم : ولكن للأسف الفساد موجود وهذا هو حال الحياة.. هل تعرف ما هو أكثر ما يزعجنى حقًا..؟؟

أندريه : ما هو ؟؟

مريم : هو طبيعة السجن الذى يسكنه هؤلاء المجرمون الآن..

فقاطعها أندريه ضاحكًا: نعم أعرف. أنه مثل الفندق السبع نجوم.. ونحن أيضًا. هل تعرف أن زعماء المافيا هنا فى روسيا أيضًا عندما يتم الزج بهم فى السجن يحدث نفس الشيء..

مريم : أنتم أيضًا...!!! لا لم أتوقع ذلك.. ولكن أعتقد أن فى هذه الحالة من الأفضل عدم سجن هؤلاء الرجال.. لأن السجن يتمتع بخدمة فندقية أفضل من العالم الخارجى.. أليس كذلك؟؟؟

أندريه : ها ها ها.. نعم أنتِ محقة.. أعتقد ذلك.

مريم : أكره ذلك النظام. أنا أحب العدل فى كل شىء.. فإن قام مجرم بسرقة صغيرة يتم الزج به فى السجن وتتم معاملته بأسوأ معاملة.. أما هؤلاء فكل واحد منهم قد ارتكب جرائم فى حق آلاف الأبرياء وتسبب فى قتل الكثيرين، ولكن عندما يدخلون السجن تتم معاملتهم على أنهم علماء أو ملوك.. لا أعلم ما هذا..

أندريه : كما قلت مريم.. هذا هو حال الحياة.. ما بين الخير والشر. ولو وجد مثل هذا العدل على الأرض لما حدثت تلك المشكلات الكبيرة ولكن هذه هى طبيعة البشر أجمع أن يكون منهم الطيب ومنهم الشرير.. ولكن يا مريم، أنتِ فتاة ذكية، ومتفوقة، ولا زلت صغيرة.. والمستقبل أمامك.. وبلدك لا يقدرك حق قدرك. فلماذا لا تفكرين بالسفر للعيش فى بلد آخر يقدرك حق قدرك وتعيشين حياة كريمة تليق بك.. لماذا.. ألم تفكرى فى ذلك من قبل...؟؟؟

مريم: مبدئيًا شكرًا جزيلاً على هذا الإطراء...

أندريه : هذا ليس إطراء، هذه هى الحقيقة وهذا ما أعتقده حقًا. فأنا من النادر أن أطرى أحداً..

مريم : شكرًا جزيلاً، وأنا أيضًا من النادر أن أطرى أحداً ما.. ولكن فى الحقيقة الشىء الذى يمنعنى من مغادرة بلدى، والذهاب للعمل فى بلد آخر، هو حبى اللامتناهى لمصر، وانتمائى الشديد لوطنى وفخرى به رغم كل ذلك.

أندريه : كيف وأنتِ بنفسك، قد أخبرتني بكل تلك المشاكل الموجودة في مصر .. !!!

مريم : عندما أتحدث هكذا، فأنا لست أعيب وطني. وإنما أرى مشكلاته بوضوح وهذا أمر جيد لمن هم في سني.. حتى أتمكن من العمل على إصلاح ما أملك إصلاحه منها. وهذا ما يدفعني للبقاء هنا، فلو لم يكن هناك أى شيء بحاجة للإصلاح لرحلت إلى مكان آخر بحاجة للإصلاح.. فأنت بنفسك ذكرت أنني فتاة ذكية ومتفتحة و... إلى آخره. إذا ترك من هم مثلي من المصريين الوطن، بحثاً عن وطن آخر للعيش فيه. إذاً فمصر ستظل كما هي. بل إنها لن تتطور للأفضل أبداً. فمن هم من صفوة أبنائها قد تركوها وذهبوا بعيداً. ولم يعانون لأجل بقائها وتحضرها وتعليم الآخرين والتأثير فيهم والمساعدة في حل مشاكلها.. إذا خرجت أنا ومن مثلي، فسيكون الفساد قد نجح في تحقيق هدفه، ونكون نحن الشرفاء قد أخلينا لغير الشرفاء الساحة كي يسرقوا الوطن ويبيعوه جزءاً جزءاً كما يحلو لهم.

أندريه : إذاً فأنتِ لن تتركي مصر أبداً..

مريم : نعم لقد نشأت وترعرعت هنا، وكل شبر في أرض مصر يحمل في داخله ذكرى جميلة ومعنى مهماً جداً لي ولغيري من المصريين. لو تركت مصر سأكون بلا وطن .. لو تركت مصر سأعيش التيه بأقصى درجات معاناته.. ولكن أنا من الممكن أن أذهب إلى الخارج لعدة أعوام للدراسة ثم أعود لأنفع بلدي بما تعلمت هنا في مصر.. وينتفع به بلدي.

فتعجب أندريه قائلاً : هذه أول مرة أستمع فيها إلى مثل هذا الكلام. من شخص يعلم جيداً مساوئ وطنه ولا يرغب في الرحيل عنه.

مريم : أنت لم تقرأ تاريخ مصر أبداً أليس كذلك؟؟

أندريه: نعم...

مريم : لو قرأت أى جزء ولو حتى بسيط من تاريخ مصر لعرفت أنني لست الأولى ولن أكون الأخيرة بالطبع. فلقد خرج من شعب مصر على مر العصور والتاريخ، أبطال حاربوا ببسالة لأجل وطنهم وماتوا عليه حتى ارتوت أرض مصر بدماء المصريين الشجعان. ممن حرروا مصر من الاستعمار الإنجليزي، والعدوان الإسرائيلي.. وغيره وغيره. فأنا مهما كبرت لن أستطيع أن أقدم لوطني ربع ما قدموه.. وأكبر دليل على ذلك أكثره حادثة.. فهؤلاء المصريون الذين خرجوا من بيوتهم لمواجهة قوات الشرطة أثناء الثورة ومات منهم الكثيرون وكان معظمهم من

الشباب فى مقتبل العمر.. الذين من المفترض أن يكون لهم مستقبل مشرق بدلاً من الموت لتحرير الوطن من حكم طاغية جبار وقاتل وسارق أموال الوطن... لماذا برأيك قد يضحى شخص بحياته لأجل وطنه إذا لم يكن يحب ذلك الوطن؟؟؟

أعتقد أن المصريين يحبون وطنهم حقاً..

أندريه : بالطبع.. ولكن هل كنت راضية عن نظام حسنى مبارك قبل الثورة..؟؟ هل كنت على اقتناع به؟؟

مريم : أنا لا أحب ذلك الرجل أبداً، ولا أحترمه كثيراً.. وليس من بعد الثورة فقط ولكن من قبل ذلك بكثير.. فمنذ أن أبصرت عيناى الحياة لم أر رئيساً لمصر غيره.. وكنت أعرف أنه سيئ ولكن ليس بهذا السوء..

أندريه : أنت محقة..

مريم : نعم لقد تذكرت مرة عندما كنا فى الجامعة.. كان الأستاذ يتحدث معنا أنا وزملائي.. ويقول : يجب أن تحترفوا مادة الترجمة على الأخص.. فمن الممكن أن يخرج من بينكم المترجم الرئاسى المقبل الذى يعمل مع الرئيس حسنى مبارك ويرافقه فى رحلاته إلى روسيا.. !!! وهنا قاطعت أستاذى إحدى زميلاتى قائلة: عذراً، أنا لا أتمنى أن أعمل كمتجمة شخصية مع الرئيس مبارك...

وهنا قال الأستاذ ونظرة التعجب فى عينيه.. لماذا؟؟ هل من الممكن أن تشرجى لى أسبابك..؟؟

فأخبرته.. أنا لا أريد أن أعمل معه لأنه رجل ظالم وغير عادل والله أعلم بما يخفيه من أسرار لا يعلمها أحد.. ولو اضطررت للعمل معه، فهذا يعنى أننى سأكون من أتباعه وسأخلص له.. أنا لا أريد أن أنتمى لذلك الرجل فى أى شىء..

وهنا تغيرت نظرة الأستاذ من تعجب إلى إعجاب وخوف فى نفس الوقت. ثم قال لها: من فضلك لا تتحدثى بتلك الطريقة مرة أخرى عن رئيس الجمهورية خارج المنزل.. فهذا ليس آمناً.. أنا أتحدث بما فيه مصلحتك..

فأجابته: لا.. أنا لا أخاف قول الحق.. وأقسم بالله الواحد الأحد الحق العظيم.. لو وقف حسنى مبارك بنفسه أمامى الآن بدلاً منك لأبديت له نفس الرأى..

أندريه : وماذا فعل الأستاذ بعد أن قالت له زميلتك هذا الكلام؟

مريم : لا شيء.. فقط استكمل المحاضرة ولم ينطق بكلمة أخرى عن هذا الموضوع..

أندريه : عجباً أستاذ جامعي يخاف بينما طلابه لا يخافون..

مريم : عذراً يا أندريه.. أنه استاذ جليل.. وعلم أجيالاً من قبلي. ورجل عظيم. ولكن لديه أسرة يخاف عليها. وأنت لا تعرف أن في مصر الحديث بالسوء عن الرئيس حسنى مبارك كان ممنوعاً منعاً باتاً. وفي الجامعة هناك دائماً العديد من المدسوسين من الطلبة على الطلبة لصالح جهاز أمن الدولة. الذين يقومون بنقل أخبار الطلبة المتمردين وأسمائهم وأفكارهم على مدى خطورتهم إلى جهاز أمن الدولة. فيراقب ذلك الشخص المبلغ عنه، وإذا كان بالغ الخطورة على الحكم ومن الممكن أن يتسبب في مظاهرات بالحرم الجامعي.. فهذا يعنى أنه سيعتقل بلا رجعة ولن يعلم عن مكانه أى إنسان بعد ذلك.. ولو جابوا مصر بأكملها بحثاً عنه. فمن المعروف أن من يعتقل من قبل مباحث أمن الدولة لا يعود أبداً، وإن عاد فهو لا يعود إنساناً طبيعياً كما كان..

أندريه : يا إلهى هل يقومون بتعذيبه؟؟؟

مريم : نعم بالتأكيد.. على ما أظن...

أندريه: أنتم أيضاً لديكم نفس أساليب التعذيب والتعامل.. !!؟؟

مريم : نعم للأسف، هل يوجد مثل ذلك فى روسيا أيضاً؟؟

أندريه: صدقيني يا مريم، الظلم والفساد واحد فى جميع أنحاء العالم مع اختلاف اللغات والجنسيات..

مريم: أنت محق..

أندريه: ولكن عليك أن تشكر الله على ذلك فقد كنتم تعيشون فى دولة الظلم وأصبحتم تعيشون فى دولة الأمل والحرية الآن..

مريم : نعم بالتأكيد.. ولك أن تعرف يا أندريه أننى أخبرتك بكل هذه التفاصيل لتعرف لماذا قد تأخرت بلدى عن ركب الحضارة، وهى أسباب أيضاً ليس لها أدنى علاقة بالديانة الإسلامية.

أندريه: وهل تغيرت الأوضاع فى مصر بعد الثورة عن ما قيل الثورة ؟

مريم : لقد تغير الكثير، لا أنكر ذلك بالتأكيد ولكن النظام السابق قد خلف من ورائه العديد من المشاكل التى قد يستغرق حلها الكثير من الوقت والإرادة والعمل. لذلك لا يزال أمامنا المشوار طويل.

أندريه : وما الذى تعتقدينه بصفتك مصرية حول مستقبل مصر ؟؟ أو إلى أين مصر ذاهبة ؟؟

مريم : أعتقد أن المستقبل سيكون صعباً وسنواجه مشكلات كثيرة.. كما أن مصر فى الفترة القادمة ليست بحاجة إلى مجرد رئيس عادى، وإنما نحن بحاجة إلى زعيم عربى يسترد حقوق مصر السياسية الضائعة وأموالها المنهوبة ويعيد إلى المصريين كرامتهم مرة أخرى.

أندريه: أتمنى لكم كل خير ولكن هل تعرفين أن الأخبار هنا فى روسيا قد أذاعت الأخبار عن الثورة المصرية ولكن ليس بتلك التفاصيل.

مريم : وهل أذاعت أيضاً أنه فى اليوم الرابع من الثورة وهو اليوم الذى انقلب فيه كل شىء رأساً على عقب.. وانسحبت الشرطة من الشوارع بلا مبرر. وحدث الانفلات الأمنى.. نزل جميع الرجال المصريين من شباب ورجال من منازلهم ليبيتوا فى الشارع لتقوم كل مجموعة منهم بتأمين منطقتها السكنية.. وبعد الثورة قامت مجموعات مستقلة من الشباب والفتيات بتنظيف وتجديد الشوارع من أموالهم الخاصة. وقامت مجموعة أخرى من الشباب بتنظيم المرور فى الوقت، الذى كانت الشرطة فيه ما زالت غائبة عن الشوارع.

أندريه : أنه عمل شجاع..

مريم : نعم إلى أقصى درجة.. وبالأخص أنه لم يصدر من فرد بعينه.. بل كان تحركاً جماعياً شجاعاً..

أندريه: وهذا ما يذهلنى حقاً..

مريم : ولذلك عندما أخبرتك أننى لست الوحيدة التى تحب بلدها، كنت محقة.

أندريه: نعم كنت محقة.. هنا فى روسيا لم يتبق سوى القليل من روح الوطنية.

مريم : لقد ظننت أن ذلك هو الحال فى بلدى إلى أن جاءت الثورة.. وتغير كل شىء..

أندريه: ولكن إذا كانت الثورة في مصر قد قامت لأسباب منطقية.. إذا فلماذا قامت في تونس؟؟؟

مريم: أنا لا أعرف ما هو الوضع بالتحديد في تونس، ولكن على حد علمي من وسائل الإعلام. أن الوضع في تونس كان شبيهاً بعض الشيء بالوضع في مصر..

أندريه: أنت محقة في ذلك. أنا كنت أشاهد الأخبار أيضاً ولكن ما يثير حيرتي حقاً هو عن أسباب قيام الثورة في ليبيا.. فأنا أعرف أن في ليبيا الوضع الاقتصادي مريح نوعاً ما. وان الليبيين معظمهم أغنياء.. إذا فلماذا قامت الثورة هناك؟؟

مريم: لا أعلم.. هذا الأمر محير جداً أيضاً من وجهة نظري.. ولذلك فإن الليبيين شعب غني. وكذلك الأمر في البحرين، فذلك البلد غني جداً، ويتميز بارتفاع نسبة الأجور، وتوفر فرص العمل.. فلا يوجد لديهم سبب للثورة أيضاً... ولكن أعتقد أن مشاكل الليبيين مع القذافي ليست فقط حول المال. ولكن من الممكن أن تكون مشاكل حول طريقة استخدامه للسلطة.. فعلى حد علمي أن مقاليد السلطة فقط في يد الكثير من أبنائه.

أندريه: نعم من الممكن.. أن يكون كذلك. ولكن ما يثير العديد من علامات الاستفهام برأسي هو لماذا تقوم الثورات في الدول العربية فجأة وفي نفس التوقيت ويتسلسل في الأحداث...؟؟؟ هل هذا مخطط من جهة معينة أم ماذا؟؟

مريم: لا أعرف، أنا أيضاً سألت نفسي هذا السؤال وتعجبت من ذلك، فقد تحمل الشعب المصري هذا الذل والمعاناة ٣٠ عاماً. واستفاق الآن؟؟؟

أندريه: كنت سأسألك فوراً هذا السؤال.. هل تعتقد أن هذا مخطط من جهة معينة؟؟

مريم: هذا احتمال وارد، ولكن أن أكون متأكدة من شيء بعينه، هذا مستحيل فحتى الآن لا أحد يعرف. ولو هو كذلك حقاً.. فمسألة معرفتنا بتلك الجهة هي رهن الوقت فقط..

أندريه: أنت محقة إنها فقط مسألة وقت قبل أن يعلم الجميع، إن كانت هذه الثورات فعلاً قد قامت من تلقاء نفسها أو أحد ما أشعلها وفقاً لمخطط ما.. ولكنني حتى الآن لا يمكنني أن أتصور كيف من الممكن أن يظل شخص ما على كرسي الرئاسة لمدة ٤٥ عاماً..

مريم : وأنا أيضًا لا أتصور ذلك.. أعتقد أنه كان الأخرى بهم أن يجعلوا دولة ليبيا مملكة وليست جمهورية.. حتى يكون الوضع اسهل من حيث تقبله على الرأى العام العالمى والليبيى والعربى.

أندريه: ههههه نعم نعم هذا صحيح كانت لتكون افضل..

مريم : هل تشاهد أخبار ما يحدث فى ليبيا؟؟

أندريه : نعم أشاهدها أحياناً، ويؤسفى حقاً ما يحدث هناك.

مريم : أنا يؤسفى كثيراً ما يحدث هناك.. فكل يوم يموت العشرات والمئات والآلاف.. أعتقد أن القذافى رجل ديكتاتور وذو قلب وعقل متحجرين.. لا أعرف كيف ينام ذلك الرجل كل يوم وهو مرتاح البال فى نفس الوقت الذى يموت فيه كل يوم الآلاف من شعبه.. لو أحب ذلك الرجل وطنه حقاً لما استطاع أن يقتل أى منهم..

أندريه: أنت محقة هو رجل ديكتاتور متعطش للدماء ويقتل بلا رحمة..

مريم : نعم، لا أعرف ما هو سبب تمسكه هو أو حسنى مبارك أو رئيس اليمن.. بكرسى الحكم ألم تكفهم كل تلك السنوات فى السلطة.. ألم يئن الأوان لهم أن يرتاح كل منهم من السياسة ويذهب إلى منزله؟؟؟ إن هذا حقاً لنفس الإنسان الطماعه التى لا يكفيها شىء أبداً. وكلما أخذت الكثير أرادت أكثر منه..

أندريه : نعم يا مريم، أنت محقة عندما يتحكم الطمع فى نفس الإنسان فهو لا يكتفى أبداً بأى شىء..

مريم : ولكننى على تمام الثقة بأن هذا الرجل أو حسنى مبارك أو أى حاكم طاغية سوف ينال عقابه، وسوف تكون نهايتهم جميعا عبرة لمن يعتبر وما هى إلا مسألة وقت قبل أن ينهى كل منهم مشوار حياته كما قلت وسوف ترى بنفسك صحة كلامي.

أندريه: نعم فالطاغية والظالم دائماً ما تكون نهايته مرعبة جداً، هذا سيكون انتقام الرب منهم، وليس انتقام البشر.

مريم : هل تعرف أن حسنى مبارك وعائلته كل منهم يمتلك المليارات والثروات الطائلة والقصور والثروات التى لا تعد ولا تحصى فى كل دول العالم..؟؟

أندريه: أعتقد أن هذه الثروات كثيرة جدًا على رجل واحد..

مريم : بل على بلد بأكملها.. لا أعرف ما هو سبب الجشع. ولا أدري ما هي الجدوى من امتلاك كل تلك الأموال، ففي نهاية المطاف سيموت الإنسان ويذهب للقاء ربه وحيدا بلا أموال ولا ملابس ولا كنوز. بل هو وكتاب أعماله فقط.. كما أن حسنى مبارك هذا على سبيل المثال رجل مسن ومريض ومع ذلك هذا لا يمنعه من إخفاء المال والخوف عليه.. لا أعرف لماذا مع العلم بأن تلك الثروات ستكفيه هو وأحفاده وأحفاد أحفاده إلى ما لا نهاية..

أندريه : حقا غريب هو أمر البشر. ما هي حاجتهم لكل تلك الأموال مع العلم بأن الإنسان سيموت وحده..

مريم : أنه أمر غريب.. يوجد حديث شريف عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتحدث عن أن اثنين لا يكتفيان أبداً. طالب العلم وطالب الدنيا...وطالب الدنيا هذا الساعى خلف السلطة والمال وغيره من المظاهر الدنيوية الفاتنة....

أندريه: ولكن المال ضرورى فى الحياة مريم ، هذا شىء لا يمكن الاستغناء عنه مقابل العلم.

مريم : أنت لم تفهمنى، أنا أقصد أن الإنسان لا يجب أن يحب المال أكثر من العلم والله.. ولا يجب أن نسعى وراء المال باعتباره الهدف من الحياة. بل يجب أن نعرف جميعنا أن المال ما هو إلا وسيلة تساهم فى حياة افضل.. أما حب العلم فهو ما يجب أن يكون غير متناه.

أندريه : لقد فهمت، كنا ندرس فى المدرسة دائماً أن خير الأمور الوسط.. لا أن تكون غنياً جداً، ولا فقيراً جداً.. فى الوسط.

مريم : نعم خير الأمور الوسط.. أنا عندما أدعو الله أثناء صلاتى دائماً ما أطلب منه أن يجعلنى من طلاب العلم وليس طلاب الدنيا، ولا أتمنى أبداً أن أكون رئيسة الجمهورية أو أغنى إنسانة فى العالم.. فالمال والسلطة يفسدان الناس.

أندريه : لا يوجد فى الكون ما هو أقوى من فتنة المال والسلطة.. فيجب أن نضع فى الحسبان إمكانية أن يكون الرئيس مبارك وزوجته وأبناؤه أناساً جيدين قبل أن يتولوا السلطة.. ولكن كثرة المال والسلطة هى من فعلت بهم ذلك..

مريم : نعم هذا احتمال مقبول. فأنا أعترف تمام الاعتراف أن المال والسلطة يفسدان الناس.. ولهذا السبب أخاف من أن يأتي اليوم الذى أتولى فيه سلطة مكان فيه الكثير من الأموال. أخاف أن يوسوس لى الشيطان وأن تضعف نفسى أمام تلك الإغراءات.

أندريه : ولكن أنت إنسانة طيبة يا مريم. يجب أن لا تشكى فى إمكانية توليك السلطة لصالح الناس..

مريم : شكرًا يا أندريه، لكن حقًا هذا رأيى. أنا لا أود أن أكون فى موضع السلطة. أو أن أكون مثل زوجة الرئيس السابق.. سيدة مصر الأولى.. لا أريد ذلك.. ولا أحب المنصب والسلطة. كل ما أريده هو أن أنجح فى عملى وأن أكون أمًا ولى أسرة وأعيش حياة عادية جدًا..

أندريه : أنت حقًا أكثر إنسانة متواضعة عرفتتها فى حياتى..

مريم : شكرًا جزيلا أندريه.. ولكن أنا أكره ذلك الغرور والتكبر الذى يمتلك الرؤساء ويجعلهم دمويين مثل القذافى.. فأكثر ما يثير استنزازى واشمئزازى. إنهم يتحدثون عن القتلى بلغة الأرقام. ١٣٠ شخصًا.. ٢٠٠ جريح.....

إنه شىء جرح للمشاعر أن نتعامل مع القتلى والمنكوبين بتلك اللغة، فكل منهم كانت له أسرة وأناس يكثرثون بأمره، ومنهم من توقفت حياة أسرهم من بعده.. ومنهم من مات أبواه حسرة عليه وغيره وغيره.. هل يمكنك أن تتخيل ما هو الألم الذى قد تعانيه بسبب موت إنسان عزيز على قلبك..

أندريه : مريم أنت محقة، نعم أنا أفهم هذا الشعور كثيرًا وأتفق معك فى كل شىء، فكل منهم عندما يعطى الأمر ببدا القصف غير مكترث بما سيفعله ذلك الأمر البسيط، أو تلك الكلمات القليلة فى الآلاف من الأبرياء. أنه حقًا لشيء مقرف ومثير للاشمئزاز.

مريم : تمامًا كالحروب. أنا أكره الحروب. فرئيس الجمهورية عندما يقوم بإعلان الحرب على بلد ما لأسباب مادية، مثل أمريكا على سبيل المثال عندما خرج الرئيس بوش على العالم أجمع وأعلن الحرب على العراق.. تسبب فى قتل العديد من الأشخاص بغض النظر عن الجنسية.. العديد من الأشخاص من كلا الجانبين، ومن حارب منهم ولم يمت فقد أحد أطرافه أو نظره أو..... إلى آخره.. فهو عندما قرر الحرب، كان القرار سهلا عليه، لأنه لن يفقد حياته فى تلك الحرب، ولن يفقد أحد أبنائه حياته فى تلك الحرب.. فجل ما يهيمه هو الحصول على حصة

أكبر فى البترول العالمى.. أما الضحايا، فسيتم الحديث عنهم بالصيغة العددية.. ليخرج إلى وسائل الإعلام معرباً عن أسفه حيث إن الجيش الأمريكى قد تكبد خسائر فى الأرواح بلغت ٥٠ ألفاً على سبيل المثال.. وعلى الجهة المقابلة فى العراق.. يمكنك أن تجد مقابل هؤلاء الخمسة ٥٠ قتيلًا...

أندريه: الرئيس لا يحارب مع جيشه، ولو فرض القانون على كل رئيس الاشتراك فى الحرب مع جيشه، لما قامت الحروب لأن كلاً منهم كان سيخاف على نفسه.

مريم : نعم هذا حقيقى. فالرئيس يصدر القرار وهو جالس على مكتبه، وكل علاقته بالحرب تقوم على أساس متابعة الحرب من مكتبه من خلال وسائل الاتصال.. أما الجنود على الأرض فهم ممن يكونون عرضة حقيقية للخطر.. وللأسف مع مرور السنوات، التاريخ لا يذكر أسماء هؤلاء ممن ضحوا بحياتهم لأجل مصر.. ولكن يذكر فقط هؤلاء الذين اتخذوا قرارات الحرب فقط.. أما الضحايا فيتم تسميتهم بالضحايا، كما لو أنهم كانوا أجهزة أو دبابات أو ما شابه.

أندريه: أنا لا اعترف بشرعية الحروب مطلقاً ومن أى جهة من الجهات، فالحروب ما هى إلا وسيلة يعطى بها الإنسان لنفسه المبرر فى قتل وسفك الدماء...

مريم : الحروب هى بالتأكيد شىء غير جيد، ولكن هناك حروباً شرعية.. مثل حرب الدفاع عن الوطن على سبيل المثال.. فإذا قامت أمريكا بغزو روسيا.. ألن تهب روسيا وقتها للدفاع عن وطنها..؟؟

أندريه : نعم بالتأكيد ستفعل..

مريم : وحينها ستكون الحرب الدفاعية من جهة روسيا هى حرب شريفة مشروعة وسيكون كل من مات فيها هو بطل.. أما من مات من جهة العدو فهو المعتدى.. لأنه من بدأ القتال ومن رغب بسفك الدماء ومن طمع بما لا ينتمى إليه.

أندريه: هذا صحيح..

مريم : إذًا هناك حروب مشروعة، ولكن الفرق بين الحروب المعاصرة والحروب فى الماضى. أن القتال فى الماضى البعيد. فى زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - والدولة الإسلامية من بعده وأمراء المسلمين كان قتالاً بشرف.. فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما تأتى الحرب

يذهب إلى القتال صفا إلى صف مع جنوده. ولم يكن يختبئ في الخلف لمتابعة وإدارة المعركة.
بل كان قائداً شجاعاً يحارب ببسالة.

أندريه : وكذلك كان أغلب القادة في العالم القديم وليس فقط المسلمين.

مريم : حسناً أنا اعرف ذلك ولكننى أحب أن اقتدى بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وأتحدث
عن جميع مواقفه الرائعة في حياته.

أندريه: مريم.. لقد كان حوارنا اليوم حواراً طويلاً جداً. وأنا متعب الآن وأريد أن أخلد للنوم..

مريم : نعم بالطبع كان حواراً رائعاً وطويلاً في آن واحد ولكننى الآن متعبة جداً أنا أيضاً وأتوق
للراحة.

أندريه : حسناً، نلتقى إذاً غداً في نفس الموعد..

مريم : نلتقى نعم ولكن ليس غداً.. هيا نلتقى بعد غد.. ما رأيك؟؟

أندريه: حسناً.. إلى اللقاء..

مريم : إلى اللقاء..

*لقد كان الحديث في هذا اليوم بينهما مهماً جداً بالنسبة لأندريه، وليس بالنسبة لمريم فقط،
أندريه.. الذى عرف حينئذ أنه يتحدث إلى فتاة شريفة وشجاعة جداً.. تبدى رأياً بطريقة أدبية
متحضرة.. ولا شك في أن أندريه نفسه قد تعجب جداً من ذلك، حيث نشأ على أن يرى في
المسلمين صورة الدول المتأخرة. غير القادرة على إنتاج أبناء يستطيعون مواجهة تحديات
العصر.. فقبل أن يقابل أندريه مريم، كان لا يعرف أن في مصر فتيات مستقلات قويات
قادرات على قيادة جيل المستقبل نحو الأفضل.. قدرات على صنع السلام ورعايته. فتيات
متفقات في مجتمع إسلامى لطالما كان مقتنعاً أنه يقيم حرية المرأة ويلزمها المنزل لرعاية
الأطفال. هاهو الآن يتحدث إلى فتاة مسلمة تحدث المعتقدات الغربية عن المسلمين وخرجت
لتعلن عن وجودها أمام معتقدات وافكار أندريه. هذا بالإضافة إلى أن أندريه كان ولا يزال يحب
هؤلاء الناس الذين يتحدثون عن كل شيء بصدق ولكنه قد فقد الأمل في أن يجد ذلك الصدق
الآن إلى أن اقتنع أن الإنسان الصادق هو شخص قد يقابله في الأحلام وعلى صفحات الكتب
والروايات فقط. وكان أكثر ما أعجبه حقاً في مريم هو أنها تتحدث عن كل شيء بصدق.
بدليل أن مريم تحدثت عن مساوى بلدها بكل شجاعة وكان الأحرى بها أن تحاول إخفاء تلك
المساوى عن أندريه حتى لا تشوه صورة مصر. ولكنها تحدثت بكل شجاعة عن مساوى مصر

وفى نفس الوقت نجحت فى إقناع أندريه أن المصريين هم أشجع شعب فى الدنيا. وأكثرهم حبا وإخلاصا لوطنه. وفجأة وجد أندريه نفسه.. يحترم جداً تلك الفتاة العربية المسلمة التى تصغره بالعديد من الأعوام بل ويقتنع برأيها أيضاً. فعلى الرغم من اعتراض أندريه على الدين الإسلامى.. ولكنه لم يستطع أن يعترض على آراء مريم وقناعاتها الشخصية بل وتأثر بها كثيراً وكانت يستشيرها فى العديد من القضايا التى لا تتعلق فقط بالدين وإنما بالعديد من المجالات الأخرى.

• أما من جانب مريم، فقد كان هذا الحوار من وجهة نظرها شيئاً عادياً جداً. فهى لم تفعل شيئاً سوى قول رأيها الشخصى لا أكثر ولا أقل..

ولم يبق بينهما سوى ساحة الحوار التى تتراوح ما بين شد وجذب، ذهاباً وإياباً، حضوراً وغياباً..

وفى المرة التى تلتها.. كان الحوار بينهما كالاتى :-

مريم : مرحباً أندريه، كيف حالك.....

أندريه: مرحباً مريم، أنا بخير، وأنت؟؟

مريم : أنا أيضاً بخير.. هل من مقترحات جديدة للموضوعات التى سنتحدث عنها اليوم
!!!...

أندريه: نعم بالتأكيد. أريد أن أريك شيئاً.. هل أستطيع أن أرسل إليك هذا المقطع المسجل
الآن..؟؟

مريم : نعم بالطبع يمكنك.. هيا أرسله.

* أرسل أندريه إليها مقطع فيديو مسجلاً باللغة الروسية بعنوان المعجزة السنوية.

مريم : ما هذا..

أندريه : هل شاهدته بعد أم لا؟؟

مريم : لا لم اشاهده ولكن الشبكة هنا فى منزلى بطيئة بعض الشيء.. لقد قمت بفتحه هل
يمكننا الانتظار إلى أن يفتح..

أندريه: نعم بالتأكيد..

مريم : هل يمكنك أن تخبرنى بمحتوى ذلك الفيديو إلى أن يفتح وأشاهده بنفسى.

أندريه : نعم بالتأكيد. هل تعرفين عيد الفصح؟؟؟

مريم : نعم اعرفه ولكن على حد علمى أنه عيد يهودى.

أندريه: لا ليس عيداً يهودياً فقط، وإنما يحتفل به المسيحيون أيضاً. وسيحل قريباً بعد ثلاثة
أيام من الآن..

مريم : حقاً هذه أول مرة أعرف فيها ذلك، ولكن استكمل حديثك فأنا كلى آذان صاغية.

أندريه : كل عام فى عيد الفصح فى إسرائيل تحدث معجزة. عندما يجتمع ملايين الناس من جميع انحاء العالم لمشاهدة تلك المعجزة بأنفسهم هناك. ويقفون بانتظار تلك المعجزة..

مريم : وما هى تلك المعجزة؟؟؟

أندريه: النار تشتعل وحدها فى ذلك المكان، لا أحد يشعلها.. إنها نار مقدسة انظرى إلى ذلك الفيديو وسترينها.. وجميع الناس تتزاحم حتى يشعلوا منها . لقد اشتعلت النار وحدها وأنا قد حلمت مئات المرات بأن أحضر هذا المكان وأشاهد ذلك الحدث العظيم بعينى.. ولكننى مع الأسف لم أتمكن من ذلك حتى الآن.. انظرى بنفسك أريد أن أعرف رأيك حول ذلك..

مريم : انتظر لحظات لقد اكتمل تحميل الفيديو سأشاهده.. انتظر..

* مريم شاهدت الفيديو كاملا وفكرت لبرهة ثم عادت لتستكمل الحديث مع أندريه الذى كان ينتظر بحماسة بالغة الاستماع إلى رأى مريم بشأن هذه المعجزة الرائعة.

مريم:لقدشاهدته..

أندريه : لقد حلمت منذ الطفولة بأن اذهب إلى هناك يوماً ما، وبأن اشاهد هذا الحدث الضخم، الجلل بعينى.. وان اشعل شمعتى بهذه النار المقدسة.

مريم : أنه شىء رائع.. وجميل اتمنى لك الذهاب إلى هناك فى أقرب وقت إن شاء الله...

أندريه : شكراً لك.. ولكن ماذا عنك ألا تتمنين أن تذهبي لمشاهدة ذلك الحدث أنت أيضاً..

مريم(بتعجب) : من تقصد.. أنا !!!!

أندريه: نعم.. ألا يذهلك ذلك الأمر أيضاً؟؟؟

مريم : أنا الآن لا أستطيع السفر خارج البلاد بسبب ظروف عائلية . هذا بالإضافة إلى أننى قد اتخذت قراراً وهو أن اول مرة سوف اخرج فيها من مصر ستكون باتجاه المملكة العربية السعودية لزيارة الكعبة المشرفة. والقيام برحلة حج، أو عمرة. فمتلما كان حلمك منذ سنوات زيارة اسرائيل لحضور ذلك الحدث الدينى المذهل، أنا أيضاً احلم بالسفر لزيارة الكعبة منذ الصغر..

أندريه: ولكن بعد رجوعك من الكعبة ألا تتمنين الذهاب إلى هناك..

مريم : لن أذهب إلى هناك ولن تطأ قدمى أرض فلسطين إلى أن تتحرر..هذا بالإضافة إلى اننى مسلمة فما هى حاجتى بالحج مع الإخوة اليهود والمسيحيين..؟؟

أندريه: نعم نعم أعرف.. ولكن يا مريم هذه معجزة من معجزات الدين المسيحى، فما هى

معجزات الدين الإسلامى..؟؟

مريم : بداية لقد اخبرتك من قبل أن معجزة الدين الإسلامى هى القرآن الكريم، ونحن الآن لا نحيا فى زمن المعجزات.. أما إذا أردت أن تعرف شيئاً عن معجزات الدين الإسلامى إذا فسأروى لك عن واحدة..

أندريه : كيف تقولين اننا لا نعيش فى زمن المعجزات بعد رؤيتك لتلك المعجزة التى تحدث فى عصرنا هذا؟؟

مريم : عذراً أندريه، ومع كامل احترامى لرأيك ودينك.. لكن هذا ما أؤمن به كمسلمة.. أما ما تؤمن به أنت فهو امر يخص الله ثم يخصك. ولا دخل لى به..

أندريه : حسناً وأنا اتفهم ذلك، ولكن يهمنى جداً أن اعرف المزيد عن معجزات الدين الإسلامى.
مريم : فى بداية الدعوة الإسلامية عندما تأمر الكفار فى مكة على قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم - اجتمعوا له وجمعوا من كل قبيلة أقوى رجالها وأشدهم بأساً.. وذهبوا ليقتلوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - عند بيته.. ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد علم آنذاك أن الكفار قد تأمروا لقتله وأمره الله بالهجرة إلى المدينة المنورة لاستكمال الدعوة الإسلامية هناك.. فعندما وقف الكفار عند باب منزل الرسول - صلى الله عليه وسلم - مستعدين لقتله. خرج هو من أمامهم ولم يروه، وذلك لأن الله قد أعمى أعينهم عنه.. وبعد أن استفاقوا تتبعوه ليقتلوه هو وصاحبه أبا بكر الصديق رضى الله عنه..

فبينما ذهب الرسول - صلى الله عليه وسلم - واختبأ فى الغار هو وصاحبه، كان الكفار يقومون بتقفى آثار اقدمهم وصولاً إلى باب الغار. ولكن كانت المفاجأة انهم لم يستطيعوا دخول الغار لأن الله قد أمر العنكبوت أن ينصب شباكها على مدخل الغار، وحمامة أن تضع بيضها فى عشها . وكانت تلك أيضاً معجزة.. حيث أنه من غير المعقول أن يبنى العنكبوت والحمامة منازلهم بتلك السرعة إلا بأمر الله.. وبالفعل عندما وصل الكفار إلى هناك لم يصدقوا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصاحبه مختبآن فى الغار.. فلم يدخلوا الغار وذهبوا بعيداً..

أندريه: تعجبني تلك المعجزة..

مريم : بالتأكيد، أنه شىء مذهل.. ولكن الحمد لله على كل شىء.

أندريه: نعم الحمد لله على كل شىء.. مريم اعتذر لك أريد أن أذهب باكراً اليوم فلدى الكثير من الأشياء لأفعلها..

مريم : كما تحب..

أندريه: نلتقى غداً فى نفس الموعد.

مريم : إلى اللقاء..

*وها قد أنهى أندريه المكالمة بعد أن ذهب مسرعاً ليفعل ما يتوجب عليه فعله، أما مريم فقد انصرفت من هذا اللقاء القصير زمنياً ولكن الكبير جداً فكرياً. فجل ما كان يشغل بال مريم، تلك الأسئلة التى ظلت تأتى وتذهب ما بين هنا وهناك فى خلد مريم وهى.. لماذا جعلنى أندريه أشاهد هذا التسجيل المصور عن المعجزة التى تحدث فى إسرائيل كل عام؟؟؟ هل يريد أندريه أن يقنعنى بترك الإسلام واعتناق المسيحية.. وظلت مريم فى تلك الليلة تفكر ملياً

حول إجابة هذا السؤال .. وعلى الرغم من تردد مريم وشكوكها حول حقيقة ما إذا كان أندريه حقًا يريد أن يفتتها عن دينها الإسلام ام لا.. إلا أن مجرد التفكير فى ذلك الشيء كان مزعجا جدًا بالنسبة لمريم. حيث إن مريم عندما تدافع عن دينها امام أندريه أو غيره من غير المسلمين، فهي تفعل ذلك فقط لتقوم بتحسين صورة الإسلام فى عيون الغرب، حتى ولو كانت ستساهم فى الدفاع عن دينها أمام شخص واحد فقط. وإنما الحقيقة هي أن محاولات مريم الدفاع عن دينها ما كانت سوى بهدف الدفاع عنه وليست دعوة أندريه للانضمام للمسلمين.. وذلك لأن مريم على تمام المعرفة أن الدين لله وحده. سواء كان الإسلام أو المسيحية، أو اليهودية. والله وحده هو من يهدى من يشاء.. ويضل من يشاء. وهى لا دخل لها باختيار ديانات الناس ولا بالدعوة للدين الإسلامى. فهى ليست رسولاً أو نبياً من عند الله.. لذلك قررت مريم أن تتوخى الحذر من أسلوب أندريه وان تمنعه من القيام بأى محاولة سيقوم بها لأجل إقناع مريم بترك الدين الإسلامى...

وجاء اليوم التالى وكان الحوار بينهما كالاتى....

مريم : مرحباً أندريه كيف حالك..؟

أندريه:أناخير..(بانفعال)

مريم : هل أنت حقاً بخير.. أنا أشعر أن فى صوتك نوعاً من الانفعال.. ما بك؟؟

أندريه : لا شىء.. لقد عدت لتوى من العمل. بعد أن تأخرت قرابة الساعة عن تسليم النص المطلوب منى ترجمته.. هذا بالإضافة إلى أننى تأخرت فى الصباح أيضاً..

مريم : وما كان سبب التأخير..؟؟؟

أندريه : إن سيارتى تريد أن تذهب للإصلاح لا أعرف ما بها.. هكذا تسببت فى تأخرى هذا الصباح وعند العودة.. وأنا اكره كثيراً عدم الالتزام بالمواعيد والتأخير عندما يقوم به الآخرون، ولكن عندما أتأخر أنا عن العمل أعتقد أنه شىء مشين.. حتى أنا بنفسى لا أستطيع تقبل فكرة أننى قد تأخرت عن عملى.. ولو حتى لدقيقة واحدة.

مريم : أنت محق، إن الإلتزام بالوقت شىء مهم جداً وضرورى.. وأنا لا أحترم من لا يلتزم بمواعيده.. ولكن يا أندريه عليك الإقتناع بأن الذى حدث اليوم قد حدث وأصبح جزءاً من الماضى، فلا يمكن إرجاع الزمن للخلف، وتغيير الأحداث. عليك النسيان والكف عن الغضب والانفعال فهذا لن يفيد.. وكل ما عليك فعله هو تفادى حدوث هذا الموقف مرة أخرى عن طريق إصلاح سيارتك بأسرع وقت ممكن..

أندريه : اعرف أن كلامك صحيح ولكنه شىء مقرف جداً.. ولا أستطيع تحمله..

مريم : أعرف، أن لكل إنسان ما يثير استفزازه فى الحياة ويجعله يخرج عن شعوره؟

أندريه: ولكن ما هو اكثر شىء يثير أعصابك يا مريم؟؟

مريم : .. أنا مثلا ما يثير أعصابي كثيرا، هو عندما يكون إنسان ما غيبا جدا، ومع ذلك يتظاهر بأنه أذكي مخلوقات الله على الأرض.. بل ويقوم بإعطاء النصائح الخاطئة تماما لغيره اعتقادا منه أنه على صواب دائما.. والآخرين دائما على خطأ.. فالإنسان الذكي، لا يجهر بذكائه أمام الناس بغرض الاستعراض، والإنسان الغبي فقط هو من يحاول أن يلفت انتباه الناس إلى أنه ليس كما يبدو..

أندريه: اعرف أنه شيء مثير للاستفزاز أيضا.. مجرد وجود مثل هؤلاء في المجتمع يثير أعصابي أيضا.. لأن تحدث الإنسان بما لا يعرف ليس من الذكاء أبدا..

مريم : هذا صحيح، فمن الضروري عندما يسألك أى إنسان عن شيء لا تعرفه، أن تقول بكل أدب لا أعرف.. فكلمة لا اعرف لا تقلل من شأن الإنسان بل على العكس ترفع منه..

أندريه : وهل من هم مثل هؤلاء كثيرون فى حياتك...؟؟

مريم : لا ليسوا كثيرين...

أندريه: حسنا.. دعينا الآن نترك الحديث عن الغضب والتأخير والغباء.. وتلك الموضوعات السلبية وتعالى لتحدث عن موضوعات أخرى أكثر إيجابية...

مريم : حسنا، ولكن هل لديك أى اقتراحات جديدة للموضوعات اليوم.. أم اقترح أنا عليك..؟؟

أندريه : نعم بالتأكيد.. أريد أن أسألك عن شيء آخر.. هل تذكرين تلك السيدة المسيحية، المسلمة سابقا التى حدثتك عنها من قبل؟؟

مريم: نعم بالطبع، ومن لا يذكرها.. ماذا عنها؟؟

أندريه : لقد سمعت لها برنامجا أول أمس.. كانت تتحدث عن تجربتها مع الدين الإسلامى وكانت تقول.. إن الدين الإسلامى يبعث على التعاسة البالغة. وأنها لو استمرت فى الحياة كمسلمة لكانت انتحرت من شدة البؤس والكآبة؟؟ أهذا صحيح..؟؟ أحقا الدين الإسلامى هكذا..؟؟

مريم :حسنا أندريه، بالطبع هذا كلام ليس له أساس من الصحة. فنحن المسلمين بالرغم من كثرة المشاكل الاقتصادية التى نعانى منها، فنحن سعداء جدا. بل وإن هناك أمرا قد تكون هذه أول مرة تعرفه عن المسلمين. أن الدين الإسلامى أرسى فى نفوس جميع المسلمين مفهوم الرضا عن الحال. والافتناع بما قدمه لنا القدر من مختلف المفاجآت سواء كانت سعيدة، أو حتى نكبات سيئة.. لذلك قد تجد فى نفس كل مسلم، رضا وراحة بال كبيرين جدا. بالرغم من أنه قد يكون فقيرا. ولكنه سعيد جدا. حيث إن الثقة بالله دائما ما تكون المرشد الذى يرشد المسلم إلى طريق السعادة.

أندريه: ولكن تلك السيدة قالت إنها لم تكن سعيدة وكانت ستقتل نفسها من شدة الكآبة.

مريم: إنها حالة فردية.. ثم إنك تأخذ كلام تلك السيدة على محمل الجد جدًا. فلو كان مؤشر التعاسة في حياة الإنسان هو الانتحار. إذًا فلماذا معدلات الانتحار في الولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا وأوروبا.. مرتفعة جدًا. بالرغم من أن شعوب تلك الدول تعيش في رفاهية وتقدم.. مقارنة بالدول العربية التي يسير كل إنسان فيها وهو يحمل فوق عاتقه العديد من المشاكل التي قد تنقض ظهره، ولكنه سعيد ولم يفكر يومًا بالانتحار.. فلدينا معدلات الانتحار هنا قليلة جدًا.. وهناك مرتفعة جدًا مع اختلاف المستويات الاقتصادية والأساليب المعيشية.. ما هو تعليقك على هذا..؟

أندريه: لا أعرف قد يكون كلامك فيه شيء من الصحة، ولكن رأى تلك المرأة يجب أن يحترم.. مريم : رأى كل إنسان مهما صغر أو كبر حجمه يجب أن يحترم، ولكن رأى الأقلية لا يحتسب...أليس كذلك؟؟؟
أندريه: لا.. رأى الأقلية يحتسب..

مريم : وهو كذلك إذًا فأفعال الأقلية تحتسب.. فعلى سبيل المثال ذلك الرجل الألماني الذي قتل امرأة مسلمة لمجرد أنها ترتدى الحجاب، الذي قد تحدثنا عنه من قبل، هو إرهابي مما يثبت أن هناك الكثير من الإرهابيين المسيحيين.. أليس كذلك..
أندريه : أخ منك يا مريم، أنت لا تتسين شيئًا أليس كذلك.

مريم : أنا لا أنسى ما هو من حقى، أو حق أى إنسان على.. هذا كل ما فى الأمر. هذا بالإضافة إلى أن المبدأ لا يتجزأ ولا يقبل التنازل فى أى ظرف من الظروف.. لأن ذلك لو حدث فلن يكون هناك مبدأ أليس كذلك؟؟
أندريه: أتفق معك فى أن المبدأ لا يتجزأ.. ولكن يا مريم كل إنسان يتمتع بحرية الرأى والتعبير.. أليس كذلك!!..

مريم : حتى أن حق حرية الرأى والتعبير، يجب ألا يتعدى إلى نطاق إهانة أو تجريح الغير.. ونحن هنا لا نتحدث عن إهانة أشخاص، وإنما إهانة الأديان (ازدراء الأديان) هذه خطيئة يا عزيزي..

أندريه : آسف مريم.. أعتذر الآن على أن اذهب، لأمر طارئ..

مريم : حسنًا، كما تحب.. فلنلتق بعد الغد. فى نفس الموعد.

أندريه: كما تحبين.. إلى اللقاء..

مريم : إلى اللقاء.

*وكانت هذه هى نهاية الحوار بينهما فى ذلك اليوم.. الذى استخلصت منه مريم فكرة أن أندريه أحيانًا من الممكن ألا يتراجع أبدًا عن معتقد ما فى رأسه، وأندريه أيضًا توصل إلى

مفهوم ما حول مريم، ألا وهو أن مريم لا تستسلم أبدًا.. ولا تتهاون في الدفاع عن دينها بأى شكل من الأشكال..

وجاء اللقاء التالي بينهما على نفس الموعد، حيث كان الحوار بينهما كالتالى...

أندريه: السلام عليكم.. مريم. كيف حالك !!!

مريم : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.. أندريه. ولكن كيف عرفت تحية المسلمين...؟؟؟
أندريه : لقد عرفتھا عن طريق الإنترنت. وأردت أن أبادلك إياھا حتى أثبت لك أنه لا يوجد عداء بيني وبين الدين الإسلامى. وكل تلك النقاشات الحادة التى دارت فيما بيننا كانت بسبب رغبتى فى التأكيد والتحرى عن مصداقية الدين الإسلامى، مثلما فعلت مع الدين اليهودى أيضاً..
مريم : شكرًا لك أندريه.. ولا تقلق فأنا أتفهم تمامًا رغبتك فى المعرفة. ولذلك أجب عن جميع أسئلتك بمنتهى الصراحة..

أندريه : وشكرًا لك مريم على ردك التحية الإسلامية أيضًا..

مريم : لا داعى للشكر، فهذا هو المتعارف عليه هنا. كما أن ديننا الحنيف قد أمر المسلمين أنهم إذا حيوا بتحية عليهم أن يردوا بمثلها أو بأفضل منها.

أندريه: أنه شىء رائع.. ولكن مريم دعينا لا نضيع الوقت.. لقد اطلعت بالأمس على بعض المقالات حول الدين الإسلامى ووجدت شيئًا عجيبًا.. أود أن أطرح سؤاله عليك..؟؟؟
مريم : بالطبع تفضل...

أندريه: لقد قرأت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد تزوج من زوجة ابنه بالتبني.. !! هل هذا صحيح..؟؟

مريم : نعم بالطبع هو صحيح فقد تزوج من السيدة زينب بنت جحش رضى الله عنها..

*وفجأة.. تحولت لهجة أندريه من الهدوء إلى الغضب والشدة وقال:

- كيف يحدث ذلك.. هل هذا طبيعى فى دينكم.. هل هذا هو الدين الحق..

*وهنا ردت مريم بلهجة غاضبة شديدة بعض الشىء:

مريم : نعم هذا هو الدين الحق من وجهة نظرنا جميعًا. ومن فضلك أندريه أخفض من صوتك ولا تحدثنى بتلك الطريقة أبدًا، خاصة مع العلم بأنك لا تعرف شيئًا بعد.. يجب عليك الإنصات أولاً ثم إبداء الرأى مثلما تحدثنا من قبل..

*وهنا استحى أندريه، وفجأة مرة أخرى انطفأت شعلتها وعاد إلى جزء من حالته السابقة..

أندريه : أعتذر مريم، ولكن هذا حقًا شىء عجيب.. أنا أريد التفسير فوراً من فضلك.

مريم : أنه ليس بشىء غريب، أنت فقط تقول ذلك لأنك لا تعرف الحقيقة حىال هذا الأمر.. وكما يقول المثل العربى...إذا عرف السبب بطل العجب..

أندريه : حسنًا، أعدك أننى سأستمع إليك حتى النهاية...

مريم : حسناً.. لقد كان زيد بن حارثة الابن المتبنى للرسول - صلى الله عليه وسلم، فيما سبق عبداً من العبيد. إلى أن حرره الرسول - صلى الله عليه وسلم.. بل أنه عندما جاء الإسلام تغيرت الجزيرة العربية في الكثير من النواحي.. وأهمها من ناحية تحرير العبيد. ولقد كانت زينب بنت جحش آنذاك من الطبقة الأرستقراطية في المجتمع العربي.. ولذلك كان من غير المقبول بالنسبة إليها أن تقبل سيدة مثلها الزواج بعبد سابق. ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو من زوجها له، وهي قد قبلت ذلك احتراماً للرسول - صلى الله عليه وسلم..

ومنذ أن تزوجا، والمشاكل قد عصفت بحياتهما الزوجية الكثير من المرات.. فقد كان زيد بن حارثة كثيراً ما يشكو زوجته للرسول - صلى الله عليه وسلم. ويحدثه بنيته طلاقها. ولكن الرسول كان دائم النصح له بأن يعرض عن ذلك ويحفظ زوجه ويظل معها..

وفي ذلك الوقت كان الرسول - صلى الله عليه وسلم، قد علم من الله أن زيد بن حارثة سوف يقوم بتطليق زوجته وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم.. سوف يتزوجها بعد ذلك. ولكنه أخفى علمه هذا في نفسه ولم يعلنه للناس.

ولقد ذكر أحد أصدقاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - المقربين.. أنه ذات يوم دخل زيد بن حارثة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وظل يشكو له من زوجته، وظل يحدثه بأنه سوف يطلقها.. ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ظل ينصحه مراراً وتكراراً بالصبر والحفاظ على الزواج وعدم تطليقها..

أنا أريدك الآن أن تقرأ الآية القرآنية رقم ٣٧ من سورة الأحزاب..

(أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُنَّ اللَّهُ مَبْدِيَهُ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۗ يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
﴿٣٧﴾)

أريد تفسير معاني هذه الآية لك.. ففي قوله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه)

والمقصود هنا بكلمة تخفي في نفسك، هو إخفاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - في نفسه معرفته المسبقة من الله أن زيد سيطلق زينب بنت جحش وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - سيتزوجها هو.. وليس المقصود هنا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أخفى حبه لها سراً.. ولقد شرحت هذا المعنى لمعرفة أن هناك الكثير من الناس قد تسيء فهم هذه الآية....

لقد قام زيد بتطليق زوجته بكامل إرادته، وكان زواجها من الرسول - صلى الله عليه وسلم.. بأمر من الله لحكمة إلهية بعد ذلك.. لأن الناس في ذلك الوقت كانوا يعتقدون أنه إذا تبني أحدهم شخصاً. فهذا الشخص يكون ابناً له تماماً، كما لو أنه ابنه الذي أنجبه ويعامل معاملة الابن عند تقسيم الميراث. فكان بعضهم يلقبون زيد بـ زيد ابن محمد. ولذلك أنزل الله آيات في القرآن الكريم لتحديد غير ذلك. حيث إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يكن أباً لأى من رجال العرب..

أندريه: وهل من الممنوع في الدين الإسلامى أن يقوم أحدهم بتبني يتيم؟؟

مريم : لا بالطبع هذا غير صحيح.. تماماً فتبني اليتامى من الأسباب الرئيسية التي تدخل الإنسان الجنة في الدين الإسلامى.. وهناك حديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذا الصدد يقول (أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى) صدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم..

أندريه: ولكن هذا تناقض.. كيف يأمر بتبني اليتامى وينهى عنه في نفس الوقت..

مريم : لم ينه الدين الإسلامى عن تبني الأطفال، وإنما فقط نهى عن تسميتهم بأسماء آبائهم في التبني.. فوجب تبني الطفل وتسميته باسمه الحقيقي.

أندريه: فهمت ولكن ما الضير في تسميته باسم أبيه في التبني..

مريم : حسناً، صدقاً أنا لا أعرف السبب الفقهي وراء هذا الأمر، ولكن أعتقد أنه يعتبر نوعاً من أنواع الحفاظ على مشاعر الطفل، فماذا لو عاش الطفل معتقداً أنه ابن ذلك الرجل الذي تبناه.. ثم فجأة عرف بطريقة أو بأخرى أنه ليس ابنه الحقيقي وأنه يتيم ومتبنى.. ماذا سوف يحدث حينها برأيك؟؟؟

أندريه: سوف يتعرض لصدمة نفسية بالتأكيد.

مريم : نعم، بل وقد تكون العواقب وخيمة أيضاً.

أندريه: أنت محقة في ذلك..

مريم : ولكن دعنى أنهى حديثى عن زواج السيدة زينب بنت جحش برسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

أندريه : حسناً تفضلى.

مريم : لذلك كان هذا الزواج لحكمة إلهية بأمر الله، وذلك حتى لا يكون على المؤمنين حرج في الزواج من أزواج آبائهم بالتبني. وذلك لأن زواج الأب من زوجة ابنه بعد تطليقها محرم تماماً في الإسلام وإنما هو أمر عادي بالنسبة للإبن المتبنى . وقد كان الناس في ذلك الوقت كانوا يحرمون ذلك تماماً..

أندريه: ولكننى لست مقتنعاً بتلك الفكرة. فكيف من الممكن أن يتزوج شخص ما من زوجة ابنه بالتبني..

مريم : هي محللة من قبل الدين الإسلامي.. ولو فكرت فيها بصورة منطقية ستجدها مقنعة..
وذلك لأن الابن بالتبني لا تربطه صلة الدم.. وصلة الدم هي التي تحرم أشياء وتحلل أشياء..
فإذا كانت تلك الصلة غير موجودة من غير الضرورى تحريم ما أحل الله..
أندريه : فهمتك..

مريم : ولقد كانت السيدة زينب بنت جحش تفخر على النساء بأنها هي الوحيدة التي زوجها الله
من فوق سبع سماوات.. وكان هذا الزواج فى ذلك الوقت امتحاناً لإيمان المسلمين.. فمنهم من
اقتنع أنها حكمة الله سبحانه وتعالى ومنهم من قال أن هذا الزواج لا يصلح وأن الرسول قد
أخطأ.. لذلك فقد كان هذا الزواج لحكمة إلهية وفيه الكثير من المنافع...
أندريه: وماذا كان موقف زيد بن حارثة عندما علم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يريد أن
يتزوج زوجته السابقة؟؟

مريم : كان زيد بن حارثة مؤمناً بالله ومحباً للرسول - صلى الله عليه وسلم - كثيراً.. وكان يعرف
الرسول - صلى الله عليه وسلم - خير معرفة.. فلقد وافق بالطبع على هذا الزواج ورحب به
كثيراً..

أندريه: أتقولين أنه لم يعترض أبداً...!!!

مريم : نعم لم يعترض فهو يفهم ماذا كان يحدث آنذاك..
أندريه: أنه حقاً لشيء غريب وعجيب..

مريم : ليس غريباً وعجيباً على من يؤمن بالله حق الإيمان..

أندريه: وهى، ماذا فعلت عندما عرفت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد تقدم لخطبتها...
مريم : لقد فرحت كثيراً، بل إنها ركعت من كثرة السعادة...
أندريه: حقاً...!!

مريم : هذا صحيح، وبالمناسبة لقد كانت امرأة طيبة، خيرة كثيرة التصدق.. والعطف على
الفقراء.

أندريه: هذا جيد. ولكن يا مريم لقد سمعت بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان رجل كثير
الزوجات.. لماذا؟؟؟

مريم : لقد كان فى اختلاف وتعدد زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - حكمة إلهية. فقد
كانت زوجاته هن أمهات المؤمنين. فقد كنت تجد فيهن الشابة والحسنة والعجوز والطيبة
والرحيمة والعطوفة.. وغيرها. فقد قدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - من خلالهن إلى البشرية
تشريعاً إنسانياً متكاملًا.. وبالمناسبة لقد كانت زوجته السيدة عائشة رضى الله عنها هي زوجته
البكر الوحيدة.. وأنا أوضح هذه الفكرة أمامك حتى لا تعتقد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم -
قد تزوج من كل هؤلاء النساء لأى سبب آخر مما يقال عنه من جهة الغرب.

أندريه : ولكن يا مريم عليك الاعتراف بأن هذا عدد كبير من الزوجات بالنسبة لرجل واحد.
مريم : نعم كبير بالنسبة لرجل عادى واحد، لذلك حلل الله للرجل الزواج من أربع نساء فقط، أما
النبي - صلى الله عليه وسلم - فهو الرسول والنبي الذى لا يجب أن نقارن أنفسنا به ونطالب
بنفس الذى لديه.. أندريه، يبدو لى أنك قد نسيت حديثنا السابق عن زوجات سيدنا سليمان عليه
السلام من الكتاب المقدس اليهودي.. (العهد القديم)
أندريه: ممممم.. لم أنس، ولكن كيف يكون هو النبي ويكون أفضل من البشر فى كل شىء فى
ظروف الحياة..

مريم : من قال ذلك، إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالفعل أفضل من جميع البشر فى كل
شىء. ولكن ليس فى الظروف المعيشية. فقد عاش هو وزوجاته فى حياة فقر وتقشف، واختبر
الكثير من المحن والمصائب التى صبر عليها بقلب مؤمن. فقد مات كل أبناؤه فى حياته ما عدا
ابنته فاطمة توفيت من بعده. وكان نبي الله ولو أراد الله أن يعطيه أموال وثورات الدنيا وما فيها
لأعطاها له. ولكن هكذا عاش النبي ولم يكن يوماً يستغل مكانته كنبى فى جمع الأموال والثروات
لنفسه.. وتعدد زوجاته كان بأمر من الله سبحانه وتعالى. فزواجه من كل امرأة كان لحكمة. ولا
يمكننى تفسير ذلك الآن لأن للحديث عن ذلك وشرحه يجب الاستعانة فيه بالكتب والمراجع
ويجب أنت بنفسك أن تقرأ منها وليس أنا. لأن لكل منهن ظروفًا خاصة وأسبابًا للزواج...
أندريه : حسنًا يبدو أنه لدى الكثير لأقرأ عنه فى الدين الإسلامى...

مريم : اتمنى أن تفعل حقًا، لأنك لو قرأت فى حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع زوجاته
من مراجع حقيقية لأذهلتك تلك التفاصيل..

أندريه : حسنًا مريم هيا نتحدث عن موضوع آخر الآن، وندع موضوع زوجات النبي " صلى الله
عليه وسلم" لوقت لاحق حتى يتسنى لى أن أطلع على معلومات أكثر بهذا الصدد وأتحقق من
كل شىء بنفسى..

مريم : حسنًا، اقترح أى موضوع..

أندريه: رأسى فارغ الآن.. اقترحى أنت !!

* سكنت مريم لبرهة ثم قالت : حسنًا، احكِ لى ما هو أكثر موقف مضحك تعرضت له فى
حياتك؟؟؟

أندريه: اوه.. يا إلهى ما هذا السؤال غير المتوقع...

مريم : هل هذا يعنى أنه ليس لديك إجابة ؟

أندريه: لا بالتأكيد، لدى إجابة. ولكن أمهلينى لحظة لأفكر.

مريم : حسنًا..

*سكت أندريه للحظات، ثم عاد ليتكلم مع مريم وصوته ضاحك بعض الشىء..

أندريه: نعم لقد تذكرت..

مريم : من الواضح أنه كان موقفًا مضحكًا كثيرًا حيث إن صوتك ضاحك..
ضحك أندريه بشدة وقال : نعم.. عندما كنت وزوجتي في الهند.. ذهبنا للتسوق، فوجدنا منطقة
بأكملها تباع فيها التماثيل الصغيرة منها والكبيرة وكل الأحجام.. فقررنا أن نشترى.. فأعجبنا
تماثيل صغير جدًا، وعندما سألنا الرجل أنا وزوجتي عن سعر التمثال قال لنا أنه بـ ١٦٠ روبية
وهنا صرخت زوجتي في وجهه وقالت له: لا هذا غال جدًا، إنه تمثال صغير. وأرادت أن تذهب
ولا تشتريه ولكنه اعجبني وأردت شراءه وأقنعتها بأن سعره مناسب. وبالفعل اشتريناه..
ثم استكملنا رحلتنا في التسوق، إلى أن وجدنا في آخر السوق متجرا آخر يباع عنده نفس
التمثال.. فذهبت لأسأله من باب الفضول على سعر التمثال..وهنا كانت المفاجأة.

مريم : ماذا ؟؟؟؟

أندريه : ماذا تتوقعين أن يكون سعر التمثال الحقيقي ؟؟

مريم : أتوقع أن يكون من ٨٠ إلى ١٠٠ روبية.

أندريه : كان سعره ٢٠ روبية فقط.

مريم : ماذا ؟؟؟؟ حقًا.. إنه فرق هائل في السعر.

أندريه: وهنا التفتت زوجتي ونظرت إليّ فوجدتني خجلا جدًا مما فعلت، وخائفًا من ردة فعلها..
وكانت هي في تلك اللحظة غاضبة جدًا.. فعدنا مسرعين إلى الرجل. وتشاجرت معه وأصرت
على أن تسترد اموالنا ولكنه رفض لذلك فقد أخذت تمثالًا آخر في المقابل..

مريم : حقًا.. إن زوجتك قد تصرفت تصرفًا جيدًا لو كنت مكانها لفعلت نفس الشيء..

أندريه: ومنذ ذلك الحين وهذا التمثال الصغير موجود هنا في منزلنا في حافة المكتبة، كنوع من
أنواع التذكارات، وضعته زوجتي لتذكرنى من وقت إلى آخر بأنها تفهم وأنا لا أفهم..

* فضحكت مريم ضحكة عالية جدًا وقالت.. هل هو نوع من أنواع إعادة التربية والتأهيل...؟؟

أندريه : نعم يكاد يكون كذلك.. وهذا حتى تضمن أننى لن أتدخل فيما لا يعنينى بعد ذلك أبدًا..

مريم : نعم لقد فهمت ما هو المغزى من ذلك الدرس...

أندريه: ولكن أنتِ اخبرينى، ما هو أكثر موقف مضحك قد مررت به في حياتك.

مريم : حسنًا، ذات يوم كنت عائدة من الجامعة وارتدت مترو الأنفاق كالعادة.. وكان المترو
أيضًا كالعادة مزدحمًا جدًا. ولكن لحسن الحظ قد وجدت مقعدًا لأجلس عليه في داخل عربة
المترو وقد كنت متعبة جدًا في ذلك اليوم.. حيث كان يومًا دراسيًا طويلًا. ولكن فجأة دخلت
امرأة حامل ووقفت أمامى ولم تجد مكانا لتجلس فيه. وظلت تنتظر باتجاهى. لذلك شعرت بالحرص
الشديد وقررت أن أعطيها مقعدى وأقف أنا لأنها حامل وأنا لست حاملا، وإذا اهتزت العربة فجأة

ووقعت من الممكن أن تضر الجنين. لذلك اخبرت نفسي أنه من الذوق والواجب أن أعطيها مقعدى، وهنا وقفت على الفور وقلت لها.. من فضلك سيدتى تفضلى واجلسى فى مكانى.. فابتسمت وقالت شكرًا جزيلا وهمت بالجلوس ..

فقلت لها : لا عليك لقد فعلت ذلك لمصلحة الطفل...

وهنا وقفت مرة أخرى وتحولت ابتسامتها فجأة إلى غضب ما بعده غضب قد ارتسم على وجهها.. وقالت : أى طفل؟؟؟

وكنت أنا قد صدمت لما فعلت ووقفت صامتة لا اعرف ماذا افعل.. وهى مستمرة فى القول.. أى طفل؟؟ أى طفل؟؟

فقلت لها. اعذرنى من فضلك فأنا ضعيفة النظر ولا أستطيع الرؤية جيدا. لذلك لم أستطع التمييز..

فقلت لى : من الأفضل أن ترتدى نظارات، لكى ترى أُننى لا زلت آنسة مثلك تمامًا، ولم اتزوج بعد فكيف بالأحرى سأرزق بطفل.

وهنا تركت عربة المترو وخرجت على الفور..هريا من الإحراج الذى تعرضت له حيث كان صوت المرأة عاليًا جدًا وكل من كان هناك قد سمعها..

* كان رد فعل أندريه هو الضحك شبه الهستيرى حيث ظل يقول.. إنها امرأة بدينة أليس كذلك...؟؟؟ لقد حدث سوء تفاهم..

مريم : نعم.

أندريه : مريم ولكن أود أن اسألك.. هل أنتِ مؤمنة بوجود الحب؟؟؟

مريم : نعم بالطبع ومن لا يؤمن بوجود الحب.. إنه هدية الله يهديها إلى المحظوظين من البشر..

أندريه: نعم هذا صحيح ولكن ألم تقعى فى الحب من قبل؟؟

ضحكت مريم قليلا ثم قالت :

لا للأسف لم يحالفنى الحظ بعد، ولكننى على يقين تام من أن الله سوف يرسل إلى الحب مع زوج المستقبل إن شاء الله.. حيث إن الحب فى مجتمعنا وديننا يرتبط بالزواج وتأسيس العائلة.

أندريه: نعم أفهم هذا، لقد تحدثنا عن هذا مسبقا.. ولكن حقًا كيف أنك لم تقعى فى الحب من قبل. إن المشاعر هى شىء لا يمكن التحكم فيه إطلاقا، فكيف أن مشاعرك لم تقدك إلى أى إنسان بعد.

مريم : أنت محق تمامًا أن المشاعر شىء لا يمكن التحكم فيه إطلاقا، ولذلك مشاعرى لم تقدنى إلى أى شخص من قبل،هذا بالإضافة إلى أننى أستطيع الفصل جيدًا بين ماهية مشاعر الحب ومشاعر الإعجاب والكثير من الناس لا يعرفون ما هو الفرق بينهما، فمشاعر الإعجاب قد تكون

وقتية وقد تتحول إلى حب. ولكن مشاعر الحب تعيش إلى الأبد حتى إذا افترق الزوجان، فإن الحب يبقى ولا يتحول إلى كراهية أبدًا. وأنا حقًا لم أشعر بأى مشاعر حب من قبل. واعتقد اننى سوف التقى الحب يومًا ما حينما يحين الوقت لذلك.. ولكن ماذا عنك أندريه بالتأكيد قد وجدت الحب، وإلا لم تكن قد تزوجت زوجتك أليس كذلك.. ام ماذا؟؟

أندريه: نعم لقد احببت شابة جميلة عندما كنت فى مثل سنك، وقضيت معها اجمل سنوات حياتى... واستمرت علاقتنا لمدة ٥ سنوات تقريبا، فقد كان الجميع يتعجبون من قصة حبنا طويلة الأمد هذه ويتوقعون لنا الزواج فى المستقبل بل وإنجاب الأطفال أيضًا. ولكن للأسف قد انفصلنا، فلا شىء يدوم حتى ما يمكن أن يتصوره إنسان الحب الحقيقى، لا يدوم أيضًا.
مريم : لماذا...؟؟؟

أندريه: لقد هاجرت إلى خارج البلاد للحياة فى الولايات المتحدة الأمريكية ولم يكن هناك إمكانية لدى لألتحق بها وهى لم ترغب أن تتنازل عن حلمها لأجلى. فكان حبها للسفر اقوى واغلى لديها بكثير من حبها لى. كما اننى أيضًا لم اذهب معها لأننى كنت أود أن احصل على سيرة ذاتية هائلة، وأن استمر فى الدراسة فى الجامعة خاصة اننى قد درست فى كلية الطب لعامين متتاليين ثم تركت المجال نهائيا كى اتوجه لدراسة اللغات وتحويل اهدافى تمامًا من طبيب إلى مترجم.. لقد كنا مشوشين كثيرًا فى ذلك الوقت ولا نعرف ماذا نريد وإلى أين نذهب، فقد دمرتى عاطفيا هذه الفتاة عندما تركتتى، وظللت بعد رحيلها اتخبط فى العديد من العلاقات هنا وهناك ومع العديد من الفتيات حتى اننى أحيانًا لا اذكر اسم العديد منهن وكيف التقينا.. قد اقابل احدهن الآن صدفة ولا اعرفها تمامًا.

مريم : يا للأسف، ألم تستطع حتى أن تقوم بمراسلتها؟؟

أندريه : لا مريم، هذا موضوع قديم وقد اقلقت بيننا كل الطرق منذ قديم الأزل ولا اعرف عنها شيئًا منذ اللحظة التى غادرت فيها البلاد.

مريم : نعم أنا اتفهم.. ولكن هل لديك أى أطفال؟؟؟

أندريه : اووه مريم، الأطفال رائعون.. إنهم شىء رائع ولكننى لم أرزق بأى أطفال، لأننى أعلم الناس بحالى، واعلم جيدًا اننى لا أصلح أن أكون أبًا، ولا أريد أن أنجب أطفالا لأظلمهم معى بعد ذلك...

مريم : ولكن أندريه انها نعمة كبيرة جدًا، كيف يختار الإنسان أن يحرم نفسه منها، وما أدراك أنك لن تستطيع تحمل مسؤولية الأطفال.. هناك مثل يقول لن تعرف حتى تجرب، وأنت لم تحاول حتى ثم إن الأبوة أو الأمومة هى غريزة طبيعية قد خلقها الله فى كل البشر ولا يمكن إنكارها.

أندريه: نعم اعرف هذا الكلام جيداً ولا اريدك أن تسيئى فهمى مريم، فأنا لست إنسانا أناانيا يفكر فى نفسه فقط دون الجميع.. ولكننى فقط اعرف نفسى، أنا بالكاد استطيع العناية بنفسى، فكيف سأستطيع أن اهتم بطفل، كلما كبر كلما احتاج إلى عناية واهتمام اكثر من الأول.. اعرف أن حياتى صعبة ولم ارد أن اظلم شخصا آخر معى، هذا كل ما فى الأمر..
مريم : أنت محق فى ذلك، فأنا لا احب هؤلاء الآباء والأمهات الذين ينجبون اطفالا ولا يعنون بهم.

أندريه: مريم.. اعتذر الآن أريد أن اذهب..

مريم : وأنا أيضاً.. ولكن عن ماذا سوف نتحدث فى المرة المقبلة..

أندريه: لا أعرف.. هل لديك أى موضوعات مقترحة.

مريم : نعم.. ما رأيك أن نتحدث عن أشهر الأكلات الشعبية الروسية والمصرية..

أندريه: واو.. بالطبع من الممكن أن نفعل ذلك.. هذا موضوع مثير للاهتمام..

مريم : حقاً. إذاً فإلى اللقاء للمرة القادمة..

أندريه: إلى اللقاء..

مريم : إلى اللقاء...

* لقد كانت مريم متحمسة جداً لهذا اللقاء، كما كان أندريه أيضاً على نفس الدرجة من الحماس وذلك لأن الفضول يدفع كلا منهما للتفكير فى ماهية اشهر أكلات المطبخ الروسى.. فكان أندريه مثله كمثل العديد من الأجانب يتحرق شوقا ليعرف ماهية الأكلات الشعبية المصرية..
وهنا جاء الحوار بينهما كالتالى :-

مريم : مرحباً.. أندريه كيف حالك...

أندريه : أنا بخير..

مريم : لقد جهزت لك قائمة بأكثر الأكلات الشعبية المصرية شهرة وإقبالاً من قبل السياح الأجانب فى مصر...

أندريه : حقاً.. أخبرينى.. أنا اتحرق شوقاً لأعرف...

مريم : نعم.. سأبدأ بطبق الكشرى...

أندريه: ما هذا.. من فضلك، كررى قول تلك الكلمة مرة أخرى، واكتبيها لى بالأحرف الروسية..

مريم : بالطبع وبكل سرور..

أندريه : كوشارى.. كيشرى.. كشرى.. آه أخيراً قلتها..

مريم : نعم.. لقد فعلتها..

أندريه: وما هو الكشرى..؟؟

مريم : الكشرى هو أكلة شعبية مصرية تأكلها جميع الطوائف هنا فى مصر.. بالرغم من أنها أكلة رخيصة الثمن.. ويأكلها الكثير من الفقراء ولكن الأغنياء أيضاً يحبونها كثيراً..

أندريه: وما الذى يدخل فى تكوين ذلك الطبق؟؟

مريم : الأرز، الشعيرية، الصلصة، المكرونة، البصل، الحمص، العدس الأسود، ونوع مخصوص من أنواع الصلصات المصرية الشهيرة المخصصة للكشرى فقط يسمى "الدقة"...

أندريه: ماذا؟؟!! ما هى تلك الصلصة المصرية.. مم تتكون.

مريم : تتكون من الخل والتوابل والماء..

أندريه: هل تعرفين كيف يتم إعداد تلك الصلصة...

مريم : فى حقيقة الأمر لا أعرف كيف يتم تحضير تلك الصلصة ولكنى فقط أعرف المكونات...

أندريه: إذا فهذا يعنى انك لا تعرفين كيف يتم طهو الكشرى..

مريم : نعم للأسف لا اعرف كيف يتم طهو الكشرى بالرغم من اننى اعرف الطريقة ولكنى لم أجرب تحضيره من قبل.. فهو طبق صعب التحضير نوعا ما واخاف أن تفسد منى مكوناته اثناء الطهو ..

أندريه : هل نسيت هذه المقولة " لن تعرف أبداً ما دمت لم تجرب بعد " ..

مريم : أنت محق ولكن هذا الطبق لا يثير اهتمامى لتحضيره بعد.. أنا اقوم بطهو بعض الأطباق السهلة.. مثل المكرونة والبطاطس والبيتزا...

أندريه : وأنا أيضاً.. افعل المثل.. وذلك ليس لأننى أخاف أن تفسد المكونات ولكن تلك المأكولات تحضر بسرعة ولا تستهلك الكثير من الوقت هذا بالإضافة إلى اننى احبها كثيراً..

مريم : أما أنا فأود تعلم كيفية عمل المزيد من الأكلات ولكن ليس الآن، فهذا مشروع مؤجل بالنسبة لى...

أندريه: حسنا.. اكملى.. اريد أن اعرف المزيد عن هذا الطبق المثير للاهتمام.

مريم : حسنا.. يتم طهو المكونات كل على حدة.. ثم نأتى بطبق ونضع الأرز، ثم من فوقه العدس، ثم المكرونة، ثم الصلصة، ثم الحمص ثم نضع بعد ذلك الصلصة المصرية التى تسمى

الدقة.. ويقلب الطبق ثم يؤكل...

أندريه: واو.. يبدو لى أنه لذيذ ولكنه دسم.. أليس كذلك..

مريم : نعم بالطبع هو لذيذ ودسم، ولذلك لا ينصح به لمن هم على نظام حمية غذائية.

أندريه: آه.. فهمت.. وماذا أيضاً!! هل يوجد المزيد من الأكلات؟؟؟

مريم : نعم بالطبع يوجد، إن المطبخ المصرى زاخر بالمأكولات الرائعة ..

أندريه: وأنا لا زلت استمتع إليك..

مريم : هناك طبق آخر يسمى الملوخية..

أندريه : ماذا.. ما هذا ؟؟؟؟

مريم : الملوخية.. أليس لديكم نبات الملوخية..

أندريه: لا ليس لدينا وهذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن شيء كهذا..

مريم : إذاً فمن الواضح أنه نبات لا يزرع فى روسيا..

أندريه : نعم أعتقد ذلك.. ولكن كيف يبدو شكله..

مريم : أنه عبارة عن نبات له أوراق خضراء تشبه أوراق الشجر.. يتم قطفها وهرسها حتى

تصبح ناعمة ثم تضاف بعد ذلك إلى شوربة الدجاج أو اللحم أو الشوربة العادية.. ويتم طهوها

على ذلك.. حتى تصبح فى النهاية تشبه الشوربة السميقة خضراء اللون...

أندريه: هل هى لذيذة...؟؟

مريم : بالطبع لذيذة جداً وعلى الرغم من أنه طبق قديم نوعاً ما، إلا أنه لا يزال حتى يومنا هذا

يتمتع بشعبية كبيرة بين الأطفال والكبار..

أندريه: حقاً.. أود أن أتناوله يوماً ما.. ولكن أخبريني عن أطباق أخرى..

مريم : يوجد ما يسمى بالمحشى...

أندريه: ولماذا يسمى بطبق المحشى؟؟

مريم : لأنه يتم تفريغ الطماطم والفلفل والبانجان والكوسة.. وحشومهم بالأرز مع التوابل.. كما

أحياناً يتم عمل ذلك الطبق بلف الأرز بما يسمى ورق العنب أو أوراق الكرنب...

أندريه: فهمت ما تعنيه.. ولكن ما هو ورق العنب؟

مريم : ألا تعرفه؟؟؟

أندريه : نعم.. لا أعرف هذا النبات أيضاً..

مريم : هو أيضاً من أنواع النباتات ذات الأوراق الخضراء الكبيرة العريضة لذيذة الطعم.. التى

تُملأ بالأرز ويجرى لفها وطهوها لتصبح محشى.. فهمت..

أندريه : ليس لديك أدنى فكرة.. عن كم أتمنى أن أتناول تلك الأطباق الشهية التى حدثتني

عنها.. فإننى كلما سافرت بلداً، تعرفت إلى مطبخها.. مثل الهند. عندما كنت فى الهند، أكثر ما

لفت اهتمامى فى المطبخ الهندى هو الخبز الذى كانوا يستخدمونه ولا يأكلون شيئاً بدونه..

مريم : ما هو اسم هذا الخبز.. وكيف يبدو..

أندريه : لا أذكر اسمه فى الحقيقة ولكنه رقيق ولذيذ جداً...

مريم : أكثر ما يلفت انتباه المصريين أيضاً وصفات المطبخ الإيطالى.. فلدينا هنا العديد من

المطاعم الإيطالية التى تلقى رواجاً كبيراً بين المصريين..

أندريه: حقًا إن المطبخ الإيطالي رائع ولا يلفت انتباه المصريين فقط بل العالم كله على ما أعتقد..

مريم : وهل يوجد فى روسيا مطاعم إيطالية مثل مصر..؟؟

أندريه: نعم، وهى تحظى بشعبية جيدة نوعا ما.. ولكن أعتقد انها ليست بالشهرة عينها مثلما الأمر فى مصر..

مريم : ولكنك لم تخبرنى بعد عن ما هى أكثر الأكلات شعبية فى روسيا..

أندريه: آه.. آسف لقد نسيت !! ولكننى بالطبع كنت أنوى إخبارك..

مريم : لا عليك.. أنا لا زلت أستمع..

أندريه: سوف أحدثك عن طبق البلين.. وهو من أشهر وأكثر الأكلات شعبية فى روسيا أجمع..

وكما هو الحال بالنسبة للكشوى للجميع يحبونه من الكبار والصغار، الأغنياء والفقراء..

مريم : حقًا.. حدثنى عنه فمن الممكن أن أحاول صنعه هنا فى المنزل إذا كان سهلا.

أندريه : يتكون البلين من اللبن، البيض، الدقيق، السكر البنى، ملعقة صغيرة ملح والزبد.. يتم

إضافة البيض والملح والسكر معًا وضربهم جيدا.. ثم يتم إضافة الدقيق والخلط.. ثم نضع اللبن

ونستمر فى عملية الخلط.. ثم نضع العجين على النار لمدة ١٥ دقيقة.

وبعد ذلك.. نأخذ القليل من العجين ونقوم بفردها على المقلاة وتسويتها.. حتى تصبح كالورقة،

أو من الممكن أن تكون سميكة إذا أردت ذلك.. حسب رغبتك.. ونقوم بملء البلين الواحدة بما

نريد من مكونات.. هل فهمت؟؟؟

مريم : لقد فهمت ولكن هناك بعض الكلمات الجديدة التى لم أعرف معناها.. ولكننى قد فهمت

المعنى.. يبدو لى طبقا لذيذا..

أندريه: نعم هو لذيذ جدًا.. ولكن من الممكن أن أكرر لك مرة أخرى إذا لم تفهمى.

مريم : لا شكرًا ليس من الضرورى أن ارهقك فى الشرح مرة أخرى. لقد عرفت اسم الطبق وسوف

أحصل على الوصفة مباشرة من على الإنترنت..

أندريه: حسنًا، وهل ستقومين بطهوها..؟

مريم : نعم سأحاول فقط.. ولكن لا تضع الكثير من الآمال على تلك المحاولة..

ضحك أندريه: أتمنى لك التوفيق فى جميع محاولاتك.

مريم : شكرًا لك.. ولكن ما أكثر شىء يجب أن يأكله الروس.. ولا يمكنهم التنازل عنه مع أى

وجبة.. هل هو الأرز أو الخبز؟؟

أندريه : لا هذا ولا ذاك.. إنها البطاطس..

مريم : حقًا.. وأى نوع من أنواع البطاطس على وجه التحديد..؟؟

أندريه: البطاطس المقلية.. وبالنسبة للمصريين.. أى شىء الأحب إليهم على الإطلاق؟

مريم : الخبز المصرى.. وبالمناسبة الخبز هنا هو خبز مصرى خالص أى أنه لا يشبه أنواع الخبز المتعارف عليها عالمياً..

أندريه : حقاً، ومم يتكون..؟؟

مريم : المكون الرئيسى له هو الردة.. ولا أعرف شيئاً عن باقى المكونات..

أندريه : وما هى الردة؟؟

مريم : إذا كنت لا تعرفها. فأنا لا أعرف كيف أصفها لك.. فهى تشبه البودرة ولكن ذات لون غامق وهى ذات فائدة غذائية عالية..

أندريه : حقاً.. هذا شىء جيد أن يتناول المصريون كل يوم نوعاً من أنواع الخبز الذى يحمل فائدة غذائية عالية..

مريم : نعم.. أنت محق بهذا الشأن.

أندريه : ولكن بالحديث عن المأكولات لقد خطر بذهنى سؤال الآن، لطالما أردت أن نتناقش بخصوصه ولكننى كنت أنسى..

مريم : ما هو؟؟

أندريه : لماذا حرم الدين الإسلامى أكل لحوم الخنزير؟؟ فلهوم الخنزير لذيذة جداً وشهية. وأنا حقاً لا أرى سبباً فى تحريم أكله سواء فى الدين الإسلامى أو اليهودى؟

مريم : لقد حرم الدين الإسلامى أكل لحم الخنزير، لأننا نعتقد بأنه ملوث فهناك نوع من أنواع الديدان الشريطية التى على الأغلب تنمو داخل الخنزير وتنتقل للإنسان عن طريقه..

* وهنا قاطعها أندريه.. معذرة مريم ولكن هذا النوع من الديدان قد ينمو بداخل أى حيوان مثل البقر وأحياناً الماعز أيضاً. ولكن لم أسمع يوماً بأن المسلمين لا يأكلون هذا أو ذاك. فإذا كانت الدودة الشريطية هى السبب إذاً فلماذا لا يمنع الإسلام أكل جميع اللحوم تماماً..

مريم : أعرف أن هذه الدودة قد توجد فى البقر وفى الماعز ولكن تحريم أكل لحم الخنزير له عدة أسباب وليس فقط الدودة الشريطية.. فنحن نعتقد بأنه حيوان ملوث لأنه حيوان يأكل قذارته ومن الممكن أن يتغذى على القمامة، فكيف بالأحرى أن يأكله الإنسان..

أندريه : نعم هذا سبب مقنع نوعاً ما، ولكن الكلب يأكل قذارته أيضاً، هل هذا يعنى أن الكلاب تعتبر حيوانات ملوثة أيضاً فى الدين الإسلامى..؟؟؟

مريم : نعم الكلاب تعتبر حيوانات ملوثة أيضاً فى الدين الإسلامى، فنحن المسلمين لا نفضل اقتناء الكلاب إلا لأغراض الحراسة ويفضل وضعها فى الحديقة خارج المنزل، فإذا كان المسلم قد اغتسل لأجل الصلاة وصادف أنه لامس كلباً ففى هذه الحالة عليه أن يعيد الاغتسال مرة أخرى وإلا لن تحتسب صلاته. ولكنه حيوان وفى وجميل وليس من المحرم أبداً اقتناء كلب، ولكن

فقط كل ما فى الأمر أن هناك إرشادات فى النظافة الشخصية فرضها الإسلام فى حالة التعامل المباشر مع الكلب. بالإضافة إلى أنه لا يوجد من يأكل الكلاب من المسلمين.

أندريه : فى كوريا يعتبر أكل الكلاب من الأشياء المستحبة جداً.

مريم : آه، أعرف بشأن شورية الكلاب الكورية وتلك الأشياء المقززة فقط سمعت عنها من قبل. ولا يمكننى حقاً أن أتخيل كيف يمكن لإنسان أن يأكل كلباً..

أندريه : نعم أتفق معك أنه شىء مقزز، كما أن الكلب صديق الإنسان فكيف يمكن أن يأكل شخصاً ما صديقه.

مريم : نعم بالتأكيد.

أندريه : ولكن ما هو تبريرك لفكرة أن أكل لحم الخنزير غير محرم فى الديانة المسيحية ويأكله الجميع هنا منذ القدم، ومع ذلك لم أسمع يوماً بشخص قد أصيب بالدودة الشريطية، أو شىء من هذا القبيل..

مريم : صدقاً، لا أعرف الإجابة عن هذا السؤال فأنا لست طبيبة. ولكننى على علم تام بأن أثر الدودة الشريطية فى اللحم يتلاشى تماماً مع الطهو الجيد لذلك فخطرها من الممكن أن يزول مع الطهو. أما عن تبريرى لفكرة عدم إصابه شخص بالدودة الشريطية أو بأى نوع من أنواع التلوث بسبب تناوله للحم الخنزير، فأنا لا أعرف السبب واعتقد أيضاً أنك أنت لا تعرف إذا كانت هذه المعلومة حقيقية فعلاً (عدم إصابة أى شخص من آكل لحم الخنزير بالدودة الشريطية)، لأنك لست طبيبا ولا تعمل فى مجال الأبحاث الطبية. أما عن السبب فمن وجهة نظرى الشخصية عندى تفسير قد يكون منطقياً بشأن هذا الصدد.

أندريه:وما هو؟؟

مريم : صبراً أندريه من فضلك، ما هو الفرق بين تناول ماء الصنبور وتناول الماء المعبأ فى زجاجات؟؟

أندريه : ماء الصنبور يكون مكرراً ولكن ليس بصورة كاملة، ولكن الماء المعبأ فى زجاجات يكون معبأ جيداً..

مريم : ولكن هل تعرف شخصاً يتناول الماء المعبأ فى زجاجات دائماً منذ الصغر، ولم يشرب يوماً مباشرة من ماء الصنبور..

أندريه : نعم فمن تعود على الماء المعبأ لا يستطيع أبداً تناول المياه العادية لأنها قد تضره.

مريم : هذه تماماً الفكرة التى اردت أن اوضحها لك، فمن تعود منذ الصغر على شرب الماء غير المنقى بصورة تامة لن يتضرر منها بالرغم من إمكانية احتوائها على جراثيم أو فى بعض الأحيان على ديدان.. وذلك لأن فى هذه الحالة يكون جسم الإنسان قد كون مناعة طبيعية ضد أى خطر من الأخطار الموجودة فى المياه.. إلا أنه وفى بعض الحالات يحدث تسمم للإنسان

بسبب شيء ما في الماء، تمامًا هو نفسه الحال بالنسبة لأي إنسان قد تعود على تناول لحم الخنزير منذ الصغر يكون بالتأكيد قد حصل على مناعة ضد الأمراض التي قد تسببها تلك اللحوم.. مع العلم أنني قد قرأت ذات مرة على احد المواقع الأمريكية، خبرًا مفاده أن رجلاً قد مات بسبب كثرة تناوله لحم الخنزير (بسبب الدودة الشريطية). لذا فخلاصة الأمر هي أننا لا نعلم لماذا هذا مصاب وهذا لا.. فهذه أشياء غير مبررة، أو من الممكن أن تكون مبررة ولكن نحن فقط لا نعرف السبب لأننا غير مؤهلين..

أندريه : نظريا هي فكرة صحيحة، ولكن علميا لا أعرف فأنا أيضًا لست بطبيب.

مريم : نعم أنا لست متأكدة من صحتها ولكنني فقط أعرض الفكرة منطقيا، فلو نظرنا إلى المتسولين والمشردين اللذين يأكلون كل يوم من القمامة الملقاة في الشوارع التي لو أكلت أنت منها قد تصاب بتسمم وتذهب للمستشفى بعدها مباشرة..

أندريه : نعم.. أنت محقة قد تكون مسألة تكوين مناعة فقط.. ولكن أعتقد أننا يجب أن نسأل طبيبا مختصا بهذا الشأن..

مريم : نعم بالتأكيد..

أندريه : وهل هناك أسباب أخرى لتحريم أكل لحم الخنزير، غير تلك ؟

مريم : في حقيقة الأمر.. لقد أخبرتك ما أعرف ولا أعرف إذا كان هناك المزيد من الأسباب أم لا، فمن الممكن أن تكون هناك أسباب أخرى غير الأسباب المعلومة، وهي أسباب غيبية ولا يعلمها إلا الله بشأن هذا التحريم أو أي تحريم آخر.

أندريه : وإذا وجدت أسباب لماذا لم تكن معلومة حتى يعرفها الناس.

مريم : لا أعرف، ولست متأكدة أيضًا من وجود أسباب أخرى، ولكنني مؤمنة جدًا بالله، ومؤمنة بأن هناك بعض الأشياء التي ليس من المقدر لبشر أن يعرفها.. قد يكون سبب تحريم أكل لحم الخنزير الحقيقي أحد هذه الأشياء.

أندريه : هل أنت على دراية بأن الديانة المسيحية لم تحرم على أتباعها أي نوع من أنواع المأكولات أو المشروبات، ففي الإنجيل يقول يسوع " أن ليس كل ما يدخل جوف الإنسان هو رجس، بل الذي ما يخرج منه "

مريم : نعم أعرف ذلك بالطبع، ولكنني أيضًا أعرف أن الله لم يحرم على الإنسان شيئًا إلا إذا كان في صالحه ذلك. مثل تحريم تناول الخمر على المسلمين فيه منفعة كبيرة جدًا لنا بالتأكيد. فالخمر يغيب الإنسان عن وعيه ويفقده التحكم بتصرفاته والشعور بحس المنطق. لذلك فالإنسان الذي تحت تأثير الخمر قد يرتكب جريمة في حق نفسه أو في حق الآخرين لذلك حرمه الله.

أندريه : أتفق معك فى هذا التحريم فهو تحريم لسبب مقنع جداً. ولكن هل هذا يعنى أن المسلمين لا يمكنهم أن يتناولوا المخدرات أيضاً، ولا حتى تناول كأس واحد من البيرة؟؟ كما أن البيرة لا تعتبر من أنواع الخمر الثقيل، أى أن كأس بيرة واحد أو اثنين قد لا يشكلون فرقا.

مريم : نعم هذا حرام أيضاً، وإن ما يسكر كثيره يحرم قليله لذلك فالبيرة أيضاً من المحرمات. أندريه : لماذا محرم فى عهد الرسول محمد " - صلى الله عليه وسلم - " لم يكن هناك مخدرات أو بيرة فكيف تم تحريمهم ؟

مريم : تم تحريم تلك الأشياء بناء على فتوى من دار الإفتاء المصرية التى استندت فى استخراجها من السبب الشرعى لتحريم تناول الخمر، فكل ما يغيب العقل ويفقد الإنسان السيطرة على نفسه يكون محرماً بدوره مثل الخمر تماماً.

أندريه : اااااه، حسنا فهمت..

ثم تبادلنا التحية بعد ذلك لتكون بذلك هى نهاية الحوار فيما بينهما فى ذلك اليوم.. وبعد أن أغلقت مريم الكمبيوتر فى هذا اليوم راحت تتفكر فيما حدث من أحداث عبر الـ ٨ أشهر التى تلت الثورة المصرية الشهيرة، والتى مضت فى أثناء حديث مريم مع أندريه.. فكانت تتأمل مريم الأحداث التى حدثت على الصعيد الشخصى والوطنى.. ما حدث من أحداث فى مصر بعد مضى الـ ٨ أشهر من انتهاء الثورة المصرية. وهو ما كان حقاً محزناً فى نظر مريم، فقد كانت مصر تعاني من أحداث سياسية متوترة شهدتها مصر بعد الثورة التى قد ظن الجميع أن مصر قد دخلت بالفعل فى عهد جديد بعد الثورة المصرية. ولكن للأسف كان العهد الجديد يبدو وكأنه الأسوأ والمخيب للآمال والمخيف بالفعل. فكانت مريم بالطبع مثلها كمثل العديد من أبناء جيلها تبحث عن عمل بأى شكل من الأشكال كما أن الحصول على عمل كان شيئاً فى منتهى الصعوبة فى مصر خاصة فى تلك الظروف، كما كانت تسمع دائماً عن خطورة الانفلات الأمنى الذى كانت مصر تشهده فى ذلك الوقت. ولكنها لم تعر لذلك بالا لأنها كانت مؤمنة بأن الله هو الموفق والحامى. فقررت أن تتابع بحثها عن العمل .. فذهبت إلى شركات كثيرة للبحث عن عمل، وحاولت فى عدة أماكن هنا وهناك. ولكن للأسف لم تتمكن من الحصول على أى وظيفة حتى على وظيفة موظفة فى خدمة العملاء فى أى شركة من الشركات التى كانت تقوم بتوظيف الشباب فى ذلك الوقت. فقد كان أغلبية الشعب المصرى يبحث عن عمل بعد أن فقد عمله حديثاً فى أعقاب الثورة إثر انسحاب العديد من الشركات الأجنبية أو الشركات التى يملكها رجال الأعمال الهاربون من مصر أو لأى سبب من الأسباب.. فقد كانت الحياة تتحول من صعب إلى أصعب، ولكن مريم ماكانت أبداً لتفقد الأمل فى الله الذى يعطى كل إنسان جزءاً ما أحسن عمله. وكانت مريم على يقين من أنها فى يوم من الأيام وبالرغم من الظروف الصعبة سوف تحصل

على وظيفة أحلامها، ليس ذلك فقط بل ستحصل على مركز مرموق في المجتمع أيضاً. فقد كانت دائماً تحلم بذلك وهي على يقين منه. لأنها تعرف انها تدرس بجهد في انتظار ذلك اليوم الذى سوف يأتي لا محالة.. ولكن كل ما عليها فعله الآن هو الانتظار ومتابعة الدراسة والاستطلاع والعلم...

أما من جانب لقاءاتها مع أندريه، الصديق الروسى الذى لا ينفك يفاجئها باستطلاعاته الغربية وآرائه، فقد كانت مريم وبالرغم من كل شيء ترى فى حواراتها معه متعة ما بعدها متعة. وهي بالطبع متعة التعرف إلى العقول، فقد كانت تشعر ولأول مرة فى حياتها انها تفتح عقل شخص روسى وتنظر إليه وتشتق منه ما يفيدها من افكار وتتعرف إلى الباقي منهم.. وقد استمرت هذه اللقاءات الحوارية الهامة فيما بينهم كالتالى :-

أندريه : مرحباً مريم..

مريم : مرحباً أندريه..

أندريه : اريد أن اعرف معلومات عن كيفية وشروط وعادات وتقاليد الزواج فى المجتمع المصرى الآن، أو المجتمع العربى على وجه العموم..؟؟

مريم : حسناً، نحن كعرب عامة وليس المصريين فقط لدينا تقاليد وعادات متبعة عند الزواج لا يمكن أن نتخلى أو نتنازل عنها إلا عند الحالات الاستثنائية جداً.
أندريه : حسناً أخبريني عنها، كلى آذان صاغية..

مريم : فى البداية عندما يود الرجل أن يتزوج من المرأة يجب عليه هو أن يبادر بطلب الزواج منها، ولا يصح بأى شكل من الأشكال أن يحدث العكس. وان تطلب هى منه الزواج.
أندريه : حسناً هذا مفهوم ومتعارف عليه ويحدث هنا أيضاً، ولكن إن حدث العكس وبادرت الفتاة بطلب يد الشاب للزواج فليس فى هذا أى حرج.

مريم : فى الوطن العربى يشكل هذا حرجاً. كما يجب على الرجل أن يطلب الفتاة للزواج من والدها، وإذا كان والدها متوفى أو غير متواجد للقائه بأى شكل من الأشكال. تذهب هذه المسؤولية للأخ أو الخال أو العم وما إلى ذلك... المهم أن يتقدم الرجل لطلب الفتاة للزواج، من أحد رجال العائلة.

أندريه : وماذا لو كانت هذه الفتاة يتيمة وبلا أى عائلة؟؟ هل فى هذه الحالة لا يمكن أن تتزوج أبداً؟؟

مريم : لا بالطبع تتزوج، ولكن هذه تكون من الحالات الاستثنائية التى لا تطبق فيها العادات والتقاليد بالشكل الكامل.

أندريه : وماذا بعد؟؟

مريم : ثم تلتقى العائلتيان للتعارف والاتفاق على شروط وكيفية الزواج والتي تنقسم إلى نوعين، إما أن يقوم العريس بدفع مهر للعروس، والمهر هو مبلغ معين من المال يحدد فيما بين الطرفين. ولا يتقيد بمبلغ معين لدى جميع العائلات. وفي هذه الحالة سوف تقوم العروس بشراء اغلب مكونات منزل الزوجية. من منطلق حصولها على مبلغ نقدي من العريس كمهر. أما الحالة الثانية فهي عدم دفع مهر، وهذه هي الطريقة العصرية الحديثة المتبعة الآن لدى الكثير من العائلات وتتم عن طريق قيام العروسين بشراء كل شيء لمنزل الزوجية وتقاسم النفقات بالنصف فيما بينهما تمامًا. ولكن في كلتا الحالتين يلتزم الزوج بشراء شقة الزواج، أو المسكن ايا كان شقة.. فيلا.. وتلتزم العروس بشراء مستلزمات المطبخ ومكوناته من كل شيء، كما تلتزم بشراء ملابسها والمفارش إلى آخره.

أندريه : حقًا؟؟؟ نحن لدينا الزواج أبسط من هذا بكثير.

مريم : اعرف ولكن نحن نقوم بهذه العادات والتقاليد منذ قديم الأزل للحفاظ على مستقبل الأسرة، وخاصة الزوجة. كما أنني نسيت أن اخبرك أنه يجب على الزوج قبل الزواج مباشرة أن يقوم بعمل تنازل عن كل محتويات الشقة للعروس في حالة الطلاق، على أن تظل الشقة فقط مسجلة باسم الزوج.

أندريه : وماذا لو حدث استثناء ولم يشتر الزوج الشقة، واشترتها الزوجة هل تتنازل عنها الزوجة له أيضًا؟؟

مريم : هناك حالات استثنائية تتوقف على الفرد، أن يقبلها أو لا.. ولا يمكنني الجزم فيها. أنا فقط أروى لك العادات والتقاليد المتبعة التي يتبعها عامة المصريين.

أندريه : نعم نعم.. لقد فهمت. اكملى.

مريم : ثم هناك حفل خاص يقام قبل الزفاف للعروس فقط وصديقاتها واقاربها من النساء، هذا الحفل يسمى حفل رسم الحناء، ويمنع على أى رجل منعا باتا حضور هذا الاحتفال. فهو نسائي خالص. كما أنه من غير المسموح أحيانًا التقاط الصور الفوتوغرافية سواء للعروس أو للحضور أيضًا.

أندريه : حقًا.. لماذا لا يمكن لرجل حضور هذا الحفل، ولا التصوير أيضًا؟؟

مريم : لأن النساء تظهر في هذا الحفل، بدون ارتداء حجاب الرأس، بل ويرتدين ما يحلو لهن من الأزياء والفساتين المفتوحة، ويستمررن في الرقص مع العروس. ونحن كمسلمين لا نسمح للرجال برؤية النساء في هذه الحالة لذلك هو حفل نسائي خاص.

أندريه : إذاً فمن الممكن أن نقوم بحل المشكلة بطريقة أخرى، وهو أن ترتدى النساء نفس الملابس العادية التي يرتدينها يوميًا في الحياة العامة، وان يستقبل الحفل الرجال أيضًا!!.. أليس كذلك؟؟

مريم : لا بالطبع، لأنهن يرتدين هذه الملابس المفتوحة بهدف رسم الحناء على اجسادهن بطريقة
اسهل من خلع الملابس وإعادة ارتدائها مرة أخرى.

أندريه : ااااااه فهمت، هناك غاية عملية من هذه الملابس وليست تجميلية فقط.

مريم : تمامًا.. كما أنه لو حدث ما أنت تقوله وتم السماح للرجال بالمشاركة في هذا الحفل، إذاً
فماذا سيكون الفرق بينه وبين حفل الزفاف، فهما شيئان مختلفان تمامًا عن بعض.

أندريه : فهمتك فهمتك.. ولكن فقط هنا في روسيا نحن ليس لدينا هذا النوع من الاحتفالات قبل
الزفاف سوى ما يسمى بحفل وداع العزوبية .. هل سمعت بهذا النوع من الاحتفالات من قبل؟؟

مريم : نعم لقد شاهدته في أحد الأفلام الأمريكية، ولكن لم يكن لدى خبر بوجوده في روسيا..

أندريه : هو ليس أساسيا عند الزواج فقط الأسر القادرة ماديا هي التي تقوم بإحياء هذا الحفل،
حيث تجتمع العروس ورفيقاتها في حفل نسائي مغلق، أو العريس ورفاقه.. ويقومون باستدعاء
را....

مريم : اعرف، اعرف أندريه.. فلقد شاهدت عنه قبل ذلك، وهذا النوع من الحفلات لا يشبه أبدًا
احتفال رسم الحناء لدى العروس العربية، بل هو مناف تمامًا لعادات وتقاليد المسلمين وحتى
مسيحيي الدول العربية، لا يقومون بعمل هذا الاحتفال أبدًا.

أندريه : آسف، إذا كنت قد تجاوزت حدودي.

مريم : لا عليك، وأنا آسفة على المقاطعة.

أندريه : حسنًا لا عليك..

مريم : ولكن اخبرني على عادات وتقاليد الزواج في روسيا الآن..

أندريه : حسنًا لم يعد لدينا عادات وتقاليد هنا خاصة بالزواج أبدًا، فقد كان هذا فيما مضى، منذ
قديم الأزل على ما اظن، فحتى أنا عندما كنت شابا، لم يصدق أبدًا أن سمعت يومًا بعادات
وتقاليد زواج متبعة هنا.

مريم : حقا، لطالما تخيلت أن لكل شعب عادات وتقاليد في الزواج.

أندريه : الأمور هنا تسير بطريقة ايسط مما تتخيلين، فعندما يحب شاب ما فتاة، يواعدها فترة،
ثم ينتقل كل منهما للحياة معا. وإذا تطورت الأمور وشعرا بأنهما نجحا في الاستقرار معًا حينها
فقط يتزوجان، ويكون هذا قرارهما وحدهما لا يشاركما فيه احد، لا من عائلتها ولا من عائلته.
وأنا ارى أن هذا صحيح ١٠٠ %.

مريم : ما الصحيح في ذلك.. عذرا.. لا افهم؟؟

أندريه: الصحيح في فكرة عدم الرجوع لأي شخص عن قرار الزواج أو الارتباط بشخص معين،
فهذه حياتك أنت وأنت وحدك من تقررين من ستزوجينه، أو إذا كنتِ ستزوجينه حقًا ام لا...!!
هذا رأيي على الأقل.

مريم : نحن كمسلمين قد نشأنا على احترام الوالدين والعائلة كثيرًا، وتقدير دور الأسرة يبدأ من فكرة أن الإنسان ولد ضعيفا ولولا والداه لما أصبح على ما هو عليه لذلك يجب مشاركة الأهل في كل شيء. وليس بمعنى إلغاء شخصية الابن أو الابنة على سبيل المثال، ولكن هذا فقط من باب اطمئنان والديك عليك وعلى مستقبلك، وعلى انك قد اخترت افضل شريك لك. ولأننا أيضًا نعرف أن الإنسان ليس مخلوقا كامل الحكمة والحنكة، وقد يخطئ في قراراته خاصة عندما يكون شابا يفتقر إلى الخبرة. لذلك عندما يقدم أى شخص على الزواج، ويقوده قلبه إلى امرأة معينة أو رجل بعينه، فهو يستشير والديه في أخلاق هذا الشخص، لأن الإنسان عندما يقع في الحب قد يغفل عن العديد من النقاط والعيوب في شخصية من يحب. والتي بالطبع يلفت انتباهه إليها من هم اكبر منه سنا واكثر خبرة. لذلك أنا اتعارض معك في هذا الرأى..

أندريه : وماذا يحدث لو وقعت في حب شاب ما، ورفض والدك السماح لك بالزواج منه على سبيل المثال؟؟

مريم : أولاً، أنا لن افعل ذلك. لأن والدى قد احسن تربيتى وعلمنى جيداً كيف اختار الأشخاص المقربين منى سواء اصدقاء أو احباء، ولكن لنفترض أن ما تتحدث عنه حدث بالفعل ووالدى رفض أن اتزوج من الشخص الذى احبه، حينها سوف احاول اقناع والدى بأفضلية هذا الشاب وسوف اقوم بتنظيم لقاءات عائلية تجمعهم معاً وبقيّة افراد العائلة ليتعرف كل منهم على الآخر ويوافق والدى على زواجى منه.

أندريه : وماذا لو رفض بعد كل هذا؟؟

مريم : حينها سوف اجلس مع والدى مرارًا وتكرارًا لأتبين اسباب رفضه، واحاول أن اقرب ما بين وجهات النظر فيما بيننا، لأتبين ما إذا كان رفض والدى له من منطلق مادي، أو منطلق أخلاقى..

أندريه : كيف؟؟ لا افهم.

مريم : حسنًا، إذا كان اعتراض والدى على المستوى المادى لهذا الشاب، وعدم اعتراضه على المستوى الأخلاقى. ففي هذه الحالة سوف اتمسك به اكثر واكثر، واقوم بإقناع ابى أن المال ليس كل شيء، وان الله هو من يرزق العباد. والله وحده هو من يرزق من يشاء ويفقر من يشاء. وسوف اطمئنه أن لا يقلق على مستقبلى المادى أبدًا...

اما فى حالة اعتراض والدى على اخلاق هذا الشاب لأسباب واضحة وبينية ومؤكدة حينها فقط، سوف امتثل لرغبة والدى وابتعد عن هذا الشاب فوراً. لعيب فى اخلاقه، لأن الأخلاق هى مكارم الأمم، إذا فسدت فسد كل شيء، وإن صلحت صلح كل شيء معها.

أندريه : أنت محقة فى هذا الكلام، لا محالة. ولكن تعليقى الوحيد على وجهة نظرك يا مريم. هو انها قد تحتوى على شيء من اللاعقلانية، بمعنى أن المستوى المادى الكريم مطلوب جداً ولا

يمكن الاستغناء عنه، حتى أن الفقر قد يقضى على الحب احياناً، لأن جوع المعدة ينسى القلب المشاعر ويملاه بالهموم.

مريم : المستوى المادى الكريم يختلف عن المستوى المادى الفقير لدرجة الفقر المدقع، ويختلف عن المستوى المادى المبالغ فيه. فعلى سبيل المثال، أن اتزوج شخصاً متوسط الحال مثلى هو جل ما اتمناه، ولا اتمنى اكثر من ذلك. ولا أقل من ذلك. فإذا كان هذا الشخص متوسطاً مثلى فسأقبله، ولن اطلب المزيد. أما لو كان افقر منى بكثير ففى هذه الحالة الزواج لن ينجح، لأنه غير متكافئ مادياً مما سيترتب عليه مشاكل فيما بعد. بمعنى أن الزواج قد ينجح فى حالة أن اكون أنا فقيرة تتزوج من فقير. أو متوسطة تتزوج من غنى، أو فقيرة تتزوج من متوسط. كما أن التكافؤ الاجتماعى فى الزواج لا يتوقف فقط عند حد المستوى المادى، وإنما التكافؤ الاجتماعى والتعليمى. حتى لا تحدث مشاكل طبقية فيما بعد. فيجب أن يكون الزوجان متقنين فى كل شىء.

أندريه : فهمتك، فهمتك.. أنتِ على حق فى كل شىء مما سبق، يجب أن يكون الزوجان متوافقين فى كل شىء حتى لا يشعر أى منهم أنه أقل من الآخر، مما يترتب عليه ما يسمى بعقدة الحقد الطبقي التى يترتب عليها مشاكل وخيمة وعواقب غير مستحبة.. قد تتطور لتصل أحياناً للقتل !!

مريم : القتل..!!!

أندريه : نعم قد حدثت من قبل، هنا فى روسيا. أن قتل زوج زوجته لأنها كانت تتعالى عليه بشهادتها الجامعية التى لا يملك مثلها هو.

مريم : من الممكن أن تكون مثل هذه الجرائم قد حدثت فى مصر أيضاً، ولكننى فقط لا اتابع اخبار الحوادث لا المحلية ولا العالمية.

أندريه : حقاً، ألا تشاهدين الأخبار؟؟

مريم : اشاهد الأخبار السياسية ولكن ليس كثيراً، حتى اننى لست من محبى مشاهدة التلفاز. واحب أن استطلع الأخبار عبر مواقع الإنترنت يومياً، بدلاً من إهدار الوقت امام التلفاز أو قضاء ساعة فى قراءة الجريدة..

أندريه : وهل ساعة كثيرة على قراءة الجريدة؟؟

مريم : أنا استطلع الأخبار بصورة اسرع من ساعة، فأعرف ما يهمنى أن اعرفه ولا ألقى بالاً إلى شىء آخر.

أندريه : حسناً لقد فهمتك.. ولكن عذراً الآن مريم، أنا بحاجة للذهاب للضرورة القصوى.

مريم : لا عليك دعنا نتحدث فى وقت لاحق.

أندريه : حسناً إلى اللقاء غداً فى نفس الموعد.

- وها قد مر الوقت واستحال سواد الليل بينهما على اختلاف التوقيت نهاراً، وجاء الموعد وبدأ الحوار بينهما كالاتى...
 مريم : مرحباً..
 أندريه : مرحباً مريم.. هناك شىء هام اريد أن اتأكد منه من خلالك.. من فضلك انتظري حتى احضره لك.
 مريم : حسناً تفضل...
- وانتظرت مريم بضع دقائق حتى عاد أندريه مرة أخرى قائلاً..
 أندريه : مريم سوف اقوم بتشغيل فيديو الآن واريد منك أن تسمعيه معى..
 مريم : تفضل..
- وقام أندريه بتشغيل هذا الفيديو لمريم، فإذا بها تسمع صوت تلك المرأة السورية المعادية للإسلام وهى تسب وتلعن فى الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وتقول " لقد تزوج من فتاة فى التاسعة من العمر، أى شخص عاقل يفعل هذا....!!! وما إلى آخره من تعليقات لا تليق ببنينا الحبيب " مما أثار حفيظة مريم كثيراً.. ولكنها كالعادة لم ترد أن تتسرع فى الرد، بل انتظرت حتى ينتهى تشغيل هذا الفيديو وتستمع إلى رأى أندريه نفسه ثم ترد.. وبالفعل فكان الحوار بينهما كالاتى..
 مريم : أندريه وماذا بعد..
 أندريه : ماذا بعد !!!
 مريم : نعم، عن ماذا تود أن تسأل أيضاً..
 أندريه : أليس هذا كافياً، أليس هذا برهانا واضحاً لكِ بعدم صلاحية هذا الدين للحياة، أو حتى عدم أهلية محمد كى يكون رسولا تتبعه أمم....!!!!
 مريم : لا بالطبع.. لا، هذا ليس دليلاً على أى شىء..
 أندريه : وهل كنتِ على علم مسبق بأن محمداً قد تزوج من فتاة فى التاسعة من عمرها من قبل؟؟؟ ولم تفعل شيئاً حيال هذا الأمر..
 مريم : نعم كنت أعرف، وماذا فى ذلك. إن هذا الزواج موضوع طويل، أرجو منك أن تهدأ وتسمعنى بانتباه وسوف اقوم بشرح الموضوع لك بالتفصيل كى تتمكن من استيعابه....
 أندريه : حسناً.. ولكن يا مريم، كيف يعقل أن يتزوج رجل كهل من فتاة فى التاسعة من عمرها.. انها صغيرة جداً تعتبر الآن فى الصف التاسع أو العاشر.. أليس لديكِ اخت طفلة فى مثل هذه المرحلة العمرية أم ماذا؟؟؟
 مريم : نعم لدى..

أندريه : وهل تقبلين أن تتزوج اخنك الطفلة الآن؟؟

مريم : لا بالطبع لا أقبل، فما أنا الآن أبلغ من العمر الثانية والعشرين ولم اتزوج بعد.

أندريه : ولماذا لم تتزوجي وانت طفلة إذا كنتِ حقاً تتبعين دين محمد - صلى الله عليه وسلم، لماذا لم يُزوجك ابوك في مثل سن عائشة؟؟

مريم : أندريه لقد اختلف الزمان واختلفت عادات.. ولا يمكننا اليوم تطبيق قوانين زمن آخر.. فأبسط شيء هو أن احجام البشر قد اختلفت، مع العلم أن الزواج المبكر من رجال اكبر سنا لا زال موجودا حتى الآن. كما يجب علينا عند الحديث عن هذا الزواج الانتباه إلى فروق العصر والبيئة. فهذا الزواج عقد في مكة المكرمة قبل الهجرة النبوية. فلا يمكن مقارنته بما يحدث الآن في الغرب المتحضر. حيث لا تتزوج الفتاة قبل سن الخامسة والعشرين. وهى سن تعتبر حتى وقتنا هذا جد متأخرة في الجزيرة العربية وفي ريف مصر، وأكثر مناطق الشرق.. وهو ما ادركه مستشرق منصف زار الجزيرة العربية ذات مرة وعاد يقول:

" ولكن هذا الزواج شغل بعض المؤرخين لمحمد، نظروا إليه من وجهة نظر المجتمع العصرى الذى يعيشون فيه، فلم يقرؤا أن زواجا كهذا كان ولا يزال عادة آسيوية، ولم يفكروا أن هذه العادة لا زالت قائمة فى شرق اوروبا. وكانت طبيعية فى إسبانيا والبرتغال إلى سنين قليلة، وأنها ليست غير عادية اليوم فى بعض المناطق الجبلية البعيدة بالولايات المتحدة الأمريكية "

أندريه : لا، لا مريم، أنا لا اتفق معك. حتى وإن صحت معلوماتك من حيث وجود هذه العادة حتى الآن فهذا لا يعنى بالضرورة أن هذا الزواج هو زواج سليم من حيث البنيان الجسدى. فأنا حتى الآن لا استطيع أن اتصور أن جسد طفلة فى التاسعة من عمرها قابل للزواج..

مريم : أنت محق، ولكن عليك أولا أن تفهم أن طبيعة الأجساد البشرية تختلف عبر الزمان، وليس فقط ذلك.. وإنما نضوج العقل أيضا ففتاة فى التاسعة آنذاك، تختلف طريقة تفكيرها تماما عن فتاة فى التاسعة الآن.. ولو كان هذا الزواج تم الآن، لقد كنت وافقتك الرأى. ولكنه تم من عصور بعيدة.. فإذا كانت جدتى قد تزوجت فى الحادية عشرة من عمرها، وقد رأيت لها صورة بنفسى وكانت وقتها فتاة مكتملة النمو بحيث يكاد يشبه جسدها جسد فتاة فى العشرين من عمرها. مابالك بالحديث عن فتاة تزوجت منذ عصر ما قبل الهجرة..

أندريه : لا لا أنا لست مقتنعا بهذا، صدقا لا اصدق.

مريم : حسناً سوف اعطيك مثلا آخر، هل رأيت الاهرامات الثلاثة من قبل لدينا فى مصر؟؟

أندريه : لا للأسف لم تواتنى الفرصة أن ازور مصر من قبل ولا مرة.

مريم : لا ليس هذا ما اعنيه، اعنى هل رأيتها أو قرأت عنها من قبل، حتى فى صور.. هل رأيتها.

أندريه : نعم.. انها اشياء مذهلة حقاً.

مريم : نعم مذهلة جداً، ولا يتمكن الإنسان في هذا العصر الحديث بما يمتلكه من معدات بناء حديثة أن يبني مثلها أبداً. ولكن مع ذلك تمكن المصريون القدماء من بناء هذه الاهرامات العملاقة في غابر الزمان. وذلك لأنه ثبت علمياً أن المصريين القدماء كانوا اضخم منا حجماً من حيث البنيان الجسدى، وأن الله قد حباهم بقوة جسدية تتلاءم ومقدرتهم على بناء مثل هذا الصرح الذى يعد حتى يومنا هذا من الألغاز التى وقف عندها التاريخ مكتوف الأيدى صامتاً.

أندريه : ولكن قدماء المصريين اقدم من العهد النبوى بكثير.

مريم : هذا حقيقى لذلك أعتقد أن المسلمين كانوا أضال حجماً بالتأكيد من المصريين القدماء بسبب الفارق الزمنى فيما بينهم، ولكنهم كانوا اضخم حجماً منا.

أندريه : مريم أنا درست الطب من قبل لمدة عامين، ولست مقتنعا بالمرّة بما تقولين.

مريم : وأنا احداثك بأن جدتى التى هى جدتى قد تزوجت فى سن الحادية عشرة، وأنا بنفسى قد رأيت صورتها آنذاك.. وليست هى فقط بل أكثر من امرأة من بنات زمانها أيضاً .. فإذاً من المنطقى جداً أن هذا الزواج الذى هو ..

أندريه : آسف على المقاطعة مريم، ولكننى لست مقتنعا بهذه الحقيقة وحسب...

مريم : إذاً هذا رأيك.. وماذا وإن تمكنت من إثباتها لك علمياً ???

أندريه : حسناً حينها فقط سوف اقتنع، ولكن على شرط..

مريم : تفضل.

أندريه : أن تكون حقيقة علمية مثبتة من عالم اجنبى غير مسلم.. وليس عالماً مسلم لأننى غير معترف بهم.

مريم : حسناً كما تحب، وأعدك اننى سأبحث عن هذه المعلومة حتى اعرف واتمكن من الوصول إليها. كما اننى لن اجادلك فى مسألة عدم اعترافك بالعلماء المسلمين لأننا قد تحدثنا فيها بالفعل من قبل ولأننى اريد أن اتابع معك حديثنا عن هذا الزواج.

أندريه : حسناً، ولكننى اريد أن اعرف ما هى ردة الفعل لدى المجتمع العربى آنذاك من هذا الزواج، وما هو الموقف الذى اتخذه عندما علموا بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد تزوج من فتاة أصغر منه سناً.؟؟

مريم : مبدئياً يجب عليك أن تعرف أن السيدة عائشة رضى الله عنها، قد خطبت قبل زواجها من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهى ابنه ٦ سنوات مما يعنى بأنها وفى مثل هذه السن المبكرة كانت تصلح للزواج من حيث البنية الجسمانية. مما يعنى أيضاً أن الزواج فى هذه السن المبكرة كان شيئاً متعارفاً عليه فى هذه البيئة وفى هذا المجتمع حيث ألفت عادة العرب فى ذلك الوقت الزواج المبكر للفتيات من رجال فى سن أببهم، فلم تكن عائشة هى اول فتاة تتزوج بتلك الطريقة. حيث تزوج أمير المؤمنين الملقب بالفاروق عمر بن الخطاب من ابنة على بن أبى طالب علماً

بأنه أكبر سنا من أبيها فى هذا الوقت بل وعرض الفاروق عمر بن الخطاب على أبى بكر أن يتزوج ابنته السيدة حفصة وكانت شابة فى ريعان شبابها آنذاك. وهذا يعد دليلا على أن المجتمع العربى قد تعود على مثل هذه الزيجات من قبل..

أندريه : ولكننى وبمنتهى الصراحة يا مريم لا زلت لا أفهم كيف يعاشر رجل كهل طفلة صغيرة ويتزوجها، فنحن الآن فى روسيا نعتبر هذا نوعا من انواع الشذوذ " أستغفر الله العظيم " .. !!
مريم : يا أندريه، من فضلك التزم الأدب أثناء الحديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فهو رجل عظيم..

أندريه : اعتذر ولكننى أود أن افهم، حقًا كيف.. أنا لا يمكننى أن اتخيل أبداً.
مريم : لقد مكثت السيدة عائشة أم المؤمنين زوجة فى بيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث سنوات قبل أن يدخل بها.

ألا يعد ذلك دليلا على أن النبى - صلى الله عليه وسلم - صاحب نفس سوية فلو كان كما زعموا يعاشر الطفلة الصغيرة لكان قد ثبت أنه جامعها ولو فى رواية ضعيفة ولكنه لم يثبت بل ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - دخل بها وهى ابنة تسع سنين أى مكثت فى بيته وداره ثلاث سنين دون أن يقربها وهذا أكبر دليل على عفة نفسه - صلى الله عليه وسلم - وعدم قيامه بارتكاب ما حرم الله تبارك وتعالى.

أندريه : حقًا !! ولكن كيف عرفتم عن هذا الأمر.. إنه شىء شخصى جداً وحميمى؟؟
مريم : الدليل على ذلك ما جاء فى كثير من كتب السنة الصحيحة يروى قصة زواجه عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة ودعونا نسمع منها رضى الله عنها تلك القصة:
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

(تَرَوَجِنِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوَعَدْتُ فَنَمَّرَقَ شَعْرِي فَوَفَى جُمَيْمَةً فَأَتَتْنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوحةٍ وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي فَصَرَخْتُ بِي فَأَتَيْتُهَا لَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأَنْهَجُ حَتَّى سَكَنْ بَعْضُ نَفْسِي ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي ثُمَّ أَدْخَلَتْنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبِرْكََةِ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي فَلَمْ يَرْعَنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ضَحَى فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ.)

أندريه : ولكن كان من الممكن أن تكون علاقتهما علاقة صداقة فقط، حتى تبلغ عائشة السن المناسبة للزواج، بدلا من الزواج منها فى سن مبكرة. أليس كذلك؟؟
مريم : لا بالطبع ليس من المفضل أن يكونوا أصدقاء. فنحن الآن نتحدث عن المسلمين الأوائل

خيرة البشر، وفي هذا العصر لم يكن من الطبيعي وجود علاقة صداقة بين رجل وامرأة. كما أن هذا الزواج كان لعدة اسباب هامة جداً، أهمها كان أنه بأمر من الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات.

أندريه : كيف؟؟

مريم : لقد اخبر الوحي الرسول - صلى الله عليه وسلم - بزواجه من السيدة عائشة. إن الحبيب - صلى الله عليه وسلم - أخبر السيدة عائشة أنه رآها في منامه مرتين في قطعة من حرير وأخبر أن تلك التي تراها إنما هي ابنة أبي بكر وإنها زوجتك يا محمد.

ومن ثم فإن الذى زوج عائشة للحبيب - صلى الله عليه وسلم - رب العزة من فوق سبع سموات. والدليل هو الآتى.. عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ :

«(أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ لَهَا أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكَ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَيَقُولُ هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَكَشِفْتُ عَنْهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ أَنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضِهِ)

أندريه : ممممم هل تعنى بأن الله هو من أمر بهذا الزواج!!..

مريم : نعم بالتأكيد.

أندريه : ولماذا أنت متأكدة كل التأكيد بأن النبي محمد قد رآها فعلا في المنام، أى لماذا يصدقها الناس فى ذلك.. أليس من الممكن أن يكون يكذب.

مريم : مبدئياً لقد اخبرتك من قبل أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد عُرف بالصادق الأمين فى شبه الجزيرة العربية حتى قبل أن ينتزل عليه الوحي. بمعنى أنه حتى قبل أن يبدأ الدعوة الإسلامية كان معروفاً بصدقه، لذلك كان يثق فيه الناس أجمع ولا يكذبه أى إنسان فى أى شىء. ثانياً : من فضلك احترم معتقداتى الدينية كما احترم أنا معتقداتك، فلا يصح أبداً أن تشكك فى كل كلمة أقولها لك، فأنت بنفسك من فترة قليلة اخبرتنى عن معجزة النار التى تحدث فى فلسطين كل عام فى عيد الفصح، وأنا لم اصدقها، ولكننى مع ذلك لم اقم بالتشكيك فى معتقداتك وديانتك.

أندريه : حسناً اعتذر عن أى تجاوز قد صدر منى..

مريم : حسناً لا عليك، ولكن دعنى استكمل حديثى من فضلك.

أندريه : حسناً.. تفضلى.

مريم : من أهم اسباب هذا الزواج الكريم أيضاً، هو أن تقوم السيدة عائشة بمهمة تعليم الدين الإسلامى للنساء آنذاك. فكما قلت لك من قبل لم يكن من المستحب التناول بين رجل وامرأة لذلك فكانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها من قامت بهذا الدور، فهى فتاة صغيرة فى السن أى يسهل عليها الحفظ والفهم والتلقى وأيضا لا يتحرج منها النساء خلافا إذا كانت كبيرة مثلا فى مثل أعمارهن ولا تستحى منها الفتيات الصغيرات لأنها فى مثل سنهن.

لذا فهي من أكثر النساء رواية للحديث عنه - صلى الله عليه وسلم - وحتى بعد وفاته ظلت تعلم النساء أمور دينهن وكانت وقتها ابنة الثامنة عشرة من عمرها رضى الله عنها.

كما أن هذا الزواج أيضاً كان بغرض توطيد العلاقة بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصديقه ابي بكر الصديق، الذى هو أكثر من بذل فى سبيل الله بعد الحبيب - صلى الله عليه وسلم - وعانى وضحي بماله وعرض نفسه للمخاطر مراتٍ ومراتٍ فداءً للحبيب - صلى الله عليه وسلم - ولو مكثنا نتحدث عن فضائل الصديق وبذله لما انتهينا بل أن هذا ما أشار إليه الحبيب - صلى الله عليه وسلم - قبيل وفاته حينما قال - صلى الله عليه وسلم - فى آخر ما خطب به المسلمين:

كل من بذل إلينا معروفاً كافأناه به إلا أبو بكر فإننا تركنا أجره على الله.

ألا يستحق هذا الرجل وآل بيته أن يحظوا بمثل هذا الشرف.

أندريه : نعم لقد فهمت وجهة نظرك.. ولكننى كما حدثتك من قبل فى انتظار ردك بخصوص الدليل العلمى..

مريم : وأنا اعد بأننى سوف اذهب خصيصاً إلى المكتبة العامة حتى ابحت بتمعن فى هذا الشأن.

وانتهى الحوار فى ذلك اليوم، وكانت مريم عازمة كل العزم على إثبات تلك الحقيقة العلمية لأندريه حتى تستطيع أن تثبت له خطأ حجته.. وبالفعل بدأت فى تلك الليلة بالبحث عبر شبكة الإنترنت ولكنها كانت تائمه حقاً، ولم تعرف فى أى مادة علمية عليها للبحث. وبعد فشلها فى الوصول إلى نتيجة فى هذا الصدد قررت أن تلجأ إلى إحدى صديقاتها المثقفات من المعروف عنها حبها للقراءة والعلم. وسألته بهذا الصدد ولكن صديقتها قالت لها انها لا تعرف شيئاً فى هذا المجال حيث إن كل قراءاتها تنحصر فى مجالى القصة والشعر العربى فقط. لذلك قررت أن تذهب إلى أقرب مكتبة عامة من منزلها فى صباح اليوم التالى، وبالفعل ذهبت ولكن للأسف كانت هذه الفترة فى أعقاب الثورة المصرية حيث كانت معظم المؤسسات الحكومية غير منتظمة العمل بالفعل، فبعد أن ذهبت مريم إلى هناك اكتشفت أن المكتبة مغلقة لأجل غير مسمى. وبناء عليه عادت إلى المنزل وهى اكثر تصميمها على إثبات هذه الحقيقة العلمية. واستمرت فى البحث عبر شبكة الإنترنت، مستخدمة فى البحث إما اللغة العربية أو اللغة الإنجليزية فى محاولة مستميتة منها فى الوصول إلى أى معلومة بهذا الصدد.. ولكنها لم تصل إلى ما تريد، ولكن وصلت إلى شىء آخر قد يساعدها فى إثبات وجهة نظرها. وقررت أن تصارح به أندريه وترى ماذا سوف تكون ردة فعله.

أندريه : مرحباً مريم.

مريم : اهلاً أندريه كيف حالك.

أندريه : أنا بخير، اخبريني هل توصلت إلى الدليل العلمى الذى تحدثنا عنه فى المرة السابقة.
مريم : لا للأسف " وأخبرته الأسباب السابقة "
أندريه : ياإلهى، ولكن لا عليك سوف انتظر ردى فى أى وقت.
مريم : حسنا.. وسوف أفعل ولكنى أثناء بحثى قد توصلت إلى أمر آخر، أود أن اتأكد منك
عنه.
أندريه : ما هو تفضلى...
مريم : لقد قرأت أن السيدة مريم عليها السلام كانت قد خطبت لابن عمها يوسف النجار وكان
عمره وقتها تقريباً تسعا وثمانين سنة وكانت هى ابنة الثانية عشرة من عمرها أى أن الفارق بينهما
وقتها كان سبعاً وسبعين سنة.. هل هذا حقيقى؟؟
أندريه : ماذا !!! لا ليس حقيقياً، من اين حصلت على تلك المعلومة..؟؟
مريم : حصلت عليها من خلال بحثى على شبكة الإنترنت.
أندريه : وما أدراك انها معلومة صحيحة، فالمعلومات التى يتم تداولها على شبكة الإنترنت ليست
معلومات صحيحة دائماً كما تعرفين....
مريم : نعم ولكن أنت بنفسك تستطلع معلومات عن دينى من خلال شبكة الانترنت، وتقول انها
معلومات معترف بها. إذا فما الغريب فى كونى احصل على معلومات من خلال شبكة الإنترنت
عن الدين المسيحى. بالإضافة إلى أننى لست متأكدة من هذه المعلومات بدليل اننى قد قمت
بعرضها عليك أولاً كى أتأكد منها. أنا لا اهاجم دينك أندريه.
أندريه : حسناً اريد أن ارى من اين بالتحديد قد حصلت على هذه المعلومة..
مريم : انتظر لحظة سوف احضر لك نسخة من الرابط الخاص بالموقع.
ها هو (<http://www.newadvent.org/cathen/08504a.htm>)

أندريه : حسناً امهلينى بعض الوقت حتى اطلع على هذا الموقع واقوم بالرد عليك فى المرة
المقبلة، وهيا نتحدث عن أى موضوع آخر فى هذه المرة.
مريم : حسناً، ما رأيك أن نتحدث عن الصيام لدى المسلمين، والصيام لدى المسيحيين فى
روسيا..

أندريه : حقاً إنه لموضوع رائع. ابدئى أنت بالحديث، وسوف اتبعك أنا بعد ذلك.
مريم : يصوم المسلمون مرة فى العام فى شهر رمضان الكريم. الذى يحبه المسلمون كثيراً
ويقدسونه ويحتفلون به كل عام. نحن المسلمين لدينا خمس صلوات فى اليوم الواحد وهى: الفجر
حوالى الرابعة صباحاً.. الظهر حوالى ١٢ ظهراً.. العصر فى منتصف اليوم حوالى ٣ مساءً..
المغرب عند غروب الشمس حوالى ٥ مساءً والعشاء ليلاً حوالى ٧ مساءً. يبدأ الصيام منذ صلاة

الفجر ويستمر حتى صلاة المغرب، وفيها يتمتع المسلمون عن الطعام والشراب وارتكاب المعاصي. بحيث يكون صياما للمعدة وصياما عن المعاصي أيضاً. كالكذب والسب واللعن وغيرها..

أندريه : وما الحكمة من هذا الصيام الشاق.. أنا مثلا لا يمكننى أن اتصور أن أخرج من منزلى ذات يوم بدون تناول وجبة الإفطار.

مريم : هذه مسألة تعود يا أندريه، لقد تعودنا على الصيام منذ الصغر، كما اننا نؤمن بأن الله يجعلنا نتحلى بالصبر اثناء هذا الشهر الكريم، فقد تذهلك معرفة أن الجنود المصريين فى حرب أكتوبر العظيمة كانوا يحاربون العدو الإسرائيلى وهم صائمون.

أندريه : واو.. كيف؟؟

مريم : لقد انزل عليهم الله صبيرا وقوة تحمل.. هذه من نعم الله علينا. فنحن أحيانا نصوم فى الصيف فى شدة الحرارة ومع ذلك نتحمل ونصبر، بل ومنتظر هذا الشهر من العام للعام لما يحمله على قلب كل مسلم ومسلمة من بهجة وسرور.

أندريه : ولكنك لم تخبرينى ما الهدف من هذا الصيام.

مريم : الهدف من هذا الصيام هو أن يشعر الإنسان بمعاناة الفقراء ويتصدق عليهم من ماله ووقته ومجهوده وكل شىء، والهدف منه أيضاً تهذيب النفس وتعلم السيطرة عليها وتطويعها وعدم الانسياق لرغبات النفس فى كل شىء، فكما تعرف أن النفس أمارة بالسوء. أندريه : نعم لقد فهمت.

مريم : لقد انتهيت أندريه أنت اخبرنى عن الصيام..

أندريه : يستمر لدينا الصيام عدة اشهر قبل نهاية السنة الميلادية، وهو ليس صياما عن الطعام والشراب كما لديكم فى الدين الإسلامى، ولكنه صيام عن أى شىء مشتق من كائن له روح.. وهو يشبه الدين الإسلامى من حيث إنه لا يحبذ ارتكاب المعاصي خاصة فى هذا الشهر.

مريم : إلى حد ما أعتقد أن هناك بعض الخيوط التى تربط بين الأديان السماوية الثلاثة من حيث الشبه. أليس كذلك..!!!

أندريه : نعم اتفق معك كثيراً فى هذا الشأن.

مريم : ولكن ماذا عن الأعياد الروسية، ما هى أشهرها..

أندريه : هل تقصدين الأعياد القومية أم الأعياد الدينية؟؟

مريم : الأعياد الدينية، مثل بلدى فنحن هنا نحتفل بالأعياد الدينية وتعتبر أجازات رسمية فى بلدى.

أندريه: حقاً.. فى روسيا تعتبر الأعياد الوطنية فقط أجازات رسمية، وذلك لأن روسيا دولة

مترامية الحدود وتشتمل فى داخلها على العديد من الأديان من يهود ومسيحيين وصولاً إلى عدد كبير من المسلمين المتمركزين فى مناطق بعينها. فلذلك لا يمكن اعتبار الأعياد الدينية أجازات وطنية كما هو الحال فى مصر لأننا فى هذه الحالة سنتحول من دولة تعمل أغلبية الوقت إلى دولة تستريح وتحتفل وسيقل الإنتاج الوطنى وسيكث الناس فى منازلهم. هل تفهمين ما أعنيه...؟؟

مريم : آه نعم، لقد فهمتك، ولكن ما هى الأديان الموجودة فى روسيا مثلاً...!!

أندريه : أعتقد أن هذا شىء قد يصعب إحصاؤه نوعاً ما لكثرة عدد البشر.

مريم : اعنى الأديان المعترف بها رسمياً فى روسيا.

أندريه : اه لقد أسأت الفهم، أمهلينى لحظة..

مريم : حسناً...!!

أندريه : انظرى على ماذا حصلت من موقع روسيا اليوم..

مريم : ماذا...!!

أندريه : هذه المعلومات عن الأديان الرئيسية فى روسيا " - المسيحية:

*نسبة المسيحيين الأرثوذكس حوالى ٨٠% من سكان روسيا، وكانت بداية انتشارها منذ عام ٩٨٨ م. كما توجد فئات قليلة من البروتستانت والكاثوليك. -الإسلام:

*انتشر الدين الإسلامى فى روسيا تزامناً مع الدين المسيحى.

*نسبة المسلمين تزيد على ١٤% تقريباً من سكان روسيا، وتتركز الغالبية فى وسط البلاد.

اليهودية:

*نسبة اليهود ٢% من سكان روسيا. "

مريم : صدقاً لم اكن اتوقع أن نسبة اليهود الموجودين فى روسيا ٢% فقط، لقد كنت أعتقد أن عددهم كبير.

أندريه : وأنا أيضاً، لكن هذه هى الإحصاءات الرسمية كما تعرفين.

مريم : نعم أنت محق.

أندريه : ونحن كما قرأت بالأعلى لدينا نسبة عالية من المسلمين.

مريم : نعم اعرف هذه المعلومة بالفعل، ولكنهم لا يعيشون فى العاصمة أو المدن الكبرى.. منهم من يعيش بالقرم ومنهم من يعيش فى طاجستان وهكذا..

أندريه : نعم هذا صحيح ولكن من أين عرفتِ؟؟

مريم : لقد قرأت مقالا فى هذا الموضوع من قبل.

أندريه : هذا رائع.

مريم : حدثنى من فضلك عن أى عيد دينى لديكم، وكيف تكون الاحتفالات به.

أندريه : قبل الحديث عن الأعياد الدينية فى روسيا أود أخبارك ببعض الأشياء أولا حيث إنه لم يكن يوجد هناك فى روسيا كنائس قبل ٧٠ عاما، لذلك فإن الدين بدأ الآن فقط فى اتخاذ موقف مهم له فى معاهد التعليم الروسية. ولذلك فإن مادة الدين التى تقوم بشرح الإنجيل تم إدخالها على المناهج التعليمية فى المدارس فى روسيا منذ عهد قريب نسبيا. فعندما كنت أنا مثلا فى المدرسة لم يكن هناك شىء من هذا القبيل موجودا.

مريم : حقًا، هذه معلومة لم اكن أعرفها من قبل عن روسيا. فنحن هنا فى مصر نقوم بتدريس مادة الدين فى المدارس منذ الصغر، سواء الدين المسيحى أو الإسلامى وذلك منذ عهد بعيد نسبيا أيضًا.

أندريه: اعرف أنه لم يكن وضعا ملائما فى روسيا من قبل ولكن ما باليد حيلة كما يقال.
مريم: ولكن أى الأعياد الدينية لديكم فى روسيا تعد الأكبر من حيث الأهمية وطرق الاحتفالات.
أندريه: هذا بالتأكيد يكون عيد الفصح والذى يعد هذا اكبر الأعياد الدينية فى روسيا على الإطلاق. حيث يعتقد أن المسيح قد عاد من الموت فى هذا اليوم.

مريم : هو على ما أذكر عيد مشترك بين اليهود والمسيحيين أليس كذلك؟؟
أندريه : نعم هو كذلك ولكن هناك اختلافات سوف اقوم بتوضيحها لك الآن فقط انتظرى لتسمعى.

مريم : حسنًا، تفضل.

أندريه : عيد الفصح.. هو اكبر الأعياد الدينية فى روسيا على الإطلاق. حيث يعتقد أن المسيح قد عاد من الموت فى هذا اليوم. فى هذا اليوم نقوم بتلوين البيض، خبز الكعك، الذهاب إلى الكنيسة، الذهاب فى ضيافة الآخرين أو استقبال الضيوف ومساء نقوم بالسير حول الكنيسة فى موكب دينى. عيد الفصح هو يوم قيامة المسيح المقدس، أول عيد فصح تم الاحتفال به، كان قرابة ١٥٠٠ عام قبل ميلاد المسيح. وقام بالاحتفال به اليهود القدامى بمناسبة خروج بنى إسرائيل من مصر تحت قيادة النبى موسى (عليه السلام). ولقد اشتهر عيد الفصح فى العهد القديم بيوم خلاص الشعب اليهودى من استعباد المصريين لهم. وكلمة باسخا، " عيد الفصح بالروسية " تعنى فى اللغة العبرية القديمة كلمتى خلاص، وخروج...

أما فى العهد الجديد فإن عيد الفصح المسيحى، أصبح موجودا بعد صلب المسيح، وعودته من الموت وبداية الدعوة الجديدة. هذا يعتبر عيد الانتصار على الموت، يتم إحياءه كل عام تكريما لذكرى وفاة المخلص.

فى القرن الثانى اصبح عيد الفصح عيدا معترفا به فى الكنيسة المسيحية و فقط حتى القرن الخامس وضعت الكنيسة قواعد ومواعيد الاحتفالات بعيد الفصح، ثم قامت بتبسيط الطقوس والشعائر الدينية الخاصة بهذا اليوم وتثبيتها فى المجالس المسكونية على مدى جميع العصور. تم وضع عيد الفصح المسيحى، والذى يعتبر عيد عودة المسيح بعد الموت، ويتم الاحتفال به بصفة منفصلة عن عيد الفصح اليهودى فى أول يوم أحد بعد اكتمال القمر فى اعتدال شهر مارس. لذلك فيمكنك القول بأن عيد الفصح المسيحى هو عيد سنوى متداول ومعترف من قبل الكنيسة.

لقد حملت الديانة المسيحية معها عيد الفصح قدوما من روسيا القديمة وصولا إلى بيزنطة. حتى اصبح عيد الفصح أكثر الأعياد أهمية ومهابة، وأطلق عليه اليوم المهيب. كل الأسبوع الذى يسبق هذا اليوم العظيم، يُسمى الأسبوع العظيم أو الأسبوع المقدس.

بعد إحدى الأمسيات السرية التى كان يعقدها يسوع مع تلامذته، ذهب أحدهم ليصلى صلاة لأجل المعاناة والموت، فتم القبض عليه ومحاكمته وحصل على حكم الصلب حتى الموت أيضاً. ويعتبر هذا من آخر أيام الأسبوع المقدس الذى يطلق عليه خميس العهد، وهو اليوم الذى تتم فيه مراسم التطهير الروحى. ثم تأتى بعد ذلك الجمعة العظيمة والتى تم فيها دفن جثمان المسيح العظيم. السبت الأعظم، وهو يوم البكاء وانتظار عودة المسيح بعد الموت. وفى النهاية يوم الأحد المبارك الذى عاد فيه المسيح بعد الموت.

كما تقتصر اغلب عادات الاحتفال بالأسبوع المقدس لدى الأرثوذكس السلافيين على يوم الخميس المقدس، الذى يُسمى بيوم التطهير. حيث يقوم كل شخص ارتوذكسى بتطهير روحه ونفسه، وهو طقس يحيطه الغموض نوعا ما. كما يُلاحظ فى هذا اليوم عادات التطهر باستخدام الماء مثل الاستحمام فى الآبار، البحيرات والانهار. وأيضا من إحدى عاداتنا فى هذا اليوم تلوين البيض ووضعه على طاولة عيد الفصح.

لقد كان البيض لدى الشعوب القديمة فيما قبل ميلاد المسيح يعد رمزا للكون، حيث أعلى بولتارخ من قيمة البيض معتبرا أنه خالق كل الطبيعة. ولكن اكتسب البيض معنى جديدا لدى الديانة المسيحية، حيث إن عادة تلوين البيض تعود إلى مريم المجدلية التى عندما علمت بعودة المسيح من الموت ذهبت إلى الإمبراطور وأعطته سلة من البيض الملون بمناسبة عودة المسيح، ولكن الإمبراطور تعجب واندحش من كيفية أن يتحول البيض من اللون الأبيض إلى اللون الأحمر، لذلك فى هذه اللحظة فقط تحول البيض الأبيض اللون إلى قرمزي. البيض الأحمر يرمز ليوم الأحد " يوم ظهور المسيح بعد الموت"، ويرمز لعيد الفصح. ومثلما تخرج من البيض حياة جديدة، فإن العالم اجمع قد خرج للحياة الجديدة مرة أخرى يوم عودة المسيح إلى الحياة. اللون الأحمر يدل على فرحة قيامة المسيح، إحياء الجنس البشرى. كما يشير اللون الأحمر إلى دماء

المسيح الطاهرة التي سُفكت على الصليب، وظهرت خطايا العالم. دائماً في مساء الخميس العظيم والجمعة الرائع يتم خبز الكعك في المنازل استعداداً للاحتفال بعيد الفصح. وبعد ذلك يُنعم الله عليهم، حتى تستعد الأمة جميعها للاحتفال بيوم واحد مهيب وعظيم. ولقد أُضيفت إليه بعد ذلك العديد من العادات الطيبة، باعتبارها عادات طيبة تقام في سبيل مساعدة الغير، وخاصة تلك التي تساعد الناس المحرومين وتساعد في نزع الخطايا من النفس.

مريم : أنا سعيدة بهذه المعلومات الجديدة...

أندريه : وأنا سعيد لأن الفرصة سنحت لى حتى أروى لك المزيد عن ديني.. ولكن يا مريم استأذنيك الآن في الذهاب..

مريم : تفضل.. ونلتقى غداً..

أندريه : لا آسف.. لا يمكننا غداً انتظري منى رسالة بالموعد المحدد..

مريم : حسناً إن شاء الله.. مع السلامة..

أندريه : مع السلامة..

وهكذا انتهى آخر لقاء حوارى بين مريم وأندريه.. فقد توقف أندريه عن إرسال الرسائل لمريم.. بل ولم يرد على آخر رسائلها للسؤال حول موعد اللقاء القادم..

الفصل الثانى

العزيرة...تتيانا إيفانونا

وحقيقة تتراوى

ما بين صديق.. وعدو...!!!

فقدت مريم الأمل فى عودة الحديث مع أندريه مرة اخرى..
فقد ادركت المعنى التام لكلمة الدكتور مصطفى محمود عن الإرادة، عندما قال أن ارادة الإنسان اقوى من أى شىء آخر بداخله.. فالإرادة هى من تشكل قناعاتك وهى من تنفى عنك القدرة على الاقتناع بشىء.. واذا حاورت شخصاً بالعقل والمنطق والأدلة المجردة، ومع ذلك فشلت فى اقناعه.. عليك أن تعرف اذاً أنه لن يقتنع لأنه لا يريد أن يقتنع، وليس لأنه لا يفهم.. لن يقتنع لأن ارادته تمنعه عن ذلك.. كما تهيبئ له تماماً الوضع اللازم داخل عقله لتقبل فكرة معينة، فى حالة أنه يريد.. الإنسان عبارة عن ارادة..
صدقته.. صدقت.. هى كلمات تمتت بها مريم عندما تذكرتها فى تلك اللحظة، وهى التى كانت تعرف منذ البداية بالوضع الذى ستؤول اليه الأمور مع أندريه.. وهى أنه لن يريد أن يتحدث إليها مرة اخرى..

لذلك بدأت مريم البحث عبر شبكة الانترنت وعبر نفس الموقع مرة اخرى، على امل أن تجد من يساعدها فى اللغة مثل أندريه، الذى فقدت اثره تمامًا. ولم يعد باستطاعتها العثور عليه نهائيا. وبالفعل وجدت شابا فى السادسة والعشرين من عمره. يعيش فى إحدى القرى فى روسيا، ولكنه لم يكن من محبى اللغة العربية، هو كان فقط يود أن يساعد مريم فى الدراسة بلا مقابل. لذلك عندما أرسلت له مريم أول رسالة كان سعيدا جدًا وقَبِلَ عرضها على الفور، وقام بوضع برنامج لغوى لها كى تسير عليه. وهو يشتمل على القراءة والشرح والحوار بالطبع. اسم هذا الشاب هو سلافا إيفانوف، يعيش فى بلدة تسمى تاليتسا فى روسيا. وهى بلدة صغيرة يتسم سكانها بالطيبة والبساطة ولا يشبهون سكان موسكو، التى يتسم أغلب سكانها بالعملية والجدية الشديدة.

ولكن بعد لقاءين فقط بين مريم وسلافا، ادركت مريم أن مجرد الحوار مع هذا الشاب لا يصلح، لأن الحديث معه ممل جدًا ولا يوجد فيه أى نوع من انواع تبادل الثقافات حقًا. فكانت مريم تقرأ فقرة باللغة الروسية فقط، ثم تبقى باقى الوقت صامتة وهو صامت لا يتحدث أى منهم مع الآخر ولا يلفظ بحرف. لكنها قررت أن تستمر فى الحديث معه، حتى تتمكن من الحصول على الاستفادة القصوى فى اللغة الروسية وفى نفس الوقت تبحث عن شخص غيره يشاركها نفس الاهتمامات. حيث اصبحت بحاجة ماسة للحديث باللغة الروسية فى غياب أندريه عنها وتوقفه عن الحديث معها كما تعودت.

وذات مرة وهى تحدث سلافا، سألته مريم سؤالًا فى القواعد اللغوية. ولكنه لم يستطع أن يرد عليها...

مريم : أود أن اسألك سؤالًا فى اللغة الروسية، بخصوص شىء لا أفهمه تمامًا..
سلافا : تفضلى..

مريم : هناك كلمتان فى اللغة الروسية تعبران عن نفس المعنى وهما إما فسيو BCHO، أو فسى BCE.. اريد أن اعرف متى استخدم هذه، ومتى الأخرى. فأنا كما ترى أشعر اننى ضائعة فى العديد والعديد من المعانى.

سلافا : أوووووه.. مريم اعتذر منك ولكننى لا أملك أى إجابة على هذا السؤال، فهناك شىء أنت لا تفهمينه. وهو أن اللغة الروسية صعبة للغاية حتى بالنسبة لمتحدث ولد عليها وتعلمها منذ الصغر. فأنا كما تعرفين اتحدث اللغة الروسية بمهارة فائقة بالتأكيد، ولكننى لم ولن افهم يومًا ما تحويه من قواعد لغوية، ولا أعرف لماذا أو كيف اتحدث بها.

مريم : نعم لقد فهمتك.. آسفة سلافا فى حالة صدور أى إزعاج لك منى بخصوص تلك الأسئلة، وأريدك أن تعرف اننى ممتنة كثيرًا لهذه المساعدة الرائعة التى أتلقاها منك.

سلافا : شكرًا مريم لا عليك.. ولكنني من الممكن أن اساعدك بطريقة أخرى، انتظري قليلا من فضلك...!!

• انتظرت مريم على الخط وسمعت صوت وقع خطوات أقدام على الأرض، وصرير باب الغرفة يفتح ويُغلق.. وأصوات حديث فتيات بصوت عال تقترب من أذنيها أكثر فأكثر.. ثم تحدث سلافا..

سلافا : مريم، لدى هنا اختي، هي مدرسة لغة روسية للأجانب. ولقد حدثتها عنك وهي تتمنى أن نتحدث معك كثيرًا، وتساعدك في دراستك.. هل من الممكن أن نتحدث إليك.

مريم : نعم بالطبع هي مرحب بها جدًا.

• ثم قام بوضع اخته على الخط.. وبدأت هي الحديث..

- مرحبا مريم، أنا تتيانا أخت سلافا الوسطى، وأنا سعيدة جدًا بالحديث معك.

مريم : مرحبًا تتيانا، كيف حالك، أنا اسعد بقاء حضرتكم جدًا.

تتيانا : كم عمرك مريم؟؟

مريم : عمري اثنان وعشرون عاما.

تتيانا : حسنًا يا مريم أنا عمري ثلاثة وعشرون عاما، مما يعنى اننى أنا وانت تقريبا فى نفس المرحلة العمرية لذلك أنا لا احب أن نتعامل بتلك الطريقة الرسمية الرتيبة باستخدام مصطلح حضرتكم..

• فى المجتمع الروسى يجب أن نتعامل مع من يكبرك سنا أو شأنا بصيغة الجمع، فبدلا

من أن تقول له أنت تقول انتم.. وكانت مريم تتعامل مع تتيانا بهذه الطريقة فى البداية.

مريم : اوووه اعتذر، لم أكن اعرف انك فى نفس عمري تتيانا.. اعتذر منك كثيرا، أنا أيضا لا احب أن اتعامل مع أى شخص بهذه الطريقة فنحن المصريين نستخدم لغة بسيطة وسهلة وغير متكلفة فى التعامل مع جميع الناس. وعادة ما نظهر الاحترام لمن هم أكبر منا سنا من خلال التصرفات أكثر من الجمع فى الضمائر، لذلك عادة ما يختلط على الأمر ما بين التحدث مع أى شخص بصيغة المفرد أو العكس.

• تتيانا كانت تتحدث بنبرة صوت سعيد حقًا، فكانت مريم تشعر بالترحاب الشديد والرغبة

الحقيقية فى المساعدة من جهة تتيانا.

تتيانا : لا عليك.. مريم هل تفهمين كل كلمة مما أقول لك.

مريم : نعم بالتأكيد، وإذا لم أفهم لكنت استوقفتك بالتأكيد وسألتك على معنى الكلمة التى لا أعرفها.

تتيانا: أنا ألاحظ أن لغتك الروسية قوية جدًا، بالنسبة لفتاة عربية أو اجنبية على اللغة، فأنا كما أخبرك أخى سلافا من قبل أعمل فى أوقات فراغى كمدرسة لغة روسية عبر شبكة الإنترنت

ولدى العديد والعديد من الأصدقاء الأجانب الذين يتمنون أن يتعلموا اللغة الروسية ويتحدثوها مثلك. وبالرغم من ذلك أنا لم اسمع شخصا قط يتحدث اللغة الروسية بمثل مهارتك، ولا شخصا ما لديه تلك اللهجة القريبة جداً من لهجتنا الأصلية.

مريم : شكراً لك تتيانا جزيلاً، هذا من فضل ربي.

تتيانا : حسناً مريم أخبريني، لماذا تعلمت اللغة الروسية على وجه الخصوص. لماذا لم تتعلمي أى لغة ثانية أكثر سهولة منها.

مريم: فى البداية أنا لم اختر اللغة الروسية لنفسى، تم اختيارها لى بسبب مجموع درجاتى وهو موضوع طويل جداً. فى البداية لم أكن احب اللغة الروسية كثيراً، ولكن فيما بعد تعاملت معها على أنها تحد كبير فى حياتى سوف أجتازه مهما حدث.

تتيانا : وماذا فعلت كى تتمكنى من إتقان اللغة بهذه الطريقة الرائعة.

مريم: بدأت فى البحث عن اصدقاء روس عبر الإنترنت واصبحت معلمة لغة عربية مقابل تعلمى اللغة الروسية فى المقابل. نوع من انواع التبادل الثقافى كما تعرفين.

تتيانا : ولكن لغتك حقاً رائعة، أنا مذهولة جداً. هل تعرفين أن اللغة الروسية على درجة من الصعوبة التى تجعلنى أنا شخصياً قد اخطئ فى الحديث إذا تحدثت بسرعة عالية.

مريم : نعم. لقد عرفت، أخبرنى سلافا بهذا من قبل.

تتيانا : وهل تدرسين اللغة الصينية...؟؟

مريم : لا بالطبع، أنا لا أقوى على دراستها فهى لغة بالغة الصعوبة، تكفينى اللغة الروسية..

تتيانا : أعتقد انك يامريم تستطيعين أن تتعلمي ماشئت، إذ أنك بالذكاء الكافى الذى يمكنك من امتلاك اللغة الروسية بطلاقة، فبالتأكيد ستتمكنين من اللغة الصينية أو أى شىء تريدن.

مريم : شكراً جزيلاً تتيانا هذا إطراء كبير جداً بالنسبة إلى.

تتيانا : هذا ليس إطراء هذه الحقيقة.

مريم : شكراً مرة اخرى.

تتيانا : هل لديك عمل ؟

مريم : لا للأسف أنا لا اعمل، وليس بسبب عدم رغبتى فى العمل ولكن بسبب الظروف الراهنة فى مصر التى تجعل من الصعب جداً الحصول على وظيفة لائقة.

تتيانا : كان الله فى العون أنا اعرف أن ظروف مصر صعبة فى هذا الوقت خصيصاً بعد الثورة، ولكن هل شاركت فى الثورة بنفسك يا مريم ؟

مريم : لا للأسف لم أتمكن من الذهاب إلى ميدان التحرير بنفسى والمشاركة فى الثورة من هناك، ولكن بالطبع كنت مع الثورة بقلبي ووجدانى.

تتيانا : ولماذا لم تذهبي إلى هناك مثل بقية الشباب ؟؟

مریم : لقد منعنى والدى من الذهاب مثلما فعل مع بقية إخوتى.

تتيانا: أنا اتفهم خوفه عليك.

مریم : وأنا أيضاً، ولكن أنت تتيانا ما هو عملك الرئيسى.؟؟

تتيانا : أنا حالياً لا أعمل، ولكنى استعد للبدء فى الدراسة، فأنا من أسرة فقيرة ولذلك لم اتمكن من الانتساب إلى الجامعة هنا فى روسيا. وأنا الآن اتمنى أن استطيع أن ادرس بصفة جزئية فى الجامعة للحصول على شهادة عليا. لذلك اعيش الآن فى مدينة أخرى ولا أعيش مع اسرتى هنا فى تاليتسا.

مریم : فى أى مدينة تعيشين الآن ؟؟

تتيانا: فى يكاترينبورج، هل سمعت بها من قبل ؟

مریم : لا لم اسمع بها.. ولكن ماذا تتمنين أن تدرسى فى الجامعة، أو ما هو المجال الذى تتمنين أن تتخصصى فيه ؟؟

تتيانا : اتمنى أن اصبح عالمة أحياء...

مریم : إنه مجال رائع وسيكون بالتأكيد اسهل بالنسبة لك لأنك تحببينه ولديك شغف به.

تتيانا: هذا صحيح وماذا تدرسين أنت ؟؟

مریم : أنا لا ادرس الآن فى الجامعة، لقد تخرجت بالفعل وانهيت دراستى فى كلية اللغات الاجنبية، ولكنى الآن أعمل على إعادة دراسة اللغة الروسية وحدى فى المنزل من خلال الإنترنت، كنوع من أنواع القضاء على وقت الفراغ، واستثمار جلوسى فى المنزل بلا عمل عن طريق عمل شىء مفيد لتنمية مهاراتى اللغوية.

تتيانا : أنت محقة فى اهمية استغلالك للوقت، وإدارتك له. فأنا أعتقد أنه لا يوجد شخص على وجه الأرض يستطيع أن يكون ناجحاً بدون استغلال وتنظيم واستخدام الوقت بفاعلية.

مریم : نعم أنت محقة.

تتيانا : اعتذر منك الآن مریم أود أن اذهب للضرورة فقط حضرت للمنزل صديقتى العزيزة ولم أرها منذ وقت طويل واود أن استكمل معك حوارنا فى وقت لاحق، ما رأيك أن احصل على اسمك من أختى وأقوم بإضافتك إلى قائمتى.

مریم : بالطبع افعليها بكل سرور، وسوف انتظر منك رسالة فى أقرب وقت..

تتيانا: حسناً إلى اللقاء.

مریم : إلى اللقاء...

• كانت مریم صدقا سعيدة جداً، ولم تنفك تمر عدة أيام قبل أن كانت الاثنان قد بدأتا بالفعل أولى مناقشتهما عبر شبكة الإنترنت. وكانت كالاتى.

تتيانا : مرحباً مریم كيف حالك.

مريم : أنا بخير وانتِ ..

تتيانا : وأنا أيضاً بخير جداً، مريم أود أن اعبر لك عن فرحتي العارمة بالحديث مع فتاة من مصر تتحدث باللغة الروسية بهذه الطريقة.

مريم : شكراً تتيانا كثيراً وأنا ممتنة كثير لأننى أخيراً استطعت الحديث مع فتاة من روسيا. حيث أننى فى البداية عندما قررت أن ابحت عن صديق عبر الإنترنت لم اتمكن من إقناع أى فتاة من بلدك بالحديث معى، كلهن كن يرفضن الحديث معى أو لا يقمن بالرد على رسائلى بكل بساطة.. حتى الآن لا أجد مبرراً لهذا.

تتيانا : هذا شىء طبيعى مريم، فهنا فى بلدى التوجه العام لدى اغلب البنات ليس هو استخدام الانترنت للتعرف على الثقافات الأخرى أو تعلم اللغات كما تتمنين أنتِ. فالغالبية هنا تبحث عن صديق للتعرف عليه وتخرج معه من روسيا إلى حياة افضل ومالى آخره. لذلك لا عجب فى أنه لا أحد منهن وافقت على الحديث معك أو مشاطرتك اهتماماتك اللغوية.

مريم : حقاً، وفى بلدى يوجد العديد من الفتيات تبحث عن زوج المستقبل وتركض خلف حلم العثور على الزوج المثالى فقط، بدون التفكير فى أى طموحات أخرى غير ذلك. ولكن مع ذلك توجد أيضاً لدينا من النساء الطبييات والمعلمات وأساتذة الجامعة.. وغيرهن. وهذا طبيعى، لأننى أعتقد أنه يوجد شتى انواع البشر فى كل مجتمع بالفعل.

تتيانا : نعم أنت محقة ونحن أيضاً كذلك. ولكن أعتقد أن هذا التوجه لدى الفتيات ليس موجودا فى بلدك فقط مريم، فهنا أيضاً نفس الشىء مع اختلاف الثقافات والاديان. فنحن هنا فى روسيا نعانى من ارتفاع نسبة الفتيات مقارنة بنسبة الذكور، مما يجعل العثور على الزوج المناسب بمثابة المهمة المستحيلة. لذلك اصبح يتعين على المرأة أن تجد لنفسها هدفاً آخر بخلاف العثور على زوج.

مريم : نعم بالطبع هذا صحيح..

تتيانا : هل تعرفين مريم ما اكثر ما يذهلنى حياالك..!!

مريم : ما هو !!

تتيانا : هو اننا هنا فى روسيا نعتقد بأن المرأة العربية هى امرأة غيبية لا نجاحات عملية لها، يقتصر دورها على المنزل ورعاية الأبناء فقط. أما دورها فى الحياة الخارجية فهو يكاد يكون معدوماً. فلقد صعقت أول مرة عندما حدثنى اخى عن معرفته بفتاة عربية من مصر تتحدث اللغة الروسية بمهارة فائقة. وصدقا فى البداية لم اصدقها، تصورت أنه يكذب بشأنك.. ثم طالبت بان يعطينى اسمك الإلكتروني وعنوانك ولكنه رفض معللاً ذلك بأنه ليس لديه أى اصدقاء عبر الانترنت، وأنت هى الوحيدة التى يتحدث إليها عبر الإنترنت. ولكننى ألححت عليه حتى أوصلنى إليك.

مريم : حقًا...!!

نتيانا : نعم، فأنا كما تعرفين يهمنى كثيرًا الاطلاع على الثقافات الشرقية، ولم أكن أتصور يومًا أنه توجد هناك فتاة أو سيدة فى مصر بالذكاء الكافى للتحدث بلغة اجنبية أو شىء من هذا القبيل.

مريم : شكرًا لك نتيانا، ولكن صدقا. أنا لست الفتاة أو المرأة الوحيدة فى مصر التى تمتلك نجاحًا شخصيا. فهناك الكثير والكثير من النساء اللاتى قد فعلنها من قبل.

نتيانا : آه لقد فهمت..هل تعرفين نتيانا لقد حدثت صديقاتى بالأمس عنك وقد كانوا جميعا سعداء جدًا بإنجازك فى اللغة الروسية، ولقد طلبوا منى أن أبلغك تحياتهم..

مريم : شكرًا لك ولهم يا نتيانا، وإن كل ما تقولينه لى حقًا يجعلنى سعيدة جدًا ويعطينى دفعة للأمام حتى استكمل الطريق نحو الأفضل. شكرًا لك..

نتيانا: شكرًا يا مريم، ولكن أود أن اسألك هل لديك خبرة فى الطهو ؟؟

مريم : حسنا.. أنا استطيع أن اطهو ولكن ليس بخبرة ومهارة كما يمكنك أن تتخيلى، فأنا اطهو اشياء سهلة وبسيطة ولم اتعلم ذلك بعد. لأننى أوجله حتى اتزوج وابدأ فى تركيز جميع مهارتى على الطبخ..أنا الآن أفضى معظم أوقاتى فى دراسة اللغة الروسية فقط.

نتيانا : كيف...!!! لقد عرفت عن النساء العربيات انهن طاهيات بارعات.. وهذا جانب من جوانب حياة المرأة العربية الذى يعجبني كثيرًا، وللأسف لا أراه فى بنات روسيا.

مريم : نعم، نحن كذلك، ولكن تعلم فن الطهو فى حياتى هو بمثابة مشروع مؤجل فقط لا غير.
نتيانا : أنا استطيع أن اطهو كل شىء، وأى شىء.. وفى أغلب الأحيان عندما اكون فى المنزل أنا التى تطهو كل الطعام، حيث آخذ من أخى الكبير بعض المال واذهب لشراء البقالة وأعود لأطهو له ما يحب من مأكولات. فأنا استمتع بالطهى كثيرًا، لأنه يشعرنى بأنى امرأة ولى أهمية.
مريم : حقًا...!! هذا شعور رائع منك تجاه منزلك وأخيك يا نتيانا، أنا لم أكن أعرف أن فى روسيا يوجد فتيات يفكرن بهذه الطريقة الرائعة. فقد اعتقدت أن الاهتمام بالأسرة هو من سمات المرأة الشرقية فقط. فقد كنت دائمًا أعتقد أن المرأة فى روسيا تهتم بعملها ومستقبلها المهنى بصورة أكبر.

نتيانا : أنتِ محقة، هى كذلك بالفعل. ما أفعله أنا هو شىء نادر الحدوث هنا، والكثير من صديقاتى يعتبرننى شاذة عن الوضع العام بسبب ذلك. فأنا فتاة من بنات القرى، اهتم بالعائلة والأسرة كثيرًا وفى نفس الوقت لدى طموح عملى وأحلام كثيرة أود أن تتحقق فى يوم من الأيام.. فالمرأة هنا فى روسيا قد تقرر أن تبقى طوال حياتها بلا اطفال وبلا إنجاب فقط لتحافظ على مهنتها وحلمها المستقبلى.

انا لا احب ذلك ولا اتمناه، أنا احلم أن اصبح أما في يوم من الأيام، لذلك إلى جانب دراستي أنا دائماً ابقى عيني على منزلي واهلي واهتم لإخوتي وأمي وابي. أنا لست مثل الأخريات يا مريم، وكوني كذلك لا يعنى أن بقية الفتيات مثلى.

مريم : أنا حقاً مبهورة ومعجبة جداً بحديثك معي، وصدقا كل الصدق يا تتيانا لم أكن اتصور يوماً اننى قد اعثر على صديقة مثلك وفي روسيا. فأنت تشبهين في طريقة كلامك الفتيات الشرقيات، أو صديقاتي اللاتي اعرفهن هنا في مصر. ولا تشبهين أبداً الفتيات اللاتي في المجتمعات الأجنبية عنا.. بارك الله فيك.

تتيانا: شكرًا لك يا مريم، جزيلًا.. هل لديك إخوة؟؟

مريم : نعم لدى، نحن عائلة تتكون من خمسة ابناء، ولدان وثلاث فتيات أنا الوسطى بينهم..أنت؟؟

تتيانا : اووووووه، إنها حقاً لعائلة كبيرة.. أما نحن فعائلة تتكون من ثلاثة ابناء فقط.. أخى سلافا ثم أنا ثم أختي ناتاليا الصغيرة.. ونحن بالفعل نعد عائلة كبيرة جداً هنا في روسيا. فلم تكن امي تنتوى أن تتجب اختا الثالثة ولكنها فعلت ذلك هي وابي عن طريق الخطأ وبعد أن حدث الحمل، أشار على امي الكثيرون بأن تقتل الجنين وهو في بطنها. بسبب سوء احوالنا الاقتصادية، ولأنه سوف يكون بمثابة حمل زائد على العائلة. ولكن امي سيدة متدينة جداً وترى أن قتل الجنين قبل أن يولد يعتبر بمثابة جريمة قتل حقيقية. لأنه روح وهبة من الله وليس لأنه صغير يعنى أنه لدينا الحق في أن نقتله ونفعل ما نشاء به دون أن يعاقبنا احد على ذلك. وبالفعل انجبتها امي، واصبنا ثلاثة أخوة بدل اثنين ولقد نشأت ناشا على يدي، كما لو أنني أنا والدتها الحقيقية وأنا من انجبتها.. هذا هو شعوري تجاه أختي حقاً يا مريم.

مريم : حقاً يا تتيانا أنت إنسانة رائعة، هل تعرفين أن أختي الكبرى فعلت المثل مع اخي الصغير، فلقد توفيت والدتي وهو لم يبلغ السنة فكانت أختي هي من تعنتى به وتهتم لنشأته، وليس شخصا آخر.

تتيانا : أختك فتاة حنونة وطيبة مثلك بالضبط..

مريم : شكرًا يا تتيانا، ولكن مشاعر الأمومة هي مشاعر عظيمة ورائعة، وأنا سعيدة جداً لأننى قد خلقت فتاة حتى أتمكن من الإنجاب يوماً ما، ومن أن اصبح أما.

تتيانا : نعم ولكن كما اخبرتك، فلأسف هنا في روسيا لا يوجد الكثير من الناس ممن يقدررون هذه النعمة الكبيرة ويقررون بكل بساطة التخلي عنها لأجل العمل فقط.

مريم : يبالأسف.. ولكن أنت كنتِ محقة في خصوص قتل الجنين، لأنه يعتبر قتلا جنائيا مثله مثل جريمة القتل يجب أن يعاقب عليها القانون. كما اننا نحن البشر لا يحق لنا أن نقتل شخصاً ما خوفا من عدم وجود المال الكافي لإطعامه، فالله هو الذى يخلق البشر، وهو وحده من يقرر

من يموت منهم ومن يعيش، وهو أيضاً من يبسط الرزق للناس. فإله هو المسئول عنا جميعاً.
تتيانا : أنت محقة، أن الإيمان بالله شيء ضروري جداً، ومهم في حياة الإنسان.. بدون الإيمان
بالله لا نستطيع أن نحيا حياة طبيعية وننعم بالسكينة والهدوء الداخلى.

مريم : نعم أنت محقة، هذا ما اعتقده أنا أيضاً. فها أنا ذا، لا أعمل ولدى العديد من المشاكل
بالرغم من امتلاكى للغتين. ولكننى لا افقد الأمل أيضاً فى الله. فأنا أؤمن أن الأفضل بالتأكيد
قادم، وأن كل شيء يحدث لسبب حتى ما نعتقده نحن بأنه شيء سيئ . هو بالتأكيد يحمل فى
طياته خبرا مفرحا وشيئا جيدا حتى لو على المدى البعيد ولكن نحن البشر بأعيننا المجردة قد لا
نستطيع أن نرى الشيء الجيد خلف الشيء السيئ.. لذلك علينا دائماً أن نستشعر وقوف الله إلى
جانبا فى كل شيء..

تتيانا : نعم أنا أيضاً أعتقد ذلك، فقد عانيت أنا واسرتى من متاعب اقتصادية كثيرة. حتى انت
علينا لحظة من لحظات الحياة اعتقدنا فيها اننا لن نملك ثمنا يكفيننا لشراء الطعام فى اليوم
التالى. وكانت أمى على وشك أن تصل لليأس من تغير الأوضاع للأفضل. لولا أننى كنت
اطمئنها من وقت لآخر واقول لها أن الله لن يتركنا، واننا يجب أن نتحلى بالامل وبالتقة بالله.
حتى نستطيع أن نعيش.

مريم : بارك الله فىك تتيانا، أنت فتاة طيبة. اتمنى لك كل خير.

تتيانا : وأنا أيضاً.. هل تعلمين اننى يا مريم قد عملت لفترة من الوقت كفتاة صراف فى مطعم
ماكدونالز الشهير هنا فى روسيا...!!!

مريم : حقاً، وماذا فى ذلك.. أنه شيء رائع أن تستقلى بنفسك ليس من حيث الشخصية والقرارات
وفقط، وإنما من حيث الجانب المادى أيضاً.

تتيانا : ولكننى لم أفعل ذلك بغرض الاستقلال فقط، وإنما فعلتها بغرض مساعدة عائلتى فى
الدخل الشهرى للمنزل.

مريم : وهذا يعد عملاً بطولياً من وجهة نظرى تستحقين الثناء عليه.

تتيانا : حقاً.. شكراً لك.. مريم، مارأيك أن نبدأ معاً فى دراسة اللغة الروسية على طريقتى؟؟

مريم : نعم بالتأكيد، هيا...!!

● فقامت تتيانا بإرسال رابط لمريم كى تفتحه وهذا الرابط كان يحتوى على قصة باللغة
الروسية تسمى الذئب والغابة، أرادت تتيانا من مريم أن تقرأها وتحاول أن تفهم معانيها. وبالفعل
فعلت مريم، وبعد أن انتهت من تلك القصة....

مريم : إنها قصة رائعة، سوف أرويه لأختى الصغيرة. ولكن باللغة العربية طبعاً.

تتيانا: نعم هى كذلك، ولكن أنت متمكنة جداً من اللغة الروسية مريم.

مريم : لا زال امامى الكثير لأتعلمه فكما تعرفين انها لغة صعبة وغزيرة بالمفردات، وكل يوم

اتصفح الانترنت لأكتشف أنه لا زال يوجد هناك العديد والعديد من المفردات التي لا اعرفها.
تتيانا : أنتِ محقة، ولكن يا مريم أردت أن اسألك في البداية عن ماذا كنتما تتحدثان أنت وأخي
عبر الإنترنت، ولكنني قد نسيت..؟؟

مريم : آه.. نعم لم نكن نتحدث مطلقا في أى شيء، سوى أنه في كل مرة كان يجلب لى نصا
باللغة الروسية كي أقرأه وهو يقوم بتعديل أخطائى.. ثم يبقى صامتا وأنا ابقى صامتة، حتى اقرر
أن اغلق الخط من استحالة وجود شيء مشترك فيما بيننا لنتحدث عنه.
تتيانا ضاحكة : نعم أعرف، كنت اتوقع أن تقولى لى هذا، فهو خجول جداً وهادئ ولم يتحدث
مطلقا مع فتيات من قبل.

مريم : حقاً، هل يوجد فى روسيا شباب خجولون..!!!
تتيانا : نعم يا مريم يوجد، نحن عائلة محافظة جداً، ولدينا عادات وتقاليد..
مريم : إنه لشيء عجيب، لقد اعتقدت أن المجتمع الروسى مجتمع منفتح جداً وليس مثل مصر
والعالم الشرقى.

تتيانا : هو كذلك ولكن نحن فقط عائلة مختلفة، كما أن حياة ساكنى الريف تختلف تماما عن
حياة ساكنى الحضر.

مريم: كيف..!!
تتيانا : ساكنو المدن وخاصة موسكو يتسمون بالحفاظ البالغ على الوقت والرغبة الدائمة فى
استغلاله فى كل ما هو مريح ومفيد، فكل هدفهم فى الحياة هو العمل، ثم العمل ثم العمل ولا
شيء آخر. وقد لا يكونون لطيفين جداً، ولا يود احدهم أن يقدم مساعدة للآخر بلا مقابل. أما
ساكنو الريف فهم على العكس تماماً فى كل شيء..
مريم: نعم لقد فهمت..

تتيانا : وأنت أخبرينى هل يوجد اختلاف بين ساكنى الريف وساكنى الحضر فى بلدك.
مريم : بالطبع يوجد اختلاف ولكننى لست على دراية كاملة به لأننى وببساطة لم احيا من قبل
فى الريف.. فصدقا لا يمكننى أن احديثك عن شيء لا أفهمه.
تتيانا : نعم انقهم ذلك.

مريم : ولكن يا تتيانا، فى مجتمعى الصداقة بين الفتيات والشباب لا تعتبر شيئاً مقبولاً على
الرغم من وجودها، لذلك فى البداية كما اخبرتك من قبل عندما اردت تعلم اللغة الروسية كنت
ابحث عن فتاة لتشاركنى اهتماماتى ولم اكن ابحت عن شاب، ولكننى عندما لم اتمكن من
العثور على أى فتاة ترغب فى الحديث معى، استسلمت للأمر الواقع ولجأت لرجل كى اتعلم
منه.

تتيانا : نعم، انقهم ذلك، فلدى صديقة مسلمة تعيش فى إيران، لا تنفك تحدثنى عن طبيعة الحياة

الإسلامية وطريقة معيشتهم من وقت لآخر.

مريم : نعم هذا حقيقي.. فمن دون المستحب أن تصادق الفتيات الشباب هنا في مصر، أو حتى في أي دولة عربية على ما أعتقد.

نتيانا : هل تعنين أنه ليس لديكِ اصدقاء من الشباب.

مريم : نعم لدى ولكن في نطاق الزمالة الدراسية لا غير، وليس على النطاق الشخصي كما تفهمين.

نتيانا: هل تعرفين أن في روسيا هنا يجب على كل فتاة أن يكون لديها صديق حميم، حتى تحيا حياة طبيعية..

مريم : نعم اعرف بذلك، ولكن هنا في مجتمعنا الإسلامي لا يوجد شيء يسمى الصديق الحميم. وحتى إن وجد، فهو يكون حالة شاذة عن المجتمع، وتُحارب ويبغضها الناس لخروجها عن الشرع والطبيعة.

نتيانا : إن أكثر ما يعجبني في النساء المسلمات هو حفاظهن على شرفهن، فأنا لا أستطيع أن اعقل ما الفائدة من إقامة علاقة غير شرعية وغير مستقرة مع شخص ما بدون زواج، وإنجاب طفل من الممكن أن ينشأ في ملجأ أيتام بعد ذلك. ويتعرض لضياح مستقبله وفقدانه للبيئة الطبيعية من حيث التنشئة بين ابوين محبين وما إلى ذلك.

مريم : أنت محقة، وأنا سعيدة جدًا اننى استمع إلى هذا الحديث من فتاة روسية.

نتيانا : أنا أعتقد أن إقامة هذا النوع من العلاقات يعد غباءً...انا لا أفعل ذلك، ولا حتى أصادق الشبان مثل بقية الفتيات.

مريم : حقًا... !!

نتيانا : نعم، لذلك يقال عنى هنا أنني لست فتاة طبيعية، فالبعض يعتقد اننى لدى نوع من انواع المرض النفسى.. فأنا هنا أعتبر شاذة عن القاعدة العامة.

مريم: كل ما تروينه لى يُعد شيئاً جديداً على أذنى تماماً.

نتيانا : أنا مثل والدتى، لقد تزوجت امى من ابى وقد كانت حينها أمى بكرة، فقد كان هو اول رجل فى حياتها.

مريم : حقًا، أن عائلتك تشبه كثيرًا فى مبادئها العائلات المسلمة، نحن أيضًا نتزوج بمثل هذه الطريقة.

نتيانا : نعم اعرف، وأنا أيضًا انتوى أن افعل المثل، تمامًا. فيكون اول رجل فى حياتى هو زوجى وحبيبى الذى استمر فى الحياة معه طوال عمرى.

مريم : وأنا أيضًا اتمنى أن اتزوج من شخص أحبه..

نتيانا : وهل تحبين شخصا ما بالفعل مريم أم ماذا؟؟

مريم : لا للأسف أنا لم أقع فى الحب يوماً، ولكن كما تعرفين أن الحب فى مجتمعنا مرتبط بالزواج، ولكنه لا يعتبر شرطاً حيث إنه ليس كل الأزواج يحبون بعضهم البعض. أما أنا فكل ما أتمناه أن أتزوج من شخص أحبه ليس إلا.

تتيانا : ولكن الحب محرم فى الإسلام..

مريم : لا.. بالطبع لا.. إن الحب ليس محرماً فى الإسلام. لأن الحب مشاعر ولم يخلق على وجه الأرض إنسان يمكنه التحكم فى مشاعره. لذلك هو محلل. وإنما المحرم فى الحب، هو ما يترتب على تلك المشاعر من تصرفات تخالف شرع الله.

وأنا أعتقد أن الحب نعمة وهبة كبيرة من الله، وأحلم بأن أكون من المنعمين بها.

تتيانا : نعم اتفهم ذلك.. أنا أيضاً أتمنى أن أتزوج من شخص تربطنى به مشاعر، فالمشاعر والحب هما شيئان ضروريان جداً.

مريم : الحب هو انقى وارقى المشاعر الانسانية على الإطلاق، وحده الله يعلم كم أتمنى أن يشعر جميع الناس بهذه المشاعر الرائعة، فهى تعتبر نعمة كبيرة.

تتيانا : وأنا أيضاً أتمنى ذلك، كما اننى فى الكثير من الاحيان أقلق بشأن ما يتعلق بمستقبلى ومن إمكانية عثورى على فتى احلامى. فأنا أتمنى أن أجد الرجل الذى يفهمنى. وأخاف كثيراً من أقع فى الحب مع شخص لا يستحق حبى واهتمامى له.. هذا شىء يُخيفنى كثيراً.

مريم : اعرف هذا الشعور هو بالتأكيد شعور مخيف لدى كل فتاة أو حتى شاب، ولكن لا تنسى أن الله موجود يراقب البشر ويعطى كل إنسان ما يستحق. فيجب أن يكون لديك إيمان قوى بأن الله لن يتركك أبداً.

تتيانا : أنت محقة يا مريم.. الإيمان بالله شىء مهم جداً فى حياة الإنسان وفى صحته النفسية.

مريم : ولكن إنه حقاً لأمر عجيب أن استمع إلى هذا الحديث من فتاة روسية ليست مسلمة، فأنت حقاً تشبهين فى مبادئك الفتاة العربية المسلمة.

تتيانا : أنا اتفهم تعجبك، ولكننى أردتلك فقط أن تعرفى أننى لست بمثل بقية بنات بلدى، أنا لست فتاة سيئة السمعة.

مريم : لماذا تقولين هذا!!! أنا لم اتهمك بأنك سيئة السمعة أبداً، ولن أفعلها..

تتيانا : أنا اعرف انك لم تفعل ذلك، ولكن مع الأسف فنحن فى روسيا لدينا الكثير والكثير من الفتيات سهلة المنال.. التى تذهب إلى الخارج وتفعل ما تشاء مع أى رجل بسهولة جداً. مما جعل الرجال حول العالم يعتقدون أننا نحن بنات روسيا سيئات السمعة، ومن يريدنا يستطيع أن يحصل علينا بمنتهى السهولة. وهذه للأسف الصورة الشائعة عنا فى الخارج.

مريم : اوه، ياإلهى أنت محقة بعض الشىء فى ذلك فنحن لدينا هنا فى مصر مدينة الغردقة على سبيل المثال تعج بالروس. ودائماً ما نستمتع عن قصص مثل تلك عنهن تحدث هناك.

تتيانا : اه.. نعم مع الأسف.

مريم : وذلك لأن الفتيات فى روسيا يتسمن بالجمال الفائق الذى لا يمكن العثور عليه فى فتيات مصر. فالفتاة التى تأتى إلى هنا وتكون جميلة وسهلة المنال كما قلت، تكون بمثابة هدف لأى رجل يبحث عن إقامة علاقة غير شرعية مخالفا دينه وآداب مجتمعه.

تتيانا : نعم أنت محقة، هل تعرفين أنه يوجد لدينا العديد من البرامج الروسية التى ناقشت زواج الرجال المصريين من الفتيات الروسيات وإشهار إسلامهن..

مريم : حقاً..!!

تتيانا : نعم هذا حدث، وكان المبرر الوحيد فى انتشار ظاهرة زواج الأجانب لديكم، هو أن الزواج من اجنبية يكون له عدة مزايا، أهمها أن الفتاة تكون أكثر جمالا من الفتاة التى تعيش فى بلده، يتمكن من الحصول على جنسية أخرى والأهم من هذا وذلك أن الزواج من أجنبية يكون مجانا، وبلا أى مبالغ. ففى هذه الحالة لا يكون الرجل ملزما بدفع المستحقات المادية الموجودة فى أعرافكم للعروس. فببساطة رهيبه الروسية مجانا، والمصرية يدفع لأجل الوصول إليها.

مريم : نعم أنت محقة تماما، ولو كنت سألتنى فى ذلك لكنت أخبرتك اننى اظن أن زواج المصريين من الأجانب يكون لنفس الأسباب. مع اهمية ذكر دافع الحب الذى من الممكن أن يكون موجودا إلى جانب المصالح الشخصية.

تتيانا : نعم بالتأكيد هذا صحيح..

- انتهى أول لقاء حوارى بين مريم وتتيانا تاركًا علامات تعجب واستفهام قد تتعدى مئات الآلاف فى ذهن مريم.. التى كانت لا تزال تحاول استيعاب شخصية تتيانا الرائعة التى قد وجدت مريم فيها نسخة معاكسة من شخصيتها ولكن باللغة الروسية. فكان الشعور الوحيد الذى تشعر به مريم تجاه تتيانا انها صديقتها المقربة. بالرغم من أنه لم يتعد يوما من معرفتهما ولكن شعرت مريم انها تعرف تتيانا منذ زمن بعيد. والأغرب انها شعرت أن تتيانا تحمل فى نفسها كيان فتاة عربية مسلمة ولكن مع التعديل بالصورة الأكثر ثقافة من الفتاة العادية فى الوطن العربى.
- فكانت سعادة مريم بعثورها على تتيانا لا توصف، وذهبت مسرعة لوالدها تروى له عن تلك الفتاة التى تتحدث وتعيش بمبادئ مسلمين بالرغم من انها غير مسلمة وغير عربية. وكيف أن تتيانا تتفهم وصدق حقيقة المسلمين، على خلاف الآخرين من مجتمعها. من أين لها بتلك الثقافة المتفتحة...!!

فكان تعليق والدها على هذا الموضوع هو.. معقول !!! انها حقًا قريبة جدًا من المسلمين.. لماذا لا تحدثنيها عن الدين الإسلامى فمن الممكن أن تُسلم تلك الفتاة وتحصلين أنت على ثواب دخولها فى الدين وهو ثواب عظيم وأجر ما بعده أجر....!!

فردت : آسفة يا أبى.. أنا لا أستطيع فعل ذلك.

- لماذا...؟؟

- إن هدفى هو الدفاع عن دينى وليس الدعوة للدين، لأننى غير مؤهلة كداعية إسلامية. ولكننى كإنسانة مسلمة بالتأكيد مؤهلة كأى إنسان للدفاع عن الدين، كما أننى لن أحدث تتيانا فى موضوعات دينية إلا فى حالة مبادرتها بالسؤال أولاً..

ثم بدأت منذ ذلك اليوم سلسلة حوارات مطولة جداً بين مريم وتتيانا، بصفة مستمرة كل يوم لمدة لا تقل عن اربع ساعات يومياً. وهو ما كان يُمثل أوقات فراغ تتيانا التى كانت تمنحها وبكل حب لمريم كى تُعلمها فن الحديث الروسى، وتتحدث معها أيضاً كفتيات اصبحن فى وقت قليل وبالرغم من بُعد المسافات واختلاف الديانات فيما بينهما إلا انهما قد اصبحتا صديقتين..

فكانت مريم قد اقتنعت أن تتيانا تصلح كصديقة تماماً مثل صديقات مريم المقربات. فقد عودت مريم على أن تتحدث هى وتتيانا كل يوم بلا انقطاع.. لقد تحدثن فى كل الموضوعات التى من الممكن أن تتخيلها تقريباً.. بدءاً من أحاديث الفتيات العامة والعادية جداً.. حتى الأحاديث السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فكانت مريم تروى لتتيانا كل ماحدث معها فى اليوم، وكانت تتيانا تفعل المثل. فمرة تروى لها عن الموقف الذى تعرضت له فى المتجر.. ومرة عن الموقف الذى تعرضت له فى المنزل مع الجيران وهكذا كانت الحياة تستمر والحوارات تتدفق فيما بينهما....

مريم : ما هى ألوانك المفضلة فى الملابس يا تتيانا...!!

تتيانا : احب اللون الأحمر، والقرمزى والأصفر.

مريم : أنا لا احب اللون الأصفر كثيراً ولكن الأحمر والقرمزى من ألوانى المفضلة إلى جانب الأبيض والأسود أيضاً.

تتيانا : آه اللون الأبيض يعبر عن النقاء الروحى، ولكن هل تضعين مساحيق التجميل يا مريم؟؟
مريم : لا أنا لا أضع مساحيق التجميل ولا أحبها. فانا اشعر انها تقوم بتغيير شكل وجهى الطبيعى، أنا اضعها فقط عندما أكون فى احدى المناسبات الاجتماعية مثل الأفراح والحفلات وما إلى ذلك.....

تتيانا: حقاً.. مريم أنا اعرف أن وضع مساحيق التجميل حرام فى الدين الإسلامى، فلدى صديقة إيرانية، تقول لى أنه ممنوع منعاً باتاً فى إيران أن تضع النساء مساحيق التجميل خارج المنزل. أليس هذا صحيحاً شرعاً.

مريم : نعم هذا صحيح بالتأكيد، لقد نسيت أن اخبرك به فقط. أن وضع مساحيق التجميل حرام فى

الدين الإسلامى خارج نطاق المنزل. لأنه ليس من المفترض على المرأة أن تتجمل سوى لزوجها فقط، وهو بالتأكيد الرجل الأهم فى حياة أى امرأة.

تتيانا : ولكن لماذا الوضع هكذا فى مصر، أليست مصر دولة إسلامية مثل إيران؟

مريم : مصر دولة إسلامية بالفعل ولكن ليست كإيران، فإيران تعد دولة شيعية. ونحن هنا فى مصر مسلمون سنة. كما أنه توجد فى إيران قوانين متشددة كثيرًا غير موجودة فى مصر. لأن مصر دولة سياحية، ولأن الدين من القلب وهو شىء يجب أن ينبع من قلبك. فإذا كنتِ على سبيل المثال ترغبين فى تغطية شعرك وارتداء الحجاب يجب أن تفعل ذلك من قرارة نفسك وعن قناعة، وليس لأن السلطات قد اجبرتك على فعل ذلك. تمامًا مثل الشخص الذى يكذب، لا يمكنك أن تقومى بوضع قانون يمنع الكذب. فهذا شىء ليس من المفترض أن تكون عليه رقابة سوى من الله. تتيانا : أنت تعنين أن مصر دولة إسلامية، مع أنها تُبقى على حرية الناس فى ممارسة طقوسهم الدينية كما يريدون.

مريم : نعم بالضبط، تمامًا مثل الأم التى تعرف أنه لا يمكنها اجبار ابنائها على الدراسة، لأنهم وفى هذه الحالة سوف يرسبون بالتأكد.

تتيانا : نعم فهمت.

مريم : بالإضافة إلى أن مصر دولة سياحية مفتوحة، تستقبل أناسا من جميع الشعوب ونفتح لهم ذراعينا، لذلك إذا نظرت لمصر يمكنك أن تجدى أناسا من مختلف الألوان والأشكال.... تتيانا : نعم، فهمتك...

مريم : ولكن تعالى نعود إلى موضوعنا الرئيسى، عن الألوان. تُرى ما هى أكثر ألوان الشعر التى تُعجبك؟؟

تتيانا : اللون الأشقر، وأنت؟؟

مريم : أنا احب اللون البنى كثيرًا فهو لون شعرى المفضل.

تتيانا : هل مُحلل فى الدين الإسلامى للمرأة تغيير لون شعرها.

مريم : نعم ولم لا..؟؟

تتيانا : أعتقد أنه من المحرم لأن المرأة تغطى شعرها فى الإسلام.

مريم : لا هذا شىء ليس له علاقة بالحجاب فالمرأة المحببة لها مطلق الحرية فى التزين لزوجها.

تتيانا : نعم فهمت، هل تعرفين أنه من الممنوع تمامًا، فى تقاليدى أن تصبغ المرأة شعرها إلا فى حالة شيب الرأس بسبب التقدم فى السن.

مريم : حقًا، لا تتيانا لا أعرف شيئًا عن هذا.. اخبرينى.

تتيانا : لا شىء هذا فقط من عادات وتقاليد العائلة الراسخة التى لا تقبل التغيير أو الرفض. فأنا اذكر أنه عندما كنت فى الثالثة عشرة من عمري، كنت أحب كثيرًا الشعر الأشقر الفاتح جدًا.

وأردت تغيير لون شعري، ولكنني كنت على تمام العلم بأن أمي سوف ترفض أن افعل ذلك وتمنعني. لذلك فعلتها بدون علم امي واشترت صبغة وقمت بوضعها على رأسي في المنزل. وبالفعل عندما رأته أمي، لم تكلمني لمدة شهر عقاباً على ما فعلته. ومنذ ذلك الحين لم اقم بتغيير لون شعري حتى الآن. فقد عرفت خطئي.

مريم : تتيانا إن الحديث معك مثير جداً، فأنتِ تخبريني المزيد عن العادات والتقاليد الروسية التي لا يعرف عنها أي شخص مثلي في مصر.
تتيانا : نعم أنا احب أيضاً التبادل الثقافي كثيراً.

• بدأت مريم بعد ذلك تهتم أكثر فأكثر بالحديث إلى تتيانا كل يوم، حيث كانا يتحدثان بمعدل من ٣ إلى ٤ ساعات يومياً تقريباً. حتى قررت مريم أن تقوم بإضافة تتيانا إلى صفحتها الخاصة على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك. وهو ما كانت مريم ترفض أن تفعله مع أي شخص اجنبي آخر، حيث كانت تعتبر أن صفحتها الشخصية على موقع فيس بوك بمثابة منزلها الذي لا تدعو إليه إلا من تعرفهم في العالم الواقعي فقط، وليس من العالم الافتراضي. ولكنها فعلت ذلك مع تتيانا كنوع من أنواع الاستثناء بسبب شعورها بأن تتيانا قد اصبحت بالفعل احدى صديقاتها المقربات. وكان الحوار التالي كالاتي :-

مريم : مرحباً.. تتيانا كيف حالك!!..

تتيانا : أنا بخير وانتِ!!..

مريم : أنا أيضاً. اخبريني تتيانا هل لديك صفحة على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك؟؟

تتيانا : نعم لدي، وأنتِ؟؟

مريم : حسناً أنا أيضاً لدي وأود اضافتك هناك.. هل هذا ممكن؟؟

تتيانا : نعم بالطبع.. هيا...!!!

• ويعد أن انتقلنا معاً إلى موقع فيس بوك....

تتيانا : هل هذه صورتك الشخصية؟؟؟

مريم : لا لست أنا، الصورة الرئيسية على الصفحة لمغنية لبنانية مشهورة. احبها كثيراً اسمها نانسي عجرم.

تتيانا : آه هل هذه التي تغني حبيبي قرب...نص نص..

مريم : نعم ومن اين عرفتِ؟؟

تتيانا : والدي اخبرني عنها عندما عاد من مصر، حيث إنه كان في زيارة لشرم الشيخ، وجلب معه أحد اشربة الكاسيت الخاصة بها. الذي استمعت له ولم اتعلم سوى الكلمات السابقة.

مريم : اه.. هذا جيد، ولكن إذا أردتِ أن ترى صورتي فيها هي.

• وأشارت مريم لتتينا على مكان الصورة على الموقع. حيث كانت هذه الصورة تظهر مريم مع خمس فتيات من صديقاتها. وكان تعليق تتينا على الصورة تمامًا كالآتي:-
تتينا : مريم، هذه حقًا أنتِ.

مريم : نعم، هذه أنا.

تتينا : تمامًا كما توقعت، ولقد عرفتك من بينهم. هل تعرفين انك تملكين نظرة عين ثاقبة وحادة الذكاء...!!

مريم : حقًا.. شكرًا لك ولكن لم يخبرني أحد بهذا من قبل.

تتينا : لا مريم هذا حقيقي، انكِ فتاة ذكية ويبدو عليك الذكاء. فأكبر دليل على ذلك هو أنك تتحدثين اللغة الروسية بطلاقة وهي لغة صعبة جدًا. لذا لا يمكن لأى إنسان أن ينكر مدى ذكائك. كما أن ملابسك جميلة أيضًا.

مريم : شكرًا لك.. جزيلًا. أنا حقًا سعيدة لسماعى هذا الكلام.

تتينا : لا عليك، ولكن هناك استفسار. لماذا ارى فى الصورة احدى الفتيات غير المحجبات؟؟ هل هذا يصلح فى مصر؟؟

مريم : كما اخبرتك من قبل ارتداء الحجاب قانون دينى، ولكن ليس قانونا مدنيا مفروضا فى مصر.

تتينا : اه، نعم اعذرني فقد نسيت. دائمًا ما أخط فى الأمور بينك وبين صديقتى الإيرانية التى تروى لى عن الأحداث التى تحدث فى إيران.

مريم : لا عليك..

تتينا : مريم صفى لى كيف يتم ارتداء الحجاب فى الدين الإسلامى من فضلك.

مريم : فرض الحجاب على نساء المسلمين على أن ترتديه الفتاة منذ سن البلوغ، ومن المفترض أن يغطى الحجاب شعر المرأة وعنقها بالكامل. وان تكون مواصفات ملابس المرأة. ما لا يصف ولا يشف ولا يلفت النظر. هذه هى مواصفات الحجاب فى الدين الإسلامى.

تتينا : وما الهدف من فرض الحجاب على نساء المسلمين...؟؟

مريم : الغرض يكمن فى أن الدين الإسلامى ينظر للنساء تمامًا كما لو كانت جوهرة، أو شيئًا ثمينًا يجب تغطيته والحفاظ عليه لذلك فرض على المرأة الحجاب. بالإضافة إلى سبب آخر مهم، وهو أن الدين الإسلامى قد حرم إقامة علاقة بين الرجل والمرأة خارج إطار الزواج. وبما أن المرأة كائن جميل وملفت للنظر ومثير للشهوات بطبيعته. لذلك وجب على المرأة التمسك باحتشامها حتى لا تكون عرضة لمواقف سيئة وانتهاكات من الرجال غير الأسوياء فى الشارع. وحتى لا تقوم بلفت انظار الرجال غير المتزوجين من الشباب. فالحجاب هو عفة وشرف للرجل والمرأة وليس المرأة فقط.

تتيانا : نعم فهمتك. أنت على حق. الدين الإسلامي كان على حق فى هذا. فأنا فى دينى أيضاً
يجب ارتداء الحجاب، وهو فرض أيضاً مثلما هو فرض فى الدين الإسلامى. ولكن الامر هنا
مختلف...

مريم : كيف..؟؟

تتيانا : أول حالة يجب علىّ وضع الحجاب على شعرى عند زيارة المعبد، فهذا من قواعد احترام
قدسية المكان الدينى، ولكن قد يكون الشعر مرئياً وهو شىء عادى لا غبار عليه.

مريم : اه نعم أفهم، إمكانية أن تغطى شعرك مع إظهار مقدمة الشعر وباقى الشعر من الخلف.
تتيانا : تماماً.. هذا هو شكل الحجاب الذى اعنيه. كما أنه من المفروض أن ترتدى كل امرأة
متزوجة الحجاب، فارتداء المرأة المتزوجة الحجاب يعد دليلاً واضحاً على رقى وعلو مستوى هذه
السيدة. ولكن للأسف بالرغم من أنه فرض فإنه لا يوجد من يتبع هذا الفرض الآن من السيدات
نهائياً. حتى أن الفتيات هنا فى روسيا يرتدين أحياناً الوشاح على الرأس ولكن لأسباب جمالية
فقط، حيث يكون الشعر مرئياً أيضاً.

مريم : اه نعم لقد تفهمت...

* كلام تتيانا هنا قد أثار تساؤلات عديدة فى رأس مريم، حيث كانت تتمنى أن تسأل تتيانا عن
دينها. ولكنها خجلت لمعرفتها بأن السؤال على العقيدة من المحرمات فى العادات والتقاليد
الروسية. فهذا سؤال غير لائق تماماً. ولكن لا شك أن مريم تساءلت عن ماهية المعبد الذى
يتحتم الذهاب إليه تغطية الرأس احتراماً للمكان المقدس. وفكرت أنه كان بالأحرى بتتيانا أن
تتحدث عن ذهابها للكنيسة.. ولكن كان التفسير الوحيد الذى تداعى إلى ذهن مريم هو أنه من
الممكن أن تكون تتيانا قد أخطأت فى القول فحسب، ولكن بالرغم من ذلك بقى السؤال يلح على
ذهن مريم التى بالفعل لديها العديد من التساؤلات حول مسألة ارتداء النساء المتزوجات الحجاب،
وكانت اجوبة هذه الأسئلة جميعاً تتوقف على معرفة مريم عن ماهية دين تتيانا. وهو السؤال التى
لم تكن مريم تتوى أبداً أن تسأله.. لذلك تبقى الحقيقة مختبئة خلف الحوارات، التى تحمل بين
طياتها معلومات جديدة لم تكن مريم تعرفها من قبل.. لذلك فكل ما وجب على مريم أن تفعله هو
أن تنتظر وتستكمل حوارات مع تتيانا لعل وعسى أن تعرف مع الأيام إجابة أى شىء تساءلت
عنه.

تتيانا : هل تريد أن ترى صورتي..!!

مريم : نعم بالتأكيد، ولكن أنتِ لا تضعين واحدة على صفحتك على هذا الموقع.

تتيانا : نعم اعرف، وهذا بسبب موضوع السمعة السيئة الرائجة فى الخارج حول الفتيات
الروسيات. فما إن اضع صورتي حتى أبداً فى تلقى رسائل بذيئة وطلبات غير لائقة من رجال
غرباء. لذلك لا أضع صورتي أبداً.

مريم : آه، للأسف. اعرف أن هناك العديد من مستخدمي شبكة الإنترنت الذين يقومون باستخدامها بطريقة غير لائقة وغير نظيفة.انا أيضاً عندما بدأت في البحث عن شخص يساعدني في تعلم اللغة الروسية، كنت حذرة جداً في مسألة الاختيار حتى لا أقع في مشكلة إذا صادفت أشخاصاً كهؤلاء.

نتيانا : نعم اعرف، ولكن هل أهلك في المنزل على علم بأنك تتحدثين مع غرباء عبر الشبكة، هل سمحوا لك بذلك؟؟

مريم : نعم بالتأكيد، أنا لا أفعل شيئاً بدون علم والدي. بالتأكيد حصلت على إذنه وهو يثق بي كثيراً.

نتيانا : نعم الحياة تكون افضل عندما يكون الوالدان على علم بكل شيء يفعلونه ابناؤهم.

مريم : نعم بالتأكيد..

نتيانا : انتظري لحظة سوف ارسل صورتى لك عبر البريد الإلكتروني.

• استقبلت مريم الصورة، ورأتها.. فتاة جميلة سوداء الشعر، لها عيناں عسليتان وابتسامة جميلة.

مريم : أنت فتاة جميلة يا نتيانا.

نتيانا : شكراً لك يا مريم، ولكن أود أن الفت انتباهك إلى شيء ما..

مريم : نعم وما هو...

نتيانا : ليس من المستحب أن تقول فتاة لفتاة أنت جميلة هنا في روسيا. فهذا الإطراء قد يُفهم على أنه نوع آخر من الميول الشخصية. هل تفهمين ما أعنيه..!!

مريم : اوه.. لقد فهمت. أنا لم أقصد ذلك بالتأكيد أنا فقط لا أعرف، فهذا يعد من الفروق الثقافية بين البلدين. فنحن كشعب مسلم نفضل أن يُصادق الرجال بعضهم البعض، والنساء نفس الشيء. ولكن صداقة فحسب مثل صداقتي بك تماماً. وهذا النوع من العلاقات غير السليمة غير رائع هنا، لذلك أنا لم أفهم معنى الكلمة قبل أن ألفظها..

نتيانا : لا عليك، أنا اعرف عن هذه الفروق الثقافية بالفعل، لذلك لم أستغرب قولك.

مريم : هل لديك علم أن من العادات والتقاليد العربية وليست المصرية فقط، أنه عندما تلتقي فتاة بفتاة أو امرأة بامرأة تقبل احدهما الأخرى من على الخد.. وقد يعانقن بعضهن البعض. هذا من

العادات هنا وشيء عادي جداً ومتعارف عليه. هل لديكم نفس الشيء؟؟

نتيانا : بالطبع لا، ليس لدينا نفس الشيء، فهذا شيء غير مقبول تماماً، ويعد من الأشياء التي يبغضها المجتمع ويرفضها بشدة. قد تقبل فتاة رجلاً من خده عند السلام، ولكن فتاة تقبل فتاة لا يصلح.

مريم : توقعت ذلك، لذلك سألتك عنه.

تتيانا : ولكن مريم هل هذا من المفترض أن يحدث فى كل مرة تلتقى فيها وصديقاتك على سبيل المثال...؟؟ ام يحدث فقط عندما تكون قد مرت مدة زمنية طويلة منذ آخر لقاء بينكما. أى هل يحدث عندما تكون كل منكما فى اشتياق للأخرى.

مريم : يحدث فى كلتا الحالتين، فهو من أصول التعامل والسلام والتحية هنا كما أخبرتك.
تتيانا : من الممكن أن يحدث هذا فى روسيا هنا عندما اكون قد اشتقت لصديقتى التى لم ألقها منذ مدة طويلة.

مريم : فهمتك.

تتيانا : ولكن أخبرينى مريم، ما هو نوع الهدايا التى قد تحضرها لكِ صديقتك فى عيد ميلادك.. أو فى زيارة لمنزلك مثلاً؟؟

مريم : أى هدية من الممكن أن تتخليها.. من الممكن أن يكون وشاحا، أو زجاجة عطر.. شيئاً من هذا القبيل.

تتيانا : وهل من الممكن أن تقوم بإعداد وجبة منزلية لكِ، وتحضرها لمنزلك.

مريم : نعم بالتأكيد من الممكن.. بل هل تعرفين أن فى هذه الحالة تكون الهدية افضل..!!

تتيانا : لماذا..؟؟

مريم : لأنها تكون قد ارهقت نفسها، وبذلت الوقت والمجهود كى تقوم بإعداد مأكولات خصيصاً لى....

تتيانا : أنت على حق. تكون الهدية دائماً اجمل لما تحمله من معنى معنوى، وليس معنى مادى.
مريم : بالتأكيد.

● انتهى الحوار فى ذلك اليوم، ولكن التفكير حول ما دار أثناء الحديث لم ينته أبداً فى عقل مريم.. إن لم يكن قد بدأ تَوَّأ.. سواء كان حول شخصية تتيانا. وخفايا شخصية تتيانا، وما قد تحمله لها من مفاجآت فى المستقبل. أو التفكير فى محاولة فهم العقلية غير المسلمة وطريقة تفكيرها ونظرها للمسلمين.. كانت جميعها تساؤلات لطالما استمرت تراوح ما بين الذهاب والإياب فى عقلها. ولكن الأهم من هذا وذاك أنه قد تطرق إلى مريم سؤال غريب تمننت لو كانت وانتها الفرصة كى تطرحه على أندريه.. وهو إذا كان الغرب لا يفهمون حجاب المرأة المسلمة، ويعتقدون أن الحجاب الإسلامى ما هو إلا وسيلة لتقويض دور المرأة وإخفاء اثرها من المجتمع ومن المشاركة فى أحداثه...!! إذا كان الإسلام قد اهان المرأة بفرض الحجاب عليها حقاً كما يرى الكثيرون فى الخارج..!! إذا فما السر وراء ارتداء الراهبات الحجاب والملابس المحتشمة...!!!

بالتأكيد كان سيكون رد أندريه فى هذه اللحظة. لأن الراهبات رمز من رموز الطهارة والشرف وهن من وهبن حياتهن لله. عندها فقط تتخيل مريم انها كانت ستقول وكل امرأة

مسلمة هي رمز من رموز الطهارة والشرف وقد وهبت حياتها لزوجها وهو فقط من له الحق في الاطلاع على جمالها الحقيقي.

استمرت مريم في التفكير في احدى النقاط الهامة التي تعتبر من اهم نقاط التناقض، فمثلاً كيف ينتقد الغرب الحجاب الإسلامي بينما تظهر لديهم السيدة مريم العذراء في كل صورها كامرأة محببة...!! ألا تعتبر السيدة مريم قدوة الأمة المسيحية. وما دامت هي تظهر محببة، أليس من المفترض بباقي النساء أن يرتدين الحجاب أيضاً...!!!

أو على سبيل المثال : هؤلاء من يقولون أن الرجل المسلم الذي قد أطلق لحيته هو بالتأكيد إرهابي. حتى اصبحت اللحية الطويلة لدى الرجال الآن رمزاً من رموز الإرهاب في الخارج. فلو كان هذا الاعتقاد صحيحاً أيضاً إذاً فكيف لم يلتفت أحد إلى أن أغلب القساوسة المسيحيين بل والحاخامات اليهود من ذوى اللحية الطويلة...!!!

فلماذا يطلق على المحجبات المسلمات متخلفات، والملتحين المسلمين إرهابيين. بينما يرى العالم أجمع أن حجاب السيدة مريم أو لحية القسيس رمز من رموز الطهارة والتعبد...!!!!

إنه حقاً لأمر عجيب ولا يحتاج إلى دراسات دينية لعمل مقارنات فيما بين هذا وذاك، وإنما هو بحاجة فقط إلى تفكير منطقي. واستخدام العقل الناقد في النظر والتفكير في الحقائق الكونية الموجودة بالفعل في الكون ولكن ما على الإنسان إلا استخدام عقله والتفكير فيما وُجد بالفعل من حوله من حقائق تستمر في الظهور. ولكن هذه التساؤلات والفضول العظيم الذي كان ينمو أكثر فأكثر داخل مريم.. دفعها إلى استكمال الحديث مع تتيانا بشغف كبير، لما بدا لمريم في تتيانا من ملامح شخصية تجمع في نفسها ما بين خطوط غير إسلامية عريضة، وخطوط شرقية عريضة في ذات الوقت. لذلك كان يتمثل في شخصية تتيانا لغز لدى مريم كانت تتوق لأن تفهمه من خلال هذه الحوارات واللقاءات المستمرة.. واستمر الحديث كالآتي:-

مريم : اخبريني تتيانا.. ما هي هواياتك..؟؟

تتيانا : هواياتي القراءة والعزف على البيانو..

مريم : حقاً.. هل لديك القدرة على العزف على البيانو؟؟

تتيانا : نعم أعرف ولكنني لست ماهرة، فأنا لا زلت اتعلم. كما انني لا أملك آلة بيانو في منزلي، وإنما اقوم بعمل ذلك عن طريق لعبة عبر الإنترنت، لأتعلم عليها الألحان. وكلما رغبت في العزف الحقيقي أذهب إلى منزل إحدى صديقاتي التي تملك واحداً بالفعل..

مريم : هي هواية رائعة، وكنت أتمنى أن اتعلمها، ولا زلت اضعها على قائمة مخططاتي المستقبلية. هل لديك فكرة عن أن العزف على البيانو كان عادة من عادات الأمراء وبناء الأسر

رفيعة المستوى فى الماضى. وقد لا تزال مستمرة حتى الآن فى الأوساط الراقية ولكننى لا أعرف، لأننى ابنة الطبقة المتوسطة.

نتيانا : وهذا أيضاً الحال هنا فى روسيا، ولكن أخبرينى مريم. هل تعرفين الحياكة؟؟

مريم : آه الحياكة.. لا اعرف كيف احيك للأسف، مع علمى أنه نشاط رائع ويساعد على استرخاء الأعصاب واخراج الابداعات من الإنسان. فقد تعودت النساء المصريات منذ قديم الأزل توارث تلك العادة من الأم لبناتها. حيث كانت الامهات قد تعودن تعليمها لبناتهن. وجدتى من ناحية ابى كانت تفعل نفس الشىء مع أختى الكبرى، ولكنها قد نسيت الآن. وأنا لا أعرف شيئاً عن هذه العادة..

نتيانا : إنها عادة رائعة، أنا استطيع أن اقوم بالحياكة بطريقة رائعة، حتى أنك قد لا تتمكنين من التفريق بين ما قمت بحياكته بنفسى وما قد اشتريته.

مريم : حقاً..!!

نتيانا : نعم، فهذه من الأشياء الأساسية التى يجب على أى فتاة من أسرة فقيرة أو متوسطة أن تتعلمها هنا فى روسيا، حيث إن الملابس الشتوية غالية الثمن كثيراً هنا. بينما نستمر فى مواجهة موجات البرد الشديدة مما يتطلب منا أن نرتدى الملابس الثقيلة جداً، والتى تكلف المال الباهظ فى أغلب الأحيان.

مريم: نعم أفهم ذلك..

نتيانا : ولكن ما هى هواياتك أنت يا مريم ؟

مريم : أنا احب الاستماع إلى الموسيقى الهادئة وقراءة الأشعار الرومانسية، بالإضافة إلى القراءة.. والكتابة أحياناً عندما ينتابنى الشعور بالإلهام.

نتيانا : ما هى نوعية الكتب المفضلة لديك فى القراءة؟؟

مريم : أنا احب أن اقرأ فى مجال التاريخ والروايات على وجه العموم، كما أنه يمكن أن تقولى أن أى كتاب قد كُتب بلغة اجنبية يثير فضولى كثيراً وقد لا أتمالك نفسى أمامه. فلا أهدأ حتى اشتريه وافهم مافيه من كلمات..

نتيانا : حقاً.. إنه شىء رائع أن يكون لدى إنسان فضول معرفى هائل. فهو يساعد على زيادة معلومات وخبرات الإنسان.

مريم : نعم أنتِ بالتأكيد محقة فى ذلك.

نتيانا :هل قرأتِ كتباً روسية من قبل..؟؟ بمعنى أى الأدباء الروس قد أعجبك على الأكثر؟؟

مريم : لقد قرأتِ اثناء الدراسة بالجامعة بحكم دراستى فى قسم اللغة الروسية، ولكن للأسف لم اكن اتناول هذه النصوص بهدف المعرفة الثقافية كما الآن وإنما فقط بالصفة الدراسية حيث يمكنك أن تقولى اننى قد نسيت جميع ما درسته تقريباً.

نتيانا : حسنًا، هذا شيء طبيعي جدًا.. ولكن أعتقد أن هناك العديد من الوقت لا زال أمامك.
حيث يمكنك بالتأكيد معاودة القراءة في الأدب الروسي مرة أخرى.

مريم : إن شراء الكتب الروسية شيء يعد صعبًا نوعًا ما هنا في مصر، فهي نادرة الوجود. إما على الذهاب إلى مكتبة المركز الثقافي الروسي والمكوث ساعات هناك كي أقرأ أو الذهاب إلى مكتبة الجامعة والبحث فيها. وفي كلتا الحالتين تظل الكتب ملكًا للمكتبة وما أنا إلا زائرة. لا يمكنني الولوج إليها في أي وقت. حتى انني اذكر انني وزملائي ومنذ أن كنا طلابا في الجامعة كنا نبحث عن قاموس اللغة الروسية – اللغة الروسية. أي القاموس التفسيري بنفس اللغة. وهو قاموس نادر جدًا، بحثنا عنه مطولًا، وفي نهاية المطاف قال لنا أحد بائعي الكتب، أنه كان يُباع في مصر بالفعل منذ عدة سنوات ولكن الآن توقف الناس عن تداوله. وإذا أردنا الحصول عليه علينا الذهاب إلى روسيا وشراؤه من هناك.

نتيانا : حقًا....!!! مريم يمكنني أن اعرض عليك شيئًا، إذا قبلته سوف أفعله. وإذا لم تقبله فأنا بالتأكيد سأنتقم ذلك الأمر.

مريم : حسنًا وما هو..!!

نتيانا : لدى هنا في منزلي العديد من الكتب المدرسية القديمة، التي لا حاجة لي بها. يمكنني أن أرسلها لك عن طريق البريد الدولي كهدية.. كي تساعدك في تعلم اللغة الروسية وإكمال مشاركتك في سبيل التفوق.. إذا أمكن، وإذا لا يمكنك القبول سأنتقم.

مريم : حقًا.. نتيانا هذه مبادرة رائعة منك ولكن المشكلة في أنني لا أريد أن اجعلها عبئًا ماديًا عليك.

نتيانا : مريم هذا لا يمثل أي عبء، فأنا لن اشتريها. بل هي من الكتب القديمة التي لا حاجة لي بها. كما أن هذه الكتب تأخذ حيزًا كبيرًا هنا في غرفتي، وأريد التخلص منها وإذا لم أرسلها إليك لتخلصت منها بالتأكيد.

مريم : حقًا إنه شيء رائع، ولكن أنا لا يمكنني قبول أي شيء بدون الرجوع لوالدي واستشارته كما تعرفين، فهكذا نشأنا نحن المسلمين.

نتيانا : وأنا اتفهم ذلك، واحترمه كثيرًا لدى الشعوب المسلمة واتمنى لو أن الناس في روسيا لديها نفس العادات والتقاليد.. كما لديكم، وسأنتظر منك الرد بالموافقة أو بالرفض..

مريم : شكرًا لك نتيانا على كل شيء..

نتيانا : لاداعي للشكر.. هذا شيء طبيعي جدًا، فأنا لدى العديد من الأصدقاء من حول العالم. ولقد تعودت أن اتبادل معهم مختلف الهدايا. لدرجة انني اصبحت الآن املك مكتبة غنية بالكتب المهذاة من شتى بقاع الأرض.

مريم : عن ماذا هذه الكتب؟؟

تتيانا : كتب لتعليم اللغات، مرة من إيران.. ومرة من تركيا.. ومرة من إسبانيا. وهكذا. جميعها من أصدقاء يحملون بالتحدث باللغة الروسية. ولكن ولا واحد منهم يتحدث بمثل براعتك أبدأ.
مريم : حقًا شكرًا لك تتيانا، ما تقولينه دائمًا يكون سببًا كبيرًا في رفع معنوياتي.. سوف أخبر والدي بذلك..

• كانت مريم قد تعودت بالفعل أن كثرة محادثاتها قد أرقّت نومها بالفعل من كثرة التفكير، ولكن هذه المرة كان الأمر كبيرًا جدًا عليها لدرجة أنها لم تتمكن من النوم مطلقًا في هذه الليلة.. حيث كانت حائرة، من حيث أنها لا تعرف تتيانا، ولا تثق بها. ومهما كانت العلاقة بين مريم وتتيانا قد اقتربت فهي في النهاية تظل فتاة قد عرفتها من على شبكة الانترنت. أى تظل شخصًا غير موثوق فيه. فترى كيف من الممكن أن تستقبل منها هدية بدون أن تدفع لها ثمن تلك الهدية. وكيف من الممكن أن تأتمنها على عنوان منزلها الذى بالتأكيد سوف تضطر لإعطائه لها حتى تتمكن من إرسال الكتب عبر البريد الدولي...!!! كلها علامات استفهام لأسئلة تتداعى في ذهن مريم، والإجابات عليها غيبية تمامًا لا يعلمها إلا الله.. حتى أن مريم لم تخبر والدها بهذا الشأن كما حدثت تتيانا عندما عاد من العمل. فقد ارادت فترة صفاء ذهنى كى تفكر فيما سوف تفعله أولاً..

حتى توصلت إلى الحل الوحيد الذى سوف يُنير طريقها ويُلمها فعل الصواب، فإذا كانت جميع الإجابات على اسئلة مريم إجابات غيبية لا يعلمها إلا الله. إذاً فمن سوى الله يستحق اللجوء إليه وسؤاله عن العمل. فقد قامت مريم فى هذا اليوم وأدت صلاة الفجر حاضرا. ثم ركعت ركعتين كصلاة استخارة ودعت الله أن يُجيبها فى اقرب وقت ويُساعدها هل ترفض أو تقبل. وذلك لأنها كانت دائمة على تمام اليقين بأن الله هو وحده من يستطيع أن يساعدها فى اتخاذ هذا القرار أو اى قرار آخر، كما أن الله وحده الذى يعلم كم كانت تشفق إلى هذه الكتب منذ أن سمعت بها. فلم تكن تكاد تصدق فكرة انها من الممكن أن تتلقى طردا من الكتب القادمة من روسيا. وكل كتاب قادم يحتوى معرفة وثقافة وافكارا منقولة على الورق من عقول غير مصرية وغير عربية وغير مسلمة.. كانت تتخيل ماذا سوف يحدث لو حصلت عليها بالفعل...!!!

ترى علام سيدور محتوى كل كتاب...!!!

منذ أن عرفت مريم بإمكانية حدوث شيء رائع كهذا فى الواقع وهى تتحرق شوقًا لقبول الهدية بل واستلامها أيضًا.. لذلك قد أحالت الأمر لله وحده.

ثم قررت فى صباح اليوم التالى انها بالتأكيد يجب أن تستشير والدها كما تم الاتفاق مع تتيانا، حيث إنه لا يمكنها قبول شيء كهذا بدون علمه.. فقالت فى نفسها لو قَبِل والدى

وسمح لى إذا فسيكون هذا بمثابة رد لصلاة الاستخارة بالقبول. وإذا لم يقبل فسيكون هذا رد للصلاة بالرفض وحينها لن اندم ولن اشتاق للكتب..

ثم اخبرت مريم والدها بهذا الشأن..

والد مريم: بالطبع بوسعك أن تقبلي هدية كهذه، ولكن تحت عدة شروط. أولاً هذه الفتاة تُعد غريبة عنك، لذلك فلا يصح لك قبول هدية منها بدون مقابل مادي. اذهبي فأخبريها أنك تريدين أن تعرفي كم تتكلف هذه الكتب، كي تقومى بإرسال المال لها عبر رقم حساب البنك.

مريم : وإذا رفضت ???

والد مريم : حسناً حينها عليك إخبارها أنك لن تقبلي منها الهدية إلا فى حالة موافقتها على إرسالك لها هدية من مصر بالمقابل..

• وبالفعل... قامت مريم بفعل نفس الشيء الذى طلبه منها والدها. وعندما التقت بتتيانا فى اليوم التالى. اخبرتها بالضبط بما قاله والدها فكان رد تتيانا كالاتى :

تتيانا : مريم، لا عليك.. أنا اريد إرسال هذه الكتب إليك كهدية محبة ورمز للصدقة لا أكثر. وهذا لا يعنى بالضرورة أنه يجب الحصول على مقابل مادي..

مريم : أعرف يا تتيانا واقدر شعورك كثيراً، ولكن هذا شيء ضرورى جداً بالنسبة إلى أن تحصلى على مقابل. خصوصاً أن إرسال الطرود عبر البريد الدولى أيضاً يُكلف أموالاً كثيرة على ما اعتقد، فأنا لا اريد أن اتقل عليك.

تتيانا : مريم لقد ارسلت من قبل عدة طرود حول العالم ولم ادفع الكثير من المال، هذا بالإضافة إلى أن هذه الكتب قديمة وأنا لا أعرف ما هى قيمتها المادية الحقيقية.. لذلك لا يمكننى ببساطة قبول قيمة مادية منك على شيء أنا لا اعرف ما هو ثمنه.

مريم : إذاً فدعيني أرسل لك هدية من مصر فى المقابل.

تتيانا : مممممم..حسناً وافقت..

مريم : إذا كنتِ سوف تُرسلين إلى كُتبا لتعلم اللغة الروسية، فأنتِ لا تتعلمين اللغة العربية. لذلك لا يمكننى أن ارسل لكِ بالمقابل كتباً عربية، وإنما سأرسل لكِ شيئاً من الأشياء التى عُرِفَت مصر بتصنيعها. مثل المنتجات الجلدية. سوف أرسل إليكِ حذاء وشنطة جلدية من الصناعة المصرية... مارأيكِ؟؟

تتيانا : شكراً مريم أنا احب الشنط والأحذية كثيراً وخاصة الأحذية ذات الكعب العالى لأننى فتاة قصيرة.

مريم : إذاً سوف أرسل إليكِ شنطة جلدية وحذاء ذا كعب عال.

تتيانا : حسنًا، حسنًا يا مريم شكرًا لك...وأنا الآن لست فى منزلى فى تاليتسا. وإنما فى شقتى
المستأجرة فى يكاترينبورج. حينما أعود إلى المنزل سوف أجمع لك الكتب اللازمة وأرسلها فور
عودتى...

مريم : شكرًا جزيلاً، وأنا سأكون فى الانتظار.

تتيانا : لقد سمعت أن التعداد السكانى فى مدينة القاهرة وحدها يصل إلى قرابة ٧ ملايين
نسمة..هل هذا حقيقى؟؟

مريم : أعتقد نعم، أن التعداد السكانى لجمهورية مصر العربية بالكامل هو ٨٥ مليون نسمة
سكانية.. وبما أن مدينة القاهرة هى العاصمة، لذلك تنصدر المدن المصرية من حيث الكثافة
السكانية.

تتيانا : ولكن هذا عدد كبير جدًا بالنسبة لمدينة واحدة، أنا لا اتخيل أن اعيش فى مدينة مثل
تلك.. يكاترينبورج مثلا مدينة جميلة وهادئة ولا يتعدى عدد سكانها ٢ مليون..

مريم : هناك فرق بالتأكيد بين الإمكانية الاستيعابية لدى كل مدينة، فمدينة القاهرة على سبيل
المثال مدينة كبيرة من حيث المساحة أيضًا.. فالنزهة فى مدينة القاهرة قد تستمر لـ ٤ أو ٥
ساعات تقريبًا على الأقل، وستكونين فى خلال هذه النزهة لم تتمكنى من المرور سوى بنسبة
٤٠% من الأماكن فى القاهرة.. هل يمكنك أن تتخلى ذلك.....!!!!

تتيانا : حقًا إنها مدينة كبيرة.. فقريتى الأم تاليتسا.. قرية صغيرة أيضًا ولكن صدقًا ليس لدى أى
فكرة عن تعدادها السكانى، ولكننى متأكدة من أن كلتا المدينتين الروسييتين اللتين انتقل فيما بينهما
لا تتجاوز مدة التنزه فيهم عن نصف ساعة أو ساعة تقريبًا.

مريم : ومدينة دمشق العاصمة السورية أيضًا، تعد مدينة صغيرة جدًا مقارنة بالقاهرة. فعلى حد
علمى أن مدة النزهة فيها لا تتجاوز نصف ساعة أو ساعة على الأكثر أيضًا...

تتيانا : هل سافرت خارج مصر من قبل.. أم لا؟؟

مريم : نعم بالفعل سافرت.. لقد ذهبت إلى سوريا بلد أمى فقط...

تتيانا : وهل ذهبت إلى هناك بالطائرة أم بالسفر البرى...؟؟

مريم : بالطائرة، وذلك لأن السفر بالبر صعب ومُنْهَك جدًا..

تتيانا : هل تعرفين بلدا تُسمى روسيا البيضاء؟؟

مريم : نعم أعرفها..

تتيانا : لقد ذهبنا إليها كثيرًا أنا وعائلتى حيث إنه يمكنك القول بأن عائلة امى تعيش هناك. هى
بمثابة بلدنا الثانى ولكن هنا فى روسيا لا تُعتبر روسيا البيضاء بلدًا منفصلًا عن روسيا
الاتحادية من حيث الثقافة الشعبية واللغة وطبيعة حياة الناس هنا وهناك.. كما أنها قريبة جدًا من
هنا لدرجة اننا نذهب إليها برًا..

مريم : آه لقد فهمتك.. روسيا وروسيا البيضاء تشبهان سوريا ولبنان.. هما بلدان منفصلان سياسياً ولكن جغرافياً قريبان جداً من بعضهما.. لدرجة أن خالي قد قال لي أنه يذهب من سوريا إلى لبنان بالسيارة ويعود في خلال يومين فقط لقرب المسافة بينهما.
تتيانا : نعم.. اعرف ذلك، لقد درست جغرافيا من قبل.

مريم : وأنا أيضاً ولكنها فقط ليست من موادى الدراسية المفضلة. فأنا أفضل التاريخ أكثر.
تتيانا : اعرف انها ليست شيئاً مثيراً ولكنى احبها.. فأنا أحب التطلع إلى أماكن دول العالم المختلفة.. فأنا مثلاً اتمنى أن اتمكن من ادخار المبلغ الملائم لى كى اسافر واقوم بزيارة تركيا.
فانا احب هذه البلد كثيراً.

مريم : وأنا احب هذه البلد كثيراً، ولقد قرأت بالفعل عدة معلومات مختلفة عنها من قبل.. واتمن أن اقوم بزيارتها بدورى أنا الأخرى.

تتيانا : مريم أخبرينى هل لديكم مترو انفاق فى مصر؟؟؟

مريم : نعم لدينا بالتأكيد. فالعاصمة كما أخبرتك من قبل مدينة مزدحمة ومكتظة بالسكان ومترو الأنفاق يلعب دوراً هاماً فى تسهيل العملية المرورية وتوفير الوقت للانتقال بين الاماكن المختلفة..

تتيانا : وهل ترتادينه أنتِ فى العادة..؟؟

مريم : نعم بالطبع ومن لا يفعل.. حتى انهم قد قاموا بتخصيص عربتين من عربات المترو لركوب السيدات فقط..

تتيانا : ولماذا فعلوا ذلك...؟؟

مريم : لحماية النساء من المضايقات والتحرشات وما إلى آخره من مخاطر قد تتعرض لها النساء جراء ركوبهن المترو وخاصة فى ساعة الذروة..

تتيانا : حقاً انتم أيضاً لديكم هذا النوع من المضايقات، لقد تصورت أنه موجود فى روسيا والدول غير المسلمة فقط..

مريم : بالطبع هو موجود هنا ولكن بنسبة قليلة نسبياً، ولكن أنا لا اتصور أنه يوجد بلد على وجه الأرض، أو شعب لا يوجد فيه الصالح والطالح من البشر. فكما نحن لدينا من البشر من هم ذوو الأخلاق العالية. لدينا أيضاً من هو شاذ عن القاعدة ويقوم بإثارة المشاكل والمضايقات بشتى انواعها باستمرار.. وهكذا...

تتيانا : نعم أنتِ على حق.. فنحن هنا فى روسيا على سبيل المثال، نقوم بتحذير النساء والفتيات فى كل عيد بعدم الخروج من المنزل وحدهن، أو عدم البقاء خارج المنزل لوقت متأخر. لأن الإفراط فى الشراب يُعتبر من عادات الرجال فى العيد، لدرجة أن الإنسان قد يرتكب جريمة اعتداء ولا يذكر ما فعله فى اليوم التالى..

مريم : مُذهل ما قد يُمكن للخمر أن يفعله بالناس.. أنا لم اشرب الخمر يوماً فى حياتى لأنه من المحرمات فى الدين الإسلامى.

تتيانا : أنا اشرب أحياناً فى الأعياد والاحتفالات ولكن لا أفرط أبداً.. فقط كأساً أو كأسين حتى لا أفقد وعيى والسيطرة على تصرفاتى.

مريم : هذا أفضل....

تتيانا : مريم معذرة على إغلاق المحادثة الآن، فانا استعد للعودة فى نهاية الأسبوع هذه إلى قريتي لزيارة امى وعائلتى.. وعندما سأعود سوف احضر معى الكتب اللازمة من هناك وحينها سوف آخذ منك العنوان..

مريم : شكراً تتيانا... كثيراً، اتمنى لك قضاء عطلة ممتعة...

تتيانا : إلى اللقاء...

• وهكذا اغلقت مريم المحادثة مع تتيانا، ولكنها لم تغلق باب الأحلام أبداً.. أو المحادثة مع ذاتها عن هؤلاء الضيوف الجدد.. فقريباً سيبقى بين تلك الكتب الموضوعه فى مكتبتها الصغيرة داخل غرفتها. إخوة آخرون.. وفكر جديد يعرض نفسه. فكم حلمت مريم بالسفر إلى روسيا لشراء الكتب من هناك.. كم حلمت بذلك. وكم هو رائع وجميل الله عندما يستمع إلى ادق واصغر رغبات الإنسان الدفينة ليقوم بتحقيقها له بدون سابق إنذار. فهل حقاً ستتحقق لمريم تلك الفرصة العظيمة بامتلاك كتب قادمة من روسيا.. هل ستتحقق لمريم فرصة إضافة عدة حيوات روسية إلى عقلها وتجاربيها الإنسانية. فالقراءة لا تعنى فقط القراءة، وإنما كل كتاب يحمل فى داخله اسرار حياة من كتبه، وألغازا مستوحاة من عقله، ومُهداة لجمهوره الذكى.. لذلك كانت مريم ترى أن على كل قارئ أن يقرأ دائماً ما بين السطور ويفتح عقله وقلبه كى يتلقى تلك الأسرار ويقوم بإضافة عدة حيوات أخرى إلى حياته. إلى أن يصبح لديه من الخبرة ما يجعله يبدو كما لو أنه قد عاش ألف مرة.. وليس مرة واحدة.. لذلك فإنها منذ ذاك اليوم الذى عرفت فيه مريم عن قدوم تلك الكتب، وهى فى انتظارها على أحر من الجمر. فقد اعتادت انها كلما مرت من أمام تلك المكتبة الصغيرة الموضوعه داخل غرفتها، تنتظر إلى كتبها المتواضعة نظرة كما لو أنها تتوعد نفسها وتتوعد الكتب بقدوم الأفضل، والأحدث.. فكانت تحدث نفسها قائلة : قريباً سيكون لدى كتب روسية.. أنا سعيدة جداً جداً....

ثم عادت تتيانا من قريتها.....

مريم : مرحباً.. تتيانا كيف حالك...!!!

تتيانا : أنا بخير وانتِ...!!!

مريم : أنا بخير.. أيضاً.

نتيانا : لقد عدت اليوم، وأنت معى امى واختى، ولقد جلبت لكِ القاموس التفسيرى الذى كنت تتمنين الحصول عليه، وبعض كتب الأطفال التى كُتبت بأسلوب مبسط. وسوف أرسلها غداً..

هل يُمكننى أن آخذ العنوان الآن...!!!

مريم : نعم بالتأكيد، وشكراً لكِ مرة أخرى نتيانا...!!!

مريم كتبت لنتيانا العنوان باللغة الإنجليزية...

نتيانا : أمى هنا معى الآن فى نفس الغرفة وهى تود إلقاء التحية عليكِ...!!

مريم : نعم بالتأكيد على الرحب والسعة فلتفضل.. مرحباً سيدتى..

والدة نتيانا : مرحباً، مريم.. كيف حالكِ...!!!

مريم : أنا بخير، وحضرتكم...!!

والدة نتيانا : كل شىء بخير هنا الآن، وكيف هو حال الطقس فى مصر.

مريم : هو حار جداً الآن فنحن تماماً فى فصل الصيف.

والدة نتيانا : كما هو هنا الآن، ولكنه ليس حاراً جداً كما فى القاهرة على ما أعتقد، فطبيعة

الطقس مختلفة كلياً فى روسيا عن مصر.

مريم : نعم أعرف ذلك...!!!!

نتيانا : مريم، أمى تريد أن تعرف هل من السهل الحصول على عمل كمرضة فى مصر أم لا

؟؟

مريم : صدقاً، نتيانا لا أعرف ذلك، فليس لدى أى معارف يعملون فى مجال الطب. ولكن

العثور على عمل اصبح شيئاً صعباً على وجه العموم فى مصر..

نتيانا : وهنا أيضاً، ولكن ليس بتلك الصعوبة كما لديكم.. فأمى تعمل فى مجال الطب ولكنها

ليست طبيبة..

مريم : ممرضة؟؟؟ لقد فهمت انها ممرضة..

نتيانا : انها الشخص الذى يقوم بالتنظيف فى المستشفى والعيادة والأماكن التى مثل هذا.. هل

من السهل إيجاد هذا العمل فى مصر، وهل يكون الأجر عالياً أم لا؟؟

مريم : صدقاً يا نتيانا ليس لدى ادنى فكرة عن هذا، ولكننى سوف اسأل والدى فى حال أنه من

الممكن أن يكون يعرف اشخاصاً يعملون فى هذا المجال.

نتيانا : حسناً شكراً.. مريم، أختى ناستيا الصغيرة هنا، وهى تود أن تلقى عليكِ التحية أيضاً..

نحن نقول لها ناتاشا...

مريم : مرحباً ناتاشا...!!!

ناتاشا : مرحباً مريم... (ويبدو صوت نتيانا فى الخلف وهى تقول لأختها أن لا تخجل وتحدث

إلى مريم)

نتيانا : عذرا مريم هي لم تكمل الحديث لأنها لا زالت صغيرة وتخجل كثيرا.

مريم : عادى.. هذا شىء عادى كثيرا يا نتيانا.. هي لا زالت طفلة.

نتيانا : مريم أريد أن أذهب الآن.. فأنا وأمى لدينا الكثير من الأعمال المنزلية كي نقوم بها..

مريم : حسناً كما تُحبين...!! تفضلى.

* وهنا ذهبت نتيانا مبكراً كثيراً وتركت مريم جالسة لا تفعل شيئاً على شبكة الإنترنت. حيث كانت قد اعتادت على الحديث مع نتيانا فى هذا الوقت من اليوم.

لذلك قررت مريم أن تستغل هذا الوقت فى تعلم اللغة الروسية كما لو انها فعلت مع نتيانا تماماً. فكانت مريم قد قامت بالفعل بإضافة عدة صفحات روسية لديها على موقع الفيس بوك.. كي تتمكن من الاطلاع وقراءة بعض المقالات الروسية من عليها كل يوم. فكان هذا يساعدها دائماً فى العثور على كلمات ومصطلحات جديدة، كما كانت قراءة تعليقات الناس تُعلمها بعض الكلمات من اللغة الروسية الشعبية المستخدمة فى الشارع. ولكن لم يكن يتسنى لها الوقت دائماً كي تفعل ذلك، لأنها وببساطة كانت تقوم بقضاء كل الوقت المُتاح لها على الإنترنت تتحدث إلى نتيانا. وإن لم تكن تفعل ذلك، كانت تقضى باقى الوقت إما فى حفظ الكلمات الروسية الجديدة التى تعلمتها من نتيانا نفسها.. أو تقوم بقضاء الوقت مع اسرتها.. ولكن فى ذلك اليوم كان لا يزال أمامها وقت.. لذلك فعلتها وقامت بفتح موقع الفيس بوك والاستعلام عن كلمات جديدة.. فوجدت فى طريقها أغنية روسية كانت قد شاركها نتيانا مع باقى اصدقائها.. فاستمعت إليها عدة مرات، لتجد نفسها بعد ذلك على صفحة نتيانا نفسها. فظلت مريم تقرأ التعليقات والكلمات التى قد كتبتها نتيانا من قبل والتى كتبها لها اصدقائها من قبل.. إلى أن وصلت إلى أحد تعليقات نتيانا على احدى الصفحات التى قد أسست خصيصاً للفتيات والنساء فى روسيا. حيث كان عنوان الصفحة.. " ممنوع دخول الرجال هنا " والذى لفت انظار مريم انها وجدت بداية التعليق كالاتى.. لقد تحدثت بالأمس إلى فتاة عربية مسلمة من مصر، وكانت... وهنا فتحته مريم على الفور لأنها عرفت أن الكلام فى هذا التعليق يدور حول قصتها هي نفسها وبالفعل. كان تاريخ التعليق يرجع إلى أول يوم تحدثت فيه نتيانا إلى مريم عبر الإنترنت.. وكانت تروى لأصدقائها قصة مريم وتقول :

" لقد تحدثت بالأمس إلى فتاة عربية مسلمة من مصر، وكانت تتحدث اللغة الروسية ببراعة كبيرة. حيث بدأت رحلتها من عدم رغبة فى اللغة الروسية، ولكن على الرغم من ذلك تمكنت من القضاء على مشاعر عدم الرغبة بداخلها. واعتبرت اللغة الروسية تحدياً كبيراً يجب عليها الوصول إليه فى حياتها. وبدأت العمل والدراسة بجد واجتهاد إلى أن أصبحت الآن تتحدث اللغة الروسية ببراعة وبلهجة قوية وبارزة ومتفردة من نوعها أيضاً. وعندما سألت هذه الفتاة عن أحلامها أخبرتنى عن احلام كثيرة وطموحات تسعى بالفعل لتحقيقها. وهى فتاة مثقفة ومتعلمة

وذات فكر، وصريحة جداً أيضاً.. كما أنكم ستدهشون لمعرفة انها تُشاهد برامج تليفزيونية من أشهر البرامج لدينا مثل برنامج " بوست جافارايات " وبرنامج "بايديناك". أنا ذهلت حقاً عندما تعرفت عليها لذلك قررت أن اشارككم هذه القصة.

كانت مريم فى قمة السعادة عندما قرأت كلمات تتيانا عنها، حيث شعرت بالسعادة والفخر فى نفس الوقت. وما أسعدها أكثر هى التعليقات التى قد كُتبت أسفل كلمات تتيانا رداً عليها.. فقد كتبت إحدى السيدات " الفتاة المدهشة، أبلغيتها تحياتنا جميعاً.. وأخبرتها أيضاً اننا نتمنى المزيد لمصر ". وكتبت سيدة أخرى " تحياتى وإعجابى الشخصى بهذه الفتاة الشجاعة"، ومع ذلك فإن التعليق الأخير كان يحمل فى معناه ما يُسعد وما يُغضب مريم فى نفس الوقت.. حيث كانت إحداهن تقول " النساء المسلمات قد بدأت مؤخرًا فى الاستيقاظ، بدأت فى معرفة أنه يجب عليهن المشاركة فى الحياة والتعلم ".

سعدت مريم بقراءتها هذا الكلام عن نجاحها الشخصى الصغير المتواضع، الذى قد حصلت عليه بفضل الله.. وحزنت كثيراً بسبب فكرة الغرب عن النساء المسلمات بعدم المشاركة فى الحياة العامة والسلبية والتأخر. فإذا اعتقد البعض أن مريم مختلفة، فهى بالتأكيد تتمنى أن يعتقد الجميع أن الإسلام أعز المرأة ولم يَقم بإذلالها ولكن من فعل ذلك هو الحكم الطغيانى المتجبر. الذى لم يَقم بإذلال المرأة فقط، بل بإذلال عامة الشعب..عندما أهمل التعليم والتربية الفكرية والأدبية، وقضى على أحلام الناس وطموحاتهم وتطلعاتهم. ولكن للأسف فإن الناس فى الخارج لا تستطيع التفريق بين هذا وذاك. بل ويظنون أن الإسلام هو سبب تأخرنا....

ولكن مريم على أمل دائم انها تستطيع أن تساعد فى تغيير تلك الصورة، حتى ولو بدرجة بسيطة باستخدام اللغات التى قد تعلمتها.. على أمل انها تستطيع أن تفعل شيئاً حتى ولو كان بسيطاً وضئياً ولكنه بالتأكيد سيكون فى حب الله.

لا زال هناك أمل مادامت هناك حياة، وما دام فى القلب نبض.... هذا هو مبدأ مريم.. التى لا تعرف شيئاً اسمه يأس أو فقدان أمل.. وكيف تفقد الأمل والله رب العباد موجود فوق سبع سماوات لا ينام ولا يغفل عن شىء....

فمريم كانت على ثقة من أن أى نجاح قد وصلت إليه، أو ستصل إليه هو بفضل الله وحده ومساعدته العظيمة لها....

* استمرت مريم وتتيانا بعد ذلك فى الحديث، لما يقرب من شهر أو شهرين.. بينما كانت الكتب قادمة فى الطريق، حيث عرفت مريم أن تتيانا قد ارسلتها عبر البريد البحرى، الذى يستغرق وقتاً أطول من الجوى...

وكان كل حوار بينهما بمثابة خطوة أقرب لتتيانا تخطوها باتجاه قلب مريم...

حتى جاءت إحدى المرات التي اعتذرت فيها تتيانا أيضاً عن اللقاء مع مريم فى نفس الموعد.. لتجد أن امام مريم لا يزال هناك وقت فراغ تريد أن تملأه. فوجدت نفسها مرة أخرى جالسة تتأمل على صفحة تتيانا تقرأ التعليقات والكتابات الخاصة بتتيانا على سبيل المعرفة.. وفجأة وجدت أحد التعليقات التي قد كتبتها تتيانا على احدى الصفحات الروسية التي تحمل عنوان " هذه الصفحة تعمل على منع إنشاء المساجد فى روسيا ". حيث كان تعليق تتيانا تمامًا تحت إحدى الصور لكاتبة أجنبية شهيرة كُتبت عليها مقولتها التي تقول.. إن المسلمين يحاولون القضاء على ثقافتنا.. وإجبارنا على الانضمام إلى دينهم.. أنا اكرههم واحترهم واعتقد أن العالم سيكون مكانًا اجمل بدون المسلمين..

صدقًا.. إن مريم قبل أن تقرأ تعليق تتيانا توقعت انها ستقرأ دفاعًا عن المسلمين.. وذلك لأن مريم كانت على ثقة من أن تتيانا تفهم جيدًا وتعنى ما معنى الاسلام.. ومن هم المسلمون.. طبقًا لكلمات تتيانا نفسها بالفعل، وليس طبقًا لحديث مريم..

فطالما تحدثت تتيانا عن إعجابها بالمسلمين وطريقة معيشتهم وما إلى آخره. ولكن المفاجأة الحقيقية كانت كالصاعقة التي هبطت على رأس مريم.. حيث وجدت أن تعليق تتيانا على الصورة ما هو إلا ذم فى الإسلام وتأييد لهذه الفكرة الغربية تمامًا عن المسلمين وطبيعتهم. حيث شعرت مريم وللمرة الأولى أن تتيانا كاذبة تمامًا، وكل ما قالته عن تأييدها للمسلمين وإعجابها بهم ما هو إلا كذبة لأهداف غير مبررة بالمرّة. إن احترام الرأى الآخر لا يعنى بالضرورة الاتفاق معه، ومريم كانت على سعة من الصدر تكفى لأن تجعلها تستوعب رأى تتيانا أو اى انسان آخر فى الدين الإسلامى.. ولكن الذى جعلها تشعر بهذا السوء هو شعورها بأن تتيانا كانت تتفقها ليس أكثر. ولو كان هذا هو رأى تتيانا حقًا فى الدين الإسلامى، إذًا ترى ما هذا الذى دفعها كي تتحدث مع مريم بهذا الأسلوب الرائع عن المسلمين من قبل.. كان بالأحرى بها أن تصمت ولا تعبر أبدًا، أو تقول الصدق مثلما فعل أندريه.. ولكن يا للعجب، حقًا يا للعجب..

* وهنا قررت مريم أن تترك صفحة تتيانا لتلقى نظرة على محتوى هذه الصفحة التي تدعو لمنع انشاء المساجد فى روسيا. وبالفعل.. فكل ما وجدته هو رسوم كرتونية مُسفة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم. وسب وذم بطريقة خارجة جدًا ومُهينة عن المسلمين.. وآراء وتعليقات كثيرة تؤيد هذا الحكم وهذه الصور غير اللائقة بالمرّة وما إلى آخره.. ولم تجد تعليقًا واحدًا يدافع عن الدين فشعرت مريم بدورها بالإهانة وقررت أنه من الواجب عليها كتابة رد على هؤلاء.. باستخدام لغتهم " اللغة الروسية " وبالفعل كتبت الآتى :-

" السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أنا مريم، فتاة مسلمة اعيش فى مصر. واود أن اقوم بتوجيه رسالة لكل الأعضاء على هذه الصفحة. لماذا تسبون الإسلام...!! أنا اعرف جيدًا أن سب الديانات الأخرى ليس من شيم المسيحيين الشرفاء. فنحن هنا فى مصر على سبيل

المثال نعيش في مجتمع يجمع بين المسيحيين والمسلمين.. ولم يُقدم أي منهم يوماً على الاعتراض على بناء مسجد أو كنيسة.. ولم يكن منهم يوماً من يهدر من وقته ومجهوده عبر انشاء صفحات لمعاداة الدين الآخر. نحن إخوة هنا. صدقاً أنا لم أقرأ الانجيل يوماً ولكنني على يقين من أن أي كتاب ديني مقدس كالإنجيل لن يُحرض الناس على سباب الديانات الأخرى، تماماً مثل القرآن الكريم الذي علمنا احترام معتقدات وديانات الآخرين وعدم التدخل فيها.. لذلك على الرغم من وجود صفحات كثيرة معادية للإسلام، لن تجد واحدة مصنوعة من المسلمين لمعاداة المسيحية.. أنا لن أرد عليكم السباب بالسباب لأنني مسلمة واخلق ديني تمنعني من ذلك. ولكن ادعوكم أن تتفهموا فكرة المحبة والسلام المتبادل بين الديانات جميعاً، وان تتفهموا انكم بهذه الطريقة لن تغيروا شيئاً سوى انكم تقومون ببث دعوة للكراهية بين الناس وهذا أيضاً ليس من شيم المسلمين.. اتمنى من صاحب هذه الصفحة أن يقوم بتغيير فكرتها.. وإذا أردت أن تعرف أي شيء عن المسلمين وعن الإسلام الصحيح كل ما عليك فعله هو القراءة.. فما تفعله هنا هو إهدار للوقت والمجهود بينما يمكنك فعل أشياء مفيدة في حياتك أكثر من البقاء ليلاً ونهاراً على شبكة الإنترنت بغرض الترويج لشائعات ضد الدين الإسلامي. بينما يتضح لي انكم هنا تدينون بالمسيحية، فأنا اتساءل ثرى ما هو الفرق بينكم وبين مسيحي مصر.. لماذا هم يتعاملون باحترام وانتم لا..!! بالتأكيد لا يمكننا إلقاء اللوم على الدين المسيحي، بل أنتم..!! أنا اريد أن تنتشر السلام والمحبة بين الأديان جميعاً.. وشكراً لكم.."

* كتبت مريم هذه الرسالة وتركتها مفتوحة على الصفحة، وانتظرت حتى تتلقى تعليقاً بالرد من صاحب الصفحة الذي كان يقوم بالتعليق على شخص مباشرة بعدها بدقة.. ولكن في هذه المرة انتظرت نصف ساعة.. ثم ساعة ولا تعليق ولم يرد عليها أحد.. حتى وجدت أنه قد تم محو رسالتها.. وتجاهلها الجميع بل والأكثر من ذلك، تم حذفها ومنعها من الكتابة على الصفحة نهائياً.. فاستشاطت غضباً لذلك.. ولكن أرادت حقاً أن تكتب للقائمين على الصفحة، أهذا جل ما استطعتم أن تفعلوه.. أهذا هو الرد.. أم توقعتم من أي انسان مسلم أن يرد السباب بالسباب حتى نظهر أمام العالم غير متحضرين؟؟؟..

ظلت مريم تردد فيما بينها كلمة حسبي الله ونعم الوكيل.. حسبي الله ونعم الوكيل. ثم تيقنت لفكرة، انها بهذه الطريقة قد انتصرت عليهم.. لأنه ببساطة وأياً كان من هو قائم على هذه الصفحة.. فهو لم يجد أي كلمة ملائمة للرد عليها سوى بمنعها وبمحو رسالتها.. وهذا يؤكد على حقيقة أن من يقوم بسبب الدين الإسلامي يفعل ذلك بإرادته ولرغبة منه في سب الدين، وليس لسبب ما في الدين يستدعي الوقوف عليه.. وليس بسبب أنه قد تعرض للتضليل من قِبَل وسائل الإعلام أو غيرها..

• ثم عادت مريم بعد ذلك إلى صفحة تتيانا لتتابع القراءة عليها، فوجدت أن تتيانا قد قامت بنشر مقال بعنوان " دور ستالين في تأسيس دولة إسرائيل "، لقد لفت العنوان نظرها كثيرًا فقامت بطباعته كي تتمكن من قراءته بتروٍ في وقت لاحق.. وانتبهت إلى التعليقات على الموضوع والتي كانت كالاتى..

أحد اصدقاء تتيانا : لا اعرف لماذا يكره العالم اسرائيل.. فنحن شعب الله المختار.!!!
صديق آخر : لقد عانت اسرائيل من معاداة السامية على مدى عصور، ولا زالت تعاني منها حتى الآن.. بدليل هجوم جيرانها العرب عليها والاعتداءات من قبل إرهابيي غزة وغيرها..
تتيانا : اعرف هذا جيداً.. واتفق معه كثيراً. ولكن السبب الرئيسي الذى دفعنى لنشر هذا الموضوع هنا، هو اننى لم اكن اعرف شيئاً عن بواذر تأسيس دولة إسرائيل، والدور الذى لعبه ستالين فى هذا.. كما اننى اعرف جيداً أنه لولا وجود دولة اسرائيل لبقينا حتى الآن ضائعين بلا وطن.. وبلا أمة. فبالرغم من كل شىء ستبقى اسرائيل دائماً هى الوطن الذى يجمعنا، والأمة التى تحتضن اليهود من كل انحاء العالم.

• إذا كانت كلمات تتيانا المعادية للإسلام سابقاً تُعد صاعقة على مريم، فإن فى هذه الحالة كادت مريم أن تُصاب بإعياء من شدة الذهول والدهشة...
فقد اتضح الامر أخيراً، بأن تتيانا هى فتاة يهودية..!!!!
مريم كانت طوال هذا الوقت تتحدث وتصادق فتاة يهودية....!!!!
اتضح أن مريم كانت تصادق فتاة يهودية، مريم التى تعيش فى مجتمع لا يعرف سوى المسلمين والمسيحيين... هل هى حقاً صديقة لفتاة يهودية..!!
ان هذا لأمر غريب عجيب.. وكيف تسوق الأقدار الناس إلى حيث لا ترغب اقدمهم الوطء فيه أبداً...

لطالما تمنت مريم فى الماضى أن تتحدث إلى شخص يهودى، وتناقشه لترى ما هو الفارق بين اليهودى والصهيونى.. لطالما تمنت مريم أن تتحدث إلى شخص يهودى كي تسأله وجهاً لوجه ما إذا كانت المجازر البشعة التى تُرتكب كل يوم على ارض فلسطين هى شىء طبيعى فى الرأى العام الإسرائيلى الداخلى. ولكن فى هذا الوضع كان الأمر مختلفاً فتيانا لم تُخبر مريم عن دينها الحقيقى، على الرغم من أن مريم كانت قد حدثتها بالفعل على انها مسلمة.. ولم تخبئ حقيقة دينها. إذا فلماذا لم تفعل تتيانا المثل...!!!!
لماذا بادرت تتيانا بمساعدة مريم لدرجة إرسال كتب إليها كهدية، وإظهار عدم استعدادها لتلقى شىء فى المقابل....!!!

لماذا كانت تتيانا تُبدي إعجابها بالمسلمين وبحياة المسلمين.. بالرغم من كراهيتها لهم وتصريحها بذلك.. وتُرى ما هو الهدف من الحديث مع فتاة مسلمة منذ البداية...!!!!
والسؤال الأكثر الأهمية من كل هذا.. لماذا قد كتبت تتيانا على صفحتها على موقع الفيس بوك، أنها تدين بالمسيحية الأرثوذكسية..

اسئلة كثيرة كانت تتوارد إلى ذهن مريم فى هذه اللحظة، والتي جعلتها مُشتتة الذهن والتفكير ولا تعرف ما العمل.. فقد ظنت مريم انها قد اقحمت نفسها فى شىء لا تعرفه،.. ولكن كان عزاؤها الوحيد فى انها قبل أن تقبل تلك الهدية من تتيانا كانت قد صلت صلاة استخارة وتوكلت على الله.. لذا فإن الأمر الآن قد اصبح بيد الله وحده، وهو من سيتولاها ويحميها هى وعائلتها. إذا كان فى الأمر سوء لقدّر الله..

كل هذه كانت عبارة عن شكوك، تأتي وتذهب فى رأس مريم.. لعدة أيام لم تستطع الاقتراب من شبكة الإنترنت، قبل أن تهتدى إلى حل ما.. خاصة أن مريم كانت بالفعل تشعر بالعرفان بالجميل لهذه الفتاة الروسية..

حيث قد تحسن مستوى مريم تحسناً ملحوظاً بالفعل فى اللغة الروسية بعد أن عرفت تتيانا.. هذا بالإضافة إلى انها التى عرضت إرسال الكتب القادمة إليها. كل هذا يعتبر معروفاً فى رقبة مريم لا يمكن أن تنساه أبداً.

لذلك كانت مريم تشعر وكأنها بين شعورين متناقضين.. فقد كانت حقيقة أن تتيانا قد أخفت يهوديتها عنها تدفعها بعيداً.. بينما حقيقة الصداقة التى نشأت بينهما والمعروف الذى تدين مريم به لها يعود مرة أخرى ليجذبها نحو تتيانا.. بل إن معرفة مريم أن تتيانا يهودية قد ذكرها بحديثها السابق مع أندريه عن اليهود.. وعن إمكانية نشوء صداقة قوية جداً بينها وبين إنسان يهودى مثل تلك، التى بينها وبين صديقتها..

هل تحقق ظن أندريه حقاً.. ام أن الله أراد أن يجعلها ترى جانباً خفياً من حياة أناس كانوا ابعد ما يكون عن مخيلتها..

ومريم كفتاة صغيرة فى السن قليلة الخبرة. كانت قد تعودت أن تتبع مشاعرها فى كل جوانب الحياة. وخاصة فى التعامل مع الأصدقاء.. فكانت دائماً ما تجد لديها صديقة مفضلة أكثر من الأخرى.. وجميعهن درجات طبقاً لقرب كل واحدة من قلب مريم. وتتيانا بالفعل كانت قد اصبحت صديقة عزيزة لديها. لذلك فإنها فى أمس الحاجة لاستشارة شخص أكبر منها. ولكنها لم تُرد أن تلجأ لوالدها فى هذا الامر، بدون أى سبب.. قررت أن تفكر فى البداية كيف ستتعامل مع الموقف وحدها..

وبناءً على ذلك.. وبعد عدة أيام من التفكير المتواصل قررت أن تلجأ إلى إحدى السيدات المتديئات كثيراً اللاتى كانت مريم تعرفهن. كانت هذه السيدة فى الحقيقة قريبة جداً من قلب

مريم، فهي امرأة تخاف الله كثيرًا وتتعامل مع الناس بأخلاق الإسلام، وليست فقط امرأة تصلى وتقرأ القرآن بينما يخفى الإسلام عن تعاملاتها الشخصية مع الناس.. السيدة سهام عبدالله والدة إحدى صديقات مريم المقربات.. جهاد.

وعندما هاتفتها مريم، واخبرتها عما حدث بالتفصيل، كانت نصيحتها الوحيدة لمريم أن تقوم بقطع علاقتها بهذه الفتاة على الفور. حيث إن الدين الإسلامي قد اباح مصادقة النصارى، ولكن اليهود لا.. فاليهود قد عُرف عنهم منذ قديم الأزل العديد من الخصال الشريرة المتوارثة بينهم عبر الاجيال ومن أهمها الغدر والخداع..

صدقًا إن كلام هذه السيدة قد اقنع مريم، ولكنها ارادت أن تستعرض آراء عدة اصدقاء في البداية قبل أن تطلق قرارًا في هذا الشأن.

لذلك سألت صديقة لها مثقفة اسمها هدير : وكان تعليقها أنه أمر عادى ولا يوجد فيه أى ريب. وماذا لو تتيانا يهودية، فهناك فرق كبير بين اليهودى والصهيونى...واقترحت على مريم أن تتابع صداقتها بها كما لو أن شيئًا لم يحدث. فهو ليس بالأمر الجلل..

وهكذا استشارت مريم عدة اصدقاء حتى انقسم الجميع بين رأيين.. البعض أن تتعد نهائيًا عن هذه الفتاة، والآخر أن تبقى لأنه شىء طبيعى وعادى ونحن نعيش فى عصر الانفتاح..

وبعد فترة من التفكير فى الموضوع من شتى الجوانب.. قررت مريم انها لن تقطع علاقتها بهذه الفتاة هكذا وبدون اى سبب واضح، كما أنها لن تصارحها بمعرفتها بدينها الحقيقى.. فإن آثرت تتيانا إخفاء حقيقة دينها، فلها ذلك وعلى مريم أن تحترم هذه الرغبة. وستقف معها دائمًا عند حدود الأدب ومكارم الأخلاق ولن تبادر بفعل أى تصرف قد يكون غير مبرر، إلا انها وفى نفس الوقت قد عزمت على ألا تعود العلاقة على نفس الدرجة من القرب.. بمعنى آخر ستنتظر لترى.. وبالتأكيد، إذا كان هناك سوء ستعرفه مريم مع الأيام...

• وبعد عدة أيام من معرفة مريم بشأن ديانة تتيانا الحقيقية، وصلت الكتب إلى مصر. وكان وصولها ذا وقع رائع فى نفسها، على الرغم من أن هذه المجموعة كانت تتكون من ٥ كتب للأطفال وقاموس فقط.. وليس كما وصفتها تتيانا بأنها مجموعة كبيرة من الكتب القديمة التى تأخذ حيزًا كبيرًا فى المساحة لدرجة جعلتها تود التخلص منها، كما أن كتب الأطفال هذه تكاد تكون عديمة الجدوى لغويًا وفكريًا بالنسبة لدارس لغة روسية فى مستوى مريم المتقدم.. وما تمثله هذه الكتب من تفاهة فكرية لأى انسان راشد، وبساطة لغوية قد تفيد المبتدئين فى دراسة اللغة وليس مريم.. فأصبحت الاستفادة الفعلية لها من هذه الكتب المرسله عبر البريد الدولى، تتمثل فى القاموس الروسى - روسى، الذى طالما بحثت عنه فى الأسواق المصرية وعجزت عن العثور عليه.

مرت الأيام.. وكانت الفتاتان تتعاملان بأسلوب عادى جداً، لم يتغير شيء سوى عدم انتظام مكالمتهما كما فى السابق.. حقيقة لإنشغال تاتيانا بعمل جديد، ولرغبة مريم فى إبعاد المسافات فيما بينهما بعض الشيء..

وبعد فترة.. كان هذا اليوم الذى ادخرت فيه مريم بالفعل المبلغ المناسب، لأجل شراء الهدية الموعودة وإرسالها لتتيانا. التزاماً بالاتفاق السابق بينهما وكما وعدتها مريم بالضبط.. انها سوف تتأخر قليلاً فى إرسال هديتها، لأنها لاتعمل ولا تريد أن تُحمل والدها نفقة هذه الهدية.. فمريم فتاة تُحب الاعتماد على نفسها، ولذلك تفهمت تاتيانا هذا الشعور وانتظرت.. وعندما حان الوقت لشراء الهدية....

مريم : تاتيانا، لقد ادخرت المبلغ الملائم وأود إرسال الهدية لك كما وعدتك من قبل.. فمن فضلك أخبريني عن قياس قدمك حتى أرسل لك الحذاء وما هو اللون المفضل.. الذى تفضلين الحصول على الحذاء به.

تتيانا : شكراً يا مريم كثيراً.. قياس حذائي هو رقم ٨.. ولكننى اردت أن اتحدث إليك بخصوص شيء ما..

مريم : تفضلى...

تتيانا : لقد قررت ترك دراسة اللغة التركية، والبدء فى دراسة اللغة العربية.. وقد تعلمت الحروف الأبجدية وحدى فى المنزل وأنا بحاجة لمساعدتك فى ذلك..

مريم : حقاً.. رائع.. سوف اساعدك بالتأكد، ولك مطلق الحرية فى السؤال عن أى شيء.. وتأكدى أننى سوف أفعل ما بوسعى.. ولكن لماذا قررت أن تقومى بدراسة اللغة العربية، مع معرفتك بأنها لغة صعبة جداً وليس من السهل دراستها.

تتيانا : شكراً لك كثيراً مريم..لقد فعلت ذلك إعجاباً منى بثقافتك ولغتك.. وأنا على تمام العلم بمدى صعوبة هذه اللغة، ولكننى اتمنى أن اتمكن من فعلها.. واعتقد أن اصعب جزء فى اللغة هو العثور على شخص عربى يتحدث الروسية ويرغب فى المساعدة. ولقد عثرت عليه بالفعل وهو أنت.. أليس كذلك...!!

مريم : طبعاً بالتأكيد.. سوف أساعدك بكل ما أمك كما اخبرتك.. تتيانا.. ماذا تفضلين.؟؟. أن أرسل لك حذاء وحقيبة من مصر، ام ارسل بدلاً منهم كتباً لتعليم اللغة العربية بما انك قد بدأت لتوك تعلم هذه اللغة.

تتيانا : أوه شكراً لك مريم.. نعم بالتأكيد أفضل أن تُرسلى إلى كتباً.. لأن الكتب العربية باهظة الثمن هنا، كما أنه يمكننى شراء حذاء وحقيبة من أى مكان فى روسيا وفى أى وقت.. وإنما لا يمكننى شراء كتب لتعليم اللغة العربية كما تعلمين.. بالتأكيد أختار الكتب.

مريم : حسنًا.. فلكِ هذا.. سوف أذهب هذا الأسبوع إن شاء الله إلى سوق الكتب الكبير في القاهرة وابحث لكِ عن كل ما هو مُفيد.

تتيانا : وأنا في الانتظار..

• بدءًا من هذا الوقت بدأت جلسات مريم وتتيانا تظل شيئًا فشيئًا.. أكثر من السابق..، وليس من طرف مريم وإنما من طرف تتيانا.. التي كانت دائمًا تتعلل بضيق الوقت والانشغال الذى كان يمنعها من الحديث مع مريم عبر الإنترنت.

أما من جانب مريم.. فكانت الصورة قد بدأت تتضح لديها بشأن تتيانا شيئًا فشيئًا، ولكنها فقط لم تُرد أن تُطلق الاحكام مبكرًا.. فكل شيء لدى مريم يتم بترؤٍ بعد التأكد من عدة أشياء.. فلم تتفاجأ مريم برغبة تتيانا مطلقًا فى تعلم اللغة العربية، أو بالتوقيت الذى افصح تتيانا فيه عن رغبتها بتعلم اللغة العربية، والذى يتزامن مع موعد ارسال الهدية لتتيانا من مصر.. وذلك لأنه كانت لدى مريم بالفعل شكوك عن قدرة تتيانا عن الحديث باللغة العربية حتى ولو بصفة قليلة. وبأن تتيانا قد خبأت هذا عن مريم طوال الوقت لأسباب غير معروفة..

وهذه الشكوك كانت بسبب أن مريم قد وجدت بالفعل على صفحة تتيانا عدة تسجيلات مصورة مأخوذة من على موقع يوتيوب العالمى.. باللغة العربية...!! والأكثر من ذلك انها قد قامت بوضع علامة إعجاب أكثر من مرة على تعليقات باللغة العربية الفصحى لمريم على صفحتها على موقع فيس بوك.

مما كان يُثير شكوك مريم من قبل.. التي قد تأكدت لدى مريم الآن، أن تتيانا بالفعل تعرف اللغة العربية، هذا وإن لم تكن تتحدثها...

ولكن كما وعدتها مريم، سوف تُرسل الكتب اللازمة، وبالفعل ذهبت مريم إلى سوق الكتب واشترت مجموعة رائعة من الكتب.. وأرسلتها..

واخبرت تتيانا برسالة عبر موقع الفيس بوك، انها قد قامت بإرسال الكتب بالفعل. فقد كان من ضمن الكتب.. كتابان لتعليم اللغة العربية للاجانب.. والمعجم الوجيز فى اللغة العربية.. وروايتان.. وبعض قصص ومجلات الأطفال..

ثم انتظرت يومًا بعد يوم أن تتلقى ردًا من تتيانا على رسالتها بشأن إرسال الكتب، حتى مر من الوقت قرابة شهر أو أكثر.. ولا أثر لتتيانا على موقع الفيس بوك أو على شبكة الاتصالات سكايب.. حتى وجدت بالصدفة شقيق تتيانا.. سلافًا متاحًا على هذه الشبكة.

فتحدثت إليه لبضع دقائق، وسألته عن احوال العائلة.. وطلبت منه أن يطمئن لها عن وضع تتيانا.. وما إذا كانت قد استلمت الكتب حقًا أم لا.. وبالفعل. بعد بضعة أيام تلقت مريم أخيرًا من

تتينا رسالة عبر الفيس بوك تُعلمها باستلامها الكتب وتعتذر عن عدم القدرة على الاتصال بها عبر سكايب كالعادة لانشغالها الشديد بالدراسة والعمل في نفس الوقت... بعد فترة من الوقت.. وبعد أن قل حجم الاتصالات فيما بينهما. يمكننا القول بأنهما قد توقفتا عن الحديث. إلا في حالة إلقاء كل منهما السلام والتحية على الأخرى عبر موقع الفيس بوك عندما تسنح الفرصة.. غير ذلك قد توقف الحديث، على الرغم من أن عرض مريم في مساعدة تتينا لتعلم اللغة العربية كان قائماً. ولكن يمكننا القول فقط بأن كلا منهما قد انشغلت فيما يعنيهما، وأن هذه العلاقة لم تكن صداقة قوية جداً مثلما صورتها مريم.. وإنما هي فقط صورة أخرى من صور المصالح المتبادلة بين أى إنسان وآخر..

كما تعلمت مريم (قليلة الخبرة) أن الصداقة ليست كلمة قليلة الشأن حتى تُطلق على أى إنسان قد نرتاح في الحديث معه.. الصداقة كلمة أكبر من هذا بكثير..

إن صديقك، هو مرآة لنفسك.. ولكن الفرق أن الصديق ليس مجرد مرآة تعكس صورتك بالضبط، وإنما هو مرآة تعكس صورتك مبينة ضميرك الحي..

فما تلبث أن تنتظر لصديقك، حتى ترى منه ما يخبرك بحقيقة ما اقترفته من أخطاء حتى يقومك.. وحقيقة ما فعلته من حسنات حتى تنتشجع..

الصداقة ليست كلمات.. الصداقة حياة.

الفصل الثالث
الصدقة عابرة القارات
والأمريكي صديق المصريين
جيب صامويل

وها قد انتهت علاقة مريم وتتيانا طارحة خلفها العديد من التساؤلات فى نفس مريم، أو بمعنى آخر يمكننا القول أن جميع الأفكار والتحليلات التى اطلقتها مريم بخصوص تتيانا لا يمكن أن تخرج عن نطاق الظنون والاستنتاج.. أما الحقيقة حول هذه الفتاة فهى شىء لا يعلمه سوى الله وتتيانا نفسها.....

ها قد انتهت علاقة الفتاتين المسلمة واليهودية.. وقد تركت كل منهما إلى الأخرى اعظم هدية قد يهديها إنسان إلى آخر، هدية المعرفة.. التى لا يمكن أن تقدر بثمن. ولا يمكن أن يختفى أثرها عبر مرور الزمن. بالرغم من اختلافات العقيدة.. والعداء التاريخى ما بين هذا وذلك.. كانت مريم ترى فى حقيقة انها فتاة مصرية مسلمة تلقت هدية من يهودية انتصارًا كبيرًا لها سواء على الصعيد الشخصى أو المهنى. فحتى لو كانت هذه الكتب ما هى الا بعض كتب الاطفال والقاموس الرائع. إلا أن مجموعة الكتب هذه كان لها تأثير كبير على تطور مريم اللغوى. فالقراءة وحدها تعد من اعظم الهوايات التى قد يمارسها الإنسان، ما بالك بالقراءة باللغات الاجنبية التى تُعلم وتُثقف وتُبنى، بل وتنقل معلومات من حضارة إلى اخرى.. حقًا ما اعظم اللغات ودراسة اللغات...

كانت مريم فتاة دائمة التطوير من نفسها، ومحاولة رفع إمكاناتها الشخصية.. حيث كانت في هذه الفترة حالها كحال العديد من أبناء مصر ، في حالة بحث دائم عن عمل. خاصة بعد أن اجتازت آخر امتحان لها في الجامعة بنجاح وحصولها على شهادة التخرج.

فكان من الضروري أن تفكر في تنمية مهاراتها في اللغة الإنجليزية كما تعودت أن تفعل في اللغة الروسية. لذلك قررت أن تترك العمل على تحسين اللغة الروسية لفترة حتى تستطيع أن تُركز كل مجهوداتها على إتقان اللغة الإنجليزية. وبالفعل بدأت بعمل خطة تنشيط للغة الإنجليزية، فقد شعرت أنه بعد مضي فترة ليست قليلة أمضت خلالها مريم اغلب اوقاتها في الحديث باللغة الروسية، فإن ذلك قد انعكس بالتأثير على لغة مريم الإنجليزية.. من حيث اللهجة والسرعة وما إلى آخره.

قامت بعمل بحث على نفس موقع اللغات الذي تعودت أن تجد عليه كل اصدقائها من الروس. وبالفعل حالفها الحظ بعد عدة محاولات بالعثور على رجل أمريكي يبلغ من العمر ٤٥، يتعلم اللغة العربية.. وافق على صفقة تبادل اللغات التي عرضتها عليه مريم.. اسم هذا الرجل كان جون صامويل، يعمل مهندس اتصالات في فنلندا حيث يعيش هناك هو وزوجته الفنلندية وابناؤه. وكانت قصة عشق هذا الرجل للغة العربية تتبع من أن والده قد ولد وعاش أيام طفولته فيها، فطبقاً لكلمات جون أن والده يتحدث اللغة العربية ببراعة بالغة.. لدرجة أنه يكاد يكون مصرياً. وتعددت لقاءات جون ومريم ولكنها لم تكن كثيرة بالشكل الكافي بالنسبة لمريم ولرغبتها في تطوير نفسها سريعاً.

ولطالما حدث جون مريم عن شخصية والده المؤثرة، وروح دعابته وما إلى آخره. وذات مرة أخبرها أن والده يظن أنه رجل مصري..

وبعد فترة زمنية لا تتعدى شهراً من لقاءهما، أخبرها أنه اصبح مشغولاً جداً مؤخراً. ولا يمكنه استكمال دراسته معها عبر الإنترنت. حيث إنه يتلقى بالفعل دروساً مدفوعة الأجر في اللغة العربية عبر شبكة الإنترنت هو ووالده من مؤسسة تعليمية لتعليم اللغة العربية للأجانب عبر الإنترنت. واقترح جون عليها أن تلتقى بوالده وتعد معه نفس الصفقة، فوالده من محبي توفير المال. ولو عقد معها نفس الاتفاق للتعليم المتبادل، لترك دروسه مدفوعة الأجر على الفور. فوافقت مريم.. وبالفعل التقت هي وجون ووالد جون في لقاء جماعي لأول مرة على موقع سكايب..

كان اسم والد جون هو جيب صامويل.. ولد وقضى أيام طفولته في مصر.. يبلغ من العمر قرابة الـ ٦٦ عاماً.. وفوجئت مريم في أول مرة لها عندما تحدثت إلى جيب أنه وبخلاف جميع متحدثي اللغة العربية من الأجانب يستطيع أن ينطق حرف العين عين مثل المصريين.. والطاء طاء.. والضاد ضاد. كما لو أنه مصري.. بل ومن الطريف أنه كان يتحدث اللغة العربية بطريقة تشبه

المصريين كثيراً من حيث روح الدعابة والفكاهة. فمنذ الدقيقة الأولى التي تكلم فيها جيب، ومريم كانت تضحك... كانت الفكرة الوحيدة التي تتداعى إلى ذهنها فى هذه اللحظة هى أن هذا الرجل يبدو من كثرة معاشرته للمصريين، قد تأثر بهم من حيث روح الفكاهة.

وما إن مرت ١٥ يوماً بعد لقائهما الأول، حتى أصبحا مقربين جداً.. نعم مقربين جداً. ولم لا.. بالرغم من الفارق العمرى بينهما، وفارق الجنسيات، وفارق الأديان.. فجيب هو رجل مسيحي وابن لمُبشر كان يعمل لدى الكنيسة الإنجيلية فى مصر..

ثرى ما هو الشيء المشترك الذى قد يجمع بين شخصين مثل مريم وجيب...!!!

بالتأكيد سوف تتضح الأسباب الحقيقية لصادقتهما فى الحوارات المتتالية فيما بينهما..

* قد عرفت مريم مُسبقاً من جون أن والده قد شارك فى حرب العراق ولكن ليس كجندى.. كان يعمل مع الجنود كمترجم.. وكان هذا الشيء من الأشياء التى عرفتتها مريم عن جيب قبل لقائه واثار اهتمامها كثيراً.. فلدى مريم حب غير متناه من الفضول والاستقاضة فى المعرفة.. والحرب الأمريكية على العراق تُمثل بالنسبة لمريم علامة استفهام كبيرة.. وكان الحوار فيما بينهما كالاتى :-

مريم : جيب لقد عرفت من جون ابنك انك قد ذهبت إلى العراق، مع الجيش الأمريكى؟؟

جيب : نعم، ذهبت كمترجم، ولكننى قد واجهت متاعب كثيرة هناك بسبب اختلاف اللهجات. فكما ترين أنا اتحدث باللهجة المصرية، وهى تختلف كثيراً عن العراقية.

مريم : معك حق فى ذلك، إذا كنت أنا نفسى لا استطيع أن افهم اللهجة العربية بوضوح.. فما بالك بشخص امريكى.

جيب : نعم يا مريم، لقد كنت أفهمهم بصعوبة، بل وتعريفين ما المضحك فى الأمر. أن هناك العديد من العراقيين كانوا على اعتقاد أننى مصرى بسبب لهجتى.

مريم : كيف.. أليس من الجلى انك أمريكى..!!!

جيب : لا أعرف حقاً.. كنت أتعجب أنا الآخر من هذا الأمر.

مريم : كيف تبدو العراق من الداخل.. هل هى بلدة صحراوية مثلما تبدو فى الأفلام الأمريكية...؟؟؟

جيب : لا تماماً.. هى تشبه مصر كثيراً.. يوجد بها مبانٍ وأحياء سكنية وأبراج وما إلى آخره..

مريم : حقاً تشبه مصر...!!!

جيب : نعم، لدرجة اننى عندما ذهبت إلى هناك كنت اتذكر أيام طفولتى فى مصر.

مريم : هذا جميل، ولكننى توقعت أن العراق ما هى إلا صحراء جرداء يعيش الناس فيها بلا حضارة على رعاية الغنم وركوب الجمال فقط.. فأنا لم اذهب إلى هناك قط، والصورة الوحيدة

العراق فى مخيلتى هى تلك الصورة التى اشاهدها فى الأفلام الأمريكية التى ترصد أحداث الحرب الأمريكية على العراق.

جيب : لا هى ليست كذلك..

مريم : إن أكثر ما يدهشنى بشأن الإعلام الأمريكى، أنه دائماً ما يقوم بتصوير العرب على أنهم مجموعة من رعاة الأغنام الذين يعيشون فى الصحراء بلا حضارة.. لا أعرف لماذا، حتى اننى اتصور أن كل الشعب الأمريكى يعتقد أن المصريين هم أيضاً مجموعة من البدو.. اليس كذلك!!..

جيب : ههه نعم نعم أنت على حق، اغلب الناس هنا يظنون انكم كذلك.. ولكن هم فقط لا يعرفون الصورة الحقيقية كما اعرفها انا، أو يعرفها الشخص الذى سنحت له الفرصة بالسفر إلى مصر أو أى دولة عربية.

مريم : وما هو اكثر ما يعجبك فى المصريين..

جيب : شعب متكلم ولديه حس دعابة رائع.

مريم : نعم أنت محق.. نحن بالفعل كذلك، ولكن جيب اخبرنى بمنتهى الصراحة. هل تعتقد حقاً أن جميع المسلمين هم إرهابيون..!!!!

جيب : مريم لقد عشت فى مصر اجمل ايام حياتى، وكنت خلالها اتعامل مع الكثير من المسلمين.. ولم أر منهم ما يتم الحديث عنه فى الأخبار.. فإحقااً للحق، هناك مسلمون إرهابيون، ولكن ليسوا جميعهم بالتأكيد. فكل شعب مساوئ، وكل طائفة خارجون عن القانون وهكذا.

مريم : أنت محق.. فأنا مؤمنة أنه لا يمكننا تصنيف شعب بعينه وتلقيبه بالشعب المجرم.. أو الشعب الكافر.. إلى آخره. فكما لدى المسلمين مجرمون، وهم فئة قليلة تشذ عن عامة المجتمع. يوجد بالتأكيد لدى المسيحيين فئة خارجة عن القانون.. وهكذا هو الوضع بالنسبة للعالم كله.

جيب : أنت محقة بالتأكيد، ولكن لنكن موضوعيين لا يمكن أن ننسى أنه يوجد ارهابيون مسلمون..

مريم : نعم ولكن يمكن تصنيفهم كالاتى.. بعضهم يكون من المتعصبين الذى يعتقد أنه يجاهد فى سبيل الله، ويقتل لأجل الله. أو شخص آخر لا هو بمسلم ولا يعرف شيئاً عن دينه، ولكنه فقط يقوم بعمليات قتل لصالح منظمات غير معروفة. ثم ينسب هذه العمليات إلى الإسلام للتغطية على المنفذ الحقيقى للعملية، أو لقضاء مصلحة ما فى سبيل تشويه الدين..

جيب : نعم هذا حقيقى.. لقد زرت بلدان عربية كثيرة، واختلطت بالمسلمين كثيراً. حتى المسلمين انفسهم فيهم الكثير ممن لا يفهمون الدين الإسلامى حق فهمه. فكان من أبرز ما قيل لى عن المسلمين، كلمة قالها لى شيخ سعودى.. ولن انساها أبداً، حيث قال أن هناك الكثير من

المسلميين من هم مسلمين بالإسم فقط، ولا ينتمون بالفعل للدين. لأن الدين الإسلامى يقوم فى أساسه على المعاملات الأخلاقية والمبادئ الشريفة.

مريم : هذا الرجل محق يا جيب، فلا يمكنك أن تحتسب شخصاً مسلماً فقط لمجرد أنه فى الأوراق الرسمية مسلم.. وإن أهم شىء فى الدين الإسلامى هو الأخلاق.. مثل عدم الكذب، وحفظ الوعد، احترام الجار والوقوف إلى جانبه ومساندته.. الاستمرار فى التعليم واكتشاف العالم المحيط من حولنا، وكل هذه الأخلاقيات لا تمثل الدين بالكامل. هناك الكثير أيضاً ولكننى فقط لا يمكننى أن اتحدث عن كل هذا الآن.. بالتأكيد بالإضافة إلى العبادات الأصلية.. مثل الصلاة والصوم.

جيب : نعم أعرف، أعرف.. أنت على حق. فالدين الإسلامى لا يتعلق بالملابس الخارجية فقط. وإنما بالمعاملات قبل أى شىء..

مريم : نعم.. فليس كل من أطلق لحيته شيخاً، وليس كل من ارتدت الحجاب امرأة متدينة..

جيب : ولكن ما رأيك فيما وصلت إليه الأوضاع الراهنة فى مصر يا مريم..؟؟؟

مريم : لا تعجبني بالتأكيد..

جيب : ومن الذى ستقومين بترشيحه فى الانتخابات المقبلة؟؟

مريم : لا اعرف.. أنا لا زلت حتى الآن حائرة ولا اعرف من منهم الأصح.. ومن يعرف قد اقرر فى النهاية بالحفاظ على صوتى لى نفسى..

جيب : وما رأيك بالمرشحين الإسلاميين؟؟

مريم : جيب أنا لا أعترف بمصطلح إسلامى، فلماذا يطلق على إنسان إسلامى وهذا مسلم عادى.. لا يوجد فرق بين مسلم وآخر.. وأنا لا أؤيدهم بالطبع. لأنهم يتحدثون عن الدين كما لو أنه حكر عليهم وحدهم، وكما لو أن الشخص الذى لن يقوم بترشيحهم فى الانتخابات هو كافر وخارج عن الدين.. أنا لا اعترف بهذه الأفكار المتطرفة، أما من يترشح منهم بدون استخدام هذه الادعاءات، واستخدام الطرق المشروعة والموضوعية يمكننى حينها النظر إلى برنامجهم لإقرار من منهم يصلح..

فإن الدين لا يجبر إجباراً.. وإنما ينبع من القلب. فكما خلق الله الناس جميعاً وخلق لهم الجنة والنار. بمعنى الثواب والعقاب.. واعطاهم الحرية فى الاختيار حتى يتحمل كل انسان عاقبة افعاله.. إذاً فليس من حق رئيس الجمهورية أو أى طائفة تكون أن تجبر الناس بالقوة على ممارسة الطقوس الدينية.. لأنهم بهذه الطريقة يكونون قد سلبوا الناس الحرية التى اعطاها الله للناس وهى حرية الخطأ وحرية التوبة ..

جيب : نعم أنتِ على حق يا مريم كثيرًا وأنا افهمك.. أنتِ تريدين أن تقولى، أن عدم التزام الناس بالدين، هو مشكلتهم وحدهم وذنوبهم وحدهم.. وهو يندرج فيما بين علاقة المرء بربه، لذا لا يحق لإنسان التدخل فيها.

مريم : اه لقد فهمتني..كما أن مسألة فرض الملبس الإسلامى على سبيل المثال ليست هى مشكلة مصر الوحيدة. حتى يتم الحديث عنها بكثرة كخطة مستقبلية.. وإنما الأمم الأخلاق والمبادئ. ومن رأى أنه اذا أراد أى شخص إصلاح المصريين بالإسلام عليه اداء البدء فى حل المشكلات الأخلاقية لدى الناس. فالحجاب ليس دليلاً على حسن الخلق، بل من الممكن أن يتم استخدامه بطريقة غير سليمة تماماً..

جيب : أنت محقة، إن مظهر الإنسان لم ولن يكون يوماً مشكلة يجب حلها طبقاً للقانون، وإنما افكاره وتعليمه واشياء اخرى كثيرة...

مريم : نعم أنت محق.

جيب : مريم أنا معجب كثيرا بأفكارك وبشخصيتك..

مريم : شكرًا لك..

جيب : ذات مرة سألت أحد المترجمين الذين عملوا معى فى العراق عن السبب الحقيقى لتخلف الدول العربية.. هل تعرفين ماذا قال...!!!

مريم : ماذا قال..؟؟

جيب : قال لى الاستخفاف بذكاء المرأة وعدم احترامها واحترام مشاركتها الفعالة فى المجتمع.. وأنا اصدقه الآن. بالرغم من اننى فى هذه اللحظة لم اكن على وعى تام بأن هناك نساء وفتيات متلك فى المجتمعات العربية..

مريم : حقًا جيب شكرًا لك، هذه شهادة اعتر بها.. ولكن فقط لتعرف أنه يوجد هناك الكثير ممن هن مثلى بل وأبرع.. طبيبات وعالمات ومحاميات وغيرهن من النساء ولكن فقط لا توجد فرصة لأن نجعل العالم يعرف أنه لدينا مثل هؤلاء الشخصيات الفعالات.

جيب : مريم، أنا اتمنى لبلدك النماء والرخاء ومستقبلا أفضل..

مريم : ولكن جيب نحن لم نستكمل حديثنا عن العراق. أنا مهتمة بأن اعرف المزيد عن عملك فى العراق.. فإذا لم يكن لديك مانع، اتمنى أن تخبرنى بالمزيد من التفاصيل عن هذه الحملة..

جيب : بالتأكيد لا أمانع.. عن ماذا تحبين أن تعرفى المزيد.

مريم : لقد عرفت عن الحرب فى العراق حقًا حقًا مظلمة وجرائم بشعة ارتكبتها القوات الأمريكية فى حق الشعب العراقى من نساء وأطفال وشيوخ.. على نقيض قواعد الحرب الشريفة الموجودة لدينا نحن المسلمين. ومن أهمها عدم قتل امرأة، طفل، شيخ أو رجل اعزل.. وعدم المبادرة

بالقتل.. وذلك لأن هناك فرقا كبيرا بين مجرم الحرب وبطل الحرب.. ونحن لا نحب أن نجد انفسنا مجرمي حرب.

جيب : بالتأكيد كان هناك العديد من مجرمي الحرب فى الجيش الأمريكى، وأنا حقًا لم اتحمل الوضع هناك. فقد كنت ارى عمليات التعذيب أمامى ولا استطيع أن اعترض خوفًا منهم.. لأن موقف كل من كان فى القاعدة العسكرية مؤيد لهذه العمليات فكنت اخاف أن اعترض..

مريم : حقًا، اعرف كم هو مخيف أن تعترض وأنت محاط بأناس هذا هو عملهم الوحيد ومهمتهم الرئيسية.. ولكن صف لى، مثل ماذا!!!.. حقًا اريد أن ارى ماحدث من خلال عينيك.

جيب: مثلا كان هناك جنديّة امريكية من اصل لبنانى كانت تقوم بتعذيب الرجال العراقيين وترغمهم على التبول على انفسهم.. أو ذات مرة وأنا فى القاعدة العسكرية تم القبض على نقيب عراقى بحجة استجوابه.. فذهبت للمسئول عن استجوابه وطلبت منه بدلاً من تعذيب الرجل بحجة استجوابه أن يقوم بحسن ضيافته وبتقديم المشروبات له وسؤاله برفق عن المعلومات المرجوة.. فهذه طريقة افضل للاستجواب، وإن لم يتعاون افعل ماشئت.. وبالفعل تحدث الضابط العراقى بدون أى تعذيب واخبرهم بكل شىء.

مريم : هل ذهبت إلى ما يُسمى بسجن ابو غريب...؟؟

جيب : أووه لم أذهب، الحمدلله اننى لم ادخل هذا المكان البشع.. لقد سمعت به فقط.

مريم : نعم أنت محق.. فقد حدثت هناك عمليات اعتداءات مشينة تمامًا للعراقيين، وتفقر للإنسانية. وهى اشياء أنا حقًا اخجل من الحديث عنها. ولا ألومك بشىء لأننى على تمام العلم بأنك رجل مدنى ومواطن امريكى عادى جدًا وليس لك يد فى ما حدث هناك. أنا فقط اروى لك ما قد عرفته.

جيب : اعرف أنت على حق.. ولكن كما قلنا مسبقًا هناك دائمًا طائفة من كل شعب خارجة عن القانون. وتحب أن تقوم بكل ما هو مخالف للطبيعة البشرية..

مريم : أنت على حق...هل تعرف أن الدين الإسلامى قد نظم معاملات الناس فى كل جوانب الحياة ولم يترك شيئًا لم يقم بتنظيمه أبدًا، مما يشمل الجوانب العسكرية.. فعلى سبيل المثال حتى لا يتحول المسلمون إلى مجرمى حرب يقتلون بدافع حب القتل فقط لا غير.. فُرض على المسلمين قوانين اثناء الحرب.. على سبيل المثال : فى حالة انتصار المسلمين ووجود اسرى حرب.. فبدلاً من أن يتم إعدامهم هناك حلول أخرى مثل استبدالهم بالأسرى المسلمين، أو تسليمهم لذويهم مقابل مبلغ مالى..

جيب : بمعنى بيعهم مقابل المال..

مريم : نعم وهى حلول افضل بكثير من قتلهم بدون مبرر. ففى هذه الحالة تكون الهزيمة قد وقعت وانتصر الجيش ولا حاجة للمسلمين بقتل المزيد من أجل النصر. لذا يتم التعامل معهم

بطريقة جيدة وتقديم الإمدادات الطبية لهم حتى يتم الاتفاق بين الطرفين على سُبُل تسليم أو تبادل الأسرى.

جيب : هذه طريقة افضل من القتل بمئات المرات.

• وانتهى هذا الحوار بين مريم وجيب.. وعلى الرغم من أن كلمات جيب قد اعجبت مريم، بل وقد لامست قلبها مشاعر جيب الرقيقة التي قد انكرت أفعال الجيش الأمريكى فى العراق وادانتها بشدة. فعلى الرغم من كون جيب مواطناً امريكياً، إلا أنه قد انكر ما حدث.. لأنه قبل كل شىء إنسان، إنسان بمعنى الكلمة. شخص يعرف معنى الإنسانية ومشاعرها، ولذلك لا يمكننا إدانة أمريكا كوطن والأمريكان كشعب على كل التدخلات الأمريكية السافرة فى حياة الشعوب، أو حتى على الجرائم التي ارتكبها الجيش الأمريكى. لأنه كما يوجد فى داخل كل وطن، وكل مجتمع، وكل كيان الخير والشر.. الحب والكراهية، الذكاء والغباء. يوجد داخل أمريكا من هم اعداء الإسلام، وفى نفس الوقت يوجد صوت المنطق فى عقل وقلب كل إنسان صالح مثل جيب. يرشده أن ينطق كلمة الحق مهما كانت. على الرغم من وطنيته وحبه لأمريكا لكنه شخص منصف.

• صدقاً إن مريم تلك الفتاة العربية المسلمة التي كانت لا تكاد تبلغ من العمر ٢٢ عاما فى ذلك الوقت.. اصبحت بعد ذلك صديقة مقربة من جيب، ذلك الرجل الأمريكى المسيحي البالغ من العمر ٦٦ عاماً.

• قد تكون هذه صداقة من نوع خاص، أو بالأحرى من نوع غريب. ولكنها بالتأكيد تعتبر هذا نوعاً من الصداقة الذى كانت تتمناه مريم، هذه الصداقة لا تشبه بالتأكيد علاقتها بأندريه أو بنتيانا من قبل. وإنما افضل بكثير، وصداقة ناجحة بالتأكيد. كانت مريم طوال حياتها تتمنى أن يكون لديها صديق كبير فى السن. خاصة أنها لم تتسن لها الفرصة أن تلتقى بجد من جدودها سواء من ناحية والدها أو من ناحية والدتها. فكان جيب صديقها العزيز الذى يحدثها كل يوم عبر الإنترنت ليس فقط ليتعلم. فقد تحولت صداقتهما من رغبة فى التعليم وعلاقة شراكة لغوية بعد ذلك إلى صداقة فعلية. كان جيب لطالما يحدث مريم عن اشياء كثيرة لم تكن تعرفها مريم عن المجتمع الأمريكى. ويعلمها نطق الكلمات مثل الأمريكان. فكانت مريم دائماً تمتطى احصنة الخيال وهى تتحدث إلى جيب، الذى يأخذها بكلماته إلى بلدان لم ترها قط. وإلى مواقف لم ولن تتسنى لها الفرصة بالتأكيد أن تراها وتعرفها. كان يروى لها عن كتب كانت ستستغرق وقتاً طويلاً فى قراءتها حتى لو حصلت عليها. كان جيب يأخذ مريم معه أحياناً ليعودا معاً بألة الزمن إلى الخلف. فى عصر الستينيات، يأخذها فى زيارة إلى الزمن الجميل كما يُقال فى مصر. وها هى

غرفتها الصغيرة، التي تحتوى على مكتب ومكتبة وسرير وخزانة للملابس قد تحولت إلى عالم سحرى ذى جدران وردية، وبساط سريع يأخذها أينما تريد فى أى وقت..
وإذا كانت مريم فى يوم من الأيام اعتقدت أن علاقتها بتتيانا أو أندريه مثمرة لذكائها وخبراتها الاجتماعية وثقافتها العامة.. فإن معرفتها بجيب قد نفت تلك الحقيقة تمامًا. بعد أن كان لجيب تأثير كبير على شخصية مريم.
● لقد عاش جيب فى مصر فى فترة الستينيات، وهكذا تمامًا روى جيب بنفسه قصته وقصة عائلته فى مصر..

مريم : مرحباً جيب..

جيب : مرحباً مريم، هل تعرفين ماذا كنت أفعل منذ قليل..!!

مريم : ماذا!!!

جيب : كنت اقرأ كتابا عن مُبشرى الإرسالية الإنجيلية فى مصر، التى بدأت بعثتها فى العام ١٨٥١ م حتى نهايتها عام ١٩٧٧.. لقد قرأته مرة واحدة فى العام الماضى، ولكننى بدأت انساه. لذلك قررت أن أقرأه مرة أخرى.

مريم : حسناً.. ارو لى جيب عن مُحتوى هذا الكتاب.

جيب : أجدادى كانوا من مُبشرى الإرسالية الإنجيلية إلى مصر، حيث اتى جدى إلى مصر عام ١٩٠٥ للعمل كأحد المُبشرين فى الدعوة للديانة المسيحية. مريم هل لديك فكرة عن الكنيسة الإنجيلية فى مصر أم لا..؟؟

مريم : لا أعرف عنها شيئاً للأسف..

جيب : وعدم معرفتك عن هذه الكنيسة يعد اكبر دليل على فشل الإرسالية الإنجيلية فى مصر. وهذا أيضاً ما قرأت عنه فى كتابى هذا عن المبشرين الإنجيليين فى مصر. وهو انهم قد بذلوا جهداً كبيراً جداً، استمر لفترة زمنية طويلة. ومع ذلك قد باءت كل جهودهم بالفشل.. حقاً أنه لشيء مثير للإحباط.

حيث تُعد الجامعة الأمريكية فى القاهرة هى النتيجة الوحيدة المرموقة، التى تمكنت الإرسالية الإنجيلية من إحرازها. كما أن الذى قام بتأسيس الجامعة الأمريكية فى القاهرة هو قس أمريكى يُسمى تشارلز واتسون، وهو فى الأساس أحد مُبشرى الإرسالية الإنجيلية هو الآخر.

مريم : وهل كان تشارلز واتسون زميلاً لجدك فى الإرسالية..؟؟

جيب : لا لم يكن هو بنفسه زميلاً لجدى، إنما والده الذى كان زميلاً لجدى بل وصديقاً أيضاً.. فقد كان جدى يسكن معه فى الأقصر لمدة عام تقريباً وكان يراه كل يوم.. حتى أن جدى كان حاضراً فى اليوم الذى رزق فيه والد تشارلز والذى كان مُبشراً هو الآخر بطفل جديد، عندما كان

يرسل والد تشارلز بيرية إلى ابنه تشارلز في القاهرة ليخبره فيها عن أن آخًا له قد شق طريقه إلى الحياة حديثًا.

مريم : جيب ولكن ما هو الفرق بين المُبشر والقسيس؟؟

جيب : المُبشر هو ما يسمى ميشينيرى، والقس هو بريست.. المُبشر هو من تقوم الكنيسة بإرساله إلى مكان بعيد كي يقوم بإرشاد الناس والدعوة للديانة المسيحية، بينما يجلس القس في الكنيسة لإرشاد وإنارة حياة الناس ولكن في موطنه.

مريم : ولكن على حد علمي أن القسيس غير مسموح له بالزواج في الديانة المسيحية، إذا فكيف انجب هذا القس وهو قس ومبشر...؟؟

جيب : لا يمكن للقسيس الزواج لدى الكاثوليك الأرثوذكس فقط، ولكن لدينا نحن البروتستانت من الممكن أن يتزوج بالطبع مثله كمثل أى إنسان عادى.

مريم : حقًا، لم اكن اعرف هذه المعلومة من قبل..

جيب : وماذا عن الكنيسة القبطية لديكم في مصر، هل من المسموح للقسيس أن يتزوج؟؟

مريم : على حد علمي انهم هم أيضًا مثل الكاثوليك الأرثوذكس في هذا الشأن، لا يمكنهم الزواج أبدًا.

جيب :مريم لقد شعرت ببعض الإحباط عندما قرأت هذا الكتاب للمرة الثانية، فقد بذل المبشرون جهدًا كبيرًا في نشر الدعوة الإنجيلية ومع ذلك باءت كل محاولاتهم بالفشل. ولكن على الصعيد الآخر، فإنه كما أخبرتك لا يعد فشلًا تامًا. بل تبقى هناك عدة نجاحات ملموسة على ارض الواقع.

مريم : مثل الجامعة الأمريكية.. اليس كذلك..

جيب : نعم، ولكن الجامعة الأمريكية ليست هي الإنجاز الوحيد.. فقد قامت هذه الإرسالية بإنشاء بعض المدارس والمستشفيات، بالإضافة إلى حملة محو الأمية وكل هذه الأعمال تعد من الأعمال الطيبة والحسنة.. فقد كانت الجالية الإنجيلية في مصر جالية صغيرة جدًا لا تتعدى نسبتها الواحد في المائة ومع ذلك تمكنت من إحراز بعض الأهداف الجميلة والطيبة.

مريم : حسنًا جيب هذا جيد، إذا فلا تبتئس فهناك بالفعل بعض الإنجازات الطيبة والرائعة أيضًا قد قامت بها هذه الإرسالية..

جيب : نعم أنت محقة، ولكن مريم هل لديك اصدقاء اقباط من المصريين...؟؟؟

مريم : نعم بالتأكيد ففي مصر لا يمكنك أن تجد عائلة مسلمة بدون اصدقاء مسيحيين أو العكس. ونحن كعائلة تنطبق علينا هذه القاعدة أيضًا، فقد كان صديق والدى المقرب، والذي توفاه الله عز وجل قبطيًا. وظل ابى على صلة وطيدة مع عائلته وابنائهم حتى يومنا هذا. فقد

تعودنا أن نتشارك فى المناسبات الاجتماعية كالأفراح والحفلات واحيانا الرحلات. كما تعودنا أيضاً أن نتبادل التهانى فى الأعياد الدينية.

جيب : جيد هذا رائع.

مريم : هذا شىء طبيعى ومعتاد الحدوث هنا فى مصر، فنحن مجتمع يضم المسلمين والمسيحيين ولا يمكن التفرقة بين هذين العنصرين المتآزرين أبداً. فأنا شخصياً كانت لدى صديقة مقربة جداً، اسمها انجى تعرفت عليها اثناء دراستى فى الجامعة.

جيب : واين درست يا مريم...

مريم : لقد اخبرتك من قبل عن هذا.. هل نسيت؟؟

جيب : معذرة يا مريم أنت تعرفين بالفعل أننى دائم النسيان.

مريم : درست فى كلية الألسن للغات - قسم اللغة الروسية - جامعة عين شمس.

جيب : واو.. إن جامعة عين شمس مشهورة عالمياً.

مريم : حقاً...!!! هذه اول مرة أعرف أن جامعة عين شمس مشهورة عالمياً.

جيب : هذا صحيح، ولكن دعينى اخبرك باقى القصة..

مريم : عن عائلتك أليس كذلك..

جيب : نعم.

مريم : تفضل بالتأكيد..

جيب : لقد عمل جدى فى البداية فى اسبوط، ثم انتقل للعمل فى الأقصر حيث حدثت له قصة مثيرة جداً.

مريم : وما هى...!!

جيب : لقد صادف أنه وجد مجموعة من الفتيات المخطوفات على أن يتم بيعهن فى السودان كعبيد، ولكنه قد تدارك الأمر وساعدهن على الهرب قبل أن يعبرن الحدود المصرية السودانية للبيع.

مريم : إنه حقاً عمل بطولى ورائع.. وينم عن شجاعة. أنا أو من بأن الله قد خلقنا جميعاً احراراً. ولم يخلقنا اسياًداً وعبيداً.

جيب : نعم أنتِ على حق، وفى العام ١٩٢٠ انتقل جدى للعمل لدى كلية اللاهوت فى القاهرة.

مريم : وما هو اللاهوت؟؟

جيب : ألم تسمعى باللاهوت من قبل؟؟

مريم : لقد سمعت عنه بالفعل، ولكن على حسب ما أذكر أنه شىء يتعلق بالديانة اليهودية..

أليس كذلك؟؟

جيب : هو كل شيء يتعلق بالله.. فنحن لدينا اللاهوت المسيحى. فكلمة "لاهوت" أتت من كلمتين يونانيتين يعنيان "الله" و"الكلمة". وبمزجها تأتي كلمة "لاهوت" وهى تعنى "دراسة علم الله".

مريم : حسناً...

جيب : اسم جدى هو مايكل صامويل، تم تعيينه رئيساً للاهوت الإنجيلى فى القاهرة وبعد ذلك بفترة قليلة غرق فى البحر المتوسط فى سبيل إنقاذ ابنة احد زملائه.

مريم : حقاً...!!! وكيف حدث ذلك.

جيب : كانت الفتاة تغرق لذا حاول جدى إنقاذها هو وزميله ولكنهما ماتا، بينما نجت الفتاة التى قد بقيت على قيد الحياة بفضل التيار المائى القوى، الذى دفعها مجدداً للعودة نحو الشاطئ.

مريم : لقد مات كبطل..

جيب : نعم أنه حقاً بطل.. ولكن هل اخبرتك من قبل عن أنه كان لدى اخت كبرى اسمها ايميلى ماتت فى القاهرة عن عمر يناهز ٦ سنوات، إثر تعرضها لمرض يُسمى.. (amoebic dysentery)..

مريم : لقد ماتت وهى صغيرة جداً.. ولكن انتظر يا جيب سوف اقوم بترجمة معنى الكلمة لعلى اعرف المرض بالفعل.

جيب : لحظة سوف انظر فى القاموس أنا أيضاً.

مريم : هو مرض الزحار الأميبي.

جيب : هذا صحيح.

مريم : حسناً جيب دعنا نستكمل القصة وسوف ابحث عن معلومات اكثر عن هذا المرض عبر الإنترنت لاحقاً.. ولكن اخبرنى، هل اسميت ابنتك ايميلى تيمناً باسم اخت جدك.

جيب : نعم هذا حقيقى حتى احيى ذكراها.

* الزُّحار، هو مرض يسببه التهاب الغشاء المبطن للأمعاء الدقيقة. ويؤدى هذا الالتهاب . الذى تسببه كائنات دقيقة الصغر . إلى آلام حادة فى المعدة وإلى إصابة الشخص بالإسهال. ومع إصابة المرء بهذا المرض، فقد تحتوى حركة أمعائه على المخاط والدَّم، كما تسبب بعض حالات الزُّحار ارتفاع درجة الحرارة، وقد تؤدى إلى تقيؤ المريض. وعند تعرض حاملى هذا المرض إلى الإسهال، فإنهم يفقدون كميات كبيرة من السوائل والأملاح اللازمة لأجسادهم. ومن الممكن أن يصبح هذا المرض مميتاً خصوصاً، إذا تعرّض المريض للجفاف.

يصيب الزُّحار كافة البشر، وفى أماكن متفرقة من العالم، ولكن تشيع أنواع هذا المرض بكثرة فى

البلدان المدارية . ويهدد هذا المرض خاصة حياة الأطفال وكبار السن والأفراد الذين لا يتمتعون بصحة جيدة.

مريم : حسناً جيب اخبرنى باقى قصة عائلتك ..

جيب : بعد وفاة جدى عاد والدى مع عائلته مرة اخرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية. حيث تخرج والدى هناك من المدرسة والكلية، ثم انهى دراسته فى كلية اللاهوت. تزوج ابى من امى ثم عاد مرة أخرى إلى مصر فى العام ١٩٣٧، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية. تم إخلاؤه وعائلته مع باقى الرعايا الأمريكان فى مصر. ولكنه قد عاد مرة اخرة إلى مصر فى العام ١٩٤٥.

اخى الاكبر ولد فى القاهرة عام ١٩٤١ ، ثم لحقته وولدت أنا فى طنطا عام ١٩٤٦ فى المستشفى الأمريكى الذى يعد احدى نتائج الإرسالية الأمريكية فى مصر. ثم ولد اخى كيم، الذى قد عرفتك عليه بالفعل من قبل بعد ولادتى بعامين فى نفس المستشفى. فى اول عامين دراسيين لى ارتدت المدرسة البريطانية فى القاهرة، والتي كانت تقع فى حى الزمالك. بعد ذلك انتقلت للدراسة فى المدرسة الأمريكية الخاصة بالإرسالية الإنجيلية. وكانت تسمى " شوتز سكول " .

مريم : اين تقع هذه المدرسة تحديداً... فى القاهرة ؟

جيب : لا. تقع هذه المدرسة فى شارع شوتز فى الإسكندرية، ولكن قد تم نقلها لفترة إلى اسبوت اثناء الحرب العالمية الثانية. ثم عادت مرة اخرى إلى موقعها الأصلى فى العام ١٩٥٧. فنحن كنا هناك اثناء العدوان الإسرائيلى. فكان ذلك عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر فى العام ١٩٥٦.

مريم : هل يمكنك أن تنقل لى صورة حية من ذاكرتك لمشهد مصر آنذاك.. فى هذه الفترة الزمنية بالتحديد التى طالما لفتت انظارى اليها؟؟
جيب : بالطبع سأحاول ولكننى لا اذكر الكثير..
مريم : تفضل..

جيب : كان اول يوم شعرنا فيه بخطورة العدوان الثلاثى على مصر، يوم ٢٣ من اكتوبر عام ١٩٥٦.. كان هذا اليوم موافق يوم عيد ميلادى.. وكنت حينها لا زلت فى المدرسة، حين قامت المدرسة بإعلان حالة الطوارئ وامرت كل طالب بأن يحزم فى حقيبته اهم اغراضه ويترك كل شىء خلفه حتى يتمكنوا من اخلاء المدرسة بأقصى سرعة.. وبالفعل تم نقل اغلب الطلاب إلى سفن فى الميناء التى نقلتهم بعد ذلك إلى قبرص..

مريم : وهل تم نقلك أنت أيضاً معهم؟؟

جيب : لا لم نذهب أنا واخى عدنا إلى منزلنا فى القاهرة فى حى الدقى، واستضاف ابى وامى احد زملائنا الذى كان من المفترض أن يعود إلى والده فى جنوب السودان ولكنه لم يتمكن من العودة لخطورة الوضع آنذاك.. انتشرت مدافع ارض جو فى كل منطقة فى المدينة وقتها.. فكنا نشاهدها كثيراً حتى أنه كانت توجد مدفعية فى " الخرابة " التى تقع خلف منزلنا مباشرة.. وبعد أن كان من النادر جداً أن ترى آثار طائرة نفاثة فى السماء، تحولت السماء إلى لوحة فنية مليئة بالخطوط البيضاء التى تخلفها الطائرات النفاثة.. فأصبح من الصعب أن تتطرى إلى السماء فى اى وقت وتجدينها تخلو من هذه الخطوط..

مريم : نعم اعرف هذا المنظر فنحن أيضاً نرى هذه الخطوط احياناً.. كما اننى أعتقد انها ستكون مغامرة ممتعة أن تركب فى طائرة نفاثة تسير بمثل هذه السرعة.. مع العلم أنه شيء مستحيل التحقيق بالنسبة لمدنية مثلي...

جيب : نعم هو مستحيل فهى مقصورة على العسكريين فقط.. ولكن هل سبق لك أن ركبت فى طائرة من قبل؟؟

مريم : نعم ركبتها عدة مرات عندما كنت صغيرة اثناء ذهابنا إلى سوريا لزيارة اهل امى.. ولكن دعنا من هذا وهيا نستكمل قصتك..

جيب : حسناً... كان بإمكاننا أن نرى الطائرات التابعة للعدو البريطانى والفرنسى تحلق فوقنا ذهاباً وإياباً.. بينما تقوم المدفيعات على الأرض بمحاولة اصابتها.. وكان صوت المدفعية عاليا جداً.. هل يمكنك أن تتخيلى كم يكون المرء خائفا عندما يعرف أن هناك حرباً بأكملها تدور من حوله..!!

مريم : نعم يمكننى أن اتصور ذلك..

جيب : من حسن حظك انك صغيرة فى السن ولم تعاصرى تلك الفترات الحرجة فى تاريخ بلدك...

مريم : نعم ولكننى مع ذلك لا زلت من الجيل المعاصر للثورة.. اليس كذلك..

جيب : نعم.. أنت على حق..

مريم : ولكن هل كانت طائرات العدو تطلق عليكم شيئاً...؟؟

جيب : لا لم تكن تضرب لقد كانت فقط طائرات استطلاع.. لجمع المزيد من المعلومات.. ولكن مع ذلك كانت هذه الطائرات بعيدة جداً بحيث إنه لا يمكننا رؤيتها بوضوح.. ولكم حاولت المدفعية المصرية آنذاك أن تصيب أى طائرة ولكننى لم اشهد قط سقوط ايا منها..

مريم : وماذا أيضاً...!!

جيب : يكون الخوف الأكبر دائماً عندما يحدث قصف اثناء الليل.. فذات ليلة حدث قصف ليلاً واجبرتنا امى أنا واخى الصغير والصدىق الذى فى منزلنا أن نهبط من المنزل وننام فى السيارة

الموجودة فى الجراج.. لقد كانت هذه الليلة من أكثر الليالى رعباً فى حياتى.. وكنا حينها نخاف خوف الموت. لأنه من المتوقع فى أى لحظة أن يحدث قصف على منزلك ويقتل كل من فيه..
مريم : نعم اعرف.. يمكننى أن اتخيل مثل هذا الشعور..

جيب : ذات مرة كان هناك قصف ليلى على مطار القاهرة.. اذكر اننا سعدنا جميعاً على سطح منزلنا كى نشاهد القصف.. حيث كان مشهداً لأول مرة نراه..
مريم : معذرة جيب.. هناك استفسار.. هل كان بإمكانك مشاهدة مطار القاهرة من على سطح منزلك فى الدقى ؟؟؟!!

جيب : اوه طبعاً.. مصر فى الماضى لم تكن كالآن.. القاهرة حينها كانت نظيفة وجميله وهادئة، وكانت المبانى قصيرة.. فقد كنا نتمكن من رؤية الأهرامات الثلاثة من منزلنا، ويمكننا أن نرى مطار القاهرة أيضاً..

مريم : لا يبقى شىء على حاله، ولكن اكمل لى.. هل شاهدتم الانفجار كله ام ماذا شاهدتم بالضبط فى ليلة القصف على مطار القاهرة..

جيب : لم نشاهد من القصف سوى مظلات الاضاءة التى اطلقها العدو فى السماء..

مريم : مظلات اضاءة.. ام تقصد الاضاءة الناتجة عن نيران الانفجار ؟؟؟

جيب : لا مريم أنت لم تفهمى، أنا اقصد شعلات الاضاءة التى يطلقها طيران العدو فى السماء لإنارة السماء قبل القصف مباشرة، كى تساعده على تحديد الهدف ورؤية الهدف بوضوح..
مريم : آه فهمت..

جيب : لم يكن يوجد حينها جى بى اس.. أو تقنية اطلاق صاروخ موجه مسبقاً. لم يكن يوجد سوى الطائرة التى تجعل من السهل اسقاط قنبلة أو اطلاق صاروخ فى مكان معين، ولأجل ذلك يتعين على الطيار أولاً تحديد الهدف يدوياً أولاً ثم الاطلاق.. ومن الممكن أن يخطئ الاصابة اذا كانت الاجواء المحيطة مظلمة..

مريم : آه فهمت.. نعم وماذا حدث بعد ذلك..

جيب : خفت أنا وامى كثيراً وقررنا الهبوط مسرعين كى نختبئ فى الجراج، ولكن والدى واخى الصغير اصرا على الوقوف على السطح حتى يشاهدا هذا المشهد المثير فقد كانا اكثر شجاعة منا.. ومع ذلك وبالرغم من أن القصف كان فى منطقة مطار هليوبوليس مصر الجديدة.. إلا أن صوت القصف العالى استمر طوال الليل آنذاك..

مريم : وماذا أيضاً...؟؟

جيب : كان هناك اجراءات إلزامية يجب اتخاذها على كل شخص يعيش فى مصر.. وهى طلاء مصابيح السيارات باللون الأزرق الداكن، وطلاء نوافذ المنزل أيضاً بنفس الألوان الداكنة حتى لا تستطيع طائرات العدو أن تلمح من اعلى انارة المنزل وتقوم بإطلاق قذيفة علينا.. ولقد تعين

على كل مواطن حينها أن يغلق النور كلما رأى طائرات العدو تحلق في الأفق.. وإلا سيتعرض للمساءلة القانونية..

اذكر أنه كان لوالدى مكتب فى قبو المنزل، له نوافذ تطل على الشارع.. قمت أنا ووالدى بتغطيتها بأوراق الكرتون بالكامل حتى نستطيع أن نقوم بفتح الأنوار فيها متى شئنا.. كما كنا قد اعتدنا على أن التواصل مع الشعب يتم من خلال عدة طرق احداها كانت أن تعبر الطائرات المصرية وتقوم بإلقاء اوراق " منشورات كتابية " على المصريين آنذاك.. لقد كنت اقوم بجمعها أحيانًا على سبيل اللهو.. ليس اكثر..

مريم : وماذا كُتِبَ فيها؟؟

جيب : لم افهم منها شيئاً سوى كلمة واحدة العدو الإسرائيلي.. لقد كنت بالكاد أقرأ واكتب العربية حينها..

مريم : وهل بقيتم فى مصر لفترة زمنية طويلة رغم هذه الأحداث...!!!

جيب : ذهب أخى الأكبر إلى امريكا قبل بداية الفصل الدراسى الأول عام ١٩٥٧، ولكن أنا واخى كيم الأصغر بقينا فى مصر وارتدنا مدرسة شوتز. وقد كانت اياما جميلة جدًا، عندما قمنا بعمل كل الأشياء الجميلة التى يقوم بها الأولاد الصغار. مثل بناء بيت على الشجرة، وعمل نادى للأولاد فقط ممنوع على الفتيات ارتياده.

مريم : لماذا...!!!

جيب : اليس كل ولد صغير يكره الفتيات دائماً.. هاها ها.مش كده ولا ايه يا مريم!!

مريم : هاهاها نعم العكس صحيح.. فلا زلت اذكر حتى الآن تلك الاغنية التى اعتدت أن اغنيها فى المدرسة لأقوم بإغاضة الفتيان..

جيب : وما هى

مريم :.. (الولاد الولاد صراصير البلاعات)..

جيب : انها مضحكة حقًا.

مريم : ولكن اكمل جيب قصتك..

جيب : نعم ثم ارتدنا منظمة للأولاد اسمها الكشافة الأمريكية..boy scouts of America، هل سمعت بها من قبل..

مريم : لا.. ولكن ماهو الهدف من هذه المنظمة...؟؟

جيب : هى ليست منظمة عسكرية، ولكن كان الزى الموحد لديهم عبارة عن بذلة تشبه اللباس العسكرى. والهدف منها هو تعليم المهارات للأولاد الصغار. مثل ممارسة التجديف، وربط العقد القوية وقيادة الدراجات وما إلى آخره. فلقد قمنا مرة بقيادة الدراجات من حى سيدى بشر حيث تقع مدرسة شوتز، وصولاً إلى ابوقير وعدنا مرة اخرى. وذات مرة ركبنا مركبا شراعيا وذهبنا إلى

جزيرة نيلسون ثم عدنا مرة اخرى إلى مرسى ابو قير ولكنها كانت رحلة مخيفة جدًا، لأن الأمواج كانت عالية جدًا لدرجة اننى شعرت أن القارب سوف ينقلب.

بعد ذلك بسنة ذهب ابناى مدرسة البوى سكاوتس فى زيارة لمنطقة صحراوية ليست بعيدة عن الإسكندرية اسمها ابو مينا. وقد كان هناك صبي قوى جدًا وشجاع وقرر أن يأخذ مبادرة النزول إلى اسفل البئر عبر الحبل. ولكنه مات للأسف، بسبب أن الحبل لم يكن طويلًا بما فيه الكفاية للوصول إلى اسفل البئر.

مريم : اوه يا الهى. حقًا ماذا حدث فى ذلك اليوم.. ولماذا لم يساعده احد..؟؟

جيب : الذى حدث أن الولد حاول النزول إلى آخر البئر، ولكنه عندما نزل أدرك أن الحبل قصير ولا يصل إلى النهاية فعاد ادراجه إلى الأعلى. ولكنه كان متعبًا جدًا، لدرجة أنه لم يتمكن من الوصول إلى الأعلى تمامًا. فنادينا جميع الاولاد حتى نقوم بشد الحبل سويًا ورفعاه إلى الاعلى. ولكن قبل أن نقوم بأى شىء كان هو قد افلت يده وسقط ومات.

مريم : حادثة رهيبة.

جيب : بل مأساة حقيقية.. بعد ذلك انتقلت إلى مدرسة تحضيرية فى امريكا، فى ولاية ماساتشوسيتس. اسمها ماونت هيرمن..

• بعد ذلك انتقل جيب ليسرد إلى مريم تفاصيل مصغرة من حياته فى مصر فى الستينيات، ايام الزمن الجميل.....

مريم : ما هو اكثر ما اعجبك فى مصر...

جيب : ايام طفولتى فى مصر، هى الأروع والاجمل على الإطلاق. كانت ايامًا مليئة بالدفء والحب. كنا آنذاك مدللين جدًا، وكان لدينا خدم مثل الطباخ والجنائنى والحارس والمربية. كانوا حقًا جميعهم أناسًا طيبين.. ذهبت معهم أنا واخى لزيارة مناطق متعددة فى مصر.

مريم : إلى اين ذهبتم..

جيب : إلى السوق والمناطق العربية والشعبية. أجمل ايام حياتى قضيتها بين أحضان الريف المصرى. حيث كانت الحياة بسيطة انذاك. لا احد يعلم كم احب هؤلاء الناس وهذه القرى والأحياء البسيطة..

مريم : هل شعرت نفس الشعور تجاه المصريين فى آخر زيارة لك وأنت متزوج ولديك اطفال..؟؟

جيب : لا للأسف، لقد تغير حال المصريين كثيرًا.. للأسوأ بالتأكيد. ولا اعرف ما السبب..

مريم : بالتأكيد السبب يعود إلى النظام السياسى الفاسد الحاكم لمدة ثلاثين عامًا.. الذى دمر عقول الناس من الداخل.. ولكن دعنا لا نتحدث عن السياسة اخبرنى باقى القصة..

جيب : حسناً.. لا أستطيع أن اذكر اسماء الخدم بالكامل.. ولكن كان احد الخدم اسمه سند، وآخر ماريو وايضا عبد الحليم.. أما الجنائني فقد كان اسمه احمد محمود دياب. واستطيع أن اذكر اسمه بالتحديد، لأنه من علمنى اياه بنفسه ولا زلت احفظه حتى الآن. لقد كنا سعداء جداً جداً فى مصر.. وكانت افضل حاضنة حصلنا عليها سيدة اسمها قمر منصور، ذات مرة اصطحبتنى واخى فى رحلة لزيارة منزلها فى ضواحي القاهرة بالقطار وكانت رحلة رائعة.. واياهم اتمنى لو اعود بالزمن إلى الخلف لأعيشها مرات متعددة. افضل ذكرياتى واياهم حياتى قضيتها فى مصر، لا يمكننى أن انسى أبداً مدى روعة حياة الريف، لا زلت اذكر حتى الآن كيف كان يربى والدى الدجاج فى الباحة الخلفية، ويقوم بتوزيع البيض كهدية على الناس..

مريم : نعم.. فترات تولى الرئيسين جمال عبد الناصر وانور السادات تُعد من ألمع الفترات الزمنية التى عاشتها مصر من وجهة نظرى، كم كنت اتمنى أن اولد واعيش فى ذلك العصر.. جيب : من وجهة نظرى أنه يجب عليك أن تشكر الله فقط لكونك لا زلت شابة.. أليس كذلك!!.. مريم : بالطبع يجب أن اشكر الله دوماً، ولكن من وجهة نظرى أن الأمر سيان.. إذا ولدت الآن أو فى الماضى.. فأنا فى النهاية انسانة لن تبقى شابة إلى الأبد.. بالتأكيد سيأتى يوم ما سأشيخ فيه ثم اموت.. أو من يعلم من الممكن أن اموت وأنا شابة فهذه اقدار لا يعرفها سوى الله وحده. والموت هو شىء حتمى لا يمكننا الهروب منه أبداً.

جيب: أنت على حق.. ولكن دعينى اخبرك المزيد عن عملى كمترجم فى العراق.. مريم: تفضل بالطبع..

جيب : عندما كنت اعمل كمترجم مع الجيش الامريكى فى العراق، كانت مهمتى أن ألامر فرقة إزالة القنابل غير المنفلة. فقد كنت اسير مع ملازم امريكى مهمته التشاور مع الجيش العراقى فى كيفية معالجة القنابل وإزالتها. وكلما ذهبنا إلى قرية صغيرة فى العراق. تعجبت كثيراً.. مريم : ولما العجب...!!

جيب : كنت اندهش لدرجة التشابه الكبيرة التى كانت بين تلك القرى وبين القرى المصرية. التى جعلتني اشعر كما لو أننى قد عدت إلى طفولتى مجدداً فى مصر. حتى جندي المارينز الذى كان يسير معى هو بدوره كان مندهشاً بسبب إعجابى بهذه القرى بالرغم من هذا الكم الكبير من الأتربة والأوساخ والقمامة الملقاة فى كل مكان. بالإضافة إلى الملابس التى كانت معلقة على الأسلاك كغسيل. فقد كان المشهد حقاً ملونا وغريباً.

مريم : نعم هذا المشهد موجود فى القرى المصرية الصغيرة فقط..

جيب : اعرف ذلك.. ولكن الملازم الأمريكى كان يعتقد اننى مجنون بسبب إعجابى بهذه الأماكن غير المألوفة بالنسبة له وللآخرين. فقد تعود أن يسألنى فى كل مرة نذهب فيها إلى مكان خطير قائلاً : أنا متأكد أن هذا المكان يُذكرك بطفولتك.. ويضحك. أما أنا فقد كان صدقاً

أكثر ما اعجبني بشأن العراق هو انها قد ذكرتني بمصر.. ليس اكثر.. حتى عندما كان الأطفال الصغار يلتقون حولي ويستمررون في مناداتي بـ مستر مستر اعطني كرة.

مريم : لا أفهم.. لماذا كان يطلب منك الأطفال الصغار كرة..؟؟

جيب : هذا لأنهم قد تعودوا على الحصول على كرة هدية من بعض الجنود الأمريكان..
مريم : لا أفهم..

جيب : هناك جندي امريكى فى الجيش، كان قد قام بعمل حملة تبرعات من منتسبى كنيسته فى الولايات المتحدة الامريكية لصالح شراء كرات رياضية كهدية لأطفال العراق.

مريم : حقاً.. !!! إنه لشيء عجيب. هذه اول مرة اسمع فيها عن شىء جيد قد فعله الامريكاني فى العراق، عدا القتل والتعذيب الغير المبرر منذ الاجتياح الأمريكى للعراق.

جيب : اعرف أن الجيش الأمريكى قد قام بعمل اشياء فظيعة فى العراق، ولكنه قد قام بالقضاء على حكم صدام حسين وهذا شىء جيد أيضاً يجب عليك عدم نسيانه.

مريم : جيب من فضلك لا تنس وقائع سجن ابو غريب، التى تعد من اقل الجرائم التى ارتكبتها القوات الأمريكية فى العراق شأنًا.

جيب : لم انس، ولكن يا مريم هل سمعت من قبل عن عملية الأمتل...؟؟؟

مريم : لا لم اسمع. وما هى عملية الأمتل؟؟

جيب : عندما كنت فى العراق قابلت مترجمة عراقية اسمها نورا، لديها قريب عراقى كردى قد روى لها الآتى.. أنه فى الثمانينيات من القرن الماضى، قد جاء الجيش العراقى مع شاحنات كبيرة جداً إلى قرينته والتى هى تعد إحدى خمس قرى كردية.. وأمر الجميع بالصعود على متن هذه الحافلات.. وبعد ذلك قد توجهوا إلى جنوب البلاد فى المنطقة الصحراوية. وعندما ذهبوا كانت البلدوزرات بالفعل قد حفرت حفرة عملاقة فى الأرض. وتم إجبار الجميع على النزول فى هذه الحفرة، ثم قام الجيش العراقى بعد ذلك بالردم عليهم. بمعنى آخر لقد تم دفنهم وهم أحياء.

وقد رأف احد الجنود العراقيين بهذا الطفل، وخبأه وعاد به ليسلمه إلى اقاربه فى بلدة أخرى. وهكذا يعتبر هو الوحيد الذى نجا من بين خمس قرى ليروى القصة بعد ذلك.

كانت هذه هى مذبحه الأمتل فى العراق.. إحدى ابشع جرائم صدام حسين، الذى قضى عليه الجيش الأمريكى..

مريم : ما ابشع هذه الجريمة، لا يمكننى أن اتصور مشاعر هؤلاء الأشخاص وهم على علم بأنهم على وشك أن يتم دفنهم احياء..

جيب : نعم.. بالتأكيد هى جريمة بشعة، فإذا كنتِ تظنين أن جرائم سجن ابو غريب هى بشعة فما رأيك إذا بهذه الجرائم، التى ارتكبتها صدام.. أعتقد أنه يجب على العراقيين أن يكونوا ممتنين للجيش الأمريكى لأنه قد انقذهم منه.

مريم : جيب اريد أن الفت نظرك إلى شىء مهم، أنا لم اقل أن الشعب الأمريكى بالكامل هو شعب مجرم، ولم انف وحشية هذه الجريمة المرتكبة من قبل صدام حسين.. فكما تحدثنا من قبل كل شىء يوجد منه الوجه الطيب والوجه السيئ .

لكن مع هذا لا يوجد أى مبرر قد يسمح أى انسان أو أى دولة أن تستخدم قوتها فى سبيل تعذيب وارهاب الأضعف.. مثلما فعل صدام أو القوات الأمريكية، التى كان من المفترض عليها أن تدخل لتفرض الأمن وتسقط الإرهاب كما أعلن قبل الاجتياح.. ولكن الذى حدث حدث على العكس تمامًا، فكان الشىء الوحيد الجيد الذى فعلوه هو إسقاط صدام.. والباقي.. لا تعليق.

جيب : أنت محقة فمهما حدث، لا يوجد مبرر لتعذيب وقتل الأبرياء.

مريم : أنا مثلاً لا يعجبني ما يحدث الآن فى سوريا بلدى الثانى. ولا أؤيد بشار الأسد أبداً فيما يفعله. ولكن من وجهة نظرى أنه ليس من اللائق تمامًا أن تقوم دولة قد اعلنت امام العالم اجمع انها تحارب الإرهاب، بارتكاب جرائم تتنافى والإنسانية. وأنت بنفسك قد اخبرتني من قبل عن وحشية ما قد رأيت من جرائم هناك. هل نسيت تلك الجنديّة الأمريكية من اصل لبنانى التى تحدثت عنها.. والمزيد والمزيد....

جيب : نعم لم انس، لقد كان وضعاً مقرفاً لا يمكن احتمالها. لكن مثلما ارتكب الامريكان الجرائم فى العراق هناك الكثير منهم ممن قاموا بأفعال طيبة. مثل هذا الجندى الذى قد قام بعمل مبادرة كرة لكل طفل، أو اسقاط ومحاكمة صدام..

مريم : هل تعلم جيب أن من قواعد الحرب عند المسلمين أن تكون اسباب الحرب شريفة، وعدم مهاجمة امرأة أو طفل أو عجوز أو رجل اعزل.. لذلك فتتحصن الحرب فيمن يقاتلك فقط.. وليس من يعيش فى سلام داخل مدينة الأعداء.

جيب : اعرف هذه المعلومة بالفعل ولكن أعتقد أن اسامة بن لادن مسلم لا يتبع هذه التعليمات.. أليس كذلك...!!!

مريم : إذا نظرنا إلى اسامة بن لادن كإنسان، وتخيلنا انفسنا مكانه.. وسألت نفسك على سبيل المثال.. ماذا كنت لتفعل لو كنت أنت بن لادن لووجدت أن لديه قضية شريفة وهدفاً نبيلاً، ولكنه فقط قد استخدم الوسيلة الخطأ للدفاع عن قضيته.

جيب : لا أفهم..

مريم : بمعنى آخر.. أنت تعلم وأنا اعلم ما هو قدر الانتهاكات المشينة التى ارتكبتها القوات الامريكية فى افغانستان بحجة القضاء على الإرهاب، وان هذه الانتهاكات قد نالت بالفعل من الكثير من المدنيين..ماذا لو كانت الهجمات الأمريكية قد قتلت ابناً من ابناء بن لادن. أو احاً أو شخصاً عزيزاً على قلبه.. ماذا لو كان غاضباً لإنتهاك الولايات المتحدة الامريكية لسياسات وطنه الداخلية بهذه الطريقة السافرة.. ماذا لو أراد أن يأخذ بثأره وأنت تعرف جيداً أن الانتقام حق

للطرفين. فإذا اردت أن تتخيل وضع اسامة بن لادن، فعليك أولاً أن تتخيل أن شخصاً قد دخل إلى منزل عنوة وقام بقتل زوجتك وابنتيك.. ثم تُرِكْتَ بعد ذلك على قيد الحياة.. ماذا كنت لتفعل حينها..

جيب : بالتأكيد سأغضب كثيراً.. وسأرغب في الانتقام ولكن هناك عدالة ومحكمة.
مريم : وماذا لو لم يكن هناك محكمة أو قاض لديه السلطة في استرداد حَقك.. هذا بالإضافة إلى أنك لن تعرف أبداً ما هو الشعور إلى أن تجربه. فمن البشر اشكال وانواع مختلفة. ومنهم من يستطيع أن يسامح ومنهم من لا يستطيع. أنا على سبيل المثال. سوف ارغب في الانتقام بالتأكيد اذا قتل احدهم ابني أو احد احبائي.. لن تمنعني قوة حينها من أن أثار لأحبائي..
فبن لادن من وجهة نظري على حق، من حيث رغبته في الدفاع عن بلاده. وفي رغبته في منع الولايات المتحدة الامريكية من التدخل في بلاده.. أما عن الخطأ الوحيد والأبشع الذي قد ارتكبه بن لادن فهو أنه قد انتقم من الولايات المتحدة عن طريق عمليات تفجيرية لأماكن يوجد بها مدنيون. أما أنا لو كنت مكانه، ولدى الحق والرغبة في الانتقام من القوات الأمريكية، لكنت بالتأكيد فجرت قاعدة عسكرية، أو قتلت مجموعة من الجنود، من الذين قد لوثت ايديهم بالفعل بدماء الأبرياء من الأفغان...

جيب : أنت على حق..

مريم : أنا مؤمنة جداً بالمقولة التي تقول أن الانتقام حق للطرفين، ومن بدأ الحرب عليه أن يتحمل العواقب وحده ولا يشكو. كما انني لم ارد أن اتحدث إليك في السياسة لمعرفة التامة بأنك شخص مدني لا علاقة لك بالقرارات السياسية لوطنك..

جيب :انتِ على حق، فانا مجرد مواطن امريكي.

مريم : نعم لكن كل ما اردت أن اقله هو انني لا ارى أى مبرر في استمرار تدخل الولايات المتحدة الامريكية في شئون الدول الاخرى مثل افغانستان أو العراق أو حتى مصر..
جيب : وأنا أيضاً، ولكن على حد علمي أن النساء في افغانستان كانت تتعرض للقمع والإرهاب، كما أن حركة طالبان كانت تسيطر بشدة على شئون البلاد لذلك قررت الولايات المتحدة أن تقوم بشن حرب للقضاء على نفوذ حركة طالبان الإرهابية هناك.

مريم : ولو.. حتى لو كان الوضع بالفعل هكذا داخل افغانستان، وحتى وإن كانت العراق تعيش في نزوة عصورها المظلمة قبل دخول الجيش الأمريكي.. لا يوجد أى مبرر يسمح للولايات الامريكية بالتدخل في شأن كل دولة غير مستقرة الأحوال..

فمن اعطى لهم الحق في القيام بذلك. من قال للولايات المتحدة الامريكية انها الرقيب الاعلى على دول العالم، التي عليها اصلاح الامور. حتى أن الأمم المتحدة قد حظرت على اي دولة التدخل بأى شكل من الأشكال في الشؤون الداخلية لدولة أخرى. كما انك تعلم مثلي تماماً أن

الحرب على العراق لم تكن بغرض اسقاط الإرهاب، بل كانت بغرض الحصول على حصة اكبر من البترول العالمي بدون مقابل مادي. لذلك اجتاحت العراق.. ولم تفعلها حباً في القضاء على الإرهاب كما يُشاع.. أليس كذلك...!!

جيب : نعم اعرف أن الحرب الأمريكية على العراق كانت بهدف الحصول على حصة اكبر من البترول العالمي.

مريم : نعم، وبرأى أن حكومات الولايات المتحدة الامريكية، هي التي تقوم بالقضاء على السمعة الطيبة للأمريكان في شتى دول العالم.. بسبب تلك الأفعال الشنيعة..

جيب : نعم أنت على حق.. مثل ذلك الجندي الأمريكي الذي قام بقتل مجموعة من الأفغان تماماً.

مريم : ماذا...!!! حقاً.. متى حدث هذا ؟؟؟

جيب : منذ اسبوعين تقريباً شاهدنا في الأخبار أن هناك عريفا امريكيا تسلل اثناء الليل خارج القاعدة العسكرية، وذهب إلى احدى القرى المجاورة وقام بقتل مجموعة من المدنيين الأفغان من بينهم ٨ نساء واطفال أيضاً على ما اعتقد. ثم عاد بعد ذلك إلى القاعدة وقام بتسليم نفسه..

مريم : يا إلهي.. ولماذا فعل ذلك..

جيب : يقول المحللون النفسيون أنه مُصاب بمرض يسمى متلازمة ضيق ما بعد الصدمة (post traumatic distress syndrome). وهي حالة قد اثبتت الإحصائيات انها متعارف عليها وتحدث للعديد من الجنود إثر تعرضهم لصدمة ما بعد المعركة.. حيث تجعلهم الحروب ينسون طبيعتهم ويتحولون إلى اشخاص آخرين..

مريم : نعم أفهم.

• وكان جل ما يدور في رأس مريم في هذه اللحظة هو أن تقول لجيب، أن مثل هذه الامراض ما هي إلا مسميات تُطلق امام الرأى العام العالمي حتى تقوم بتجميل الأعمال الوحشية. فيا للعجب من رأى عام عالمي يُثار بسهولة ضد الإسلام والمسلمين، وإن ارتكب جندي امريكى واحد جريمة قتل بشعة، أو مذبحه. يُبرر له الجميع فعلته بمسميات فارغة.. اين العدل، واين هي الحرب الحقيقية على الإرهاب.. !!

جيب : هل تعرفين أنه في مطلع العام ٢٠٠١ عثرت الولايات المتحدة الأمريكية في افغانستان على اكايمييات لصناعة الإرهاب. ومعامل لتصنيع السموم والعديد من الأشياء من هذا القبيل.

مريم : في كل مجتمع يوجد متشددون..

جيب : نعم أعتقد أن هذا صحيح. فلقد درست في الكلية أن الوضع الطبيعي للإنسان هو وضع الذنب. فالإنسان كائن خطاء. لدرجة اننى في بعض الأحيان أعتقد اننى لو كنت قد نشأت في

المانيا بداية القرن الاخير، واصبحت جنديا فى جيش هتلر لكنك قد قمت بالتاكيد بقتل اليهود.
بل واصبحت فخورًا بما أنا عليه. فلا احد يعرف ما قد يصبح عليه اذا تغيرت الظروف.

• هنا انتهى حوار مريم وجيب على هذا الشأن، ولا يمكن انكار أن مريم لم تبح لجيب بالردود الكافية على كلماته ومعتقداته ومبرراته للحرب الأمريكية سواء على العراق أو على أى بلد آخر. ولكنها فقط صمتت حتى لا تخسر صديقها. أو تقوم بالمجادلة فى قضية هى تعلم جيداً أنه ليس هناك ادنى دخل لجيب فى هذه القضية.

فى ذلك اليوم.. ظلت مريم بعد أن اغلقت الخط مع جيب، تتصفح الإنترنت لتقرأ المزيد عن الجامعة الأمريكية فى القاهرة وملابسات وأهداف إنشائها. وأيضاً عن الإرساليات التبشيرية الإنجيلية فى مصر..

وبالفعل كان ما عثرت عليه من معلومات يتطابق ورواية جيب عن الإرسالية التبشيرية البروتستانتية تماماً. من حيث الرغبة فى استغلال التعليم العالى والمنشآت الخاصة بالإرسالية فى التبشير بالمسيحية. أما عن الحملات التبشيرية المسيحية أو حملات الدعوة لأى دين آخر.. فهو شىء من وجهة نظرها الخاصة اعتبرته امرًا مباحاً ولا غبار عليه.. ففى نهاية المطاف يبقى العالم دائماً فى أى دولة ساحة مفتوحة ومباحة للمبارزة الكلامية فالحرية هى السماح لكل انسان بالترويج لأفكاره، مادامت لا تُهين الآخرين. وعلى من يستمع أن يقتنع أو لا يقتنع.. فهذا الامر يرجع لكل شخص الحرية التى تقرر بشأنه. فإن قرر أى إنسان التحول عن دينه. فهذا لن يضير أى ديانة ولن يقلل من شأن أى ديانة. فلكل انسان حرية الاعتقاد ليبقى الحساب فى نهاية المطاف بيد الله وحده، هو من يقرر من الصواب ومن كان على خطأ.. لسنا نحن البشر.

• بل إن السماح بالتبشير فى الدول المسلمة سوف يُعطى للمسلمين الحق بالفعل فى طلب إرسال بعثات دعوية إسلامية للخارج.. وبهذا تترك الحرية للناس.. فى الاختيار بدون اى قيود..

* أما عن حال الجامعة الأمريكية فى هذه الأيام، فهى صدقاً كانت ولا زالت جامعة للنخبة كما يُقال. هذا فى حال إن تم تصنيف النخبة من الشعوب بناءً على المستوى المادى كما هو الحال هذه الأيام فى مصر بل وفى معظم المجتمعات العربية على حد علمى.. فلا يستطيع أن يلتحق بهذه الجامعة إلا ابناء الأسر الثرية ممن لديهم القدرة على دفع مصروفات الالتحاق بالجامعة، والتى هى باهظة جداً.... وهذه الشروط لا تنطبق فقط على الجامعة الامريكية فى القاهرة، وإنما على باقى الجامعات الأجنبية التى بدأت تفرض نفسها ويقوة فى

المجتمع المصرى، مثل الجامعة الألمانية والجامعة البريطانية.. وجميعها مراكز لنشر الثقافات والسياسات الغربية فى المجتمعات المسلمة كما هو الحال بالنسبة للمدارس الأجنبية أيضاً.

لكن وقوفاً على كلمة " اعداد الصفوة " تظل دائماً حقيقة أن الصفوة من المجتمعات البشرية هم بالتأكيد العلماء، وليس الاثرياء.. ولا حتى رجال السياسة والسلطة. أو من ناحية اخرى يمكننا القول أن الصفوة من المجتمعات هم أيضاً الأرفع خلقاً وتهذيباً.. أن تكون انساناً رفيع المستوى، هو شىء يجب أن يكون غير مرتبط بمستوى الثراء.. أو بدرجة السلطة.

فالصفوة المؤثرة فى المجتمع بالتأكيد يجب أن تكون دوماً من علمائه وادبائه، الذين يؤثرون ليس فقط فى مستقبل مجتمعاتهم وإنما بعلمهم وبدورهم الريادى تتأثر باقى الشعوب والحضارات على مدى مختلف العصور والأزمنة. فإذا اردت أن تتبع شخصاً ما، عليك أن تتبع العالم فى دنياك حتى تتبعه فى آخرتك..

لذلك فإن من لقب أبناء العائلات الثرية فقط بالصفوة، كان على خطأ تام إلا فى حالة وجود ضمانات على حصر خروج العلماء وذوى الخلق الرفيع من هذه الطبقة فقط.. وهذا شىء مستحيل بالمرّة. لأن الذكاء والعبقريّة وحب الاستكشاف وما إلى آخره هى مواهب يعطيها الله لعباده كيفما يريد.. مواهب يُرزق بها البشر بغض النظر عن مستواهم الاجتماعى أو البيئة التى نشأوا فيها. حتى حسن الخلق لا يتوقف على كون المرء ثرياً..

• بعد ذلك عادت مريم تتحدث إلى جيب، تقريباً كل يوم.. وكانت كل محادثة بينهما تشبه تماماً الدرج، الذى كلما اعتليت خطوة تحركت اقرب إلى مقصدك. فبالرغم من الفارق العمرى والدينى والثقافى وما إلى آخره من الفروق اللا متناهية، التى من الممكن أن تجعل من الصعب التصديق بأنه يمكن لرجل امريكى مثل جيب أن يكون صديقاً لمريم الفتاة الشابة العربية المسلمة.. إلا انهم قد اصبحوا حقاً اصدقاء.. فلم تكن تلك الصداقة مثل صداقتها بتتيانا. فقد اعتادت مريم مع الوقت، على تبادل الرسائل مع جيب عبر البريد الإلكتروني. يروى لها فيه عن حياته ومستجدات الحياة فى منزله.. وعن ابنائه وحيواناتهم الأليفة.. وما إلى آخره. كما كانت تتبادل معه الآراء المختلفة حول شتى المواضيع....

جيب : مرحباً مريم.. كيف حالك...!!

مريم : أنا بخير، وانت..!!

جيب : أنا أيضاً بخير.. مريم هل لديك اى حيوانات أليفة فى المنزل؟؟

مريم : نعم لدينا حوض كبير لتربية اسماك الزينة، والذى يحبه كثيراً ويهتم برعايته شخصياً..
جيب : حقاً هذا رائع وخاصة أن رعاية الأسماك شىء مهم جداً إن لم يحدث لماتت جميعها..
مريم : نعم بالتأكيد.

جيب : ولكننى ظننت أن لديك قطة أو كلبا..

مريم : لقد كان لدينا قطة عندما كنا صغاراً، ولكننى قد اصبت بالحساسية تجاه فراء هذه القطة لذلك طلب الطبيب من والدى التخلص منها.. أما الكلاب فنحن لا نستطيع اقتناء كلب داخل المنزل.

جيب : ولماذا لا تضعونه فى الحديقة، أو فى الباحة الخلفية للمنزل..؟

مريم : لأننا نعيش فى شقة، وليس لدينا منزل كبير ذا حديقة كما تعتقد.. فنحن اسرة متوسطة الحال، وهكذا تعيش اغلب الأسر متوسطة الحال فى مصر..

جيب : أنا لى كلب هنا فى المنزل، ووحده الله يعلم كم اريد التخلص منه..

مريم : ولم لا تتخلص منه..

جيب : لأنه كلب ابنتى الصغيرة وزوجتى لا تسمح لى بالتخلى عنه، ولكنه مزعج حقاً. فهو يقوم بالنباح كلما رأى شخصاً جديداً. لذلك فقد تمكنت اخيراً من إقناع زوجتى بنقله ليعيش خارج المنزل بعد أن بدأ بالتبول فى كل مكان، واصبحت الرائحة لا تحتل داخل المنزل.

مريم : حقاً، هل تعرف اننا نحن المسلمين لا يمكننا اقتناء كلاب داخل المنزل، لأننا نؤمن بأنها غير نظيفة وتقوم بطرد الملائكة من المنزل..

جيب :حقاً.. أعتقد اننى قد سمعت شيئاً من هذا القبيل من قبل ولكننى لم اذكره.

مريم : ذات مرة قام ابن عمى بإيواء كلب ضال من كلاب الشوارع فى منزلنا. وكذب علينا قائلاً أنه اشتراه، وأنه كلب خال من الأمراض. ولكن ما أن مرت ٢٤ ساعة حتى اكتشفنا وجود الحشرات الماصة للدماء خلف اذنى هذا الكلب.. فقرر أبى التخلص منه فوراً.

جيب : حقاً، وماذا فعل هذا الصبى بعد أن عرف انكم تخلصتم منه..

مريم : اعترض قليلاً وظل يبكى، ولكن والدى قال له هذا عقاب الكذاب..

جيب : هاهاها.. فعلاً هذا عقاب الكذاب.. ولكن على ما يبدو لى أن والدك يملك سلطات فى منزله اكثر مما املك..

مريم : أه.. نعم على ما يبدو ذلك..

جيب : مريم، لقد كنت اقرأ منذ قليل كتاباً، هل يمكننى أن اروى لك عنه قليلاً ام لا ؟؟

مريم : بالطبع يمكنك.. أنت تعرف جيداً كم احب الاستماع إلى قصص وحكايات عن تلك الكتب التى تقرأها انت.. تفضل...

جيب : لقد اتصل بي صديق قديم منذ يومين وقال لى أنه قد قام بتأليف كتاب جديد ويتمنى أن اشتريه، وان أقرأه.. وبالفعل قمت بشراء الكتاب على الرغم من أنه فى البداية لم يكن يجذبنى كثيراً.. ولكننى اشتريته فقط لتدعيم صديقى..

مريم : حسناً هذا جيد..

جيب : كنت اعرف هذا الصديق منذ ايام طفولتى فى مصر، ومن الغريب اننى اتذكر حينها أن هذا الصديق كان كتوما وهادئا وصامتا دائماً لا يتحدث على الرغم من وفاة والدته فى هذا الحين. ولكننى فقط اليوم قرأت واكتشفت كم كان يعانى فى هذه الأيام لدرجة انى قد تأثرت كثيراً عندما قرأت أنه قد تعرض للضرب فى طفولته على يد قس.. هل يمكنك تخيل هذا؟؟

مريم : يا إلهى، ولكن لماذا قد تعرض للضرب..

جيب : لا اعرف فهو لم يذكر هنا السبب، ولكن أنا على تمام الثقة من أن هناك العديد من القساوسة ممن يسيئون استخدام مهنتهم ومكانتهم فى الكنيسة بعدة طرق.

مريم : نعم أنا متفهمة، فكما اخبرتك من قبل يوجد دائماً من كل طائفة البعض من من هم عدائون ومتطرفون..

جيب : نعم أنت محقة، ولكن هل تعرضت للضرب من قبل فى طفولتك يا مريم...؟؟

مريم : لا أنا واخوتى تعودنا أن يعاملنا والدنا ووالدتنا أيضاً بدون ضرب، فكانوا يعاقبوننا بطرق مختلفة بدون استخدام العنف.

جيب : جيد، جيد هذا جيد.. ولكن على حد علمى أن الضرب مسموح فى المدارس المصرية، لذلك اتوقع انك كأي طفلة أو طفل فى مصر قد عاملك احدهم بالتأكيد بعنف فى طفولتك أليس كذلك..

مريم : أوه نعم أنت محق، لقد تعرضت للضرب من قبل عدة مرات فى المدرسة ولم اخبر والدى بذلك فى البداية ولكن ذات مرة طُفح الكيل، واعلمته فذهب مسرعاً إلى المدرسة فى اليوم المقبل.. وقابل المدرس وهو غاضب وقال له بالحرف : إذا كنت أنا لا اضرب ابنتى، إذا فمن اعطاك الحق كى تضربها انت.

جيب : مريم أنا ابدى اعجابى الشديد بتصرف والدك الشجاع.

مريم : شكراً لك، ولكن فقط لتعرف أن الضرب ممنوع قانوناً فى جميع المدارس المصرية.

جيب : إذا فلماذا بالرغم من منعه هو موجود...؟؟ أنا لا افهم بوضوح.

مريم : هو موجود لأنه ممنوع صورياً فقط، وليس ممنوعاً فعلياً..هل تفهم ذلك، فليست كل القوانين تنفذ.

جيب : نعم نعم افهم، فأنا مؤمن أن فى كل بلد نوعين من القوانين، القانون الذى يتم تطبيقه على الضعفاء والفقراء، والقانون الذى يتم تطبيقه على الأقوياء والأغنياء.

مريم : نعم أنت محق، وهناك قانون آخر يُطبق على الجميع رغماً عنهم.. وهو قانون السماء..
قانون الله.

جيب : نعم أنت محقة تمامًا في ذلك.

مريم : شكرًا لك..

جيب : ولكن مريم، نسيت أن أسألك، لماذا عندما تعرضت للضرب من الأستاذ في المدرسة لم
تخبرى والدك على الفور.. !! بل انتظرت يومًا أو يومين..؟؟

مريم : آه، هذا لأننى كنت أود التصرف حيال هذا الأمر بنفسى أولاً.. دون اللجوء إلى والدى
على الفور..

جيب : وماذا فعلت..

مريم : لقد قمت بالترويج لنفسى فى كافة انحاء المدرسة، على اننى فتاة مهمة جدًا وعلى علاقة
مباشرة بوزير التربية والتعليم. كما اننى من الممكن أن أقوم بتقديم شكوى مباشرة للوزير حول أى
مدرس يضايقنى أو يضربنى..

جيب : وهل كنتِ حقًا كذلك..

مريم : لا لقد كانت هذه مجرد حيلة قمت بعملها بغرض حماية نفسى، ولكن مع الفرق فى اننى
لم اكن اكذب آنذاك على والدى، وإنما فقط على الأساتذة فى مدرستى كى احمى نفسى من
الضرب والاضطهاد. كان هذا فى نظرى الكذب بغرض شريف..

جيب : وهل أفلحت كذبتك الكبيرة هذه..؟؟

مريم : لقد استغرقتى شهر حتى أقوم بالتأكد على هذه الكذبة، وبالفعل افلحت الجميع من
مدرسى وزملائى أيضًا. حتى أن الكثير منهم كان يتجنب التعرض لى، فبهذه الطريقة أيضًا
ارغمت جميع الأساتذة على احترامى، وعدم الاستخفاف بى فقط لمجرد صغر سنى..

جيب : ولكن كيف صدقوها.. لا يمكننى أن اتخيل..

مريم : كيف جعلتهم يصدقوننى.. هذه قصة طويلة، هل تريد أن تسمعها..

جيب : نعم، نعم.. أنا لا افهم حيلتك حقًا، وكيف انطوت على اشخاص ناضجين..

مريم : بادئ ذى بدء كما اخبرتك لقد كنت كاذبة بارعة ومقنعة جدًا.. ثم يمكنك أن تقول اننى
ومنذ طفولتى كنت احلم أن اصبح صحفية عندما اكبر، وكنت مقتنعة اننى موهوبة فى الكتابة
والابداع الادبى. فقمت بعمل اشترك فى مجلة للأطفال، وارسلت لى ادارة المجلة بالبريد بطاقة
عليها صورة لى ومكتوبا عليها الصحفى الصغير. لذلك قد ذهبت ذات مرة بالصدفة لحضور
مؤتمر صحفى ولقاء لوزير التربية والتعليم، والتقطت له صورة أو صورتين وحده. ووردت لى
فكرة استخدام هذه الصور فى إقناع الجميع اننى لم اكن فقط احد حضور هذا المؤتمر وإنما أنا
أيضًا من المقربين للوزير، ولدى معارف فى مختلف اقسام الوزارة. وبالفعل اقتنعوا..

جيب : نعم.. نعم...

مريم : ولكن هناك نوعا آخر من التعبير عن الاعتراض والسخط قد ظهر فى مجتمعنا مؤخرًا أود أن استعلم عن رأيك حيالها..

جيب : وما هى..

مريم : هو أن تقوم الفتاة بالتعبير عن رفضها لشيء ما عن طريق خلع ملابسها والظهور عارية تمامًا، على غرار ما فعلته فتاة مصرية مؤخرًا عندما قامت بنشر صورة عارية لها على صفحتها على الفيس بوك تعبيراً عن رفضها لعدة أشياء فى المجتمع المصرى كالتمييز مثلاً..

جيب : انا اعترض على هذه الطريقة على الرغم من أن هدف الفتاة يعتبر شريفاً.. ولكننى ضد التعبير عن الغضب عن طريق خلع الملابس..

مريم : أنت محق فأنا أعتقد أن الإنسان الذى يحب وطنه، ويريد أن يغير بعض المساوئ الموجودة فيه.. عليه أن يعمل على ذلك فى صمت.. مثل أن يقوم بالتطوع لدى منظمة خيرية، أو يساعد الفقراء والمحتاجين أو يقوم بتعليم بعض الناس القراءة والكتابة.. ولكن بهذه الطريقة هى لا تحل شيئاً.. ولن تغير شيئاً للأفضل، بل ستساهم بنشر الفساد فى المجتمع أكثر من الماضى..

جيب : هل هى مشهورة..؟؟

مريم : لا لم تكن مشهورة فى الماضى ولكنها اصبحت مشهورة بعد ذلك، خاصة بعد أن قامت وسائل الإعلام المصرية بتداول هذا الخبر على نطاق واسع.. وازداد عدد رواد صفحتها.. لقد اصبحت قضية مثيرة للجدل تماماً. وبرأىى هى من فعلت ذلك، وجلبته على نفسها.

جيب : ولكن أعتقد انها لم تكن تعرف حينما فعلت ذلك انها ستصبح مشهورة..أليس كذلك..

مريم : جيب أنت مخطئ تماماً، بالفعل كانت تعرف.. بل كانت على يقين من انها ستصبح مشهورة.. فنحن نعيش فى مجتمع عربى اغلبه مسلم حتى مسيحيى المشرق لا يمكن أن يفعلوا شيئاً كهذا أبداً.. لأنه تربطهم بنا تقاليد أيضاً.. فلم نعتد أبداً على مثل هذه التصرفات الخارجة عن المنطق. لذلك هى بالتأكيد عرفت أن اسهل طريقة لإثارة ضجة والوصول للشهرة هى خلع ملابسها.. وهى طريقة غير صحيحة بالمره..

جيب : هل تعرفين من اين وانتها هذه الفكرة؟؟

مريم : ???

جيب : من الروسيات والأوكرانيات، لقد تعودن على فعل ذلك.. كلما اردن الاعتراض على شيء ما..

مريم : ولكننى أعتقد أنه هذه ليست طريقة للاعتراض، لأن الناس بهذه الطريقة لن يعيروا اهتماماً للقضية، وإنما إلى أشياء أخرى بالتأكد..

جيب : نعم نعم، أنت محقة. لذلك أنا لا احبذ هذه الطريقة في التعبير عن الرأى تماماً...لأنها لا تقوم بلفت الأنظار إلى القضية، وإنما إلى اشياء اخرى ليس لها ادنى علاقة بالموضوع.

مريم : وما رأيك بموضوع المثليين؟؟

جيب : أنا ارفض تماماً هذا الشكل من العلاقات الإنسانية، ولا اعترف بها مطلقاً. لأننى قد تعرضت لتحرشات فى طفولتى..

مريم : وأنا أيضاً ارفض هذا النوع من العلاقات تماماً، ولا اعترف بان لها صلة بكون المرء إنساناً. لأنها حيوانية.. بل حتى الحيوانات لا تفعل ذلك.

جيب : أعتقد أن هذه العلاقات محرمة فى الدين الإسلامى.. أليس كذلك؟؟

مريم : بالطبع محرمة، هى من كبائر الذنوب التى تعتبر من الخطايا التى تهز عرش الرحمن من الغضب. فرفضى لهذا النوع من العلاقات نابع من دينى، ونابع أيضاً من شعورى بالقرف لمجرد التفكير فى أن شيئاً كهذا من الممكن أن يحدث بالفعل.

جيب : أنت محقة، هذا هو نفس شعورى.. اشعر أنه شىء مقرف ومقزز.

مريم : ولكننى تصورت أنه من الممكن أن تكون أنت من الأمريكان المؤيدين لهذه القضية.. مثلما قرأت من عدة ايام خبرا عن انضمام الممثل الأمريكى جورج كلونى، والممثل براد بيت إلى فريق عمل مسرحية فى ولاية كاليفورنيا لديكم.. تدعو إلى عمل قانون يسمح بزواج المثليين..

جيب : أنا لم اقرأ هذا الخبر، ولكن لا عجب فى أن المثليين دائماً ما يعترضون ويحتجون.. وما إلى ذلك.

مريم : ولكن هل تؤيد فكرة زواج المثليين قانوناً ومنحهم الحق فى تبنى اطفال؟؟؟

جيب : مريم هذا القانون بالفعل موجود ويتم العمل به حالياً فى عدد من الولايات، ولكن ليس جميعها. أما عن مسألة تبنيهم لطفل.. فهذا شىء أعتقد أنه عادى ولا مشكلة فيه.

مريم : ولكن أنا لا اؤيد هذه الفكرة، فالمثليون هم عبارة عن مجموعة من البشر منافية للطبيعة.. أى ضد الطبيعة التى خلقها الله. لأن الله كما تعلم خلقنا رجلا وامرأة.. ويتم بناء الكون وتعميره ما بين رجل وامرأة. وبناءً عليه فإن النشأة النفسية والاجتماعية السليمة لأى طفل يجب أن تكون بين رجل وامرأة.. أب وأم. لكل منهم دور ولكن لو خالف الإنسان الطبيعة، إذا فكيف بالأحرى من الممكن لطفل أن ينشأ بين رجلين، أو امرأتين والعياذ بالله.....!!!!

جيب : ليس بالضرورة أن الطفل الذى ينشأ فى عائلة مثليين يكون مثلياً هو الآخر، لقد رأيت شخصاً نشأ فى اجواء مماثلة واصبح مستقيماً.

مريم : حقاً، ولكن هذا لا يعنى أنه من الممكن أن ندافع عن قضية مثل هذه حتى يزداد عددهم أكثر فأكثر..

جيب : ليس من شأنى أن يزداد عددهم، وإنما من شأنى فقط أن يتركونى وشأنى.

مريم : هل صادفت شخصًا مثل هذا من قبل ؟؟

جيب : نعم بالفعل كان آخرهم شخصًا في القاعدة العسكرية الأمريكية في العراق، ولقد صممت أنا على طرده والتعامل معه بأسلوب غير لائق تمامًا على الرغم من أن العريف الأمريكي الذي شهد الموقف حاول اقناعي بالتعامل مع الموقف بسرية تامة، ولكنني رفضت وتصرفت كرجل حقيقي..

مريم : احسنت التصرف بالتأكيد.. لقد تحدثت في هذا الموضوع من قبل مع اختي، واخبرتني أن ليس كل الأمريكيان يؤيدون هذه القضية، بل وليس كل المجتمع الأوروبي بنفس الطريقة هناك الكثير ممن لا يؤيدون هذا الموضوع بل يكرهونه بشدة.

جيب : نعم هي محقة، هل تعرفين الكاو بويز ؟؟؟

مريم : نعم نعم لقد شاهدت العديد من افلام الكاو بويز.. ماذا عنهم؟؟

جيب : إذا عُرف عن شخص ما أنه مثلي في مجتمع مثل مجتمع الكاو بويز قد يتعرض للقتل لهذا السبب، أو على الأقل يتعرض للضرب المبرح..

مريم : لهذه الدرجة...؟؟

جيب : نعم بالتأكيد، هذا شيء غير مسموح به تمامًا في مثل هذه المجتمعات. حتى انني لا زلت اذكر حتى الآن، مدى رفض والدي السماح بانضمام قساوسة مثليين للكنيسة أثناء عمله هناك.

مريم : حقًا.. وهل من الممكن أن يكون القس مثليًا ؟؟

جيب : هو من الممكن الحدوث، لكن ليس بالضرورة من المسموح أن توافق الكنيسة على ذلك.

مريم : وماذا حدث.. هل سمحوا للمثليين من القساوسة بالتنظيم ؟؟

جيب : لا.. فقد حدث انقسام في الكنيسة على هذا الشأن منهم من وافق.. ومنهم من عارض..

مريم : بالطبع أنا لا اؤيد مسألة أن يكون القس مثليًا تمامًا.. وعلى الرغم من انني لست مسيحية فإنني أعتقد أن رجال الدين بشأن عام يجب أن يكونوا جميعهم اسوياء.. وإلا كيف سيستطيع انسان مثلي أن ينصح ويعظ الناس وهو بنفسه يرتكب خطيئة كبرى ؟؟؟

جيب : وأنا اتفق معك في ذلك، ولكن اخبريني مريم هل حدثت وقابلت أنت شخصًا مثليًا من قبل ؟؟

مريم : لا لم اقابل.. ولا مرة..

جيب : وهم غير موجودين في مصر أليس كذلك ؟؟

مريم : صدقًا لا اعرف، واعتقد انهم بالفعل موجودون ومحيطون بنا ولكن نحن لا نعرفهم ولا نراهم، لأنهم لا يعلنون عن انفسهم مثلما هو الحال لديكم.. يفعلون ذلك هنا في الخفاء.

جيب : آه فهمت.. يخافون القتل من المتعصبين..

مريم : لا اعرف حقاً الكثير بهذا الصدد، فكما اخبرتك أنا اعيش فى مجتمع مغلق نوعا ما، وحياتى كانت تقتصر على الذهاب والعودة من وإلى الجامعة.. أو إلى المدرسة. فلم اتعود الاختلاط بكافة اشكال وانواع الناس.

جيب : نعم افهم..

* انتهت محادثات مريم وجيب فى هذا اليوم... واستمر فى الحديث بالطبع بعد ذلك.. فكان اللقاء فيما بينهما كالاتى فى المرة التى تليها..

جيب : مريم.. أود أن أسألك عن شىء ما..

مريم : تفضل..

جيب : انتظرى فقط قرأت خبراً أرسل إلى عبر البريد الإلكتروني منذ عدة أيام واود التحقق منه من خلالك..

مريم : تفضل..

• قام جيب بإرسال نسخة من الخبر باللغة العربية إلى مريم.. وكان هذا هو الخبر بالضبط

{ آخر الصرعات : حزب إسلامى تونسى يطالب بتسريع اقتناء الجوارى للنكاح.. عملا بالقرآن والسنة النبوية!؟ :طالب حزب إسلامى تونسى بقانون ينص على تعدد الزوجات، أو اعتماد نظام الجوارى، وذلك فى سابقة تأتى قبل يوم واحد من عيد المرأة، ما أثار جدلا واسعا يرجح أن يتواصل خلال الأيام القادمة. وقال البحرى الجلاصى رئيس "حزب الانفتاح والوفاء التونسى" فى تصريح نشرته امس الأربعاء صحيفة "الصريح" التونسية ونقلته وكالة " يوناييتد برس إنترناشيونال"، أنه يطالب المجلس الوطنى التأسيسى بأن ينص الدستور التونسى الجديد على "حق كل تونسى فى اتخاذ جارية إلى جانب زوجته، والتمتع بما ملكت يمينه"، عملا بالآية "٣٦" من "سورة النساء" و" الآيتين ٥ . ٦ " من سورة" المؤمنون". وهذه الآيات كلها تشرع اقتناء الجوارى والسرى والرقىقات بهدف-----، حسب المصطلح الشرعى.

من جهة ثانية، دعا البحرى الجلاصى إلى "إلغاء كل فصل قانونى يُجرم هذه العلاقة التى وصفها بـ"الشرعية"، مشددا فى الوقت عينه على ضرورة "تقنين الجوارى، وإعتبار ذلك حقاً متاحا للرجال المتزوجين بواحدة، وتصنيف الجارية ضمن خانة "ما ملكت أيمنهم".

واعتبر الجلاصي أن الجارية هي "الحل الأنجع لإعادة التوازن الاجتماعي والأخلاقي للمجتمع التونسي الذي تضرر بعلمانية مجلة (قانون) الأحوال الشخصية، وعانى على مدى خمسة عقود من الزمن من تجريم تعدد الزوجات".

وتأتى هذه التصريحات التي وُصفت بـ"القبلة"، فيما تستعد المرأة التونسية بالاحتفال باليوم العالمي لها، وسط تخوفات متزايدة من تنامي الدعوات المطالبة باعتماد الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع في البلاد، وبالتالي تنقيح قانون الأحوال الشخصية لجهة حذف المواد التي تحرم تعدد الزوجات {

.....
.....
مريم : جيب.. أن هذه القضية محرمة تمامًا في هذا العصر.. محرم على الناس اقتناء عبيد أو جوارى. وأنا أعلم هذا لأننى قد سمعت شيخا من شيوخ الأزهر المصرى يصرح بهذا الشأن من قبل.

جيب : عفواً مريم، أنا أعرف أن هذا الشيء ليس موجودا الآن، وإن وجد فهو موجود بطريقة غير قانونية.. ولكن أنا أريد أن أفهم ما هو الفرق فى مسألة تحليله قديماً وتحريمه الآن خاصة أننى قد سمعت أكثر من مرة من قبل أن الإسلام قضى على الرق.. ولكننى لا أفهم.. ففكرت أن أسألك..

مريم : حسناً.. أنا لا أعرف.. ولكن يمكننى أن ابحث ثم أجيبك.. أعتقد أننى بحاجة لمراجعة مصدر موثوق منه..

جيب : حسناً هذا جيد.. وأنا أيضاً أريد الرد من مصدر موثوق منه..
مريم : أمهلنى حتى غد وسوف أبحث اليوم..

جيب .. لا مشكلة يا مريم.. ولكن بالمناسبة.. أردت أن أسألك، هل أخبرك جون ابنى من قبل أنه لا دينى...؟

مريم : نعم.. بالطبع، بل وحاول مناقشتى فى الأمر حتى يثبت أنه على صواب..

جيب : وبم أخبرك بالضبط..؟

مريم : أخبرنى أنه ليس ضد الإسلام ولا المسيحية، ولا أى ديانة ولكنه فقط يعتقد أن كون المرء يتبع ديانة بعينها هو مجرد وهم.. وأنه غير مقتنع بوجود الله..

جيب : نعم حتى اننى أذكر عندما حدثت مشادة كلامية بينه وبين والدى فى السابق بهذا الصدد.. واران كل منهما أن يقنع الآخر ويثبت له وجهة نظره..

مريم : حقاً ومن فاز فى إقناع الآخر بالنهاية..؟؟

جيب : لم يفتتح أى شخص بوجهة نظر الآخر وانتهى الأمر على ما يقارب من حدوث مشكلة بينهما.

* فى اليوم التالي..

جيب : مرحباً مريم كيف حالك..

مريم : مرحباً جيب.. أنا بخير وأنت ؟

جيب : أنا أيضاً بخير.

مريم : لقد قضيت الليلة السابقة فى البحث حول الموضوع الذى سألتنى عنه وما هو موقف الشريعة الإسلامية منه..

جيب : وهل توصلتِ إلى شىء ؟

مريم : نعم بالطبع.. بالتأكيد.. مبدئياً.. عرفت أن الرق كان نظاماً سائداً فى شتى شعوب العالم آنذاك، حتى تلك الأمم التى كانت تعتبر من أكثر الأمم حضارة.. هى أيضاً كان لديها نظام الرق.. لذلك فالإسلام لم يأت بهذا النظام، هو فقط نظم طبيعة هذا النظام بما يقتضيه الأمر..

جيب : كيف.. ؟

مريم : الإسلام لم يلغ الرق إلغاءً مباشراً وإنما وضع نظاماً يكفل إلغاء الرق، فيمكن القول بأن الإسلام ألغى الرق بطريق غير مباشر..

جيب : ولماذا لم يلغ الإسلام الرق بطريقة غير مباشرة ؟

مريم : وذلك لسببين..

١ - التكافؤ فى المعاملة فقد كانت هناك حروب بين المسلمين وغير المسلمين وكان غير المسلمين يستحلون استرقاق المسلمين، فكان لا بد أن يعاملهم المسلمون بالمثل كما سبق القول.

٢ - للإسلام فلسفته فى معالجة كل مسألة ليست أساساً من أسسه : ففى معالجة هذه الشئون تقضى فلسفة الإسلام أن تعالج برفق وبأناة، حتى يصل الإسلام إلى هدفه بدون أن يحدث اضطراباً بين معتنقيه. فشرب الخمر، والرق، وتعدد الزوجات، للإسلام تجاهها هدف، ولكنه يعمل لكى يصل إلى هدفه ببسر، وبعده خطوات أحياناً بدلاً من خطوة واحدة، أما الأمور الأساسية فى الإسلام كتوحيد الله وترك عبادة الأصنام، فإن الإسلام يواجهها مواجهة صريحة مباشرة، ليقطع دابرها من أول الشوط. (الكلام الذى كتب بخط مائل من كتاب مقارنة الأديان

الجزء الثالث " الإسلام للدكتور أحمد الشلبى ص ٢٢٨ و ٢٢٩)

جيب : حسناً فهمت، وما هو النظام الذى وضعه الإسلام الذى يكفل إلغاء الرق بطريقة غير مباشرة...؟

١- مريم : لقد استخدم الإسلام في ذلك أسلوبيين.. وهما تضيق المدخل وتوسيع المخرج..

تضيق المدخل:

جاء الإسلام وللرق مداخل أو وسائل كثيرة، ومنها البيع، والمقامرة، والنهب، والسطو، ووفاء الديون، والحروب مهما كانت أنواعها وأسبابها، والقرصنة والتطبيقية.. فألغى الإسلام جميع هذه المداخل، ولم يبق منها إلا مدخلًا واحدًا فقط. وضيقه الإسلام حتى لم يعد ينفذ منه إلى الرق إلا القليل النادر أشد الندرة، وذلك المدخل هو الحرب الدينية، أى التى يقصد بها الجهاد فى سبيل الله لرد اعتداء يقوم به غير المسلمين على المسلمين، بشرط ألا يكون الأسير وقت أسره مسلمًا ولو كان فى جيش الأعداء، وأن يضرب الإمام عليه الرق.

يقول الشيخ عبد العزيز جاويش أن الشرع لا يبيح أن يسترق مسلم أصلاً، ثم إنه لا يبيح بعد ذلك إلا استرقاق أسرى حرب شرعية قامت لإعلاء كلمة الله، مراعى فيها أن تكون مسبوقة باعتداء غير المسلمين عليهم. وقد مد الإسلام بذلك، تلك الأبواب التى ذكرناها والتى كانت مصادر للرق فى الأمم المختلفة قبل الإسلام وبعده.

ومن الأدلة الواضحة على أن الإسلام يضيق مدخل الرق ويميل للحرية ما ذكره الفقهاء من أنه إذا وجد طفل ادعى نصرانى أنه ابنه، وادعى مسلم أنه عبده فإنه يقضى به للنصرانى حتى لا يدخل الطفل باب الرق ولو كان رقه إسلامًا.

ومن تضيق المدخل أن الإسلام وضع تنظيمًا لأسرى الحرب لم يكن معروفًا قبل الإسلام، فقد كان الأسرى فى الأمم المختلفة يعتبرون أرقاء بمجرد وقوعهم فى الأسر، ولكن الإسلام اشترط لاعتبارهم أرقاء، أن يضرب الإمام عليهم الرق كما سبق القول، أما قبل أن يضرب الامام الرق على الأسرى فيمكن أن تتم نحوهم التصرفات الآتية:

١- تبادل الأسرى، وذلك بأن يرد المسلمون من أسراهم عددًا إلى الأعداء نظير إطلاق عدد مقابل من أسرى المسلمين الذين وقعوا فى أيدي الأعداء.

٢- المن على الأسرى أو على بعضهم وذلك بإطلاقهم من غير مقابل لسبب من الأسباب.

٣- قبول الفداء منهم، وذلك بإطلاقهم نظير مقابل مادي أو ادبي، كما فعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى أسرى بدر، فقد أطلق بعضهم نظير مقابل مادي، وجعل للقارئيين منهم أن يفتدوا أنفسهم بتعليم القراءة والكتابة لعدد من أبناء المسلمين. وفى المن والفداء جاءت الآية الكريمة :

(إِذَا أَخَذْتُمْهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ ذَلِكُمْ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ ۖ فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿٤٤﴾ فَلَنْ يَضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سورة محمد الآية الرابعة.

ومن الممكن أن نستخلص من الآية الكريمة أن الأسر شيء مؤقت يزول بطريق المن أو الفداء بعد انتهاء الحرب، ومقتضى هذا أن عددا كبيرا من أسرى الحرب أو كلهم لن يصلوا إطلاقاً إلى ساحة الرق، وقد ذكرت لنا المراجع التاريخية صورة جميلة لتبادل الأسرى وافتدائهم مع الروم، ونحن نوردها فيما يلي :

كانت عملية الفداء تتم بصورة منتظمة تقليدية ذات روعة خاصة، فيقف المسلمون على الضفة الشرقية لنهر اللامس وتقف الروم على ضفته الغربية.. واللامس نهر صغير ضيق كأنه ترعة، ويُمد جسران من القوارب بين الضفتين، وكلما أطلق الروم أسيراً مسلماً أطلق المسلمون أسيراً رومياً معادلاً له من حيث المكانة والسن وسلامة البدن، وكلما وصل إلى المسلمين أسير من أسراهم صاحوا الله أكبر، الله أكبر.. وعندما يصل إلى الروم أحد من أسراهم يصيح صياحاً مماثلاً.. فإذا بقيت لأحد من الجانبين بقية من الأسرى اقتنيت بالمال.

وتوضح لنا المراجع التاريخية أيضاً أن المسلمين كانوا يتقربون إلى الله بإطلاق الأسرى تبرعاً، وفي الحروب الصليبية نجد صلاح الدين ورجاله يتبارون في هذا المجال. (الصفحات ٢٢٩ و ٢٣٠ من نفس المرجع السابق)

لذلك فيمكنك القول بأن الإسلام عندما ظهر كان هناك الكثير من العادات والنظم البائدة الظالمة الموروثة في المجتمع، قضى الإسلام على ما قضى منها فوراً.. وطوع البقية لنهايتها قريباً..

جيب : نعم.. أفهم، وأستكمل حديثك رجاءً.. هل المقصود من كلمة توسيع المخرج هو تسهيل سبل تحرير العبيد؟

مريم : نعم بالتأكيد، ويتم ذلك من خلال عدة طرق وضعها الإسلام..

١- وهي.. أن جعل الإسلام العتق مرغوباً فيه، ووعد بالثواب العظيم لمن يعتق رقبة، قال تعالى:

(ألم نجعل له عينان ، ولسانا وشفقتين ، وهديناه النجدين ، فلا اقتحم العقبة ، وما ادراك ما

العقبة ، فك رقبة) سورة البلد الآيات من ٨ - ١٣

وقال: (م الآخر ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليومئى أتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والملائكة والكتاب والنبيين والصابرين في ٥ والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴿١٧٧ وأولئك هم المُنقون﴾ ٥ أولئك الذين صدقوا ٥ اءِ وَحِينَ النَّاسِ الْبَاسِ وَالضَّرَّ

سورة البقرة رقم ١٧٧

-٢

٣- وقال: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ﴿٦٠﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ ۗ مِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْغَارِ) سورة التوبة الآية ٦٠..

وقال عليه الصلاة والسلام " من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها عضواً من أعضائه من النار "

٤- جعل الإسلام العتق وسيلة للتكفير عن يمين حنث فيها الإنسان أو للتكفير عن بعض الذنوب..

قال تعالى: (ۗ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ۗ هَلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ كَذَلِكَ ۗ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۗ ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۗ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ﴿١٩﴾ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٠﴾) " سورة المائدة الآية ١٩

وقال: (وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۗ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً دُونَ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ ۗ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ۗ مِنَ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً ۗ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ ﴿٩٢﴾ حَكِيمًا ﴿٩٣﴾) ... سورة النساء الآية ٩٢ .

وقال: (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْكُمْ عَهْدًا ذَلِكُمْ تَوْعُظُونَ بِهِ ۗ يَتَمَسَّكُ) سورة المجادلة الآية الثالثة.

٥- مكاتبة العبد ليتحرر بدفع مال يقدمه إلى سيده، ويرى بعض الفقهاء أن المكاتبة واجبة إذا طلبها العبد وكان هناك أمل بأن يوفى بما وعد. والمكاتبة عقد بين السيد والعبد لإعادة الحرية لذلك العبد نظير دفعة مالا للسيد.

وقد اعتمد الفقهاء الذين قالوا بالوجوب، على قوله تعالى: (وَلَيْسَتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ وَالَّذِينَ يَبْنِعُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَانِبُوهُمْ ۗ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِعَاءِ ۗ وَأَتَوْهُمُ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۗ ثُمَّ فِيهِمْ خَيْرٌ إِنَّ عِلْمَ وَمَنْ يُكْرَهُهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ ۗ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٣﴾ فَوْرٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾) سورة النور الآية ٣٣

وبعد المكاتبه يعطى العبد حق التجارة والعمل، كما يعطى حق التملك والحرية ليعمل لنفسه، فلا يعمل لسيدته، بل يتحرر للكسب لسداد النجوم (الأقساط)، وبالإضافة إلى عمل المكاتب لكي يحصل على المال اللازم للإسلام نجد الإسلام يجعل من حقه نصيباً من الزكاة ليساعده ذلك على السداد...

كما يلزم الإسلام السيد أن يحط عنه بعض النجوم، أو أن يساعده بمال ليوفى بما وعد به، قال تعالى:

(يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ وَالَّذِينَ ۖ وَلَيْسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا ۖ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۖ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَمَنْ يُكْرِهُنَّ ۖ الدُّنْيَا تُكْرَهُوا فَتَبَايَعُوا عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِنَبْتَعُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ ﴿٣٣﴾ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾) النور ٣٣

٦- التدبير: وهو أن يوصى السيد بأن يكون عبده حراً بعد موته، وسمى كذلك لأن السيد تدبر أمر دنياه فأبقى العبد ليعاونه في الدنيا، وتدبر أمر آخرته فأوصى بعنق العبد عقب موته ليساعده ذلك في الآخرة بتكثير حسناته، والتدبير موصى به ويحث الشرع عليه، ولا يجوز بيع المدبر ولا هبته ولا رهنه في أصح القوانين لقوله عليه الصلاة والسلام " أن المدبر لا يباع ولا يورث ولا يوهب وهو حر من الثلث "

٧- إذا أصاب السيد أمته فحملت منه ووضع ما تبين منه شيء من خلق آدم حرم عليه بيعها وهبتها وعنتت بموته، وكان ولده منها حراً، وهذا بخلاف النظام الذي كان متبعاً عند العرب قبل الإسلام والذي كان يقضى بأن تظل الأمة أمة وإن ولدت لسيدها، وأن يكون ابنها منه عبداً. وقد كان عنترة العبسي ابن أمه وقد كان عبداً لأبيه، وحدث أن هوجمت عبس ولم يهتم عنترة بالدفاع عنها. فقال له أبوه: كر يا عنترة، فأجاب: أن العبد لا يعرف الكر، وإنما يعرف الحلاب والصر (الشد على الناقة) فقال له أبوه: كر وأنت حر. وهكذا لم ينل عنترة الحرية إلا عندما احتاجت القبيلة إلى كفاحه، وقبل ذلك كان عبداً لأبيه.

٨- أن من أعتق بعض عبد يملكه، عتق كله، فإن كان يملك بعض العبد وله شريك يملك باقيه فأعتق نصيبه عتق العبد كله وقوم عليه ما يملكه الشركاء إن كان موسراً ودفع لهم ثمنه، قال عليه السلام: "من أعتق شركاً له في عبد وكان موسراً قوم عليه ثم يعتق كله". فإن كان معسراً سعى العبد في قيمة الباقي لأنه هو الذي انتفع بالحرية، ويرى بعض الفقهاء في هذه الحالة عدم عتق الباقي.

٩- أن ملك واحداً من ولديه أو والديه عتق عليه في الحال. ويتضح من ذلك تمام الوضوح أن الإسلام أنهى الرق من الناحية العملية فالمرأة ينتهي رقبها إذا أصابها سيدها وحملت منه،

وهذا يجعل عنصر النساء قريياً جداً من الحرية، أما الرجال فقد فتحت لهم الأبواب المتعددة التي ذكرناها، وأبرزها باب المكاتبه الذي يلتزم السيد أن يقبله وأن يساعد عبيده على الوفاء بما التزم. (من كتاب مقارنة الأديان الجزء الثالث الإسلام ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٣ و ٢٣٤ للدكتور أحمد

الشلبى)

هل فهمت كيف تعامل الإسلام مع مسألة الرق يا جيب ؟

جيب : نعم يا مريم فهمت.. وهو أسلوب ذكى جداً للقضاء على شيء كان متأصلاً فى البشر منذ مئات السنوات.. ولكننى اريد أن ألفت نظرك إلى أن الرق يظل رقاً ولو اختلفت أشكاله وطرقه.. وكون الإسلام كفل نظاماً يقضى على الرق بالتدريج، هذا لا يعنى أنه قد منع معاناة الأرقاء وأنقذهم، وأنت تعلمين جيداً أن الرقيق فى غابر الأزمان كانوا يعانون أشد معاناة.. من ظلم وقهر وقسوة وما إلى آخره من شتى أنواع الظلم.. حتى أننى كنت كلما قرأت رواية أو قصة تحكى عن حياة الرقيق، ظننت أنه يمكننا القول بأن الأحرار يعاملون حيواناتهم بطريقة أفضل من عبيدهم.

مريم : لا يا جيب، الفرق بين الرقيق لدى البشر قبل الإسلام، تختلف عن الرقيق لدى البشر بعد الإسلام.. أو بالأحرى لدى السيد المسلم. فلم يكتف الإسلام بوضع نظام يكفل القضاء على الرق فقط، وإنما قد وضع نظاماً وقوانين خاصة بالتعامل مع الرقيق أيضاً.. وهذه القوانين فيها من العدالة ما يلفت النظر إلى عدالة وسماحة الإسلام، والتأكيد على فكرة أن الله قد خلق الناس أحراراً سواسية..

جيب : إذا كان عندك المزيد من المعلومات حول الطريقة التى يُعامل بها الرقيق فى الدين الإسلامى.. فأنا مهتم أن اسمع منك..

مريم : نعم بالتأكيد عندي، وما دمت قد طلبت فسأخبرك.. فلقد عمل الإسلام على محو الفوارق والتوصية بالأرقاء حتى وجد من يؤثر الرق على الحرية مثلما حدث مع ما يُسمى بالرق الصناعى..

جيب : وماذا تعنى بالرق الصناعى ؟ أنا لا أفهم.

مريم : الرق الصناعي، هي كلمة أُطلقت على الأحرار من الناس الذين فضلوا الرق على الحرية.. وذلك لما كفله الإسلام للأرقاء من حقوق وحرية قد أعزتهم ولم تذلمهم أبدًا.. كما أنهم كانوا يسعون إلى نيل النفوذ والتقرب من الطبقة الحاكمة، كما كان الحال بالنسبة للرقيق لدى الحكام والسلاطين آنذاك.

جيب : حسنًا.. أكملى من فضلك.

مريم : وأبرز ألوان المعاملة التي أتاحتها الإسلام للأرقاء، هي أن الرق يتصل بالعمل الجسماني ولا يتصل بالعقل، فالرقيق يعمل لسيدته وبطبيعته في حدود هذا العمل، ولكنه حر في تفكيره يعتقد الدين الذي يرضيه، وليس ملزمًا أن يتبع سيده في أفكاره أخطأت هذه الأفكار أم أصابت، وبناءً على ذلك لا يجوز للسيد أن يرغم عبده على أن يتبعه في دينه. ولا أن يطلب منه أن يرتكب إثماً أو أن يقتل نفسًا بغير حق. وللعبد أن يعارض ذلك أو يقف في وجه سيده قائلًا : لا، هذا لا يجوز. وقد عد العرب في مطلع الإسلام هذا التفكير الذي يقضى بتحرير عقل الأرقاء ثورة عارمة. وقتلوا عبيدهم وعذبوهم حينما صاح هؤلاء العبيد في وجوه ساداتهم قائلين : لقد اعتنقنا الإسلام وليس لكم سلطان على عقولنا. وسلطانكم محدود بالأعمال الجسمانية فقط التي لا تنافي الأديان والأخلاق، وفي ذلك يقول ابن القيم: والسيد لا حق له في ذمة العبد ولا في إنسانيته، وإنما حقه في بدنه.

جيب : هذا شيء رائع، أن يترك الإسلام الحرية للعبيد أن يعتنقوا ما يريدون من أى فكر وأى دين. فأعتقد أنه قد كان بالأحرى له أن يضع قانونًا يلزم العبيد اعتناق دين أسيادهم وهو الإسلام.. أليس كذلك ؟

مريم : لا ليس كذلك، فالدين الإسلامى دين حضارى ويحترم حرية الإنسان فى اختيار عقيدته.. لذلك يمكنك القول بأن من اعتنق الإسلام قد اعتنقه عن إرادة ورضا ولم يرغمه أحد. وذلك لأن التدين يجب أن ينبع من القلب، والإسلام لم يأت بالقوة بل أتى بالحب واعتنقه الناس بالحب والرضا. لذلك فقد كفل الإسلام لأى إنسان أن يعتنق ما يريد، حتى وإن كان هذا الإنسان عبداً.

جيب : شيء رائع.. أكملى.

مريم : وخطوة أخرى خطاها الإسلام فى معاملة الرقيق هى مساواته بالأحرار فى أكثر الشئون، وقد روى الشيخان قوله عليه الصلاة والسلام : من قتل عبداً قتلناه ومن جوع عبداً جوعناه. ونقل الإسلام التفاضل إلى مقياس جديد هو التقوى. قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم {

من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله [133 :ص] . { أتقاكم إن الله عليم خبير } وبناءً على هذا المقياس الجديد زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ابنة عمته زينب بنت جحش من مولاة زيد، وولى زيدا هذا قيادة جيش المسلمين الناهب لمحاربة الروم فى موقعة مؤتة وكان بين جنوده الكثير من عظماء الإسلام، وولى بعد ذلك أسامة بين زيد قيادة جيش المسلمين لحرب الروم أيضاً وبين جنوده شيوخ المسلمين وعظماؤهم، وكان من خيره صحابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بلال وسلمان الفارسى وصهيب.

وقد قرر الإسلام للأرقاء بالأى يطلب منهم بأن يعملوا ما فوق طاقتهم. وبأن يكون من حقهم أن يأكلوا مما يأكل سادتهم منه، بل أن يلبسوا من لباسهم. ولعل هذه أرقى درجات المساواة، وقد ورد فى الحديث : إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم.

(الكلمات المائلة من الصفحات ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ من نفس الكتاب السابق ذكره)

لذلك فيمكنك القول بأن الإسلام عالج قضية الرق من ناحيتها العملية إلى أن يجد لها حلا من ناحيتها الدولية، وفى هذا الجانب وحده كانت مراعاة الإسلام لواقع الأمر فى البشرية يوم جاءها، وبعد أن جاءها لم يعد لعهد الرق وجود فى الوطن الإسلامى، لأن معالم عهد الرق وخصائصه قد بهتت فى الحياة الاجتماعية الواقعية بحكم تعاليم الإسلام فى معاملة الأرقاء الذين اضطروا للإسكان بهم فترة من الوقت حتى يتهيأ له عقد ميثاق دولى عام. ص ٢٣٨ من نفس الكتاب السابق ذكره.

جيب : شكراً لك يا مريم جزيلاً على هذا التوضيح الرائع، وأسف إن كنت قد تسببت لك فى عناء البحث..

مريم : لا أبداً يا جيب، لا عليك لا يوجد أى عناء فى ذلك.. وإنما هى متعة القراءة والبحث التى طالما أحببتها.. شكراً لك أنت على إثارة هذا الموضوع الرائع.

* وفى تلك الفترة.. من حياة مريم، كان مشروع مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا بدأ يبرز على الساحة المصرية. كمشروع قومى علمى عالمى على الأرض مصر، وهو بالطبع يعتبر الأول من نوعه. فشاهدت مريم إحدى حلقات البرامج الحوارية التليفزيونية، حيث كان العالم المصرى الكبير الدكتور / أحمد زويل ضيف الحلقة.

وكان يتحدث عن مشروعه.. مشروع المستقبل، ولكم كان هذا الرجل وسيظل قدوة ومثلاً أعلى في حياة مريم.. جعلها تقرر على الفور التطوع لصالح فريق أصدقاء مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا، ومحاولة مساعدتهم على إتمام المشروع على قدر ما تملك.. وبالفعل.. قامت على الفور بالبحث عبر شبكة الإنترنت.. وعثرت على رقم تليفون أحد الشباب القائمين على هذه الرابطة.. (المنسق العام آنذاك : واسمه محمود عبد الصمد) وقد اتفقوا بالفعل على أن تتضمن هي للفريق، على أن تقوم بإنشاء ما يسمى بفريق الترجمة. والذي سوف يكون دوره القيام بأعمال الترجمة واللغويات، الخاصة بباقي الفرق ومساعدتهم على إيصال الفكرة للخارج عبر شبكة الإنترنت والترويج للمشروع بالخارج.

فقامت مريم بناءً على اقتراح المنسق العام للفريق، بالعمل على جمع فريق كامل من حملة اللغات المختلفة.. سواء من زملائها السابقين في كلية اللغات أو عبر الإعلانات عبر شبكة الإنترنت.. والبدء في تدشين أول صفحة لأصدقاء المدينة على شبكة التواصل الاجتماعي فيس بوك باللغة الإنجليزية وبقاى اللغات.

فأصبح هناك فريق من حملة اللغات المختلفة (الإنجليزية - الألمانية - الروسية - الصينية - اليابانية - الفرنسية - العبرية - الروسية) .

فكان حلمها ورؤيتها هي أن تتمكن هي والفريق من المساعدة في تغيير المنظور الذي ينظر به الغرب إلى المصريين على وجه العموم، والمسلمين على وجه الخصوص بقدر الإمكان.. عن طريق إعلام الآخر، بأن لدى العرب علماء ومفكرين ومواهب ونوابغ.. وبأنهم ليسوا اغبياء وليسوا إرهابيين وبدوا..

* بعد أن انضمت مريم إلى فريق عمل متطوعي اصدقاء مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا.. وقامت بالفعل بجمع فريق من المتطوعين من حاملى اللغات، ارتأت لها أن تقترح على جيب الانضمام والتطوع لديهم في الفريق، كمترجم لغة إنجليزية.

فكان من الجميل موافقة جيب الفورية وترحيبه بالموضوع، خاصة أنه كان يجلس آنذاك بلا عمل في المنزل.. في مرحلة الاستعداد لاختبارات الترجمة لدى منظمة المترجمين الأمريكان.

وكان لخبر انضمامه صدى رائع ووقع جميل في نفس باقى اعضاء الفريق.. حيث قال جيب لمريم فور عرضها الأمر عليه أنه يوافق على العمل التطوعى لديهم، لأنه على استعداد أن يفعل أى شىء لأجل المساهمة فى مساعدة مصر على المضى قدماً إلى الامام..

لم يكن جيب شخصاً يحمل الجنسية المصرية بصفة رسمية، لم يكن يعيش جيب فى مصر آنذاك.. ولكنه احب هذا البلد.. لا أعنى بذلك أنه احب مصر اكثر من بلده الأم امريكا.. فإن هذا ليس صحيحاً.. فسيظل ولاء جيب وانتماؤه الأول لوطنه الأم وهو الولايات المتحدة الامريكية.. ولكن مشاعره تجاه مصر نبيلة وعظيمة، لأنه كمواطن امريكى ليس ملزماً بحب

مصر، أو بالعمل التطوعي لصالح أى شىء ينتمى لهذا البلد. كان من الممكن أن يقول لا لن اشترك، ولم يكن ليلومه احد حينها..

نظرت مريم لمشاركة جيب الفعالة جداً، ورغبته فى المساعدة.. حتى أنه كان يخبرها بأخطاء الآخرين اللغوية فى اللغة الإنجليزية لتقوم بإعلامهم بذلك حتى يتحسن مستواهم.. مشاركة رائعة من انسان رائع تستدعى الوقوف عندها.. فإذا كان جيب الرجل الأمريكى وقع فى غرام مصر فقط لقضائه سنوات طفولته فيها.. فماذا يجب علينا نحن المصريين فعله تجاه هذا البلد...!!! ما هو واجبنا تجاه بلدنا...!!!

لطالما كان الحب للوطن مرتبطا عبر التاريخ بالعمل، بل والتفانى فى العمل لصالح هذا الوطن وهذه القضية.. ويبقى من المزعج جداً من العديد من المصريين الاستمرار فى الكلام عن مدى انتمائهم ووطنيتهم لمصر بدون عمل. فالكلام وحده لا يساهم فى شىء، ولا يبذل شيئاً وإنما العمل هو من يفعل ذلك.. ويبدل الحروف والكلمات بأفعال تبقى خالدة ابد الدهر رغم موت اصحابها..

إذا كنت تحب وطنك يجب عليك العمل والإبداع.. يجب عليك الكفاح.. فغير المصريين احبوها بصدق، يجب أن نحبها نحن أيضاً بعمق كبير.

ويجب ألا تتلخص معانى الجنسية المصرية فى كلمة مصرى رسمياً، أو هذا يحمل جواز سفر مصرى.. بل تتلخص فى معنى هذا الأجنبى أو ذاك العربى الذى احب مصر، وعمل لأجلها.. يجب علينا أن نتجرد من المعانى الرسمية التى تجرد أى فكرة من انسانيتها.. فلکم خان الوطن من أطلقوا على انفسهم مصريين.. لكم خان المصريين مصريون غير شرفاء.. يجب أن نحب من يحبنا، وان نتحدث مع من يكرهنا.. فمن يدرى لعل اليوم الذى نصبح فيه جميعاً اصدقاء ونعيش بسلام يكون قريباً.. أما من يعاديننا ويبادرنا بالشر مهما كانت جنسيته أو مدى قربه منا.. يجب أن نتصدى له ونرد عليه ونستعيد حقوقنا الضائعة بسببه.. هذه هى القوة من وجهة نظرها..

الفصل الرابع

حقيقة العمالة !!..

من هنا .. وهناك

على الرغم من ابتعاد مريم التام عن أندريه، وعدم تحدثها إليه لفترة زمنية طويلة، وانشغالها بالدراسة والبحث عن عمل..

إلا أن رغبتها في البحث والعثور عن دليل علمي مثبت يؤكد على حقيقة أن الإنسان كان كبير الحجم فى الماضى وظل يتضاءل ويتضاءل عبر العصور حتى وصل إلى ما هو عليه الآن.. ظلت مريم تبحث عبر شبكة الإنترنت لأيام متتالية، ولكن بلا جدوى.. مع العلم انها كانت تعرف بالفعل انها لن تتمكن أبداً من ارسال هذا الدليل إلى أندريه صديقها الأجنبي الأول.. ولكنها كانت تحاول فقط، لأجل الاستعداد فى حالة تعرضها لنفس الأسئلة مرة أخرى (حول زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - من السيدة عائشة رضى الله عنها، ومحاولتها إقناعه أن أجساد البشر حينها كانت تختلف عن الآن من حيث القابلية للزواج والنضج إلى آخره....)

استمرت فى البحث.. وهى لا تعرف من اين تبدأ البحث.. وفى أى مادة علمية.. وتحت أى عنوان..

فكرت فى الذهاب إلى المكتبة عدة مرات لتحصل على المساعدة، لكن ما اوقفها هو نفس السبب الذى جعلها تتوقف عن البحث عبر الإنترنت.. وهو انها لا تعرف من اين تبدأ.. وذات مرة كانت تتحدث إلى جيب، وروت له عن مشكلتها فى البحث.. وكان الحوار بينهما كالآتى :-

مريم : جيب هناك شىء يثير فضولى جداً وارغب بالعثور عليه بشدة..

جيب : ما هو ؟؟

مريم : اريد أن احصل على دليل علمي يثبت أن احجام الناس كانت كبيرة فى الماضى، وظلت تتضاءل فى الحجم حتى وصلت إلى ما نحن عليه من حجم..

جيب : حقًا، أود مساعدتك ولكنني غير مقتنع أن هذا حقيقي، فعلى سبيل المثال انظري إلى اقرب مومياء موجودة بالمتحف المصري لديكم وانظري إلى حجمها فهي لا تبدو كبيرة جدًا عن حجمنا الطبيعي اليوم.. أليس كذلك...!!

مريم : أنا لا اتفق معك حول هذا، فلدى صديقة درست في مجال الآثار وتعمل فيه الآن.. ولقد سألتها بهذا الصدد من قبل حتى أتأكد.. فقالت لي نعم كانت احجام الناس في الماضى اكبر بكثير مما نحن عليه الآن، وهذه المومياء تعد دليلاً على ذلك لأن المياه تشكل ثلاثة ارباع جسم الإنسان.. والتحنيط يكون عبارة عن استخراج جميع السوائل من الجسم.. فعليك أن تتخيل أن هذه المومياء القائمة امامك ما هي الا مومياء لجسد فقد ثلاثة ارباع حجمه بالفعل.. هذا بالإضافة إلى أنه لا زال يوجد هناك الكثير من اسرار التحنيط التي لا زلنا رغم حداثة عصرنا لا نعرف عنها شيئاً.

جيب : اه هي محقة في ذلك، وتفسيرها منطقي جداً..

مريم : نعم اعرف.. كما اننى على يقين شخصى من أن احجام الناس تتضاءل من عصر إلى عصر.. بغض النظر عن انها حقيقة مثبتة بالفعل لدينا نحن المسلمين.. ولكن عن معرفة شخصية بإحدى السيدات البالغة من العمر ما يفوق الثمانين عاماً.

عندما كنت في منزلها ورأيت صورة لها مع زوجها.. تبدو فيها بسن العشرين حقًا. وهو يبدو في مثل عمرها. وعندما سألتها قالت لي انها كانت تبلغ من العمر ١٠ سنوات فقط في هذه الصورة.. وذهلت كثيرًا لدرجة اننى هرعت إلى أختى الكبرى وأريتها الصورة وتعجبت هي الأخرى.. وعندما روينا القصة لجدتى على سبيل التأكيد قالت نعم.. هذا صحيح، لقد كانت الفتيات في عهد شبابى شديداً وقويات واضخم منكن حجمًا.. حتى أن الطفلة منهن تبدو كامرأة..

جيب : لكن أنا ابلغ من العمر مايقارب ٦٦ ولا اعرف شيئاً عن هذا..

مريم : أعتقد انها طبيعة البلدان الحارة التي تجعل الناس هكذا.. فهذه السيدة هي من المملكة العربية السعودية، ونفس الشىء بالنسبة للمصريين فنحن نعيش في بلد حارة وفي قارة افريقيا..

جيب : حسناً دعيني افكر.. نعم نعم هذا من الممكن أن يكون..

مريم : ولكنني لا زلت لا اعرف من اين أبدأ في البحث عن هذا الدليل العلمى..

جيب : من الممكن أن تبدئي في البحث من مادة علوم الأرض.. أو علوم الإنسان..

اعتقد أن هذا من الممكن أن يفيد، ولكن من فضلك اعلميني بما تتوصلين اليه اولاً بأول فقد اثار الموضوع اهتمامى..

مريم : حسناً بالطبع..

• تركت مريم جيب وبدأت في نفس اللحظة في البحث.. باللغة الإنجليزية والعربية وتوصلت إلى الكثير والكثير من الوقائع المبهمة التي لا تملك صاحبها ولا دليلاً قوياً لعرضه أو الوثوق به..

ظلت تبحث، وتبحث حتى توصلت إلى بعض الصور المهمة واللافتة للنظر عن قصة رجل يسمى روبرت وادلو من على الموقع الرسمي الخاص بمدينة الأم

http://www.altonmuseum.com/html/robert_wadlow.html

.. ومنها هذه.. وهي صورة ارشيفية تعود إلى جريدة غير معن عنها.

Boy Giant, 8 Feet Tall, Weighs 365 Pounds



Robert Wadlow, 16-year-old Alton, Illinois, schoolboy giant, towers high above his classmates. He now is 7 feet, 10½ in. tall. He weighs 365 lbs., and gains 25 lbs. a year.

ALTHOUGH but sixteen years old, Robert Wadlow, Alton, Illinois, schoolboy giant is 7 feet, 10½ inches tall and weighs 365 pounds. Robert added two inches to his height in the last year, and gained twenty-five pounds. At this rate it will not be long before he will be holding world's records for tallest and heaviest men. Doctors are watching him closely, trying to discover the reason for his unusual growth. They do not allow him to participate in high school sports.

والخبر الذي في هذه الصورة مترجم إلى اللغة العربية هو كالآتي :-

طفل عملاق طوله ٨ اقدام، ووزنه ٣٦٥ باوند.

على الرغم من أن طالب المدرسة روبرت وادلو يبلغ من العمر فقط ١٦ عامًا، من مدينة التون إيلينوى.. إلا أنه تلميذ المدرسة الذي يصل طوله إلى ٧ اقدام ١٠ انشات ونصف، ويزن ٣٦٥ باوند. لقد اضاف روبرت إلى طوله ٢ انشات اضافيين في العام الماضي، كما اكتسب ٢٥ باوند ورتبًا. وبهذا المعدل يعتقد أنه لن يتوقف عن النمو قبل أن يحرز معدلا عالميا لطول واثقل رجل على الأرض.

يقوم الأطباء بمتابعة حالته عن كثب لمعرفة السبب خلف معدل نموه غير الطبيعي.. كما قاموا بمنعه من المشاركة في ألعاب المدرسة الثانوية الرياضية..

ظلت مريم تبحث عن المزيد من الصور والمعلومات حول هذا الرجل العملاق.

الذي ولد عام ١٩١٨ _ وتوفى عام ١٩٤٠..

روبرت وادلو.. ولد وحصل على تعليمه ودفن في التون - إيلينوى. لقد اهله طوله الفاره للحصول على لقب اطول رجل في التاريخ، كما سجل معدلا قياسيا في موسوعة جينيس حيث كان يزن عند موته ٤٩٠ باوند.

لقد ولد روبرت في فبراير عام ١٩١٨ - وكان آنذاك يزن وزنًا طبيعيًا، إلا أنه بدأ في جذب الاهتمام له عندما بدأ يبلغ من العمر ٦ اشهر، حيث وصل وزنه إلى ٣٠ باوند. وعندما بلغ ١٨ شهرا وصل وزنه إلى ٦٢ باوند. بعد ذلك استمر في النمو بمعدل غير طبيعي بالمرّة حيث كان طوله يصل إلى ٦ اقدام وانشتان، و ١٩٥ باوند في زمن بلوغه عامه الثامن.



كان روبرت هو اول مولود من عائلة هارولد وادلو، واسمه الأوسط هو بيرشنج. له اختان هيلين وبيتي، واخان يوجين وهارولد الابن. ويعتبر روبرت هو الوحيد من عائلته الذي نما بشكل غير طبيعي، بينما يتمتع جميع اخوته بأحجام طبيعية.

لقد تمتع روبرت بهواية جمع الطوابع البريدية، والتصوير الفوتوغرافي كمحاولة للحصول على حياة طبيعية، كما اصبح اطول فتى كشافة في العالم عندما كان عمره ١٣ عامًا، عندما وصل طوله إلى سبعة اقدام واربعة بوصات.. ثم اصبح عضوًا بعد ذلك في الماسونية.

عندما بلغ روبرت سن العشرين، سافر للبحث عن شركة احذية. وقد قام بزيارة اكثر من ٨٠٠ بلدة و ٤١ ولاية خلال هذه الرحلة. ولقد اضطر والده لإعادة تهيئة سيارة العائلة كي تتلاءم مع حجم روبرت ابنه. عبر ازالة الكرسي الأمامي لكي يتمكن روبرت من الجلوس في الخلف وتمديد قدميه الطويلتين.



لقد حفر روبرت اسمه في كتب التاريخ عندما وصل طوله إلى ٦ اقدام و ٧ بوصات، محطماً بذلك الرقم القياسي الذي سجله عملاق ايرلندي توفي عام ١٨٧٧. كان روبرت مولعاً جداً بحب والدته، لذلك حصل على لقب العملاق النبيل.

ويعزى حجم روبرت الخارق للطبيعة، للغدة بيتورى التي تفرز بمستويات عالية هرمون النمو. ويمكن للأطباء فى الوقت الحالى علاج مثل هذه الحالات ولكن فى العام ١٩٢٠، لم يكن هناك الإمكانيات الطبية المتاحة.



كان روبرت يتمتع بصحة جيدة فى شبابه، ولكن قدميه الكبيرتين تسببتا له فى مشكلات كثيرة وتسببتا له فى المتاعب لكثير من السنوات. حيث كان بالكاد يستطيع أن يشعر بهما.

حتى أنه لم يكن يشعر بأى حكة فيهما حتى تشكلت بثور، وتسببت له بعدوى مرضية قاتلة فى شهر يوليو عام ١٩٤٠، وعجز الاطباء عن توفير مكان له فى المستشفى المحلى. وبعد أن تم اجراء عملية جراحية خطيرة له، وتم نقل دم له. توفى روبرت اثناء نومه فى هدوء.



فى عام ١٩٨٤ نظمت لجنة المواطنين الجهود المبذولة من اجل تخليد ذكرى روبرت. وفى عام ١٩٨٥ تم انشاء تمثال برونزى له فى حرم كلية طب اسنان جامعة جنوب إلينوى. بعد وفاة روبرت عام ١٩٤٠ قامت أسرته بتدمير جميع ملابسه ومقتنياته الشخصية، حتى لا يقوم احد جامعى المقتنيات الشخصية بالسعى خلف مقتنيات روبرت كما لو كانت تنتمى إلى وحش أو مخلوق مشوه.

ولقد قالوا فى ذلك، انهم يودون أن يحتفظوا بما بقى منه فى متحفهم الخاص بعزة وكرامة وفخر.

• قرأت مريم آخر سطور فى قصة هذا الرجل، وهى تتعجب بشدة من كبر حجمه. بعد أن صدقت بنسبة ١٠٠% أن هذه القصة حقيقية وان هذا الرجل بالفعل وجد وعاش.. وان هذه الصور ليست مزيفة.

والتقت مريم بجيب عن طريق الصدفة هذا اليوم عبر الإنترنت. وعرضت عليه القصة. حتى تعرف رأيه. وتركته لبضع دقائق حتى تذهب لأداء الصلاة ثم عادت لتسأله.. ما هو رأيك في هذا؟

جيب : لقد قرأت قصته يا مريم، أعتقد أنه كان رجلاً مسكيناً.. وهى مأساة فهو يبدو رجلاً طيباً. ولم يؤذ احداً أبداً ولكنه عاش حياة غريبة، وتوفى عن عمر ٢٢ عاماً فقط.. مريم : نعم أنت محق. لقد شعرت بالأسف تجاهه أيضاً. واعتقد أنه لم يتزوج أبداً فقد عاش وحيداً. خاصة أنه لم يذكر احد أنه قد تزوج.

جيب : اه بالتأكيد كيف من الممكن أن يتزوج شخص فى هذا الحجم.

مريم : نعم أنت محق.. ولكن فقط لتعلم، لم اعثر فقط على قصة هذا الرجل فهناك المزيد.

جيب : حقاً وهل اصبح لديك هوس مؤخرًا بالعملاقة القدامى من البشر..

مريم : نعم يمكنك أن تقول ذلك فأنا اجد هذا الموضوع مثيراً جداً.

جيب : وهل وجدت حقاً قصصاً اخرى..؟؟

مريم : نعم وجدت صوراً لامرأة تسمى أنا سوان.. يمكنك أن تبحث تحت هذا الاسم على موقع جوجل أيضاً وسترى بنفسك صوراً لها..

جيب :انتظري..

مريم : حسناً.. انظر هناك.. ها هي.

جيب : اوه اراها لقد كانت عملاقة.. هى أيضاً..

مريم : نعم، أعتقد أن هذه صورة ليست مزيفة أيضاً.

جيب : نعم هذه المرأة ليست مزيفة.. انظري ماذا كتب عنها هنا على هذا الموقع.

<http://www.collectionscanada.gc.ca/cool/00>

2027-2404-e.html



مريم : حسناً دعنى أرى..

• قامت مريم بزيارة هذا الموقع الإلكتروني الخاص بمكتبة وارشيف كندا على شبكة

الإنترنت الذى كان يروى قصة العملاقة الكندية أنا سوان..

ولدت أنا سوان عام ١٨٤٦ فى ميل بروك، نونفا سكوتيا. بلغت فى عامها الخامس ٤ اقدام

و ٨ بوصات (١٤٢ سم)، ووزنت اكثر من مائة باوند (٤٥ كيلو). وكان وزنها فى سن ٢٢،

٣٥٢ باوند (١٦٠ كيلو)، وكان طولها ٧ اقدام و ٦ بوصات. (٢٢٨ سنتيمترا).

في عام ١٨٦٢ عرضت على أنا وظيفة لدى البروفيسور تي بارنيوم على أن تحصل على أجر

1,000 دولار في الشهر الواحد. على أن يقوم بمنحها دروساً خاصة في المنزل حتى تتمكن أنا من مواصلة دراستها. وقد كان هذا مقابل موافقة أنا على عرضها للجمهور في المتحف الأمريكي في نيويورك.

ولأنها تعتبر الأنثى الوحيدة العملاقة في العالم في هذا الوقت، جذبت أنا الحشود الجماهيرية الكبيرة، التي كانت تتوق لرؤيتها.

كادت أنا أن تحترق حتى الموت، عندما شب حريق في المتحف عام ١٨٦٥. واغلقت النيران مدخل السلم المؤدى لباب الخروج، ولم تتسع للخروج من النافذة.

ولكن لحسن الحظ تمكن بعض العاملين في المتحف من تحطيم الجدار المحيط بنافاذة الطابق الثالث لإنقاذ أنا. وقاموا برفعها إلى منطقة آمنة عن طريق حبل، قام بشده ١٨ رجلاً.

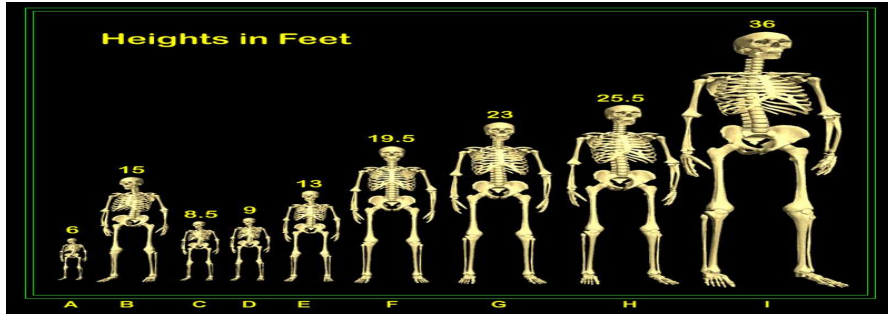


أثناء عبور المحيط الاطلسي للقيام بجولة في قارة اوروبا، تسنى لآنا أن تلتقى بعملق كنتاكي مارتن فان بورين بيتس. تزوجا في ١٧ حزيران ١٨٧١. وقاما معاً بعمل جولة كأضخم زوجين في العالم.. كما قاما بتقديم عروض فنية للملكة فيكتوريا، وأمير والاس.

عادا بعد ذلك الزوجان إلى أمريكا الشمالية، حيث قام زوج أنا ببناء منزل لهما هناك. وكان ارتفاع اسقف المنزل يصل إلى ١٤ قدمًا، كما تم عمل الأثاث خصيصًا لهما. وعلى الرغم من أن الزوجين قد انجبا طفلين ابنة وابناً.. ولكن الطفلين كانا كبيرين بشكل غير طبيعي ولم ينجُ منهما أى طفل. توفيت أنا عام ١٨٨٨ تأثرًا بمرض السل.

انتهت مريم من قراءة قصة أنا سوان، واستمرت في البحث.. لأنها تبحث عن شيء لن تتوقف حتى تجده. ولأنها تعودت أن تستشير صديقها جيب، لتحصل على رأيه في مثل هذه الموضوعات المثيرة.. كانت تسأله دائماً..

• اثناء البحث حصلت مريم على هذه الصورة التوضيحية... التي توضح الكثير..



الصورة توضح تفاوت احجام الإنسان منذ القدم حتى الآن..

A يمثل رجل اليوم الحاضر، الذي يصل طوله إلى 6 اقدام أو عدة بوصات أخرى..
 B هيكل عظمى بشرى يصل طوله إلى 15 قدمًا، تم العثور عليه في جنوب شرق تركيا في أواخر عام 1950 في وادي نهر الفرات، اثناء بناء الطرق. تم الكشف عن عظام العديد من العمالقة هناك. وهذا ينطبق أيضًا على صورة الفخذ البشرية العملاق، التي سوف توضح اسفله.

C قيصر روما ماكسيموس ثراكس، لقد كان هذا عبارة عن هيكل عظمى يصل طوله إلى 6,8..

D هيكل عظمى لجولياث يصل إلى حوالي 9 اقدام أو بضع بوصات اخرى، أى صمويل وصل إلى 17 قدما في أواخر القرن 11..

E الملك عوج، الذي تحدث عنه سفر التثنية 11 : 3.. كان طوله ما يقرب من 14 قدما. كان الملك عوج لا يقل عن 12 قدما وحتى الآن يزعم البعض أنه قد وصل إلى 18 قدما.

F هيكل عظمى بشرى ، يصل إلى 19 قدما وجد تحت شجرة بلوط انقلبت في كانتون لوسيرون.

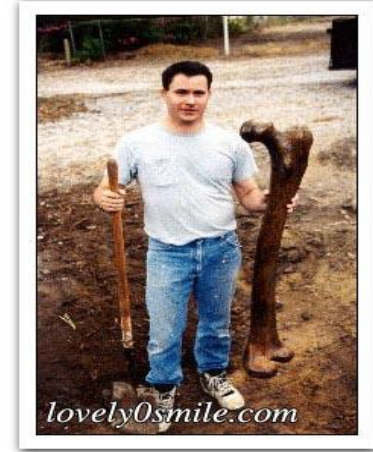
G هيكل عظمى يصل طوله إلى 23 قدما، وجد بجانب نهر فالينس في فرنسا عام 1456.

H العثور على مومياء بشرية حجمها 6. 23 قدم عام 1613 بالقرب من قلعة شومو في فرنسا.

I وهذا شيء قد يفوق التصديق أو العقلانية، وهو العثور على بقايا اقدام بشرية تصل إلى 36 قدما تنتمي للقرطاجيين.. تم الكشف عنها في مكان ما بين العامين 200-600 قبل الميلاد.

* كما عثرت مريم على نفس الموقع الإلكتروني الخاص بمتحف بلانكو للحفريات..

<http://www.mtblanco.com>



وهذه الصورة التي توضح حجم عظم فخذ بشرى عملاق..
ولكن النقد الموجه للصورتين المعروضتين يكمن في مصدر
الصور غير الموثوق..

فهناك احتمالية ضئيلة في أن تكون هذه الصور صحيحة
وتعود لعظام حقيقية فعلاً.. واحتمال آخر بعدم مصداقية هذه
الصور..

هذا ما ظنته مريم.. وعرضت الصور على جيب أيضاً.. والذي قال لها بالحرف..

" مريم أعتقد أن هذه صور غير حقيقية..

لأنها لو كانت كذلك، كان العثور على مثل هذه الهياكل العظمية العملاقة يشكل اكتشافاً علمياً
هائلاً، وخبراً تتداوله الأخبار حول العالم. وليس في بلد الاكتشاف فقط.. إذا فكيف لم نعرف شيئاً
عنهم الا الآن.. !!! أنا رجل عمرى ٦٦ عاماً وبالرغم من ذلك لم اسمع قط خبراً مثل هذا.. "

مريم : أنت محق في ذلك، لقد شككت في هذه الصور.. لأن مصدرهم يعود لمجرد مواقع غير
موثوقة على شبكة الإنترنت، التي من الممكن أن تكون كغيرها تحاول أن تقوم بالترويج لشائعة
من الشائعات لتحقيق أرباح تجارية أو شيء من هذا القبيل. ولكنني ظننت أن عدم معرفتي بمثل
هذه الاكتشافات يرجع إلى أن معظمها تم اكتشافه قديماً جداً قبل أن اولد أنا بسنوات.. كما انني
لم اكن التفت كثيراً لمثل هذه الأخبار ولا ابحت عنها فيما قبل.. كما أن النقد الذي ثار في نفسى
بهذا الشأن هو مصدر المعلومات فأنا لم اسمع من قبل قط عن متحف بهذا الاسم، كما أن
الصورة لهذه العظمة.. معلن عنها للبيع على هذا الموقع على انها نسخة من عظمة حقيقية..
ولكن هنا السؤال ترى اين هي العظمة الأصلية الحقيقية، التي تم عمل نسخة طبقاً لها.

..جيب : انتظري لحظة لألقى نظرة عليه..

مريم ولا أنا أيضاً اعرف شيئاً عن هذا المتحف، لكن حتى نكون منصفين.. من الممكن أن يكون
موجوداً في مكان ما. ونحن فقط لا نعرف. فلم يبق اي منا بزيارة جميع متاحف العالم من قبل..
أليس كذلك؟

مريم : نعم أنت محق، هناك شك في مصداقية هذه الصور، فأنا وأنت مثلما قلت لم نقم بزيارة
جميع متاحف العالم من قبل.

جيب : ولكن كوني حذرة اثناء بحثك عبر الإنترنت فالمنديات على وجه الخصوص تمتلئ
بالأكاذيب..

مريم : نعم أنت محق، لذلك دائماً ما ابحت عن مصدر أى معلومة قبل أن انظر إليها.
 ..* استكملت مريم عملية بحثها خلف هذا الموضوع.
 فى طريقها للبحث عثرت على صور وقصص العديد من العمالقة عبر التاريخ.. منهم هذه السيدة
 العملاقة.. التى تُسمى إيلا إيوينج..

إيلا إيوينج.. من مواليد ٩ مارس ١٨٧٢. ولدت فى الولايات
 المتحدة الأمريكية فى مقاطعة لويس ميسورى. ابنة السيد
 والسيدة بنجامين يونيك. حصلت إيلا على لقب اطول امرأة فى
 الولايات المتحدة فى عصرها.



Fig. 51. — La géante du Missouri, miss Ella Ewing. (Woods Hutchinson.)

ظلت إيلا تتمتع بحجم طبيعى حتى وصلت إلى سن ٩
 سنوات. ولكنها بعد ذلك بدأت فى النمو السريع والمفاجئ، إلى
 أن وصلت إلى ٦ اقدام وتسع بوصات فى سن ١٠ سنوات
 فقط. وكان سلوكها لا يختلف عن سلوك أى طفلة فى هذه

السن، إلا انها كانت اطول من اطول رجل فى المنطقة التى كانت تعيش فيها.
 كان والداها شخصين من ذوى الدخل الصغير، ولقد حاولا قدر الإمكان توفير سبل الراحة
 لابنتهما ولكن الأمر بدا مستحيلًا مع معدل نموها السريع وغير الطبيعى.
 لقد كانت إيلا تتمتع بشخصية ودودة وطيبة، غطت على طولها الخارق للعادة. فلقد تذكرها
 الناس فى قريتها بهذه الشخصية.

فى البداية رفض الوالدان عروض انضمام ابنتهما لعروض السيرك والظهور على الجمهور،
 ولكن فيما بعد اضطررا إلى الموافقة على الظهور مقابل مبلغ ٢٥٠,٠٠
 دولار فى الأسبوع مع تحمل مصاريف مرافقة الوالدين لها.

وكان اول خروج لها للعرض فى عمر ٢١ ، عام ١٨٩٣ فى المعرض الكولومبى فى شيكاغو.
 وهناك لفتت انتباه سيرك بارنيوم وبيلى. ولقد اغضب هذا فى البداية السيد، ولكنه وافق فى
 النهاية وفتح الباب على مصراعيه امام إيلا لتتضم إلى مهنة تعج بالانتباه والشهرة.

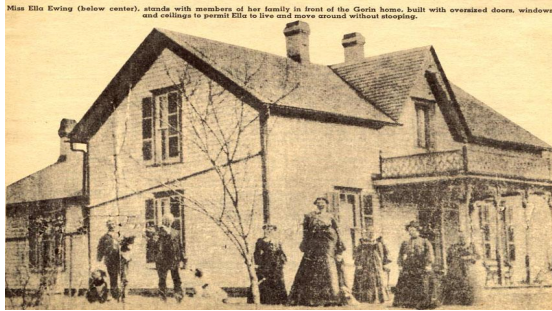
وكان قبولها لهذا العرض بداية لمهنة امتدت لمدة ١٧ عاماً
 من العمل لدى السيرك والعروض الفنية. ولقد ظهرت ايلا فى
 عرض بافلو بيل للغرب المتوحش فى سيرك سيرس فلوتو.
 ولقد اعتادت خلال العمل فى اشهر سيرك على الإطلاق
 آنذاك أن تصطحب معها إما احد والديها أو صديقتها الوحيدة
 المقربة.



لقد جلب السفر مع السيرك صعوباته على إيلا،
صورة لحذاء إيلا اولدينج بسبب كبر حجمها. وخاصة في عربات النوم،

وخاصة في عربات النوم أو عربات السكك الحديدية. حتى في الأوقات التي كانت إيلا قد اعتادت بالفعل خلالها على التحديق من ملايين الناس، الذين قد دفعوا المال لمشاهدتها. كانت هناك مشكلة وحيدة لم تتمكن إيلا أبدًا من التغلب عليها.. وهى كبر حجم قدميها. فقد كانت تعودت أن تمشى لخطوات من منصة لأخرى اثناء العرض، حتى تمنع الجمهور من مشاهدة قدميها. ولقد كان حذاءها مقاس ٢٤، ولقد تم عمله خصيصًا لها فى مصنع هيويسكامب للأحذية فى كيوكيك - ولاية أيوا.

كانت إيلا سعيدة جدًا مع العاملين بالسيرك، الذين لم يجدوها غريبة عنهم.. ولأنها شعرت بأنها لا تمثل عبئًا على والديها، وبأنها أصبحت قادرة على تحقيق حلمها وشراء منزل لوالديها. ولقد فعلتها عندما اشترت ١٢٠ فدانًا من الأرض قرب غورين. وتم بناء منزل مريح وصل ارتفاع اسقفه ١٤ قدمًا والأبواب ١٠ اقدام والنوافذ ٧ اقدام، حتى يكون مريحًا لإيلا ولا يضطرها السكن فيه إلى الانحناء.



صورة لمنزل إيلا

دُمرَ منزل المزرعة ٢٤ يونيو ١٩٦٧، بعد أن كان فى حالة من الانحلال والخراب لعدة سنوات. واصيبت إيلا بمرض الالتهاب الرئوى، اثناء إحدى جولاتها مع السيرك. وعادت إلى المنزل حيث توفيت فى ١٠ يناير ١٩١٣ عن عمر يناهز الـ ٤٠.

رفضت عائلة إيلا السماح بإجراء أى فحوصات من أى نوع على جثمان ابنتهم بعد وفاتها. خوفًا من أن تتعرض لأى نوع من انواع التجارب الطبية. كما قام والدها بوضع حارس على مدفنها لفترة طويلة بعد وفاتها. وقد دُفن والدها أيضًا فى نفس المنطقة التى دفنت فيها.

لم تكن إذًا إيلا أو أنا أو روبرت هم العمالقة الوحيدون على وجه الأرض.. بل عرف التاريخ منهم الكثيرين.. هذا ما اكتشفته مريم بعد زيارة موقع يُسمى..

www.thetallestman.com

الموقع الذي كان يرصد ويروي قصص هؤلاء العمالقة عن كُتب.. مستندًا في وقائعه إلى كُتب كُتبت بيد كتاب معروفين..

عُثرت مريم بعد ذلك على نفس الموقع على قصة عملاق ليبي.. يُسمى سليمان علي.



سليمان علي (١٩٤٣ - ١٩٩١) هو واحد من ١٥ شخصًا عرفهم التاريخ ممن وصلوا إلى ٨ أقدام في الارتفاع. لقد كان لاعب كرة سلة وممثلًا أيضًا. لقد خضع إلى عملية جراحية عام ١٩٦٠ لتصحيح نموه غير الطبيعي. لعب سليمان علي دور فني صغير في فيلم ساديريكو فيديريكو فيليني، وتوفي في شباط ١٩٩١.

وفاة سليمان الليبي عن عمر يناهز الـ ٤٨ عاما بسبب أزمة قلبية. لقد قُيد سليمان بأنه قد وصل إلى ٨ أقدام وبوصة ونصف. كما دخل موسوعة جينيس من حيث ثاني أطول رجل في العالم.

* لا زالت مريم تقرأ وتبحث.. ولقد أصبح هذا الموضوع مثيرا للبحث جدًا من وجهة نظرها.. فاستمرت ولم تتوقف.. حتى عُثرت على آخر.

Syracuse Herald-Journal, Wednesday, February 27, 1991.

DEATHS
Sulaiman Ali Nashnush
ROME — Sulaiman Ali Nashnush, 48, described by Libya as the world's tallest man, died Tuesday of a heart attack. Nashnush was listed as being 8 feet, 1½ inches tall. Libya's JANA news agency reported. The 1990 edition of The Guinness Book of Records gave Nashnush's height as 8 feet, ¾ inches, for second place.

صورة من خبر في الجريدة عن وفاة سليمان علي.

• وعلى اختلاف قصص العمالقة وكثرتها، وجدت مريم إثباتًا فعليًا من خلال قصص الكثيرين عبر التاريخ على وجود بعض الحالات النادرة للبشر العمالقة. والتي قد يعزى فيها هذا التضخم إلى امراض كانت لا تزال مجهولة في هذا العهد، أو قد تكون لأسباب جينية وراثية استثنائية..

فالجدير بالذكر هنا أن مريم تابعت قراءة هذه القصص، مع علمها بأن وجود هذه الحالات لا تعد دليلًا علميًا على ما تريد اثباته.. وانما قرأتهم لإرضاء حب الفضول المعرفى لديها.. مما يتوافر في هذه القصص من معلومات شيقة جدًا ومثيرة للانتباه.. لم يسمع بها الكثير من قبل..

• وبما أن تضخم هؤلاء البشر، لا يعنى بالضرورة تضخم الجنس البشرى بأكمله.. ولا تضخم شعوب معينة.. وليس له ادنى صلة بالمناخ المحيط لولادة ونمو هؤلاء الناس.. فسيتعين عليها متابعة البحث حتى تعثر على هذا الدليل العلمي.. الذى طلبه منها أندريه، وقد عازمت على ألا تتوقف عن البحث قبل أن تعرف. فهي تعرف لنفسها قبل أن تعرف لتجعل المزيد من الناس يعرفون.. القراءة والبحث بغرض القراءة والبحث، قبل أن يكون بغرض الرد وامتلاك دلائل، على مصداقية دين ونبي ليس بحاجة إلى دلائل..

أما عن رحلة البحث العلمي.. فى تاريخ البشر والأرض وعلم الإنسان.. فقد تذكرت انها قد شاهدت بالفعل برنامجا تثقيفيا بهذا الشأن على قناة فضائية عربية بارزة فى مجال عرض البرامج من هذا المجال. يتحدث عن أنه بعد التعمق فى بحث ودراسة الحمض النووى للبشر، قد ثبت انهم جميعًا ينتمون إلى ام واحدة.. ووطن اول واحد وهو افريقيا الأم.

وهنا يبقى السؤال الأهم.. لماذا تتغير وتتوحد اشكال واللوان البشر.. بالرغم من أن جميعهم ينتمون إلى أم واحدة...؟؟

أليس من المفترض بهم أن يكونوا كلهم لونًا واحدًا.. وطولًا واحدًا..

بالطبع هذا التنوع يعود إلى التكيف الجينى مع البيئة المحيطة.. وهو ما يعتبر نعمة من نعم الله علينا.

بمعنى آخر وعلى سبيل المثال.. أن الإنسان الأوروبى، يتمتع ببشرة بيضاء.. لأنه لا يتعرض لشمس محرقة، بل طقس بارد فى اغلب الأوقات..

وعلى العكس بالنسبة للرجل الأفريقى، الذى يتعرض لدرجات حرارة عالية جدًا، وطقس شمس وشديد الحرارة فى اغلب اوقات السنة. فوجب تباعًا، لذلك أن تكون بشرته سمراء اللون حتى يستطيع أن يتحمل أشعة الشمس المحرقة.. وما إلى ذلك.

مما يقودنا إلى حقيقة أن شكل وحجم الإنسان، بل وطبيعة حياته تتحدد بالمناخ المحيط به.. وان الجينات البشرية تتطور عبر الزمن لكي تؤهل البشر للحياة بطريقة اسهل فى البيئة المحيطة.. هذه حقيقة وليست خيالا، فإن كانت مجموعة من البشر، أو امة بعينها قد تمتعت بأحجام عادية فى غابر الزمن. فهذا لا ينفى وجود أناس اضخم منهم بمراحل يعيشون فى منطقة أخرى، فى قارة أخرى.. ووصل حجمهم إلى هذا بفضل التكيف مع المناخ المحيط بهم. ولقد ذكر هذا الشأن فى مقال علمى.. نُشر على موقع متحف سميثسونيان الوطنى للتاريخ الطبيعى.

<http://humanorigins.si.edu/research/climate-research/effects>

بعنوان " التأثيرات المناخية على تطور الإنسان "

هذا المقال يستكشف الفرضية القائلة بأن عدم الاستقرار البيئى هو المفتاح إلى تطورات الإنسان. وقد وضعت هذه الفكرة خلال برنامج سميثسونيان لاستكشاف اصول الإنسان. حيث إنه ليس من الضرورى أن تقوم عملية الانتقاء الطبيعى على نظرية البقاء للأصلح، وإنما البقاء هو لهؤلاء ممن تمكنوا من تحقيق اعلى معدلات للتكيف البيئى مع التغيرات المناخية المحيطة.

فرضية تنوع الاختيار :-

لقد قام البروفيسور ريك بوتس- ببرنامج اصول الإنسان بتطوير العديد من النظريات الفرضية التى تشرح الأحداث الخاصة بتطور الإنسان. وطبقاً لنظرياته الافتراضية لشرح تنوع الاختيار، فإن التكيفات البيئية لأسلافنا من البشر، لم تتحدد أبداً بنوع أو عادة معينة، ولم تتحدد أيضاً بأى اتجاه بيئى بعينه. بل على العكس، فإن عدم استقرار المناخ، كان هو العامل الرئيسى والسبب الأهم خلف العديد من التطورات البشرية لدى الإنسان القديم. لم تكن حياة الهومينيز (الإنسان البدائى) محدودة بالحياة فى مناخ بعينه، وإنما تم العثور على العديد منهم فى بيئات مناخية متعددة ومختلفة.

على مدى تاريخ التطور البشرى، اثبت الهومينيز قدرتهم على التكيف فى عدد من البيئات المناخية المختلفة.

ولكن السؤال هنا ؟ كيف تمكن الهومينيز من مواكبة التغيرات المناخية الحادة فى البيئة المحيطة لهم بنجاح ؟

هناك طريقة واحدة تمكن الكائنات من مواكبة التغيرات المناخية بنجاح، وهى التغيرات الجينية.. مثل تغير الأشكال. فتعددت الآليات، والأنواع المختلفة من الجينات.. الموجودة فى العديد من البشر على مختلف الترددات. ومع تغير الظروف المحيطة يستمر الانتقاء الطبيعى فى تفضيل

متغير جينى على آخر. بحيث يمكن للجينات أن تقوم بتسهيل عملية تكوين مجموعة اشكال مختلفة تآثراً بمناخات بيئية مختلفة.

هناك أيضاً نوع آخر من أنواع الاستجابة للتغيرات المناخية، وهو عبارة عن تغير فى البنية الجسدية والسلوكيات بالدرجة الكافية، التى يمكن استخدامها لمواكبة التغيرات البيئية المختلفة. عملية الانتقاء لهذه الهياكل والسلوكيات كنتيجة لعدم الاستقرار البيئى، معروفة بعملية تنوع الانتقاء. هذه الفرضية تختلف عن تلك القائمة على اشكال بيئية محددة. إن التغير البيئى فى اتجاه واحد وثابت يقود إلى التخصص فى حالة معينة فقط. ولكن فى حالة أن تكون البيئة متنوعة التغيرات، فإن التخصص فى الحياة لدى حالة مناخية بعينها سيكون اقل فائدة من تغير البنية الجسدية والسلوكيات لمواكبة التغيرات البيئية غير المتوقعة. تنوع الانتقاء يفضل وجود القدرة على التكيف، التى تساعد على النجاة من التغيرات المناخية غير المتوقعة.

يوضح سجل الحفريات البشرية، أن الهومينيز تطور بشكل كبير فى فترة زمنية اتسمت بتنوع التغيرات البيئية. ولقد ثبت أنه قد حدث تنوع كبير فى التغيرات البيئية على مدى نطاقات زمنية تمتد لعشرات آلاف الأعوام.

فرضية التنوع الاختيارى تعنى أن الصفات البشرية تطورت عبر الزمن لكى تساعد اسلافنا البشر على النجاة من التغيرات البيئية غير المتوقعة. (هذه كانت فقرة من المقال)

انتهت مريم بالطبع من قراءة هذا المقال، باللغة الإنجليزية.. واتجهت لتبحث على نفس الموقع على صور لحفريات تعود إلى جماجم بشرية لأناس عاشوا منذ قرون وقرون.. وبالفعل عثرت على هذه الصور لنفس الجمجمة البشرية.

لقد تم الكشف عن هذه الحفرية فى دامينسى بجمهورية جورجيا بواسطة فريق تحت قيادة دايفيد لوردكيبانيدزى.

تعود إلى ١,٧ مليون سنة.

تنتمى هذه الحفرية لرجل من كبار السن، من سلالة الإنسان المنتصب، التى انتشرت من افريقيا إلى جبال القوقاز فى غرب



آسيا.

سقطت معظم اسنانه بالفعل قبل وقت طويل من وفاته، لذلك تدهورت حالة فكه نتيجة لذلك. * يعتقد أنه قد يكون تم الاهتمام به من قبل اعضاء جماعته.. كما يلاحظ أن حجم الحفرية طبيعى.. أو أنه يكاد يوازى الحجم الطبيعى للرأس البشرية ولكن التعليق هنا يكون بناءً على أن للتغيرات البيئية تأثيرات واضحة وقوية على شكل وبنية الإنسان. وهو أمر بالطبع مسلم به، ولكن الفكرة تكمن فى أن كل شعب يتميز بمميزات جسدية خاصة به. وهذه المميزات لا تقتصر

على العصور الماضية فقط، بل تمتد لتصل إلى وقتنا هذا. فأقرب تشبيهه وإثبات لذلك وهو موجود بالفعل في عصرنا هذا.. أن للمرأة الشرقية جسدا يختلف عن جسد المرأة الأوروبية .. ليختلف بدوره عن جسد المرأة الآسيوية..

وجميعها اختلافات تتعلق، بالبيئة العامة والمناخ.. حتى الإنسان الأفريقي، الذي انتقل حديثاً للحياة في دولة باردة المناخ مثل روسيا دائماً ما يواجه جسده صعوبات في تقبل المناخ هناك. قد تصل في بعض الأحيان إلى المرض أو الموت.. والعكس صحيح. فإذا امكنا القول بأن النساء في شبه الجزيرة العربية في القدم ، كن اضخم في البنيان الجسدى مما نحن عليه الآن..

او حتى كن اضخم في البنيان الجسدى، مما كانت عليه مثيلاتهن من نفس العصر ولكن في قارة أخرى لا..

فسوف نعزى بهذه الضخامة.. بالطبع، إلى الطبيعة المناخية الحارة التي تتميز بها شبه الجزيرة العربية.. التي تجعل الفتيات تمر بعملية نضوج مبكر عن مثيلاتهن. كما أن ضخامة الحجم لا تعنى بالضرورة الوصول إلى حد العملاقة.. فهذه عصور تختلف عن غيرها من العصور الأخرى.. حتى أن زمن وجود شعوب بأكملها من العمالقة على وجه الأرض، يواجه احتمالية حياة شعوب اصغر منهم حجماً في نفس الزمن. ولكن في مكان آخر في بيئة مناخية مختلفة..

تابعت مريم بعد ذلك البحث عن دليل علمي عما تؤمن به وتصدقها، ولكنها للأسف لم تتمكن أن تصل إلى أى شىء من خلال شبكة الإنترنت فقط. ولم تسعها الظروف آنذاك أن تذهب إلى المكتبة لكي تطالع كتباً تتحدث عن هذا الشأن. وهنا فقط قررت أن ترجع للبحث في التاريخ، بدلاً من البحث في العلم.

بمعنى أن تبحث في كتب وقصص الأمم السابقة. وقد كانت تختص في بحثها هذا، القوم الذين قد ذُكروا بالفعل في القرآن الكريم باسم قوم عاد. وكانت قبيلة عاد تسكن مكاناً يُسمى الأحقاف.. وهي صحراء تمتلئ بجبال البحر المائلة وقد تُطل على البحر. وقد كانت مدينة ارم عاصمة عاد تقع في المنطقة بين اليمن وعمان. وقد استطاعت مريم الوصول إلى



بعض المواقع المهمة المبنية على مصادر موثوقة ومسجلة بالفعل رسمياً، التي تتحدث عن هذا الموضوع.. منها المواقع الاجنبية، ومنها العربية..

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D9%88%D9%85_%D8%B9%D8%A7%D8%AF

<http://www.perishednations.com/adandubar1.html>

<http://www.pbs.org/wgbh/nova/ubar/zarins/zarins3.html>

<http://quran-m.com/articleprint.php?id=748>

ولقد كان قوم عاد اشداء واقوياء.. حتى وصلوا للدرجة التي قالوا فيها كما حكى عنهم القرآن " من أشد منّا قوة " آية ١٥ سورة فصلت.

وطبقاً لتاريخ الطبرى يروى المؤرخون أن قوم عاد قد عبدوا ثلاثة اصنام يُقال لهم صداء وسمود والهباء. ولقد دعا النبي عاد قومه إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام، ولكنهم لم يصدقوه واحتقروه واتهموه بالسفه والطيش والكذب.

ومن الجدير بالذكر أن الآيات القرآنية قد حدثت بالفعل عن أن قوم عاد قد اشتهروا ببناء الصروح العظيمة والمسكن الفارهة. وبأنهم قد بنوا مدينة عظيمة تُسمى إرم، اشتهرت بعمادها الضخمة.. كما دُكر في القرآن الكريم :-

(الْمَ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ {٦} إِرْمَ دَاتِ الْعِمَادِ {7} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ {٨} (سورة الفجر)

ولما عصوا رسولهم انزل الله عليهم ريحاً عاتية محملة بالغبار والأترية. قد حدد القرآن مكان قوم عاد فى الأحقاف والأحقاف جمع حقف وهى الرمال، ولم يعين القرآن موقعها، إلا أن الإخباريين كانوا يقولون أن موقعها بين اليمن وعُمان..

وبالطبع ليس من باب الصدفة، أن تصدق قصة القرآن الكريم، وتكتشف مدينة إرم المفقودة منذ سنوات الذى لم يسمع عنها احد سوى ما تناقلته أخبار البدو، وآمن به المسلمون.. صدقت مواصفات المدينة تماماً بعد اكتشافها..

ففى عام ١٩٩٠ امتلأت الصحف العالمية الكبرى بأخبار اكتشاف مدينة عربية مفقودة.. أو كما قالوا مدينة عربية اسطورية. " اسطورة الرمال - عبار " والأمر، الذى جعل ذلك الاكتشاف مثيراً،

هو الإشارة إلى تلك المدينة فى القرآن الكريم. ومنذ ذلك الحين أثار هذا الاكتشاف دهشة وحيرة الكثير من الناس ووضع امام اعينهم المزيد من التساؤلات.

نيكولاس كلاب، الرجل الذى اكتشف تلك المدينة الأسطورية التى ذكرت فى القرآن على الرغم من أنه منتج افلام وثائقية. ومع كونه مغرمًا بكل ما هو عربى، فقد عثر اثناء قراءته فى التاريخ العربى.. على كتاب مثير جدًا بعنوان اربيا فيليكس لمؤلفه " بيرترام توماس " الباحث الإنجليزى، الذى ألفه عام ١٩٣٢، وارابيا فيليكس هو الاسم الرومانى للجزء الجنوبى من شبه الجزيرة العربية. التى تضم اليمن والجزء الأكبر من عمان، وقد اطلق اليونان على تلك المنطقة اسم العرب السعيد.

وأطلق عليها علماء العرب فى العصور الوسطى، اسم اليمن السعيدة، وسبب التسميات لتلك المدينة أن السكان القدامى لتلك المدينة كانوا من اوفر الناس فى عصرهم حظًا. والسبب فى ذلك يرجع إلى موقعهم الإستراتيجى من ناحية، حيث انهم اعتبروا وسطاء فى تجارة التوابل بين بلاد الهند وبلاد شمال شبه الجزيرة العربية. ومن ناحية اخرى فإن سكان هذه المنطقة اشتهروا بإنتاج اللبان وهو مادة صمغية عطرية تستخرج من نوع نادر من الأشجار. وكان هذا النبات لا يقل قيمة عن الذهب حيث كانت المجتمعات القديمة تقبل عليه كثيرًا.

وفى خلال احدى رحلاته اراه البدو فى هذه المنطقة، بعض الآثار القديمة وقالوا له أن هذه الآثار هى الطريق إلى مدينة عيار القديمة. ولكن توماس الذى ابدى اهتمامًا شديدًا بالموضوع توفى، قبل أن يتمكن من إكمال بحثه. وبعد أن راجع كلاب ما كتبه الباحث الإنجليزى، اقتنع بوجود تلك المدينة المفقودة، التى وصفها الكتاب، ودون أن يضيع المزيد من الوقت بدأ يبحث. وقد اتبع كلاب طريقتين فى بحثه لإثبات أن هذه المدينة موجودة بالفعل. عندما اقتنع أن هذه الآثار الموجودة تقود إلى مدينة عيار، قدم طلبا للالتحاق بوكالة ناسا من اجل الحصول على صور عبر القمر الصناعى تقود لتلك المنطقة.. وبعد عناء طويل نجح فى إقناع السلطات بالنقاط صور لتلك المنطقة بالقمر الصناعى.

ثانياً : اتجه كلاب لبحث ودراسة المخطوطات والخرائط القديمة فى مكتبة هانينجتون فى ولاية كاليفورنيا بهدف الحصول على خريطة للمنطقة، وبعد فترة قصيرة من البحث وجد واحدة، وكانت خريطة رسمها بطلمي عام ٢٠٠ ميلادياً وهو عالم جغرافى يونانى مصرى. وتوضح الخريطة مكان مدينة قديمة اكتشفت بالمنطقة، والطرق التى تؤدى إلى هذه المدينة. وفى الوقت نفسه تلقى اخباراً من وكالة ناسا تؤكد وجود آثار القوافل مرئية بعد أن كان من الصعب تمييزها بالعين المجردة، وإنما فقط رؤيتها ككل من السماء. وبمقارنة تلك الصور بالخريطة، التى وجدها توصل كلاب أخيراً إلى ما كان يبحث عنه.



موقع مدينة عاد، الذى تم الكشف عنه بواسطة صور مأخوذة من المكوك الفضائى. تم وضع علامة فى الصورة على المكان، الذى تتقاطع فيه مسارات القوافل.. فى اشارة واضحة إلى مدينة عبار.

لا يمكن رؤية مدينة عبار قبل الكشف عنها بواسطة الحفريات، إلا من خلال صور مأخوذة من الفضاء الخارجى. تم اكتشاف المدينة على عمق ١٢ متراً من الحفر.



وأخيراً، تم اكتشاف مكان المدينة الأسطورية التى ظلت طويلاً موضوعاً للقصص التى تناقلتها ألسن البدو. وبعد فترة وجيزة، بدأت عمليات الحفر، وبدأت الرمال تكشف عن آثار المدينة القديمة، ولذلك وُصفت المدينة القديمة بأنها (أسطورة الرمال "عبار"). ولكن ما الدليل على أن تلك المدينة هى مدينة قوم "عاد" التى ذُكرت فى القرآن الكريم؟ منذ اللحظة التى بدأت فيها بقايا المدينة فى الظهور، كان من الواضح أن تلك المدينة المحطمة تنتمى لقوم "عاد" ولعماد مدينة "إرم" التى ذُكرت فى القرآن الكريم.



صورة لمدينة عبار التاريخية " إرم " مأخوذة بالقمر الصناعي تُبين لنا العلامات الزرقاء اعمدة مدينة إرم الشاهقة العملاقة.

حيث إن الأعمدة الضخمة التي أشار إليها القرآن بوجه خاص كانت من ضمن الأبنية التي كشفت عنها الرمال. قال د. زارينزو هو أحد أعضاء فريق البحث وقائد عملية الحفر، أنه بما أن الأعمدة الضخمة تُعد من العلامات المميزة لمدينة "عبار"، وحيث إن مدينة "إرم" وُصفت في القرآن بأنها ذات العماد أى الأعمدة الضخمة، فإن ذلك يعد خير دليل على أن المدينة التي اكتُشفت هي مدينة "إرم" التي ذكرت في القرآن الكريم ولقد كشفت السجلات التاريخية أن هذه المنطقة تعرضت إلى تغيرات مناخية حولتها إلى صحارى، والتي كانت قبل ذلك أراضى خصبة مُنتجة فقد كانت مساحات واسعة من المنطقة مغطاة بالخضرة كما أخبر القرآن، قبل ألف وأربعمائة سنة. ولقد كُشفت صور الأقمار الصناعية التي التقطها أحد الأقمار الصناعية التابعة لوكالة الفضاء الأمريكية ناسا عام 1990 عن نظام واسع من القنوات والسدود القديمة التي استعملت في الرى فى منطقة قوم عاد والتي يقدر أنها كانت قادرة على توفير المياه إلى 200.000 شخص¹.

كما تم تصوير مجرى لنهرين جافين قرب مساكن قوم عاد أحد الباحثين الذى أجرى أبحاثه فى تلك المنطقة قال: " لقد كانت المناطق التى حول مدينة مأرب خصبة جداً ويعتقد أن المناطق الممتدة بين مأرب وحضرموت كانت كلها مزروعة." كما وصفَ الكاتبُ القديم اليونانى Pliny هذه المنطقة أنها كانت ذات أراض خصبة جداً وكانت جبالها تكسوها الغابات الخضراء وكانت الأنهار تجرى من تحتها. ولقد وجدت بعض النقوش فى بعض المعابد القديمة قريباً من حضرموت، تصور بعض الحيوانات مثل الأسود التى لا تعيش فى المناطق الصحراوية وهذا يدل دلالة قاطعة على أن المنطقة كانت جنات. وهذا مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى :

"وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤)"

الشعراء

كما تطرق الدكتور منصور ابو شريعة " جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية " فى كتابه موسوعة الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم والسنة إلى هذا الشأن.. فى موضوعه بعنوان الأحقاف مساكن قوم عاد.

{ كما هو معروف فإن المدن والقرى توجد حيث توجد مصادر المياه التى يشرب منها البشر. ويسقون منها انعامهم ومزروعاتهم وعادة ما تزدهر، هذه المدن وتظهر فيها الحضارات. اذا ما توفرت المياه بشكل دائم وبكميات كافية. كما هو الحال مع الحضارات التى ظهرت على انهار النيل والفرات ودجلة. لقد حدد القرآن الكريم أن قوم عاد كانوا يعتمدون على مياه العيون المنتشرة بين كئبان الأحقاف وذلك مصداقا لقوله تعالى: "وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ".

وإنه من غير المستغرب أن تتفجر هذه العيون من بين رمال هذه الصحراء القاحلة إذا ما علمنا أن كميات هائلة من مياه الأمطار التى تسقط على مرتفعات اليمن وعمان المحاذية للأحقاف من الجهتين الغربية والجنوبية تصب فى رمال الأحقاف. أن مياه الأمطار الموسمية التى تسقط على سلسلة جبال حضرموت وعمان والتى يبلغ طولها أكثر من ستمائة كيلومتر ويعرض يزيد عن مائتى كيلومتر تصل فى النهاية إلى رمال الأحقاف من خلال عدد كبير من الأودية. وبما أن مستوى مياه العيون التى يتم حفرها فيما بين الكئبان يتأثر تأثرا مباشرا بكميات الأمطار التى تهطل على سفوح الجبال فإن قوم عاد كانوا يستبشرون خيرا عندما تنزل الأمطار على أوديتهم مصداقا لقوله تعالى: "فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) الأحقاف.

إن المياه التى تصب فى رمال الأحقاف الممتدة من اليمن غربا إلى الحدود اليمنية العمانية بطول سبعمائة كيلومتر لا تكاد تستقر فيها بل تجرى باتجاه الشرق بسبب ميلانها الكبير فهى تبدأ بارتفاع ألف ومائة متر وتنتهى بارتفاع مئتين وخمسين مترا. أما الجزء الذى يمتد من الحدود اليمنية العمانية إلى نهايتها فى الإمارات مرورا بالسعودية بطول خمسمائة كيلومتر فإن ميلانها منخفض جدا حيث تبدأ بمئتين وخمسين مترا وتنتهى بمائة متر ولذلك فإن المياه الجوفية تتجمع بشكل كبير تحت رمال الصحراء وتسير ببطء باتجاه واحة ليوا الاماراتية. ومن الواضح من الصورة التالية أن المكان الأكثر احتمالا لمساكن قوم عاد هى الأحقاف الموجودة فى المنطقة العمانية وذلك لأسباب كثيرة. أولها أن هذه المنطقة تغذى بالمياه من واديين عظيمين (باللون الأبيض) تمتد تفرعاتها النهائية على مدى مائتى كيلومتر من جبال حضرموت وعمان كما هو واضح من صورة جوجل إيرث التالية. {



أما عن كيفية نهاية تلك المدينة، واندثارها.. فقد فسرتة مجلة A m'interesse الفرنسية التي ذكرت أن مدينة إرم أو "عبار" قد تعرضت إلى عاصفة رملية عنيفة أدت إلى غمر المدينة بطبقات من الرمال وصلت سماكتها إلى حوالي ١٢ مترا. وهو ما ذكره القرآن الكريم سلفاً عن نهاية تلك الحضارة..

"وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحَلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨)" الحاقة وقوله تعالى "كَذَبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ (١٨) أَنَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (١٩) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَحَلٍ مُنْقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَدَابِي وَنُذِرِ (٢١) " القمر وقوله تعالى "فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ (١٦)" فصلت وقوله تعالى "وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَدْرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)" الذاريات.

إن هذه الآيات تحدد صفات الريح التي أرسلت إلى عاد فهي أولا ريح صرصر أي ريح باردة جدا ولهذا فلا بد أنها كانت قادمة من الشمال مما يعنى أنها ستمر على صحراء الربع الخالي المفتوحة ذات الرمال الناعمة. وهي ثانيا ريح عاتية أي أن سرعتها بالغة العلو قد تصل لعدة مئات من الكيلومترات في الساعة وهي ذات قوة تدميرية عالية بحيث أنها تنزع الناس والحيوانات والأشجار وتطير بهم في الهواء كما نرى في الأعاصير المدمرة التي تضرب مناطق كثيرة من العالم فتحدث تدميرا كبيرا فيها.

ومن الواضح من الآيات أن هذه الريح كانت عاصفة رملية ضخمة (انظر صورة العاصفة الرملية التالية)



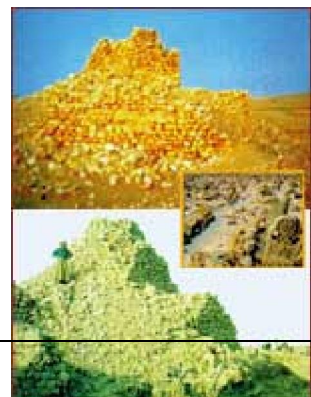
تحمل كميات كبيرة من رمال الربع الخالي فأمرتها على مدينة إرم التي تقع على حافة الأحقاف بعد أن اصطدمت بسلسلة الجبال التي تقع خلف مدينة إرم. لقد دفنت رمال العاصفة جميع مزارع عاد التي تقع بين الكثبان ومعظم المدينة كذلك والتي لم يظهر منها في ذلك الحين إلا الأجزاء العليا من مساكنهم والتي دفنت بشكل نهائي مع مرور آلاف السنين مصداقا لقوله تعالى **تُدَمَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) "الأحقاف .** ويمكنك تخيل ما حل بمدينة إرم وواحاتها المنتشرة بين الأحقاف جراء العاصفة الرملية إذا ما تفكرت في مصير الواحة الظاهرة في الصورة العليا والمحاطة بالكثبان الرملية من كل جهة إذا ما تعرضت لعاصفة رملية مماثلة (لا سمح الله). أما الصفة الأخيرة والعجيبة لهذه الرياح فهي مدة هبوبها حيث استمرت بالهبوب لمدة سبع ليالٍ وثمانية أيام متواصلة دون انقطاع أى ما يساوى مائة وثمانين ساعة وعند الرجوع لما يقوله العلماء عن أطول مدة لبقاء العواصف وجدت أنها مائتا ساعة فسبحان القائل **" فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧) "الأعراف.**

ولم يكتف القرآن الكريم فقط بالإشارة إلى قصة قوم عاد.. وكيف هلكوا. بل كما ذكرنا من قبل.. حدث عنهم بأنهم اشتهروا بالقوة والضخامة الجسدية، بالدرجة التي لم يكن لها نظير في هذا العصر.. وبأنهم قد شيدوا مدينة ليس لها مثيل..

{٨} (سورة الفجر)
{٦} إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ {7} الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ {٨} (سورة

وهذه الصور توضح مدى البراعة، التي قد وصلوا إليها.. والتقدم الحضارى الذى شهدوه.

العديد من الآثار الفنية، التي توضح براعة ومستوى عاليا.. كما يوجد بقايا لأبنية عالية ذُكرت بالفعل فى القرآن الكريم.



من المفهوم فى القرآن الكريم أن قوم ثمودًا كانوا من نسل قوم عاد. وبالاتفاق مع ذلك تظهر الاكتشافات الأثرية أن جذور ثمود، الذين عاشوا فى شمال شبه الجزيرة العربية تعود إلى جنوب شبه الجزيرة العربية حيث عاش قوم عاد.

ذُكِرَ فى القرآن الكريم :

{ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدًا لثمود } سورة هود الآية ٦٧ - ٦٨

كما ذكر الدكتور زغلول النجار فى كتاب من آيات الإعجاز فى القرآن الكريم، تلك الآيات التى تثبت بالادلة الملموسة فعليًا أن قوم فرعون وهامان قد أتوا من بعد قوم عاد وثمود.. ويتضح هذا فى..

{وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين. وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وماكانوا سابقين } العنكبوت : ٣٨ ، ٣٩

ويُذكر فى تفسير القرطبي، تفسير تلك الآيات كالتالى :-

واذكر عادا إذ أرسلنا إليهم هودا فكذبوه فأهلكناهم وثمود أيضا أرسلنا إليهم صالحا فكذبوه فأهلكناهم بالصيحة كما أهلكنا عادا بالريح العقيم. وقد تبين لكم يا معشر الكفار من مساكنهم بالحجر والأحقاف آيات فى إهلاكهم فحذف فاعل التبيين وزين لهم الشيطان أعمالهم أى أعمالهم الخسيسة فحسبوا ربيعة. فصدهم عن السبيل أى عن طريق الحق.

- وننظر هنا ترتيب الأحداث.. أو بمعنى آخر الإعجاز فى ترتيب الأحداث فى القرآن الكريم.. وهو ما يوضح أن فرعون وقومه هم من أتوا بعد عاد وثمود وسكنوا مساكنهم.. وهو ما حدث وثبت بالفعل فى عصرنا الحديث..
- النقطة الأهم التى اردت مريم الوصول إليها، والوقوف عليها.. من خلال هذا البحث. هو إثبات العلم الحديث لصدق وجود مدينة قوم عاد، التى ذكرت فى القرآن الكريم.. التى تتسم بشهاقة اعمدتها وتقدمها الحضارى فى هذا العصر.. مما يقودنا إلى حقيقة التصديق بضخامة احجام قوم عاد تباعاً لذلك..فمثلما صدق القرآن الكريم فى اوصاف

هذه المدينة، والمناخ والمنطقة المحيطة بها.. بالتأكيد لم يُكذَّب في وصف هؤلاء القوم..
إِذَا فَإِنَّ النَّاسَ حَقًّا كَانُوا ضِخَامًا بَإِثْبَاتٍ مِنَ الْعِلْمِ وَبِإِثْبَاتٍ مِنَ التَّارِيخِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَوْمٌ
عَادَ بِهَذِهِ الضِّخَامَةِ..إِذَنْ فَكَيْفَ سَيَتَسَنَّى لَهُمْ بِنَاءَ هَذِهِ الصُّرُوحِ الْعَظِيمَةِ.. (وكلمة
ضخامة لا تعنى بالضرورة عملاقة.. أو شخصا قد يصل طوله وحجمه إلى ما يقارب
طول وحجم بناية سكنية.. وانما ضخامة بالدرجة التي نعنى بها كبر حجمه عن الحجم
الحالى للبشر وقوته وشدته التي وصفه بها القرآن.. تماما مثل ما حدث مع شعب
عاد).. والسؤال الآخر الذى تطرق إلى ذهن مريم، فى حالة انها تتحدث إلى أندريه.. إذا
كان القرآن قد كذَّب لا سمح الله فى نبوءته إلى البشر.. أو بالمعنى الآخر.. إذا كان
سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - قد كذَّب بشأن الدعوة الإسلامية واختلق النبوءة
بالقرآن الكريم.. وألف هذا الكتاب حَقًّا.. إِذَا فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يَعْرِفَ شَيْئًا عَنْ قِصَّةِ قَوْمٍ
عَاشُوا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِسِنَوَاتٍ.. وَخَتَفَتْ آثَارَ مَدِينَتِهِمْ وَانْمَحَتْ مِنْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ هَذِهِ
الآثَارَ .. كَيْفَ كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يَعْرِفَ وَيَتَعَقَّبَ قِصَّةَ مِثْلِ هَذِهِ وَحْدَهُ.. كَيْفَ...!!!

إن كتاب القرآن ودين الإسلام، ليس بحاجة لأدلة.. ولكن العلم الحديث، والاكتشافات الأثرية أو
حتى الاكتشافات التى تتعلق بأى فرع من فروع العلم تقوم كل يوم بالكشف أكثر فأكثر عن
مصادقية هذا الدين العظيم..

كانت مريم تبحث عن دليل تاريخي.. فخطرت إلى ذهنها فكرة أن الكتب السماوية فى الكثير من
الأحيان تكون من اهم المراجع التاريخية.. لذلك كان يتوجب عليها النظر فى باقى الأديان
السماوية، وما أتت به من تدوين بخصوص هذا الموضوع.. أو على الأقل النظر فى الديانة
المسيحية، لما يعنيه المسيحيون للمسلمين من اصدقاء وجيران وشركاء فى الحياة..
لذلك بدأت فى البحث عن كلمة عملاق أو عماليق فى الكتاب المقدس.. لتعرف ما إذا كان قد
ذكر شيئاً مثل هذا أم لا.. وبالفعل وجدت أن هاتين الكلمتين موجودتان بالفعل فى الإنجيل، على
سبيل المثال، فى سفر التكوين:-

سفر التكوين ٣٦: ١٢

"حيث ذُكِرَ أَنَّ أَحَدَ أَبْنَاءِ عِيسَى اسْمُهُ عَمَالِيقُ"

وَكَانَتْ تَمْنَعُ سُرِّيَّةً لِأَلِيفَازَ بْنِ عِيسُو، فَوَلَدَتْ لِأَلِيفَازَ عَمَالِيقَ. هَؤُلَاءِ بَنُو عَدَا امْرَأَةِ عِيسُو.

*وهؤلاء سكنوا فى جبل ادوم

وَأَمِيرُ فُورَحَ وَأَمِيرُ جَعْنَامَ وَأَمِيرُ عَمَالِيْقَ. هُوَلاءِ أُمْرَاءُ أَلِيْفَاذَ فِي أَرْضِ أَدُومَ. هُوَلاءِ بَنُو عَدَا

قرأت مريم هذه الكلمات من الكتاب المقدس " الإنجيل " ، ولكنها قد شعرت بالحيرة.. لعدم تأكدها من معنى كلمة عماليق.. ما إذا كان معنى كلمة عماليق يُعتبر إشارة إلى أناس ضخام الحجم، أو أنه مجرد اسم.. كاسم مريم وكاسم عيسى..

ظلت تبحث، ولم تصل إلى شيء.. فقررت أن تستشير صديقها المسيحي المخلص جيب.. فقد كانت مريم على تمام اليقين من أن جيب سيساعدها لأنه يتمتع بقدر كبير من رحابة الصدر والتفاهم، وبالفعل.. كان ظن مريم في محله.

فقد تعودا جيب ومريم على أن يلجأ كل منهما بالسؤال إلى الآخر في أي وقت، وفي أي شيء.. وعندما سألته مريم..

مريم : جيب لقد توصلت إلى شيء في بحثي عن تاريخ العمالقة على وجه الأرض، في الكتاب المقدس المسيحي.. ولكن هناك بعض النقاط التي لا أفهمها.. هل يمكنك أن تساعدني بصفتك مسيحياً.. فأنا اخاف أن اخطئ في فهم كتاب مقدس عن غير عمد.. وهذا الشأن مهم جداً بالنسبة لي..

جيب : نعم بالطبع.. عن ماذا تسألين..

مريم : انتظر سوف ارسل لك نسخة من الكلمات التي قد عثرت عليها، فأنت تعرف أن شبكة الإنترنت يوجد بها معلومات خاطئة أحياناً.. هل يمكنك أن تتأكد لي من صحة هذا الكلام أولاً..

جيب : حسناً يا مريم انتظري.. هذا الكلام ليس غريباً علي، ولكن أنا لا اذكر جيداً هذا الآن، ولكن هنا في منزلي يوجد نسخة من الإنجيل.. يمكنني أن اذهب والقي نظرة على ما تريدين معرفته.

مريم : شكراً لك جيب كثيراً، أنت نعم الصديق.

جيب : حسناً.. انتظري قليلاً... أوه لقد وجدتها. نعم هذا الكلام صحيح تماماً ومأخوذ عن الكتاب المقدس حقاً.. لا يوجد به أي تحريف.

مريم : حسنًا، هذا جيد.. ولكن ما اريد أن افهمه الآن.. هو هل يعنى تفسير هذه الكلمات المقدسة أنه كان يوجد بالفعل شعب من العمالقة فى الماضى.. وان الكتاب المقدس يتحدث عنهم أم ماذا...

جيب : مريم لكى أكون صادقًا معك، أنا لست متأكدًا من هذا.. فهناك احتمالان الآن.. إما أن يكون اسم عماليق مجرد اسم، أو أن يكون هناك بالفعل شعب من العمالقة والإنجيل يؤكد وجوده.. نحن بحاجة للرجوع إلى مرجع انجيلي..للتأكد..

مريم : نعم.. سوف أبحث عن شىء مثل هذا..

جيب : مريم هناك مرجع هناك موسوعة خاصة بالإنجيل تُسمى " The Abington bible commentary " ..أعتقد أن هذه الموسوعة ستكون كافية ووافية بالنسبة إليك.. ابدئى فى البحث منها وستفهمين كل شىء..

مريم : وهل لديك فكرة ما إذا كان يوجد منها نسخة باللغة العربية أم لا ؟؟

جيب :لا أعتقد أن هناك نسخة منها باللغة العربية.. أو بالأحرى لا اعرف.

مريم : حسنًا.. إذا سوف ابحت عن موسوعة اخرى باللغة العربية. لأننى بالتأكيد ومهما زادت مهارتى فى اللغة الإنجليزية، لن يمكننى أن افهم كلمات من الكتاب المقدس المسيحى باللغة الإنجليزية. سوف يكون امرا بالغ الصعوبة على ما اعتقد.

جيب : مريم.. عليك الوثوق فى لغتك الإنجليزية ولكن حتى تكونى متأكدة فانا اقترح عليك الذهاب إلى الكنيسة لسؤال احد القساوسة عن هذا بنفسك.. ؟

مريم : انها فكرة جميلة ورائعة، ولكننى لا استطيع أن افعلها لأننى سأخجل بالتأكيد من فعل ذلك. وبالتأكيد لن اكذب وادعى بأننى لست مسلمة لكى يساعدونى.. لذلك لن افعلها. سوف اجرب وابحث عبر الإنترنت مرة اخرى.. لعل وعسى أن اصل إلى شىء.

جيب : حسنًا.. مع التوفيق.

ظلت تبحث.. حتى وصلت إلى الموقع الرسمى لكنيسة الأنبا تكلاهيمنوت الأرتوذكسية :-

http://st-takla.org/P-1_.html

الذى عثرت عليه على قاموس إلكترونى خاص بالكتاب المقدس :-

وكان فيه شرح كلمة شعب عماليق :-

شعب العماليق | العمالقة

أو العمالقة، وهم شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية (عد ٢٤ : ٢٠). ومن ذرية عيسو، وكانوا يقيمون فى البدء قرب قادش فى جنوب فلسطين. وكانوا هناك عند مجيء العبرانيين من مصر (عد ١٣ : ٢٩ و ١٤ : ٢٥). وكانت بلادهم ترى من فوق جبل عباريم (عد ٢٤ : ٢٠ وتث ٣٤ : ١-٣). وكانوا مصدر ازعاج لبني إسرائيل فى البرية لأن العبرانيين اعتدوا على ممتلكاتهم وكانت المعركة المهمة الأولى بين الطرفين فى رفيديم، فى غرب سيناء، وقد غلبهم العبرانيون، وتشتتوا (خر ١٧ : ٨-١٦ وتث ٢٥ : ١٧-١٩). ولكنهم وقفوا فى وجه العبرانيين مرة أخرى لما أراد هؤلاء التوسع فى اتجاه الشمال (عد ١٤ : ٤٣ - ٤٥). (ومن بعد أن انتصر عليهم موسى ويشوع تحالفوا مع جيرانهم، مع عجلون ملك مرآب، لمضايقة اريحا، وبعد أجيال تحالفوا مع جيرانهم الميديانيين لمضايقة العبرانيين (قض ٣ : ١٣ و ٦ : ٣ و ٣٣) وكان العماليق يتجولون من مكان لآخر. وكان مجال تجولهم وسيعاً، من حدود مصر إلى شمال العربية إلى بادية فلسطين (١ صم ١٥ : ٧ و ٢٧ : ٨). وقد ضايقهم شاول كثيراً وقد أسر صموئيل ملكهم وذبحه. وطاردهم داود واسترد صقلغ منهم (١٤ صم ١٥ : ٣٠). وآخر ذكر لهم كان فى أيام حزقيا، الذى طارد (دخولهم من جبل سعير (١ أخبار ٤ : ٤٣).

* بعد أن قرأت مريم هذه الكلمات، لم تستطع أن تتأكد من المعلومة التى تريد.. لذلك قررت أن تتعمق أكثر فأكثر فى البحث عن وجود لكلمة عمالقة فى الكتاب المقدس.. ومعانى الكلمة.. فهى كعادتها لن تهتدأ حتى تعرف ما تريد أن تعرف، كما انها قد شعرت أن هناك إجابة للسؤال الذى تريد توجد فى تلك السطور ولكنها فقط لم تتمكن من قراءتها أو الشعور بها.. لذلك قررت أن تستكمل.. فى البحث ومن على نفس الموقع الذى يقدم الخدمات بأسلوب رائع وسهل للناس حتى تفهم...

فتراءى لها أن كلمة العمالقة أو شعب عماليق، قد ذُكرت بالفعل.. اكثر من مرة واحدة أو مرتين فى الكتاب المقدس.. مثلما ظهر فى شرح كلمة كدر لعموم فى الكتاب المقدس، الذى هو كالاتى :-

او كدر لعوم (اسم عيلامي) عبد الإله لعومر ملك عيلام، ويظهر أنه كان متسلطاً على بابل. وقد تحالف في أيام ابراهيم مع مافل ملك شنعار واريوك ملك الاسار وتدعال ملك جوييم، فأخضعوا مدن الدائرة حول البحر الميت مدة اثنتى عشرة سنة. ثم عصت هذه المدن في السنة الثالثة عشرة فهاجمها كدر لعوم مع حلفائه وضرب القسم الموجود شرقي الأردن منها. من باشان جنوباً وهي ارض ادوم حتى رأس البحر الأحمر وهي البلاد التي سكن فيها العمالقة فيما بعد والسهل الموجود حول البحر الميت. فاستطاع بواسطة انتصاره هذا أن يتحكم في سبل القوافل المسافرة من البلاد العربية قرب رأس البحر الأحمر إلى مصر وكنعان والشمال. ولكنه سبا لوطاً ابن اخ ابرام معه من سدوم مما جعل ابرام يلحق به مع خدامه وحلفائه ويسترجع منه لوطاً والغنيمة التي اخذها (تك ١٤ : ١٠ - ١٦) ولم يكن غريباً حتى في الأيام البعيدة أن يقوم ملك بابلى بحملة على سوريا وفلسطين.

لم تُذكر كلمة العمالقة في هذا الجزء أو الذى قبله فقط.. بل ذُكرت عدة مرات بالفعل.. ولكن بالرغم من ذلك يبقى السؤال المُحير جداً بالنسبة لمريم.. وهو من اين لها أن تتأكد علام تُشير كلمة عمالقة أو شعب العماليق في الكتاب المقدس.. هل هو اسم ام صفة.. هناك فرق بالتأكيد.. ولكن مريم ستظل تبحث حتى تعرف.....

بعد فترة من البحث.. شعرت مريم بالتيه في البحث من خلال الكتاب المقدس.. أو بالتيه حول البحث عن هذا الدليل العلمى المفقود.. فتوقفت عن البحث..

وهي لا تعرف ماذا تفعل.. أو اين تبحث...!!!! مئات ومئات من الاسئلة تتوارد إلى ذهنها في هذه اللحظة.. وهي لا تعرف ماذا تفعل..

فكرت أن تسأل والدها النصيحة.. ثم عادت لتقول.. لن يخبرنى فهو بالتأكيد لن يستطيع أن يفهم ماذا اريد.. فكرت أن تسأل اختها، التي درست بالفعل آثار.. ثم عادت لتخبر نفسها بنفس الكلام السابق.. من تسأل.. من تسأل...!!! فكرت في كل شخص تعرفه، ثم عادت وغيرت رأيها على الفور لصعوبة الإجابة على هذا السؤال.... وهنا تذكرت ما قد أنساها إياه الشيطان.. أن تسأل الله المساعدة في البحث.. أن تسأله أن يفتح امام عينيها ابواب الاستكشاف، والأدلة العلمية منها والتاريخية والدينية....

الفصل الخامس

حياة جديدة.. ونظرة عن كُتب عبر الكثير من الثقافات الأجنبية المختلفة...

(عاطل عن العمل.. متفرغ.. باحث عن عمل.. فى انتظار الوسطة..) جميعها مفردات كانت قد تتلاءم مع حالتها السابقة على الرغم من انها كانت لا تضيع وقتها، ولا تعانى من أزمة نفسية بسبب كثرة أوقات الفراغ..

فقد كان دائماً ولا يزال لديها ما تفعله وما تريد أن تفعله وما تخطط أن تفعله..

فهى لا تعرف أبداً معنى الضياع والبقاء بلا هدف.. حتى فى احلك واصعب الأوقات.. تعرف ماذا تفعل، وما تريد..

الآن انتهت فترة البقاء فى المنزل من حياتها، لتبدأ مرحلة جديدة مهمة جداً.. ومفيدة جداً بالتاكيد.. شاء الله لها أن تعثر على وظيفة تتلاءم وافكارها..

بدأت مريم فى يوم ٤ / ٦ / ٢٠١٢ العمل كمدرسة لغة عربية لغير الناطقين فى اكااديمية مرموقة فى القاهرة، وذلك بعد أن عثرت صديققتها المقربة سارة على إعلان يخص هذه الأكاديمية فى الجريدة وذهبنا معاً على إثره للتقدم. فقبلت مريم ورفضت سارة العمل فى ذلك المكان. لا يمكن لأى إنسان أن يتصور كيف كانت مريم سعيدة بهذه الوظيفة.. حيث كانت هذه السعادة جلية فى تلك الرسالة التى أرسلتها إلى صديقها الأمريكى العزيز جيب، لتعلمه فيها بأنها قد عثرت على وظيفة أخيراً..

صديقى العزيز جيب :

مرحباً.. كيف هو حالك، وكيف حال اسرتك.. اتمنى أن تكونوا جميعاً بخير.. أرسلُ إليك الآن لأخبرك نبأ سعيد، نعم نبأ سعيد جداً..

لقد عثرت أخيراً على عمل الحمدلله.. وای عمل.. اعمل الآن كمدرسة لغة عربية للأجانب فى مكان مرموق فى القاهرة يتوافد عليه الطلاب الأجانب من جميع انحاء الكرة الأرضية.. ولا اعرف كيف اصف لك.. كم هو رائع العمل كمدرسة لغة عربية، فأنا أعتقد اننى من القليلين جداً فى مصر ممن نجحوا فى الحصول على وظيفة تتلاءم وهواياتهم..

فكما تعلم.. كنت فى السابق اساعد الأجانب فى تعلم اللغة العربية بدون مقابل مادی كنوع من انواع الهوايات.. وكنت سعيدة بذلك، ولم اظن يوماً أن هذه الهواية من الممكن أن تتحول إلى مصدر رزق بمساعدة الله.. والآن حدث ما لم اكن اتخيله.. لا اعرف هل هذا حظ سعيد، ام ماذا!! لكن على كل الأحوال أعتقد أن الله يكافئنى بهذا العمل بما صبرت واجتهدت كثيراً، وسوف يكافئنى بالتأكيد مادمت اجتهد واعمل وادرس ولا أهدير وقتي..

الطلاب يتوافدون إلى هنا كل يوم.. ومن اول لحظة تعارف بيننا اشعر وكأننى لا انظر إلى اشخاص بعينهم.. وإنما اتقرب إلى ثقافات مختلفة.. لذلك افتح ابواب عقلى للجميع ولكن بالتأكيد بدون أن انسى جذورى أبداً..

نظام الدراسة هنا رائع، ويستطيع أن يحتوى جميع المستويات.. لا تعلم كم اتمنى أن تأتى إلى هنا يا جيب وتستكمل دراسة اللغة العربية لدينا.. واعمل معك كل يوم.

بدأت اليوم بالفعل فى التدريس، لأول طالب لى وهو شاب اسمه رينيه فلينى الجنسية وحاصل على الجنسية الأمريكية حيث يعيش هو ووالدته فى مدينة نيويورك.. هو شاب ذكى وطموح ومجتهد.. يريد أن يتعلم اللغة العربية، حتى يتمكن من العمل ك مترجم لدى منظمة الأمم المتحدة، كما أنه يرى أن شروط العمل هناك لم تنطبق عليه بعد، ولكنها تنطبق على انا.. لأننى بالفعل امتلك ثلاث لغات رسمية.. العربية.. الإنجليزية والروسية..

ما رأيك فى ذلك.. أعتقد أنه من المبكر بالنسبة إلى العمل هناك خاصة وان مستوى فى اللغة الروسية يشبه مستواك فى اللغة العربية.. جيد جداً ولكن بحاجة للتعديل حتى اصبح محترفاً..

على اى حال.. كانت هذه هى آخر اخباري، هل من الممكن أن تخبرنى ما هى آخر اخبارك..
اريد أن اطمنن عليك يا صديقى العزيز..

حظ سعيد

مريم

٢٠١٢ / ٦ / ٦

تلقت بعدها الرد من جيب عبر البريد الإلكتروني فى رسالة رائعة...

عزيزتى مريم :

مرحباً وكيف حالك.. أنا وعائلتى جميعنا بخير وبأفضل حال والحمدلله..

نحن الآن نستعد للسفر إلى ولاية كاليفورنيا، لحضور مؤتمر تابع لعمل زوجتي.. وسوف نمكث

معها أنا وابنتى ايميلى فى نفس الفندق.. حيث عرضت عليها جهة العمل اقامة مجانية فى

الفندق، وسوف ادفع أنا وابنتى نصف ثمن الإقامة هناك وستتكفل الشركة بالبقية..

اتمنى أن نستمتع هناك.. فعلى ما اظن أن الطقس هناك جيد الآن.....

مريم أنا سعيد جداً لأنك قد حصلت على ما تستحقين، فأنت حقاً إنسانة رائعة ومنفهمة ولديك

شخصية جذابة وقدرة كبيرة على التواصل وصوت واضح ولغات اجنبية قوية.. ستجعل منك

مدرية ناجحة بل وصديقة قريبة من طلابك أيضاً، مهما اختلفت الثقافات والأشكال والألوان، أنا

على تمام الثقة من أنه يمكنك القدرة على كسب ود واحترام الجميع...

اما عن فكرة ذهابى فى منحة لدراسة اللغة العربية لديكم، فهذا حلم جميل بالتأكيد اتمناه واحلم

به.. ولكن ماذا اقول سوى اننى رجل ذو حظ سيئ..

اعتقد اننى لم اخبرك من قبل اى شىء عن حظى السيئ، ولكن سأفعل بالتأكيد فى اول مرة

أتحدث إليك فيها عبر سكايب إن شاء الله.. لأنها قصة طويلة جداً ولا يمكن أن تُكتَب فى

رسالة....

لغتك الإنجليزية رائعة، ولكنك تنسين فى الكثير من الأحيان بعض الكلمات التى أعلمك إياها..

مع العلم أنك صغيرة فى السن ويجب أن تكون لديك ذاكرة أقوى.. ولكن بالنسبة للغتك الروسية

فأنت اعلم بها منى.. كما انك تعرفين اننى سأتمنى لكِ دوماً النجاح فى كل مهنة وفى كل مكان

فى حياتك.. لذا فإن مسألة وصولك لأى منصب تريدين ما هى إلا مسألة وقت واستعداد

وتدريب.. فأنتِ إنسانة ناجحة بالفطرة يا صديقتى العزيزة.....

المخلص جيب

٢٠١٢ / ٦ / ٧

وهكذا بدأت اول ايام العمل، بحماس وبقوة وبقدرة إبداعية هائلة لفتت نظر كل من حولها.. وكان اولهم هو مديرها الشخصي، الذى اسند إليها عملا لم يسبق لمستجدة أن عملت به أو تؤتمن على مسئولية مثل هذه..

بدأت مريم العمل وما كانت هى سوى أيام حتى امتلكت بالفعل احترام وتقدير واعجاب كل زملائها.. بدءًا من المدرسين العاديين، ووصولًا إلى المديرين واحدًا تلو الآخر حتى رئيس مجلس إدارة الأكاديمية..

العمل بحب، العمل بضمير، العمل المبدع، التعاون..... العمل وكأن الله يراقبها وجهًا لوجه... هذه هى المبادئ التى اتبعتها فى عملها.....

فليست هى من نوع الناس، الذى يسعى للصعود إلى المنصب الأعلى منه أبدًا. إنما كانت تعمل بغرض نيل رضا الله على عملها.. فإن اخفقت للحظة سوف تشعر تباغًا لذلك بأن راتبها الشهرى أموال محرمة، لأنها لم تكن تعمل بضمير منذ البدء.....

ومن حى جاردن سیتی الهادئ الراقى فى قلب القاهرة، وبالقرب من ميدان التحرير العاصف.. على بعد أيام من إعلان النتيجة النهائية لانتخابات الرئاسة المصرية التاريخية..

بينما كانت اصوات الجماهير تتعالى وتتصاعد { يقتل اخويا ويبقى رئيس.. يا نهار اسود عالتهبس...، الشعب يريد اعدام الأسد.....، مصر وسوريا ايد واحدة.. مصر وسوريا ايد واحدة.....}.. فى يوم ٢٢ / ٦ / ٢٠١٢ .. كانت مريم مُنهمكة فى التدبير والتخطيط لتحضير دروسها الجديدة.. غير معيرة هذه الأصوات، أو حتى الأحداث السياسية الخاطفة للأنفاس فى مصر بلدها ادنى اهتمام...

تذكرت تلك المقولة، التى تتطابق واحداث بلدها تمامًا فى هذه اللحظة..

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه " إذا أراد الله بقوم سوء، منحهم الجدل ومنعهم العمل "

الكثير من الجدل.. الكثير والكثير والكثير من الجدل.....

كلمات كانت تدور فى خاطرها فى تلك اللحظات تمامًا، وهى لا زالت تبحث عن إجابة لسؤال مهم جدًا أو بالأحرى اسئلة بدون اجابات... لم كل هذه الجلبة، الناس لا تفعل شيئًا سوى الجدل والحديث فى كل شىء وعن كل شىء.. من يفقه يتحدث ومن لا يفقه يتحدث ولا احد يصمت ولا احد يعمل.. الجميع إما يتحدث وإما يتابع الأحداث الجارية حتى يُعلق عليها ويتحدث عنها مع الغير.. وبهذا تظل عجلة العمل نائمة وعجلة الجدل مستيقظة. ومتى تنام...!!! ومتى تهدأ...!!! واين التوكل وترك ادارة الأمور للاله الأعلى، الذى لا يمكن أن يترك الظلم يقع.. ولا يمكن أن ينسى مخلوقا..

أين الإيمان.. لماذا تناسى الناس حقيقة أنه لا يحكم فى ارض الله إلا بأمر الله....

لا يهمنى من يريح ومن يخسر.. ولن أنْهك نفسي بالبحث عن اشخاص كى نلقى عليهم باللوم..لن اخسر جهدى وطاقتى والأهم من ذلك وقتى لصالح قضية محسومة بالفعل من الله.. سأعمل وادرس وأصلح من نفسى وهذا كل ما املكه.. أما اهل بلدى فلم ما يستحقونه وما سيحصلون عليه بالتأكيد.. وهو النصيب الذى سوف يُقره لهم الله، وليس لى أو لغيرى اى يد فى تغييره أو تلوينه.. على الله ستسير الحياة بلا محالات للأفضل.. ومهما حدث فلن يكون المستقبل اسوأ من الماضى.. لأن الماضى لم يكن يوماً سيئاً بقدر ما يبدو، فالماضى أيضاً حدث بمشيئة الله التى لا يمكن أن تكون قد عنت بنا شرّاً....(هذه هى قناعات مريم الشخصية)

كان عليها الانتباه للعمل، والتركيز فيه كل التركيز.. لذلك قررت توقف بحثها لفترة قليلة من الزمن.. حتى تستقر أمورها فى العمل وبعد ذلك تستكمل وليكن ما يكون. الحضارات تمر عبر طريق عقل مريم..ولكن بدون المساس بأصولها وبجذورها. هذه هى حال مريم.. لم تمر سوى أيام حتى بدأت مريم فى العمل مع اكثر من طالب.. ليس فقط الفلبينى رينيه..

فقد تعرفت مؤخراً على طالب امريكى الجنسية.. رجل طويل وقوى البنية، يبلغ من العمر ما يقارب ٤٥ من عمره، له اسم امريكى ولكن لأنه يتعلم اللغة العربية ويعيش فى مصر.. قد اختار لنفسه اسما عربيا وطلب من الجميع مناداته بهذا الاسم.. وهو (جميل).. وما إن دخلت هى الفصل، وبدأت التعرف والحديث معه حتى اكتشفت أنه قبل أن يأتى مصر للعمل فى السلك الدبلوماسى الأمريكى.. كان يعمل ضابطاً لدى قوات مشاه البحرية الأمريكية، والتى تُعرف عادة بكلمة (قوات المارينز).....!!!!!! والأكثر من ذلك انها عرفت أنه كان من احد المشاركين فى الحرب على العراق.

رد فعل مريم المتلخص فى تعبيرات وجهها فقط فى تلك اللحظة، التى عرفت فيها انها تقوم بتدريس جندى مارينز أسبق.. كان يجب أن يُسجلها التاريخ.. فلقد اقشعر بدنها عندما عرفت، ووقفت للحظات صامتة تفكر فيما بينها.. هل اجلس الآن مع قاتل محترف؟؟ هل أنت قاتل، الفرق بينك وبين القتلة العاديين انك تقتل لأجل الجيش وهذا قانونى والآخرون يقتلون بطريقة مستقلة وهذا ليس قانونيا.. ما الذى جلبنى إلى هنا.. لا أعرف ماذا افعل..!! أنا اجلس فى غرفة واحدة مع قاتل يداه ملطختان بدماء اهل وطنى العربى..

ثم عادت بعد ذلك واستكملت الدرس، بدون أن يلاحظ جميل اى شىء.. وقالت العمل عمل.. أنا لست صديقه ولا قريبتة، ولكننى فقط سأقوم بتدريسه فقط ولست مضطرة للحديث عن أكثر من ذلك....

استمر الحال على هذه الخاطرة معه يوماً بعد يوم.... وكانت بالفعل تتجنبه تماماً ولا تتحدث معه مثلما تتحدث مع باقى الطلبة والطالبات.. وتمرح وتلقى عليهم بالنكات وتحدث عن احوال بلدها وبلدهم... كانت تتجنبه دائماً.... ولا لوم عليها فى ذلك أبداً.. فهى كانت من أشد المتابعين لتفاصيل حرب العراق فى وقتها.. وكانت على اطلاع كبير بما يحدث هناك من جرائم وانتهاكات سافرة لحقوق الإنسان..

فى نفس الفترة.. كانت تقرأ فى اوقات فراغها، وأثناء استراحة العمل رواية أمريكية بعنوان (خلف خطوط العدو).. كانت هذه الرواية عبارة عن عدة قصص نجاه لمجندين ومجنذات خلف خطوط العدو.. وكانت آخرهم قصة لجندي أمريكي فى العراق.. هذه القصة تروى عن تفاصيل جهود مجموعة من الجنود الأمريكيين فى إنقاذ قرية عراقية من براثن تنظيم القاعدة.. وكيفية تعاون فرقة من القوات الخاصة العراقية مع هؤلاء الأمريكيين.. قصة تروى بطولة وشهامة هذا الجندي والقائد الأمريكي..

لم تصدق مريم القصة أبداً..... على الرغم من أن جيب قد اخبرها من قبل عن وجود بعض الجنود الطبيين بالفعل بين طيات الجيش الأمريكى فى العراق.. ولكنها اعتبرت أن ما اخبرها به جيب هو استثناء نسبة وجوده ضئيلة جداً..

لم تصدق لأنها كانت تعلم مسبقاً جيداً من خلال وسائل الإعلام من هم المارينز، وماذا يفعلون....

لم تصدق لأنها وبالرغم من مرور سنوات على رؤيتها لتقرير قناة الجزيرة عن احداث وصور سجن ابو غريب فى العراق.. والمعتقلات الأمريكية للعراقيين هناك.. وانتهاكات الجيش الأمريكى لحقوق البشر بهذه الطريقة المهينة.. لم تستطع أن تصدق ما قد قرأته عيناها للتو.. والأكثر أن كل ما كانت تراه فى جميل، فى هذه اللحظات ما هو إلا صورة لقاتل وربما معتدٍ على نساء واطفال أيضاً..

كانت تشعر أنه عبارة عن سفاح، ليس إلا... حتى تلك القصة التى قرأتها من رواية مدون عليها انها جميعها مستمدة من أحداث حقيقية.. لم تصدقها أيضاً.... وإن صدق عقلها لا يصدق قلبها... فقبل كل شئ كان الوجود الأمريكى ليس له أى مبرر، سوى الحصول على حصة أكبر من مخزون البترول العالمي.. وهذا ليس غرضاً شريفاً بالمرّة لشن حرب...

كان جميل بحكم عمله السابق كجندي فى المارينز يتميز بضخامة جسدية. وقوة عضلات تكاد تخيفها منه هى شخصياً..

كما كان معروفًا في الأكاديمية لدى جميع المدرسين، أنه رجل كثير الكلام. ويحب الكلام عن نفسه والمباهاة برحلاته وأسفاره الكثيرة حول العالم..

فلم يكن يعير انتباهًا أن مريم لم تكن تود أن تستمع إليه في البداية، كانت تريد الاستمرار في الدرس وعدم التوقف أبدًا..

ولكن ذات مرة... كان موضوع الدرس عبارة عن خبر عن حادث تفجير في مدينة الفلوجة في العراق.. مما جعل الموضوع يجلب نفسه بنفسه..

فانتبهت جميل الفرصة لما وجد من موضوع يساعده على التملص من الدرس للحديث عن نفسه.. وعن رحلته في العراق، مستغلًا لغة مريم الإنجليزية القوية جدًا وقدرتها الكبيرة على فهمه والتفاعل معه..

وظل يروى لها عن رحلته في العراق..

فقالت له : لدى صديق أمريكي كان احد المشاركين في الحملة الامريكية على العراق أيضًا، ولكنه لم يكن جنديا كان مدنيًا يعمل مترجم مرافق.

وهنا لم تتمالك مريم نفسها ووجدت السؤال يخرج من فمها من تلقاء نفسه..

مريم : جميل.. ماذا كنت تفعل في العراق..؟؟

جميل : كنت اعمل ضابطاً في المشاة البحرية، ولكن القتل لم يكن مهمتي.. - وهنا نظرت مريم له نظرة استفهامية.. وبدون أن تسأل..

استكمل هو : اعنى اننى لم اكن من المنوطين بعمليات القتل والهجوم، لم يكن مصرحا لى بإطلاق النار إلا في حالة الطوارئ فقط.. أى عند وجود هجوم علينا كان يتوجب على الدفاع، ولكننى كنت فقط اعمل في الشؤون المدنية هناك..

مريم : وما هى مهمة فريق عمل الشؤون المدنية فى العراق ؟

جميل : كنا نذهب إلى القرى المهملّة، والبعيدة والخالية من اى مرافق. وكانت مهمتنا العمل على إصلاح الأحوال هناك.. فلقد ذهبت عدة مرات أنا وأصدقائى إلى مدارس اطفال.. ورأينا كيف أن الوضع هناك كان مشيئًا.. مشيئًا وغير انساني بالمرّة.. حتى المراحيض كانت لا تصلح لاستخدام البشر..

فكنا نساعد فى اصلاح مثل هذه الأشياء، بمعنى وضع خطط لتنظيم وإعادة ترميم هذه المنشآت.. والعمل على توصيل المياه والكهرباء لجميع القرى العراقية..

والغريب فى الأمر.. أن وسائل الإعلام ظلمتنا كثيرًا يا مريم.. لم يذكر اى انسان ما فعلناه هناك بغرض مساعدة هؤلاء الناس...

- شعور غريب ينتاب مريم حول كلماته، فعلى الرغم من قلة خبرتها.. إلا انها تستطيع أن تشعر وتُفرّق بين من هو كاذب ومن هو صادق.. وللإنصاف كان يبدو أن جميل صادق كل

الصدق.. ومما برهن على صدقه هو تطابق كلماته مع كلمات جيب ومع تلك القصة، التي قرأتها منذ عدة أيام فى الرواية... ولكنها آثرت أن تستمع إليه حتى النهاية..

مريم : اعرف، أنه ليس من الضرورى لوسائل الإعلام أن تعرض القصة أو الحقيقة كاملة.. سواء الإعلام العربى أو الغربى أيضاً.. فسوف يهتمون دائماً بالجانب الاكثر تشويقاً لأى قصة مهما كلف الأمر من تشويه للحقائق والتلاعب بسمعة وشرف العديد والعديد من الناس.. جميل : نعم، نعم... أنت على حق... الناس لا تفهم أنه كان يوجد بالفعل بعض الجنود الطبيين فى الحملة.. بعض الجنود، الذين لم تتلخخ ايديهم بدماء العراقيين الأبرياء.. لقد ظلّمنا إلى اقصى درجات الظلم..

فعلى سبيل المثال.. لم تذكر أى وسائل إعلام أننا ذات مرة قد نظمنا حملات جمع التبرعات للأطفال العراقيين.. لاجل شراء ألعاب ومقتنيات جميلة لهم..

حتى الناس المدنيين فى الولايات المتحدة الامريكية كانوا يقومون بالتبرع بألعاب وأشياء جميلة جداً من مقتنياتهم ومقتنيات اطفالهم لأجل إدخال البهجة والسعادة على الأطفال العراقيين.. مريم " قفزت قفزة سريعة من على الكرسي بضحكة عريضة على وجهها " : آه...نعم.. لقد اخبرنى صديقى الأمريكى من قبل عن قصة جلب الألعاب من الكنيسة للأطفال فى امريكا.. نعم نعم اعرف.

جميل : حقاً.. أنت تعرفين الحقيقة بالفعل..

مريم : نعم يا جميل.. اصبحت اعرف الآن..

ارتاحت مريم كثيراً وهدأت بعد هذا الحوار بينها وبين جميل.. فلقد صدقته واقتنعت. بأنه على الرغم من وجود مجرمي حرب كُثُرٌ بين جنود الحملة الأمريكية على العراق.. إلا أنه كان يوجد هناك مجموعة حتى ولو كانت قليلة بالفعل تدعو للخير..

وتعمل على نشر الخير والمساعدات، للشعب الذى نُكِبَ مرتين.. مرة من نظام حكم ديكتاتوري.. ومرة أخرى من الهجوم الأمريكى واجتياح العراق..

حتى ولو كان الهجوم الأمريكى على العراق سيئاً، وهدفه جشعاً ودينياً..

حتى ولو كانت الحرب على العراق غير مبررة، وغير شرعية.. ولدى العراقيين الحق كل الحق فى الدفاع عن وطنهم بثتى السبل الممكنة وغير الممكنة..

فإن هناك دائماً فى كل شعب وفى كل مكان سلوكاً فردياً يستقل طابعه عن السلوك الجماعى.... حتى الأوامر العسكرية لن يمكنها قهر الخير فى نفوس الضباط والمجندين الصغار.. ولو فسدت القمة فبالأكد لن يفسد كل القاع..

كلمات جميل.. حددت الكثير من المعانى فى نفس مريم، واوضححتها.. وإن لم تكن قد برأت الجميع. لأن جرائم الأمريكين فى العراق لا تعد ولا تحصى.. ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن

نقوم بمحو دور هذه النسبة من الجنود الشرفاء هناك.. حتى ولو كانت قليلة.. لا يمكن..... فهم أيضاً ضحية الإعلام حول العالم تماماً مثل المسلمين والإسلام.. فكل جانب يعرض اسوأ ما فى الآخر.. بغض النظر عن نتائج هذا الأسلوب غير العادل.. فماذا يحدث لو تم عرض الحقائق كاملة بكل ما فيها من جوانب سيئة وجوانب طيبة.. بالتأكيد سوف تترك الحرية كاملة للمشاهد والمتلقى والقارئ باستخدام عقله للتمييز بين ما هو سيئ وما هو جيد..

تراجعت مريم عن أسلوبها بعد ذلك، بل وغيرت طريقة تعاملها مع الناس.. فلقد تعلمت أنه يجب عليها عدم التسرع فى الحكم على الأشخاص من اول مرة.. ويجب عليها التروى لرؤية تصرفات الشخص.. فتصرفات الشخص، هى الفيصل.. وهى المهمة وسلوكياته، هى التى تعكس شخصيته وكل شىء عنه. كما أنه يجب عليها تمالك مشاعرها وقلبها.. وعدم الاندفاع قبل التفكير.

انتقلت مريم مع وظيفتها إلى الحياة التى كانت طالما تحلم بها... فلطالما تمننت مريم أن تعمل كمضيفة طيران حتى تسافر لزيارة كل بلدان العالم، ولكن والدها منعها ورفض.. لم تكن تحب أن تسافر لغرض السياحة فقط، ولكنها كانت تتمنى أن يقوم عقلها بزيارة العالم اجمع.. ويتشرب من ثقافته المختلفة ما يصلح ويترك ما يضر..

وبشكل أو بآخر سمع الله نداءها الخفى وحقق لها تلك الأمنية.. فقد كان عقلها وقلبها وخيالها يسافرون كل يوم إلى انجلترا، اسبانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، كاتالونيا، استراليا والفلبين...

الثقافات تأتى وتذهب وتترك بصمتها المستقلة فى قلب وعقل مريم... توقفت مريم فى البداية عن البحث خلف ما كان يشغل بالها سابقاً، فقد ارادت أن تهتم لأمر عملها بكل ما تملك على الأقل فى البداية..حتى تتأكد من احترافها العمل وتعودها على الوضع الجديد. اما عن حلمها ورؤيتها فهى لم تتخل عنهم قط، بل على العكس قد وجدت فى عملها الجديد باباً اوسع فى طريق تحقيق احلامها والارتقاء بنفسها وثقافتها لأعلى درجات ممكنة. حتى أنه قد بدأت تظهر لديها اهتمامات جديدة لم تكن موجودة من قبل.. مثل العلوم السياسية، والبعثات الاستكشافية للبحث عن الآثار، وعلم الارض وعلم الانسان.. تاريخ الامم والحضارات.. مقارنة الاديان والبحث فى المسيحية واليهودية.. والعديد من المجالات المتنوعة التى ما تلبث أن تقرأ بها حتى يفتح ذهنك إلى اشياء اخرى بعيدة وكبيرة يرشدك اليها الله بالفعل.. وكل هذا إلى جانب اهتمامها الرئيسى باللغات الذى لم ولن تتحول عنه أبداً.

انشغلت مريم بالعمل فى نفس الوقت الذى ظلت تتساءل فيه وتبحث عن اجوبة، لتلك الاسئلة الكثيرة التى تبحث لها عن اجابات.. واهمها اثبات حقيقة أن الانسان كان كبير الحجم فى الماضى واستمر حجمه فى التضاؤل حتى وصل إلى ما هو عليه الآن.

سألت الله أن يقودها إلى معرفة الحقيقة، وان يكشف امامها الطريق لترى وتعرف وتصل إلى ما تبحث عنه.. وهذا كان ما يدور فى خلد مريم من ناحية بحثها الجارى والمستمر.. اما عما كان يحدث، على الصعيد المهني... فعلى ما يبدو أن الله يستمع إلى نداءات مريم ويجيب عليها على الفور.....

فمن اللافت للنظر أن مريم التى كانت تعتقد انها من الأقلية القليلة فى العالم العربى المحبين للقراءة والتعلم قد وجدت من هم من مثل دماغها...

فوجدت مريم نفسها محاطة بمجموعة رائعة من زملاء العمل. أو بمعنى ادق مجموعة من الشباب الواعى المثقف.. القارئ والمطلع..

فما لبثت عدة ايام أن تمر بعد دعاء مريم، حتى صادف انها كانت تجلس مع شاب وفتاة يعملان معها مدرسين أيضاً فى نفس المكان. قال لها الشاب أنه قد درس اللغة العبرية، وقرأ التوراة بالكامل ويفهمها جيداً. لأنه قد قرأ النسخة غير المترجمة منه.

وشرح لها أن الترجمة قد تغير من معنى الكلام، حسب فهم المترجم.

ما إن سمعت مريم هذا الكلام، حتى قالت له :-

احمد... هل تعرف دليلاً من التوراة أو الانجيل على أنه كان يوجد هناك شعب اسمه شعب عماليق فى الماضى السحيق..؟؟

احمد: نعم ذكر فى الانجيل هذا الامر...

مريم : وهل كانوا حقاً عمالقة الحجم؟

احمد: لا يوجد دليل على ذلك على حد علمي...ولكن لم السؤال ؟

مريم : ولكن ألم يكن الناس فى ما مضى عمالقة، وتقلصت احجامهم وصولاً إلى الآن؟

احمد: هذا الكلام ليس صحيحاً، فلا يمكن انكار وجود شعب بعينه يتمتع بالضخامة الجسدية، ولكن هذا لا يعنى بالضرورة أن هذه كانت طبيعة كل البشر.. ولكن لم تسألين ؟

مريم : لقد كان لى صديق روسي، يسألنى كثيراً عن هذا الأمر.. لأننا تحدثنا عن زواج السيدة عائشة من الرسول - صلى الله عليه وسلم. وقد اخبرته أن اعراف وتقاليد الناس كانت مختلفة فى الماضى عن وقتنا هذا. كما أن اجساد الفتيات كانت اضخم من الآن بمراحل. وخاصة فى الجزيرة العربية، لأن درجة الحرارة كانت تجعل الناس ينضجون مبكراً عن الشعوب الأخرى.. وبناء على ذلك اصبحت ابحت فى هذا الشأن.

احمد : لقد اختلط عليك الأمر كثيرًا.. فكلمة ضخامة لا تعنى بالضرورة عمقاً. والناس بالفعل في الماضي كانوا اشد منا في الطبيعة الجسدية لاختلاف الأزمنة والظروف حتى طبيعة الغذاء. ولكن إن اردت أن تتحدثي عن طبيعة هذا الزواج بالمنطق.. كان بالأحرى عليك سؤاله عن شيء واحد..

مريم : ما هو ؟

احمد : لقد كان للرسول - صلى الله عليه وسلم - اعداء كثر في الجزيرة العربية من اليهود، والكفار وغيرهم... كانوا قد استغلوا كل الطرق الممكنة وغير الممكنة لمحاربتة ولتشويه سمعته. ولكن على الرغم من ذلك لم يستغل اى منهم هذا الزواج كوسيلة للإيقاع بمحمد عليه الصلاة والسلام...

مريم : اذكر اننى حدثته عن الكثير والكثير من اسباب وطريقة هذا الزواج، ولكنه لم يقتنع. وظل يطالبني بدليل علمي على هذا الأمر.

احمد : ولا يمكن أن يوجد دليل علمي على هذا، كما اننى انصحك بعدم الجدال مع هذا الرجل لأنه يريد أن يضللك عن دينك.

مريم : اعرف هذا، وكنت اعرف هذا منذ البداية. ولكننى لم استطع أن استمع إلى اهانة ديني ورسولى بأذنى ولا احرك ساكنًا.

احمد : كونى حذرة، لأن الشيطان أحيانًا قد يجد سبيله إلى قلبك عبر هذه التساؤلات. فلا تطلقى العنان لحماستك، لأنهم يتقنون فى الاسئلة.. فقد كانت لدينا طالبة هنا تُدعى شارلوت.. كانت لا تكف عن سؤالنا، لماذا الله مذكر.

لماذا عندما نتحدث عن الله نتكلم عنه بصيغة المذكر؟؟ لو أنت مكانى ماذا كنتِ تقولين ؟
مريم : كنت أقول لها، أن الله هو الكيان الأقوى فى السماوات والأرض وهو ليس مذكرا ولا مؤنثا، وهو خالق كل شيء.. حتى أنت خلقك الله. وبناءً على معرفة الجميع بأن الذكر اقوى من الأنثى، فلا يمكن أن نتحدث عن الإله باستخدام الضمير هي، لأنه بهذه الطريقة لن يتوافق والمفهوم العظيم له. لذلك كان اختيار علماء اللغة فى كل مكان أن يكون الحديث عن الله بصيغة هو.

احمد : اجابة منطقية، ولكن ماذا لو تحدثت لإنسان ملحد مثلاً ورفض فكرة وجود الله، لأنه بالطبيعة لا يصدق سوى ما يراه وهو لا يرى الله. فلقد تعاملت مع شخص ملحد، وقد جاء مصر لدراسة اللغة العربية لأجل الدخول فى الإسلام ولكنه لم يقتنع بالإسلام.

مريم : تحدثت بالفعل مع مثل هذا الشخص واخبرته اننى مؤمنة بوجود الله، لأننى لدى معجزاتى الشخصية وإلهام من الله عز وجل موجهة لى وحدي.. وشعرت أنه اقتنع نوعًا ما.

احمد : هذا ليس الرد المناسب خاصة وفي حالة هذا الطالب الذى حدثتك عنه، لأننى قد استخدمت نفس اسلوبك فى الرد عليه. ولكنه جعلنى اشاهد مقطعاً من فيلم اجنبى يتحدث عن قبيلة بدائية منعزلة، تعيش فى منطقة نائية ولا تعرف اى نوع من انواع الحضارة. وذات مرة كانت طائرة تحلق فوق هذه المنطقة على مسافة منخفضة، فألقى احد الركاب زجاجة مياه فارغة من الأعلى وحلقت الطائرة بعيداً. ولكن الناس فى الأسفل اعتقدوا أن هذه الزجاجة معجزة سماوية من الإله فى البداية، وبعد فترة اعتقدوا أن هذه الزجاجة هى الإله نفسه وبدأوا فى عبادتها.

وبعد أن شاهدنا معاً، هذا الفيلم قال لى الرجل انظر لهؤلاء القوم، هذه كانت معجزتهم.. فيا ترى ما هى معجزتى التى انتظرها من الله... أو ما هو الشئ الذى سيجعلنى اقتنع بوجود الله ؟
مريم : وماذا فعلت أنت آنذاك ؟

احمد : سألته سؤالاً مهماً.. وهو ما هو الفرق بين الإنسان الميت والحي ؟ فقال لى الفرق أن هذا لا يزال على قيد الحياة والآخر انفصلت روحه عن جسده.
وهنا قلت له، وهل اعترف العلم الحديث بوجود الروح؟ فقال لى نعم ولكنها لا تزال شيئاً مبهما لايعرف عنه الإنسان اى شئ...
وهنا قلت له كما اعترف العلم بوجود الروح وهى شئ غير مرئى، واعترفت أنت به كذلك...
فإن الإله تماماً مثل الروح، هو شئ غير مرئى لا يراه الانسان ولكنه يشعر بوجوده فقط....
وهنا صمت لبرهة وقال لى، ولكننى لا اشعر به أبداً.. فقلت له : أنت لا تشعر به لأنك لاتريد أن تشعر به.. وانتهى النقاش على هذه النقطة.

مريم : حقاً اعجبنى اسلوبك فى الرد والحوار...
احمد : شكراً لك.. ولكن هناك فقط العديد من الأشياء التى يجب الرد عليها باستخدام المنطق لا غير..
مريم : نعم أنا مقتنعة بذلك، فهذا هو الأسلوب الأمثل للرد على مثل هذه القضايا. أنا أيضاً احاور باستخدام المنطق لا الشريعة أيضاً.

احمد: انظرى هذا (وقد فتح لها الإنترنت ليجعلها تشاهد فيديو عن ألمانى يسلم) وقال لها اذا قال لك شخص ما.. ما هى معجزة الاسلام، أو بمعنى آخر ما هو الدليل على وجود الله اجعليه يشاهد هذا الفيديو بعنوان (ألمانى خفة دمه ويساطته قادته للهداية واعتناق الإسلام)

http://www.youtube.com/watch?v=CP6Z_9ngi98

حيث كان يظهر فى الفيديو رجل وسيم بشوش الوجه يخطب فى مكان ما ويقول:
احضرت شمعة، وفتحت النوافذ وازحت الستائر محاولاً الوصول إلى جو روحانى جميل. فى ليلة صيفية جميلة فى ملبورن من اجمل ما يمكن أن تكون. جلست افكر واقول لنفسى هذه هى الليلة

الموعودة. لقد تحققت من كل الأمور العلمية والروحية، كيف يتطور الجنين داخل رحم المرأة وهذه الأمور الرائعة ولكنني كنت لا أزال احتاج إلى هذه الدفعة البسيطة كما لو انني على حافة الهاوية مستعدا للقفز لكنني محتاج إلى دفعة بسيطة. كنت جالساً في صمت مطبق، كنت اقرأ القرآن توقفت وقلت يا الله هذه هي اللحظة التي سأقفز فيها إلى الإسلام. كل ما أحتاجه هو إشارة.. إشارة صغيرة فحسب. ربما ضوء بسيط، شيء صغير فأنت خلقت الكون كله. فجلست هناك انتظر من الشمعة أن تشتعل كما في الأفلام، وقلت هيا.. ولكن سبحان الله لم يحدث اي شيء. بصراحة كنت محبباً جداً. فقلت ياالله هذه فرصتك...لن اتحرك من مكاني سأعطيك فرصة أخرى. ربما تكون مشغولاً بأمر ما، فالوقت نهار في جانب الكرة الأرضية الآخر وتدور احداث كثيرة هناك.

حسنا الآن اسألك شيئاً ابسط ربما محرك سيارة.. شيء بسيط وانسى أمر الشمعة. فقلت هيا، وسبحان الله لم يحدث اي شيء أبداً.. اي شيء حتى الآن.

واعنى أنني لم استطع حتى أن الاحظ تصدعا على الجدار فيمكنني أن اقول حسناً هذه هي الإشارة. لقد كنت محبباً جداً وقلت انتهى الأمر كانت هذه هي فرصتي الأخيرة بالإسلام. ولم تجد نفعاً. ثم فتحت القرآن على الصفحة التي كنت اقرأها، وسبحان الله كانت اول آية في الصفحة التالية.

(يَنْفَعُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا هُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَّا (164)وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) سورة البقرة.

سبحان الله..... لقد صدمت، لقد كان الموقف مرعباً لدرجة انني تظاهرت بالنوم. لقد كنت مكابرا ابحت عن آيتي بالرغم من كل الآيات حولي. هذا الكون الذي نعيش فيه، وهذه المخلوقات هي آياتنا.

اليوم التالي قررت أن اسلم.. لقد قضيت ستة اشهر في دراسة الإسلام. فقلت لنفسي لا بد أن انطق بالشهادة. لم يكن لدى ادنى فكرة عما يجب أن اقله ولا اعرف ما هي الكلمات. كانت وقت صلاة العشاء تقريبا الساعة السابعة مساءً. ولم استطع تصديق ذلك كان هناك الألف من المصلين في المسجد. فقلت سبحان الله انظر إلى هذه الديانة، انظر إلى قوتها.. وكانت اول ليلة من رمضان.....مسلمى رمضان.....

جلست هناك وكنت متوتراً جداً. وقابلت هذا الشخص فقال لي اخي عليك أن تقول هذه الكلمات. اشهد قلت ماذا !!! اشهد.....ماذا!!!

فقال لقد قلتها بالإنجليزية، وعليك أن تقولها بالعربية الآن. ونظرت إلى كل هؤلاء الناس حولي فخالجني ذلك الشعور، بأنني اذا نطقتها بشكل جيد سأكون في عداد الأموات. وكنت أصدق، وكنت مرعوبًا...وسبحان الله بعد أن انتهيت من هذه الكلمات مباشرة.. شعرت كما لو أن دسًا كان بأعلى رأسي واحدهم ادار المياه الباردة فأخرج كل شيء. نطقت بالشهادة ولم اكن اتوقع كل هذا الكم من الإخوة يصرخون.. الله اكبر وبدأوا بتقبيلي واحتضاني.. ولم يقبلني اشخاص بهذا العدد من قبل في حياتي. لكنه كان يومًا رائعًا ذلك اليوم، الذي حصلت فيه على اكبر عدد من الإخوة والأخوات ومنذ ذلك اليوم لم ألتفت إلى الماضي. أما بالنسبة لعائلتي فقد كانوا قلقين جدًا، كانوا يخشون من أنني سأتغير عليهم. اعتقدوا بأنني سأستخدم سلاح ak 47، لكنهم لاحظوا لاحقًا بأن هذه الديانة ارتقت بي. قبل الإسلام...لن تصدقوا بأنني كنت اقصر شعري ماهوك، نعم ولكنني لن اطلعكم على الصور. وكنت ارتدى قميص الميتاليك، ولدى كلاب الشيلي.. كنت فظيعةً صحيح، وكنت أعتقد انني ابدو رائعًا. لكنني كنت فظيعةً. والحمدلله منذ أن اعتنقت الاسلام اصبحت افضل كما أنا الآن...

وهنا انبهرت مريم من اسلوب هذا الألمانى الرائع فى الكلام، وروح دعابته الجيد جدًا.. احمد : رأيت كم هو رائع هذا الرجل.. أما بالنسبة لشبهة زواج السيدة عائشة فى سن صغيرة فعليك برؤية هذين المقطعين.. وكان احدهما باللغة الانجليزية، والآخر باللغة العربية.. المقطعان يقوم بتقديمهما مهندس مصرى اسمه فاضل سليمان انشأ مؤسسة اسمها جسور للتعريف بالإسلام، والتي تعمل على نشر فكرة الاسلام وتعريف غير المسلمين به..

Fadel Soliman – Marriage Story "Prophet Muhammad and Aisha"

<http://www.youtube.com/watch?v=vMMTs2Kfpa8>

والآخر باللغة العربية بعنوان "الرد على شبهة زواج الرسول من السيدة عائشة"...

<http://www.youtube.com/watch?v=DL-5nmemLKM>

وبدأت مريم فى مشاهدة المقطع الأول باللغة الانجليزية..
ويبدأ الفيديو بصوت المهندس فاضل سليمان فى سرد القصة ويقول..

فى عصرنا الحالى عندما يتزوج رجل فى الثالثة والخمسين من فتاة فى التاسعة من عمرها، بالتأكد سيكون هذا شيئاً خطأ فى العصر الحالى فى مدن مثل لندن، القاهرة.. أو نيويورك.. هو خطأ لأنه يعتبر انتهاكاً للقانون..

ثم ينتقل الفيديو ليأخذ المشاهد إلى كتاب تاريخى يروى قصة عن اميرة تدعى ثيودورا كومنى ولدت عام ١١٤٥، وكانت ابنة الثالثة عشرة حينما تزوجت الملك بلدوين الثالث حاكم القدس. ثم يعود فاضل سليمان ليستكمل كلماته عن هذا الزواج ويقول..

ولكن ربما الآن فى اجزاء اخرى من العالم حيث لا يعتبر هذا خروجاً عن القانون، يعتبر هذا الزواج سليماً عندما لا ينتهك العادات والتقاليد الخاصة بمجتمعه أو بالقوانين الخاصة بالبلد التى يوجد بها. وربما فى هذه المدن الثلاث السابقة القاهرة ولندن ونيويورك، لم يكن هذا الزواج خطأ منذ عدة قرون سابقة. لأنه لم يكن يمثل خروجاً عن القانون فى هذا الوقت. لهذا عندما نقيم هذا الزواج إن كان خطأ ام لا.. يجب أن نقول أنه خطأ لأى سبب، أو لأنه قد خرق أى قانون أو انتهك ماذا بالتحديد..

ثم تنتقل بنا الصورة إلى خريطة لتعبر بنا إلى قصور اوربا حتى نرى ما فى جعبتها. فى ١٤ سبتمبر ١١٦٤ فى القرن الثانى عشر، كان يعيش فى احد القصور الأوروبية ملك يدعى الكسيوس الثانى. وقد تزوج من فتاة جميلة تدعى انجياس، لم تكن تبلغ من العمر سوى ٩ سنوات فقط وكان زواجا رسمياً وطبيعياً فى هذا العصر.. ثم يعود مرة اخرى المهندس فاضل سليمان ليتحدث قائلاً..

ومتى يتزوج الناس ؟

عادة الناس تتزوج بعد أن تنتهى من دراستها، لأنه من الصعب الجمع بين الدراسة والزواج فى وقت واحد. لذلك فى المدن تتزوج الفتيات فى سن ٢٢ أو ٢٣ بعد اتمام الدراسة، أما فى القرى حيث لا يدرس الأغلبية فى الجامعات يمكن أن تتزوج الفتيات فى الـ ١٨ أو الـ ١٩ بعد اتمامهن الدراسة الثانوية. برأيك ماذا كانت الحال عندما لم تكن هناك جامعات أو مدارس.. ماذا كانت الحال برأيك؟

ماذا كانت تفعل الفتيات؟؟؟

كانت الفتيات تتزوج بمجرد وصولها لسن البلوغ. فهذه هى السيدة مريم بنت عمران عليها السلام تلد ابنها المسيح عليه السلام وهى فى الثالثة عشرة من عمرها.

وفى عصرنا هذا بعد مضى ما يقرب من ١٥٠٠ سنة، هناك بعض الفتيات فى الولايات المتحدة الأمريكية.. يتزوجن فى سن ١٣ بموافقة الأهل فى ولاية نيوهامبشير وهذا قانونى هناك. وفى تكساس تبلغ السن القانونية لزواج الفتيات ١٤ عاماً وفى ولايتى ميسورى وميسيسيبى ١٥ سنة بموافقة الأهل.. وايضاً فى اسبانيا حتى سنة ١٩٩٥ كانت سن الزواج القانونية هى ١٢ سنة

والآن أصبحت ١٣. وفي كندا منذ ١٠٠ سنة مضت كانت سن الزواج القانونية ١١ عامًا. لذلك من غير العدل أن نحكم على الأشخاص في الفترة الماضية طبقا لقوانين واعراف عصرنا الحالي. يجب أن نحكم على افعال الناس طبقا لقوانين واعراف مجتمعاتهم..

ثم تعود بنا الصورة مرة أخرى إلى كتب التاريخ حيث تروى.. أنه في العام ١١٨٤ تزوجت امبراطورة المجر مارجريت ماريا هنغاريا إلى ايزك انجلوس الثانى امبراطور المجر عندما كانت فى عمر التاسعة.. إذا لا مجال لإثارة الشبهات على الجزيرة العربية بأن النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - تزوج من السيدة عائشة رضى الله عنها ذات التسعة اعوام وابنة صديقه المقرب ابو بكر الصديق رضى الله عنه..

ثم نعود مرة أخرى لنرى المهندس فاضل سليمان يتحدث...

هل يمكننا أن نتساءل هل كان هناك أعداء للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم ؟ المنافقون فى المجتمع الإسلامى كانوا أعداءه، أيضاً كان المشركون واليهود اعداء النبى محمد، وقد حاولوا بكل الوسائل الممكنة تشويه سمعته وقاموا بإطلاق العديد من الأسماء المشينة عليه، لكنهم مع ذلك لم يقولوا عليه يوماً أنه متحرش بالصغار. ولكن لماذا؟؟ هل يمكن أن يكونوا قد نسوا ؟ فهى وسيلة جيدة لإيذائه والقضاء على الدين الجديد لكنهم لم يلجأوا إلى ذلك أبداً، لأنه ببساطة كان مثل هذا الزواج يعتبر شيئاً طبيعياً جداً ومتعارفاً عليه والسائد فى هذا الوقت. اما الذين يقولون أن السيدة عائشة كانت طفلة تم التحرش بها..

فأنا أسألهم هل يحب الأطفال المتحرش بهم والمعتدى عليهم المتحرشين بهم !!!؟ ان رغبت فى قراءة قصة حب عظيمة، وكلنا نعلم قصة الاديب الانجليزى شكسبير، فى روايته المشهورة روميو وجولييت حيث كان عمرهما لايتجاوز الثالثة عشرة... انا أنصحك ألا تقرأ هذه الرواية، إن روميو قد انتحر فى نهاية القصة، بل اقرأ قصة النبى محمد - صلى الله عليه وسلم - وعائشة رضى الله عنها على لسانها هى شخصياً. وهى تروى كيف كانت العلاقة رائعة بينها وبين النبى محمد - صلى الله عليه وسلم.

تروى السيدة عائشة كيف كان النبى - صلى الله عليه وسلم، يتسابق معها وكيف كان يشرب من نفس الكوب، الذى تشرب منه. حتى أنه كان يحرص على أن تراه وهو يضع شفثيه على نفس الموضع الذى كانت تشرب منه بشفتيها.

وعندما كانت السيدة عائشة تقول وا رأساه، كان يرد النبى - صلى الله عليه وسلم - ويقول.. أنه أنا وا رأساه.

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها فخورة جداً أنه مات على ذراعيها،

وهكذا انتهى اول مقطع، وهو بالتأكيد يحمل الرد الكافى والمقنع على اى سؤال فى هذا الشأن.. وقد اعجب مريم كثيرًا حتى انها اصبحت مثلثةفة جدًا لسماع المقطع الآخر لنفس الرجل. والذي هو عبارة عن مقطع من برنامج على قناة دينية عربية اسمها قناة الناس.. وهذا البرنامج استضاف المهندس فاضل سليمان. لأجل الرد على الشبهات التى يرمى بها شخص اسمه زكريا بطرس الإسلام والمسلمين.. وهى بالتأكد زواج السيدة عائشة رضى الله عنها من الرسول - صلى الله عليه وسلم، والتى وكما يقول مقدم البرنامج : لن نتحدث عنها من الناحية الشرعية، لأن هذا ليس هو دور المهندس فاضل، ولا هذه منهجيتة فى الرد على الشبهات. إلا أن اهميتها تكمن فى أن بعض المسلمين تورطوا بحب الدفاع عن الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم، حول شبهة زواجه من السيدة عائشة فى برنامج سؤال محرج لزكريا بطرس، الذى قال فيه أن النبى مغتصب اطفال بسبب زواجه من السيدة عائشة فى عمر تسع سنوات.. وحاشا لله أنا فقط انقل الكلام. ولكن ما هو رد سيادتكم على هذا الكلام، الذى اطلقه زكريا بطرس...

المهندس فاضل سليمان : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى.

لا يمكن أن ننكر حقيقة أن رجلا عمره ٥٣ عاما يتزوج من فتاة تبلغ من العمر ٩ سنوات، هو امر غير مقبول فى يومنا هذا فى القاهرة غير مقبول، لكنه قد يكون مقبولا فى يومنا هذا فى مكان آخر غير القاهرة، قد يكون مقبولا فى القاهرة من ٢٠٠ عام أو ٣٠٠ عام، إذا فالفيصل فى هذه القضية هو تقاليد واعراف القاهرة فى هذا الوقت الذى وقع فيه الزواج.. الفيصل هو اعراف وقوانين المكان نفسه والزمان نفسه. وعلى سبيل المثال لا يمكننى أن احاكم شخصا فى المانيا طبقا للقوانين المصرية.. لذلك فهذه مسألة مهمة جدًا حتى نكون منصفين، والسؤال هنا هل انتهك النبى - صلى الله عليه وسلم - قوانين واعراف وقته ام لا ؟

هل النبى عليه الصلاة والسلام كان له أعداء ؟ من هم أعداء النبى...!!

كان لدينا المشركون والمنافقون واليهود..

فاضل: هل اتهموه بأى اتهامات ؟

المحاور : نعم القرآن اثبت لنا هذه الاتهامات.. مثل المجنون،الكذاب والشاعر والكاهن..

فاضل : هل اطلق عليه اى انسان مغتصب اطفال؟ لم يطلقوا عليه ذلك على الرغم من انها كانت تعتبر سببا مهما وقويا جدًا لتدمير هذا الدين. ولكنهم لم يقولوا ذلك لأنه تزوج امرأة بالغة سنها سن الزواج متماشيا مع اعراف هذا الزمان.

وهذا ما سنقوم بإثباته فى هذه الحلقة بأن فعله لا ينتهك اعراف هذا المجتمع والزمان.

ولكن هل الطفل أو الطفلة المغتصبة تحب من اغتصبها أو تكرهه وتتعد منه!!!

المحاور: تكرهه، وتتكون لديها عقدة نفسية منه.

فاضل : هل تعرف اننى عندما اتحدث إلى الشباب وانصحهم أن يقرأوا قصة حب جميلة، انصحهم بأن يقرأوا قصة حب محمد وعائشة. التى تروى على لسان عائشة، والتي لو كانت رويت على لسان محمد عليه الصلاة والسلام لقلنا انها تكرهه وهو يحبها.. ولكن القصة تروى على لسانها هي. والتي رأيناها من خلال كتب السنة تتحدث عنه بحب شديد جداً وتفاخر بأنه بشرها بأنها سوف تكون زوجته يوم القيامة، تفاخر بأنه قال للسيدة فاطمة هي حبيبة ابيك. تفاخر بأنها البكر الوحيدة التى تزوجها النبي. تفاخر بأنه عندما سأل اى الناس احب إليك من النساء قال عائشة، ومن الرجال قال ابوها. وهذا حديث من صحيح مسلم. هل هذه نبوة انسانية مغتصبة تتحدث عن الرجل الذى اغتصبها !!!! ام نبوة حبيبة تتحدث عن حبيبها ؟

هى نفسها تروى أن السيدة فاطمة الزهراء ابنة الرسول عليه الصلاة والسلام دخلت عليهم.. وقال لها الرسول - صلى الله عليه وسلم - أى بنية اتحبين ما احبه، قالت بلى.. فقال لها فأحبي هذه. وهذا حديث من صحيح الألباني...

فكانت عائشة فخورة بحبه.. وكانت هناك عشرات الأحاديث تتحدث عن حب النبي - صلى الله عليه وسلم - للسيدة عائشة وهى رويت من الصحابة. ولن نتحدث عنه هو، بل عن نبرتها هى فى الحديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم.

فلقد كانت عائشة تفاخر أن القرآن الكريم ينتزل عليه فى بيتها هي...
هى تفاخر بأنها عندما كانت تطلب منه الدعاء ويدعو لها، كانت تضحك سروراً من أنه يدعو لها.

تفاخر أنه كان يقبلها حتى وهو صائم، تفاخر أنه كان يقرأ القرآن ورأسه فى حجرها، حتى وان كانت حائضاً.. وكان يضع شفتيه مكان شفتيها، ويتحرى موضع شفتيه ليضعه مكانها.

كما امرنا محمد أن نتأسى به، ولقد قال خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى...

عندما كانت عائشة تأكل، كان يقول لها لا تمدى يدك.. أنا سوف اطعمك بنفسى.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤجر المرء فى كل شىء، حتى فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته. ولقد أخطأ البعض فى تفسير هذا الحديث وفهموه على أنه يؤجر المرء عندما يرفع اللقمة إلى فم امرأته وليس الانفاق عليها.

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لزوجته ضعى يدك إلى جانبك.. وأنا سأطعمك بنفسى....

من يا ترى فى يومنا هذا يفعل ذلك ؟ من وصلت به درجة اللباقة إلى هذه الدرجة..

لم يكن محمد ينادى على زوجته باسمها، بل كان يدللها.. قائلاً يا عائش.. هذا جبريل يقرئك السلام... هو كان اقرب لها من والدها.. حتى أنه يُروى أنه ذات مرة حدثت مشكلة بينه وبينها، وقال لها من نحكم فيما بيننا عمر بن الخطاب ؟؟ فقالت: لا.. فقال لها إذاً فلنحكم والدك..

فطلبوا السيد أبا بكر ليحكم بينهما.. وهنا قال لها أتحدثين أنت أم أتحدث أنا..فقالت له : تكلم أنت ولا تقل إلا حقا.. انظر كيف كان يتحمل منها، وكانت تقول له اصدق وهو رسول الله وإن لم يصدق لمن يصدق إذا ؟

ولكن فى هذا الموقف لم يتحمل سيدنا أبو بكر، وقام ليضربها ولكن محمدا عليه الصلاة والسلام قام وحجز بينهما.. بينما كانت هى تحتوى خلف ظهر النبى زوجها من أبيها.. وقال له النبى: لا يا أبا بكر والله ما لهذا دعوناك والله ليس هذا الذى أردناه منك..

ولو كان رجل من رجال اليوم، لكان قال لها هل رأيت.. والدك وقف إلى جانبي..

وكان هناك موقف آخر دخل فيه سيدنا أبو بكر على النبى المنزل.. وسمع صوت السيدة عائشة يعلو على النبى..فدخل ليضربها، فاحتمت خلف ظهر النبى ومنعه النبى عن ضرب ابنته التى هى زوجة الرسول..فخرج أبو بكر وهو غاضب على عائشة.. وهنا نظر لها النبى قائلاً لها يمازحها: كيف رأيتي.. أنفذتك من الرجل ؟

وكان دائماً يمزح معها، وكانت تروى أنه يسابقها فى الجرى ولما رهقنى اللحم بمعنى سمنت.. وسابقته فغلبنى قال لى لا تزعلى فهذه بتلك..

وهكذا كان الرد من وجهة نظر فاضل سليمان، على مثل هذه الشاكلة.. وهو أيضاً الرد الذى أعجب مريم كثيراً وقررت الاعتماد عليه فى المستقبل فى توجيه نفس الأسئلة مرة أخرى لها.. ومضت الأيام، وها هى مريم وقد اصبح جميع من فى العمل أصدقاء لها سواء من الطلبة أو المدرسين.. ها هم يبديون اعجابهم بعملها، وبحماسها وطاقتها المشعين..

احمد.. نزمين.. غادة.. أمل... سمير.. وسام.. على.. هاني.. وعصام ومارينا.

كانت هذه هى اول وظيفة لمريم فى الحياة، هى الباب الذى سوف تنظر من خلاله إلى الدنيا وتتعلم خبرات حياتية على ارض الواقع. وليس من خلال الانترنت..

وعلى ما يبدو أن نجاحها فى دخول هذا المجال دوناً عن غيره من جهات العمل التى قد تقدمت مريم بالفعل للانضمام اليها من قبل وفشلت هو قدر من الله عز وجل.. قدر سعيد ولو بدا فى مظهره يحمل احزناً ومواقف غير سعيدة..!!

بعد فترة ليست بالطويلة من وجود مريم هناك، وقد توقفت عن البحث تماماً والنظر فيما تبحث عنه.. وبدأت تفكر فى قراءة بعض الأشياء حول العلوم السياسية من أجل الاطلاع على أحوال ومتغيرات العالم..

كانت مريم ذات مرة ساجدة فى صلاة لها، عندما وجهت دعاءً إلى الله كالاتى " ياالله.. يارب العالمين.. يا خالق كل شىء.. أنا ارجوك أن تفتح لى ابواب العلم وتمنحنى الذاكرة القوية.. ارجوك أن ترشدنى إلى حيث يجب أن اكون.. اشعر اننى ضائعة الآن. اريد أن اقرأ واتعلم.. واريد أن اعمل ولا أعرف من اين أبدأ.. "

فى اليوم التالى بينما كانت فى العمل، اكتشفت أنه توجد هناك مكتبة عامرة بأمهات الكتب واعظمتها على الإطلاق فى مجالات رائعة.. موجودة للقراءة العامة ومتاحة للاستعارة.
ومنذ النظرة الأولى لها داخل هذه المكتبة وجدت ضالتها المنشودة..

كتاب مقارنة الأديان للدكتور احمد الشلبي.. الحاصل على دكتوراه من جامعة كمبريدج، وعمل استاذا مساعدا للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية فى كلية دار العلوم - جامعة القاهرة..
ومن الواضح أن الكتاب يتحدث بالتفصيل عن الديانات اليهودية والمسيحية والإسلامية ويتضمن الشروح والتفاسير.. لذلك شعرت بأن هذا الكتاب هو نوع من انواع استجابة الله لدعائها.. ولذلك قررت استعارته.

وتزامنت استعارة مريم لهذا الكتاب مع قدوم احد الطلاب الجدد إلى الأكاديمية للدراسة.. فى نفس الوقت الذى تم فيه طرد ثلاثة من افضل زملائها فى العمل بلا سبب واضح. احمد، نرمين، غادة.. مما جعلها تشعر بوقوع شىء غامض أو ربما ظلم وهى لا تعلم عنه شىئا.. ولكنها لم تكتثر، لأن هدفها فى تحقيق نجاحات شخصية اكبر بكثير من أن يكون لديها الوقت الكافى للتفكير فى اى نوع من انواع المؤامرات..

وعلى كل حال.. بدأت فى قراءة الكتاب فى نفس الوقت الذى جاء فيه موعد اول حصة لهذا الطالب الجديد..

البروفيسور سايمون، استاذ العلوم السياسية تخصص علاقات دولية فى جامعة كلورادو فى الولايات المتحدة الأمريكية..

حقاً!!!! هل هذه صدفة.. ام هو القدر، يد الله التى لا تنفك تضع مريم امام ابواب المجالات التى من المفترض لها أن تتوغل فيها..

يد الله التى لا تنفك تحدث مريم بصوت خفى، عن مستقبلها الباهر والرائع. الذى لا يعلمه سوى الله ولا يشعر به سوى مريم بسبب حسن ظنها بالله..

ألم تكن هى مريم التى عندما سمعت عن الأقسام التى سوف تحتويها جامعة زويل للعلوم والتكنولوجيا، وعرفت أنه سوف يكون هناك معهد للعلاقات الدولية، شعرت بالفضول للاطلاع على هذا المجال...!!!!

لأنها وكما هو واضح تجيد التفاهم مع من هم من الحضارات المختلفة، بحكم اجادتها للغتين. وثقافتها الواسعة وعقليتها المتفتحة للعلم والتعليم.. ووعيتها الكامل للفروق الثقافية بين الأمم المختلفة والشعوب.. لذلك حلمت مريم بالانضمام للدراسة هناك، وهى لا تعرف اذا كانت الظروف ستتاح لها للعمل هكذا أم لا...!!!

لذلك عندما عرفت مريم أن طالبها الجديد يعمل هكذا، عرفت فى نفس تلك اللحظة أن هذا هو باب آخر، من ابواب المستقبل والعلم يفتحه لها الله. وليس معنى ذلك أن هذا يعنى انها سوف

تقوم باستغلال الرجل للوصول إلى مصلحة شخصية. وإنما هو أستاذ جامعي ستقوم بمحاورته للاستفادة من علمه. فالعلم لا يعرف ديناً ولا وطناً، وإنما يغزو قلوباً وعقولاً تشتاق إليه. ويفتح به الله على من يشاء من عباده الراغبين فيه. فمن يريد سيرشده الله الطريق، ومن لا يريد سيرشده الله طريقاً آخر لما يريد..

وهذه هي الحياة، وهذه هي العبادة الحقة.. عبادة الطموح والعلم والعمل والمعرفة.. عبادة الوقت..

بدأت مريم في تدريس ذلك الرجل، وقد كان رجلاً لطيفاً تبدو على وجهه ملامح الذكاء وحب العلم.. والاستعداد التام للكفاح من أجل الوصول لهدفه.. وكان سايمون يريد أن يتعلم كيفية الحديث بأساسيات اللغة العربية عن مصطلحات سياسية وجمل وعبارات طويلة بقدر الإمكان. حتى يتمكن من النجاح في اختبار له بالسفارة الأمريكية سيتوقف عليه انتقاله وزوجته للحياة في مصر، أو أي بلد عربي آخر.

والعجيب في الأمر أن هذا الرجل يبلغ من العمر ٤٥ عاماً، ويعمل استاذاً في الجامعة بالفعل.. ومع ذلك لا زال لديه طموح، ورغبة في التطور.. الرجل غير مسلم ولكنه يمتلك روحاً إسلامية ماتت لدى الكثير من المسلمين بالفعل. رجل جدير بالاحترام والتقدير، كان على الرغم من صعوبة اللغة العربية، وضعف مستواه حيث إنه كان مبتدئاً.. إلا أنه كان يحارب لأجل الوصول لهدفه بأسرع وقت ممكن.

كانت هذه الحصة من امتع الحصص لدى مريم على الإطلاق، حيث كانت تتعلم منه كثيراً كما تُعلمه، وذات مرة أخبرته انها مهتمة بالعلوم السياسية نوعاً ما وتتمنى القراءة فيها لتتعلم وتفهم ماذا يجري في العالم اليوم..

فرحب سايمون بالفكرة لأقصى درجة وقال لها أنه سيساعدها بقدر المستطاع لتعرف ما تريد وترى وتتعلم..

وفى اليوم المقبل احضر لها مجلة أمريكية شهيرة وباهظة الثمن داخل مصر على سبيل الإعارة، تتحدث عن العلوم السياسية ولكن بطريقة جديّة وجميلة.. تُسمى (foreign policy) وقال لها أنه توجد هناك مجلة أخرى تعنى بنفس المجال تُسمى (foreign affairs) نصحتها بأن تشتريها..

لا يستطيع أي إنسان أن يتصور مدى سعادة مريم بهذه المجلة، كانت المجلة باللغة الإنجليزية ولكنها جديّة وجميلة.. وكانت تتحدث عن القضايا السياسية المتعلقة بالشرق الأوسط. وعلى وجه الخصوص القضايا المتعلقة بحقوق المرأة في العالم الإسلامي. مما كان لافتاً جداً للنظر.. لذا قررت مريم أن تقرأ هذه المجلة وفي نفس الوقت تقرأ من كتابها في مقارنة الأديان.

وكانت من المقالات المهمة جدًا، التي قرأتها في البداية هي مقالة تتحدث عن حقوق المرأة في العالم الإسلامي لصحفية مصرية...

تحدثت عن قمع النساء في اليمن، وعن تجاهل حقوق المرأة في المملكة العربية السعودية بسبب عدم حق المرأة في القيادة والتصويت في الانتخابات وموضوعات أخرى متصلة بنفس الفكرة مثل ما يحدث في أفغانستان تحت اسم الله، والأهم من هذا وذلك عن كيفية قمع حقوق المرأة المصرية التي ليس لديها الحق بالزواج بدون موافقة أحد رجال عائلتها.. ولا يمكنها السفر إلى الخارج بدون موافقة احد الرجال المسئولين عنها.. وقامت هذه الصحفية بتصوير المرأة العربية بأنها مقموعة غير مرغوب فيها.

وهنا ذهبت مريم في اليوم التالي لتدريس سايمون كالعادة، وأخبرته عن رأيها..

مريم : هل تعلم يا سايمون لقد قرأت المقال..... بالأمس وأعجبنى كثيرًا..

سايمون : حقًا هذا رائع..

مريم : ولكن هناك شيئًا أريد التعليق عليه وهو أن هذه المرأة كاتبة المقال، تحدثت بالسوء عن حقوق المرأة في السعودية وأنا اتفق معها في ذلك، حيث إن النساء هناك لا يمكنهن القيادة ولا التصويت وهذه أشياء غير عادلة بالمرّة وليست من الإسلام في شيء، بل إنها من العادات والتقاليد.. وقد اتفق معها فيما يحدث في أفغانستان، أو في أي دولة أخرى مع العلم بأنني لست متأكدة من حقيقة ما أسمعته لأنني لا اصدق الأخبار في الغالب ولم اذهب إلى هذه الدول من قبل..

ولكن فيما يخص مصر، هذا خاطئ كل الخطأ.. أولًا في مسألة أن المرأة لا تتزوج إلا بحضور والدها أو أخيها.. هذا ليس نوعًا من أنواع قمع حقوق المرأة، هو لأجل حماية المرأة ونحن جميعًا راغبون به ومعجبون به كنساء وكفتيات فهذا لحمايتنا ليس أكثر.

ثانيًا : في مسألة السفر بموافقة الأهل أو بمرافقة احدهم هذا أيضًا لحمايتنا نحن النساء من المجرمين المنتشرين بكثرة في كل انحاء العالم ويقومون باستهداف النساء لمعرفةهم انهن ضعفاء، وهذا أيضًا أمر من الدين ونحن نحبه ونحترمه ونوافق عليه.

ثالثًا : وهو الأهم هذه السيدة ذكرت أن ضرب الزوج لزوجته قانوني في مصر لو كانت النوايا سليمة، وهذا أمر ليس له أي اساس من الصحة. فأنا اعيش في مصر منذ ولادتي وقد شهدت اكثر من مرة حالات ضرب الزوج لزوجته وإدانته الزوج رسميًا وقانونيا بهذا السبب. بل إن هذا الأمر توجد فيه عقوبة تصل للسجن لفترات زمنية ليست بالقليلة. وهذا شيء لا يوجد فيه ما يسمى بحسن نية أو سوء نية ولو ذهبت أنا اليوم إلى احد اقسام الشرطة واخبرتهم أن زوجي قد تعدى على بالضرب، وهناك آثار لذلك على جسدي سوف يدخل السجن ويعاقب ولن يعير اي انسان اي اهتمام لنواياه.

وهنا سكت سايمون قائلاً : حقاً أنا لم اكن اعلم، ذلك ولكنه من الشيء الجيد دائماً أن استمع إلى
الرأى والرأى الآخر.. شكراً لك على كل شيء.

بعد اسبوع من ذلك الوقت، حضرت زوجة سايمون لتعلم اللغة العربية هي الأخرى. وهى أيضاً
استاذة فى جامعة كلورادو ولكنها تقوم بتدريس مادة تُسمى علم الإنسان الثقافى والمعنية بدراسة
علم الإنسان والفروق بين البشر من النواحي الثقافية إلى آخره. وهو بالتأكيد شيء رائع جداً ومن
اهتمامات مريم أيضاً..

أما الحديث عن زوجة سايمون نفسها، فهى شخصية رائعة.. امرأة اسبانية خفيفة الظل، مثقفة
ومحبوبة.. ما لبثت أن انضمت للدراسة فى الأكاديمية، حتى وقع فى حبها الجميع من المدرسين
إلى العاملين فى النظافة والترتيب وما إلى ذلك..

وكان اول فصل دراسى لها مع مريم، ولا يمكن وصف هذه اللحظات التى كانت تجمع بين مريم
وسوزان فى الفصل سوى انها لحظات رائعة وتاريخية فى نفس الوقت.. لحظات تبادل لغات
وتبادل ثقافات...

وكانت سوزان ليست بالمرأة المتعصبة، التى يتمسك عقلها بفكرة ويرفض قبول سواها.. بل
كانت امرأة متفتحة العقل لديها بصيرة نافذة تنظر إلى الأمم وترغب فى التعلم والتعرف على
ثقافات الغير..

وبناءً على ذلك، وبحكم العلاقة الرائعة التى جمعت بينها وبين مريم فى فترة زمنية قصيرة جداً..
قررت سوزان أن تفتح مع مريم الموضوع.. وكان الحوار كالاتى :-

سوزان : اشعر بالفضول.. مريم اريد أن اعرف ما هى نسبة وجود الرجل المتزوج بأكثر من امرأة
فى المجتمع المصري..؟؟ يعنى ما هو قدر شيوع هذه العلاقة ؟
وهل يوجد هنا فى الأكاديمية من الرجال العاملين معنا من هم متزوجون من أكثر من امرأة فى
آن واحد ؟

ابتسمت مريم ابتسامة هادئة وقالت لها : يا سوزان، هذا أمر غير شائع بالمرّة سواء هنا أو فى
أى دولة إسلامية. هو يعد من الحالات النادرة جداً والتى تحدث وحللها القرآن للرجل لوجود
حالات انسانية استثنائية بحته يجب عدم التغاضى عنها والوقوف عليها.. كما أن الإسلام ليس
هو الدين الوحيد، الذى شرع تعدد الزوجات بل الديانة اليهودية شرعت ذلك أيضاً ومع ذلك لا
تعيرها وسائل الإعلام أى اهتمام.

سوزان : حقاً وماهى تلك الحالات أو الاستثناءات ؟

مريم : أريد أن احدثك عنها بالتفاصيل، ولكننى لا أريد أن أقوم بإهدار وقتك.. فهذا من وقت
دراستك..

سوزان : لا لا.. أنا لا اعتبر هذا تضييعاً للوقت، بل على العكس هذه ثقافة عربية، ولو كان من المفترض أن اعيش في مصر أو في أي دولة عربية أخرى، إذًا فمن المحتم لى أن اتعلم واعرف المزيد من المعلومات عن حضارتكم..

مريم : حسنًا كما تريدین.. ولكن للحديث عن تعدد الزوجات فى الدين الإسلامى يجب الحديث أولاً عن تحريم العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج فى الإسلام..

سوزان : حقًا.. هل لا توجد علاقة حب بين الرجل والمرأة فى الإسلام قبل الزواج..؟؟

مريم : نعم.. ليس مسموحًا للمسلمين أن تكون هناك أى علاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج..وبالمعنى الأدق هنا علاقة الحب..

سوزان : لحظة لا أفهم.. وهل من المسموح أن تكون هناك علاقة حب، ولكن بدون علاقة جسدية ؟

مريم : إن الحب بحد ذاته ليس حرامًا.. لأنها مشاعر. وإنما الحرام هو ما يمكن أن يترتب على هذه المشاعر من علاقات غير مشروعة.. فليس مسموحًا بأى نوع من انواع الاتصال الجسدى بين الرجل والمرأة بدون زواج، بأى صورة من الصور وبأى شكل من الأشكال.. هذا غير مسموح بالمرّة.. لذلك يمكنك القول بأن افضل وضع للمتحابين هو الزواج..

وهذا غير مسموح ليس فقط لدى المسلمين، وإنما لدى مسيحيى العرب أيضًا..
سوزان : نعم.. اكملى..

مريم : مبدئيًا.. الدين الإسلامى، السبب فى تحريم العلاقة بين الرجل والمرأة قبل الزواج ، هو بغرض الحفاظ على حقوق الإنسان وتكريم المرأة فى المقام الأول.

لأنه ومن وجهة النظر الإسلامية، لا يوجد هناك للمرأة أى كرامة فى انها تعامل كما لو انها جسد فقط، أو أداة خلقت للرجال لكى يستخدموها حينما يريدون ويتركوها حينما يريدون.. أنا نفسى كفتاة أحب أنه عندما اتزوج، اختار الإنسان الذى سأشاركه أحلامى وحياتى وأفكارى وكل شىء، وليس أن اشاركه فى شىء واحد فقط.. هذه ليست حياة.. فأنا لا احب أن اعامل هكذا أو ينظر لى الرجال بهذه النظرة، فالمرأة أكثر بكثير من كونها جسدا، بل إنها كيان وروح وفكر ومنهجية تحرك أممًا بأكملها.. وإن فسدت الامهات فسد العالم، وإن صلحن صلح العالم..

السبب الآخر، هو الحفاظ على حقوق الأطفال.. فلو نظرت إلى حال الأمة العربية، ستجدين أن نسبة الأطفال اليتامى أقل بكثير مما سواها.. فتكريمًا لحقوق الطفل، أوجب الإسلام هذا القانون على الناس حتى أنه عندما يولد الطفل يجد نفسه بين ابوين يعرف كل منهما الآخر ويحب كل منهما الآخر وبهذه الطريقة يعيش فى بيئة نفسية سليمة..

سوزان : ولماذا يجب على المرأة أن تكون غير ممسوسة مسبقًا تمامًا بينما يبقى للرجل هذا الحق ؟

مريم : لا يا سوزان، هذه العلاقة محرمة من الدين الإسلامى على الطرفين الرجال والنساء.. ومن حقى أنا كفتاة أن أرفض اى شاب يتقدم لخطبتي فور معرفتى بأنه قد كان له مثل هذه العلاقات من قبل.. تمامًا كما يكون له هو الحق فى رفضى اذا اكتشف ذلك..

سوزان : ولكن لو كانت هذه العلاقات محرمة من الإسلام حقًا، إذاً فما هو تفسيرك لهؤلاء الرجال الذين يقومون بمضايقة النساء فى الشارع المصرى فى كل مكان، وما هو تفسيرك لهؤلاء الذين يقومون بالتحرش بالنساء فى هذه الشوارع.. !!!

مريم : يا سوزان، لقد أخبرتك انك تعيشين فى مجتمع عربى مسلم وليس فى مدينة الملائكة.. فكما يوجد هناك من يلتزم بدينه جيدًا ولا ينظر خلسة إلى النساء الأعراب فى الشارع ولا يتعرض لهن بالمضايقات.. هناك من يفعل العكس.. وبالتأكيد المجتمع العربى مثله كمثل الكثير من المجتمعات، بل مثله كمثل كل المجتمعات يوجد فيه الصالح والطالح من البشر.. المتقف والجاهل.. الطيب والشريير.. وما إلى آخره.. فأنا لا يمكنى إنكار شكوى معظم نساء مصر من التحرش.. فهو موجود ولكن لا يمكننا أن نربط هذا التحرش بالدين، أو السلوك الدنيء لبعض الناس بالدين..

سوزان : نعم أنت محقة فى كل مجتمع يوجد أنواع مختلفة من الناس أجمع ولا يمكننا بناء على ذلك الإشارة بأصابع الاتهام لأى دين..

ولكن مريم.. أنا لى استفسار من فضلك. كم زوجة لى أبيبك يا ترى ؟

مريم : والى لها اسباب وحالات كثيرة ولكنى سأحدث عن اكثرها اختصارًا كى لا نضيع الوقت..

اولًا : الدين الحق هو الدين الذى ينظر إلى الإنسان بنظرة شمولية كاملة ولا يلتفت إلى حل مشاكل واحتياجات طبقة معينة من الناس دونًا عن غيرها فقط.. لذلك فإن كان من أهم اسباب تحليل تعدد الزوجات فى الإسلام، أن هذا العصر كان زمن غزوات وحروب.. هجوم اعداء على الإسلام، ورد الإسلام للدفاع عن نفسه. وهكذا كانت حياة المسلمين ما بين كر وفر.. وبناءً على ذلك كان يموت الكثير من الرجال فى الحرب، لذا كانت تبقى الكثير من النساء بلا رجل فى بيئة البادية والصحراء.. والرجل هو الحماية التى تحتاجها اى امرأة حتى عصرنا هذا..

لذلك شرع الدين الإسلامى هذا، حتى يبقى الباب مفتوحًا امام المسلمين لضم زوجات المقاتلين الشهداء وابنائهم تحت جناح رعايتهم دون خرق شريعة الله سبحانه وتعالى.. كما أن مساواة الإسلام بين الرجل والمرأة يجب أن تقف على حدود معينة.. فلا يمكن أن نطالب بالمساواة ونقول كما منح الله الرجل الحق فى الزواج بأكثر من امرأة فى آن واحد، إذاً فيجب على المرأة أن تمتلك نفس الحق أيضًا وتكون الحياة بالمثل.. فهل يمكنك أن تتخلى ماذا سوف يحدث لو تزوجت امرأة واحدة اكثر من رجل فى نفس الوقت...!! سوف يحدث بالتأكيد ما يعرف بخلط

الأنساب.. بمعنى أنه سوف يولد الكثير من الاطفال بدون إمكانية معرفة أب كل منهم.. وهذا بالتأكيد شيء مشين من وجهة النظر الإسلامية..

سوزان : ولكن يوجد شعوب.. يكون فيها تزواج المرأة مع أكثر من رجل فى آن واحد شيئاً جيداً ومعتزفاً به أيضاً..

مريم : اى شعوب هذه.. أنا لا اعرف شيئاً عن هذا الأمر..

سوزان : شعب مثل شعب التبت..

مريم : حقاً سوف أبحث فى هذا الأمر.. ولكن السؤال، ماذا يحدث بما يخص مسألة النسب...؟؟

سوزان : تنسب الأطفال إلى والدتهم، وليس لوالدهم كما هو متعارف عليه الآن.. ولكن أن أردت أن تبحثى فابحثى فى هاتين الكلمتين.. (ثم أخرجت سوزان بطاقة من حقيبتها وكتبت عليها بالإنجليزية.. polygyny وهى كلمة تعنى تعدد الزوجات، والكلمة الأخرى polyandry وهى تعدد الأزواج).. ثم استكملت سوزان حديثها قائلة.. نعم سوف تجدين ما تبحثين عنه من أسماء الشعوب التى تختص بكل منهما.

مريم : شكراً لكِ، سوف ابحت إن شاء الله.. ولكن عن تعدد الزوجات فى الإسلام يجب أن لا نغفل الحديث عن حقيقة بعينها، وهى اننا نعرف جيداً أن طبيعة المرأة تختلف عن الرجل، فقد يتمكن الرجل من الحياة وحده بسعادة.. ولكن النساء لا، فالنساء تحتاج إلى حماية تتمثل فى وجود الرجل فى حياتها. والرجل قد يقرر الزواج ويتراجع عن الفكرة ألف مرة لأسباب أكثر من التافهة. ولذلك فبالأكد أن تشريع الزواج من أكثر من امرأة فى نفس الوقت فيه خدمة لاحتياجات الكثير من النساء التى ظهرت حديثاً..

فإنه كان يعلم بالتأكيد المستقبل حينما شرع هذا، وانظرى إلى حال معظم البلدان الأجنبية الآن.. عدد الإناث يتضاعف على عدد الذكور.. والأكثر من ذلك خطورة هو تصاعد نسبة الشواذ فى المجتمعات الأجنبية الآن.. فلو حسبناها بهذه الطريقة، ستبقى ثلاثة أرباع النساء بدون زوج، فى حين يتزوج فقط الربع منهن.. وهذا لا يصلح. إذا فتعدد الزوجات هو حل لمشاكل الغرب قبل الشرق، مع العلم بأن الوطن العربى يعانى الآن من تصاعد نسبة الإناث بالمقارنة مع نسبة الذكور.. مما يمثل مشكلة فى حد ذاته أيضاً ولكن حلها موجود..

ثالثاً : تعدد الزوجات فيه حل لمشكلة قد تواجه اى رجل يحب زوجته كثيراً، ولكنها للأسف لا تتجب أبداً.. لذلك يمكنه أن يحتفظ بها ويتزوج من أخرى..

سوزان : آه.. نعم فهمت ومع ذلك.. ماذا لو تزوج الرجل ثم قام بخيانة زوجته.. !!

مريم : الخيانة خطيئة كبيرة من الطرفين، وليس فقط من طرف الرجل فقط. إن موقف الإسلام من أى علاقة بين الرجل والمرأة بدون زواج هو موقف واضح، ويضع تلك العلاقة فى إطار ما

يسمى الزنى وهو شىء له عقوبته. كما أنه ليس من حق الرجل الزواج من امرأة أخرى غير زوجته بدون موافقتها القانونية والقانعة بذلك.. وهو حق مكفول للمرأة فى الإسلام، ولذا فى هذه الحالة سيكون على الزوجة الموافقة على زواج زوجها من زوجة أخرى، أو تخلى زوجها عن الفكرة.. أو الطلاق ويذهب كل منهما فى حال سبيله..

سوزان : حقاً.. وما هى اهم شروط الزواج فى الإسلام ؟

مريم : تماما بالتأكيد.. وهذا أيضاً بالنسبة لمفهوم الزواج فى الإسلام، فليس مسموحاً لأى شخص أن يقوم بإرغام امرأة على الزواج من آخر.. وإلا فى هذه الحالة يكون الزواج باطلا قانوناً وشرعاً.. لذلك فى أى زواج يجب أن تقوم العروس بإعلان موافقتها على الزواج من هذا الشخص أمام اثنين من الشهود على الأقل.. والتوقيع على عقد الزواج بملء إرادتها..

سوزان : هذا تشريع جميل..

مريم : نعم بالطبع، لقد أعز الإسلام المرأة والنساء جميعاً.. فلقد كانت النساء فى الجزيرة العربية قبل الإسلام تعامل كالجارية، حتى لو كانت حرة.. يملكها الرجل ويستخدمها كما يريد.. ولقد كان الرجل عندما يعرف أن امرأته انجبت طفلة.. يدفنها فى التراب حتى يغطى عاره.. وقد قضى الإسلام على كل هذا ورد على النساء حقوقهن وكرامتهن..

سوزان : ولكن انظرى إلى حال النساء العربيات مع دخول الإسلام، وحالهن الآن.. ما رأيك فى هذا الفرق الكبير..؟

مريم : هذا الفرق، وإن كان سيئاً.. إلا أنه غلطة ارتكبتها العادات والتقاليد العربية بالنساء جميعاً، وليس للدين أى دخل فيها.. فلقد سألتنى ذات مرة صديق أمريكى لى، لماذا تحرمون العلاقة بين الرجل والمرأة بدون زواج على النساء فقط.. ولقد رأيت بأى عيني رجلا من كبار رجال الأعمال العرب، وقد سافر لندن وأقام علاقة مع نصف نساء انجلترا تقريباً.. ويعود بعد ذلك ليفتخر بما فعله ولا يلومه أحد.. أين الإسلام من ذلك؟

فأجبتة هنا أن هذه الغلطة التى ارتكبتها التقاليد والعادات التى سمحت للرجل أن يفعل ما لا تفعله النساء على الرغم من أن هذا الأمر محرم على كليهما.. لذلك لا تلقى باللوم على الدين فى كل شىء، ولكن على التخلف الذى ساقه البعض إلى عقولهم واستسلم لتصديقه وعمل به الكثير منهم..

سوزان صمتت وهى تنظر بتعجب لمريم فهى تسمع هذا الكلام لأول مرة على ما يبدو.. وهنا استكملت مريم الحديث قائلة...

حتى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم.. الرجل الذى انتقده مئات الآلاف من البشر، بسبب زوجاته. كان اكثر الرجال رفقا بالنساء. فقد كانت تجمعه قصة حب رائعة بزوجه عائشة.. وسوف اثبت لك ذلك..

سوزان : وهل قصة الحب هذه مذكورة فى القرآن، فانا أملك المصحف الشريف ؟
مريم : لا ليست مذكورة فى القرآن بشكل كامل.. ومعظمها منقول على لسان السيدة عائشة
والرسول صلى الله عليه وسلم.

سوزان : مريم أنا اريد أن اقرأ فى هذا المجال كتبًا باللغة الإنجليزية تروى القصة الحقيقية.. لا
أريد أن اقرأ كتبًا تتحدث عن نفس هذه الأشياء التى يظل الناس فى العالم الغربى يذكرونها..
مريم : حسنًا، سوف أرسل لك اليوم عبر الفيس بوك بعض الروابط، التى سوف تساعدك على
فهم الصورة جيدًا حول الإسلام..

ثم أرسلت لها مريم فعلاً روابط قصة حب السيدة عائشة رضى الله عنها، والرسول - صلى الله
عليه وسلم - باللغة الإنجليزية.. وقالت لها فى نفس الرسالة..

انا لا اعرف اسماء كتب تتحدث عن حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - باللغة الإنجليزية،
ولكننى على تمام الثقة من أنك عندما تذهبين إلى الولايات المتحدة الأمريكية إذا قمت بالبحث
فى أى مكتبة كبرى عن كتب لرجل يدعى " فاضل سليمان " سوف تتوصلين إلى ما تريدن إن
شاء الله..

فأرسلت لها سوزان فى نفس اليوم، رسالة فيها الآتى :-

مريم.. شكرًا جزيلًا لك على هذه المعلومات القيمة، وأنا احب دائمًا أن استمع إلى أى قصة من
طرفين وليس من طرف واحد فقط..
مريم: هذا جيد..

بعدها بعدة أيام تم استدعاء سوزان من الجامعة فى الولايات المتحدة الأمريكية، وطُلب منها
العودة فى أقرب وقت.. مما يعنى انها سوف تقطع دورة اللغة العربية وتعود.. وكان لهذا تأثير
غير مريح بالمرّة ليس فقط على مريم التى قد تعلقت بسوزان بدرجة كبيرة..، ولكن على جميع
العاملين فى الأكاديمية من اساتذة أيضًا، لأنها امرأة خفيفة الظل وطيبة ومرحة جدًا..

لذلك عندما عرفت مريم بذلك، قامت بشراء فانوس رمضان هدية لسوزان بمناسبة سفرها.. وكان
الحوار بينهما كالاتى :

مريم : سوزان.. أنت امرأة رائعة وانسانة جميلة.. وروحك مرحة جدًا وأنا حزينة جدًا لسفرك.. ولا
أعرف ماذا أفعل سوى أن أقوم بإحضار هدية لك بمناسبة سفرك كى تتذكرينى بها.. أنا أعرف
انها رخيصة، ولكنها تعبر عن شىء رمزي..

سوزان : اووووووووه.. كم هو رائع هذا الفانوس.. مريم.. هذه الهدية الصغيرة تعنى لى الكثير..
هل يمكننى أن أقوم باحتضانك.. هذا مسموح فى ثقافتى..

مريم : نعم ومسموح به فى ثقافتى أيضاً.. ولكن الذى ليس مسموحا به فى ثقافتنا هو أن رجلا غريبا يحتضن امرأة..

سوزان : حقاً..

وهنا قامت سوزان باحتضان مريم.. وقالت لها شكراً جزيلاً.. أنت فتاة رائعة وليس من الغريب أن يقع فى حبك الكثير من الناس..

مريم : شكراً لك يا سوزان جزيلاً.. وأنت أيضاً امرأة رائعة. وأنا ليس من عاداتى أن أقوم بإهداء اى طالب اى شىء ولكن أنت امرأة مميزة..

سوزان : اوووووووووووه شكراً لك..

وبعدها بخمسة أيام بالضبط.. قاموا بعمل حفل فى الأكاديمية، لوداع سوزان قبل سفرها.. وكان الحفل اكثر من رائع..

ولكن على الصعيد الخاص بصداقة مريم بسوزان.. قامت سوزان بإحضار هدية مهمة جداً وفاصلة فى حياة مريم..

سوزان : مريم.. فى الشقة التى نستأجرها هنا فى القاهرة، وعلى ما يبدو أنه كان يوجد هناك سكان قدامى تركوا خلفهم كتباً، هم فى غنى عنها.. وبالأمس عندما كنت أقوم بجمع حقائبي رأيتهم فقلت لسايمون.. ماذا يحدث لو انتقينا الكتب الملائمة لاهتمامات مريم واحضرناها لها كهدية.. ؟ فهذه الكتب بالتأكيد لن تنفع اى شخص وهى موجودة هكذا على الأرفف مغلقة بالأثرية لا يعيرها أحد اى اهتمام.

ثم مدت يدها فى حقيبتها واخرجت منها كتابين عملاقين باللغة الإنجليزية، وفى غاية الأهمية.. وقالت لها..

هذه كتب عن العلاقات الدولية والعلوم السياسية ولكنها تعتبر من أهم الكتب فى هذا المجال.. انتقيناها لك أنا وسايمون معاً.. انظري..

Manufacturing consent \ the political economy of the mass media \ for
Edward S.Herman & Noam Chomsky.

والكتاب الآخر هو..

Comparative government and politics an introduction \ for Rod Hagun &
Martin Harrop.

وكان وقع هذه الهدية أكثر من رائع على مريم، لأنها كانت لا زالت تفكر.. من أين ستأتى بالنقود الكافية لشراء كتاب أو كتابين من اسماء كتب العلوم السياسية التى أعطاها لها سايمون من قبل. لأن جميعها إما كتب غالية الثمن، أو غير متاحة فى مصر.. والآن أتاحت لها

الفرصة أن تقرأ وتنتقف فى أهم الكتب وأفضلها بدون مقابل.. مجاناً.. حقاً الحمد والشكر لله ألف مرة على هذه الفرصة العظيمة.. التى منحها إياها الله على فجأة من امرها..

شكرت مريم سوزان.. شكراً جزيلاً وسعدت كثيراً بهذه الهدية.. وكانت كل يوم يمر عليها تتيقن أكثر فأكثر بأنها اختيرت من قبل الله عز وجل لأداء مهمة ما على وجه الأرض.. لذلك يفتح الله لها الأبواب ويقدم لها الفرص الملائمة، التى تتلاءم وعقلها ورغبتها وطموحها وقربها منه..

فكان هدف مريم الدائم فى التعامل مع الأجانب، ليس أن تدعوهم إلى الإسلام.. ولا أى شىء من هذا القبيل. وإنما كان هدفها أن تقوم بتوضيح الصورة الحقيقية للإسلام أمام أعينهم كما هي.. وان تظهر لهم من خلال تعاملاتها كيف تكون أخلاق المسلم الحق.. بلا نفاق ولا ادعاء..

لذلك لم تتردد أبداً فى مساعدة سايمون..

فقد اقترب موعد امتحان سايمون فى السفارة، وازداد توتره وقلقه من الامتحان خاصة أنها كانت تعلم أنه يعمل بجد كبير منذ فترة زمنية طويلة ويضغط على نفسه لأجل الوصول إلى مستوى عال فى اللغة العربية، ليتمكن من اجتياز امتحان السفارة بنجاح..

ولذلك عرضت عليه مريم فكرة.. وكان الحوار بينهما كالاتى :

مريم : ما رأيك فى أن نتدرب أنا وأنت فى يوم العطلة الأسبوعية على عمل حوار باللغة العربية، عبر الإنترنت.. عبر برنامج سكايب..

سايمون : رائع، انها فكرة رائعة وأنا ارحب بها بشدة..

مريم : ولكن.. هناك شىء يجب أن تعرفه، أننى اقوم بعمل هذا كصديقة وليس كمدرسة، لذا ليس عليك أن تخبر باقى المدرسين بهذا، أو حتى أن يصل الخبر إلى المدير..لأنه بهذه الطريقة سوف يعترض، ويمنعنى من أمنحك وقتاً إضافياً بلا مقابل مادى..

سايمون : حسناً وأنا يمكننى أن اقوم بحل هذه المشكلة، عن طريق دفع المال الإضافى، حتى تقومى بالعمل معى على سكايب..

مريم : لا لا.. لا تفعل.. أنا لن اقبل أى أموال منك.. ولا افعل هذا لأجل إرغامك على دفع مال إضافى للأكاديمية.. لذلك كل ما عليك فعله هو عدم إخبار أى شخص هنا.. وأنا لن اتحدث ولا اريد المال منك..

وهنا نظر لها سايمون نظرة تعبر عن غرابة رهيبية.. وتقدير واحترام فى نفس الوقت.. وقال..

سايمون : شكراً لك مريم حقاً ولكن يمكننى أن ادفع المزيد من المال.

مريم : على الرحب والسعة يا سايمون ولكن حقاً، أنا لا افعل هذا لأجل المال.. أنا افعل هذا كصديقة وتعبيراً عن احترامى لك.. فقد تعلمت منك اشياء عظيمة أيضاً.. أنت وزوجتك على السواء.. ونحن اصبحنا اصدقاء والأصدقاء يساعدون بعضهم البعض دون النظر إلى أى مقابل مادى.

سايمون : شكرًا.. شكرًا جزيلاً لن أخبر اى شخص بهذا.. أعدك. سألتزم الصمت حيال الأمر.

مريم : العفو.. على الرحب والسعة..

وبالفعل بدأ فى التدريب.. معاً..

وكانت مريم منذ ذلك الحين كلما رأت سايمون فى الأكاديمية.. وجدت فى عينيه نظرة احترام وتقدير وامتنان كبيرة.. فكانت هذه النظرات هى كل ما احتاجته مريم من مكافأة وتقدير فى نظر مريم يعد أعلى وافضل بكثير من أى مبلغ مالي.. سوف يأتى ويذهب مثله كمثل كل الأموال. لا تبقى وتأتى وتذهب.. ويقلبها الله بين عباده ولا يحصل عليها اى انسان ففى النهاية الجميع أموات ويبقى وجه الله عز وجل..

وبعد فترة من قضاء سايمون لامتحانه فى السفارة.. تلقت مريم رسالة من الزوجين يعلمانها فيها بأنه قد اجتاز ذلك الامتحان الذى قد فشل فى اجتيازه لأربع مرات متتالية..
ها هو الآن قد نجح أخيراً، ويرسل لمريم رسالة شكر هو وزوجته على المجهود الرائع الذى بذلته معه..

كانت مريم فى بالغ سعادتها بهذا الخطاب.. وفى تلك الفترة كانت قد بدأت بالفعل بالاهتمام بالسياسة.. لعدة أسباب كان أهمها تلك التغيرات المتلاحقة المتتالية التى كانت تعصف بالوطن العربى ككل.. وليس مصر فقط..

بدأت تقرأ فيما قد تركته لها سوزان.. وتتصفح الأخبار كل يوم عبر شبكة الإنترنت وهو ما لم يكن من ضمن عادات مريم..

حتى جاء اليوم، الذى تلقت فيه رسالة من صديق قديم..

أحد زملائها فى رابطة أصدقاء مدينة زويل للعلوم والتكنولوجيا.. المنسق العام السابق للرابطة (محمود عبد الصمد). أول من اقترح عليها انشاء فريق متكامل للترجمة، تابع للرابطة..

كان يلقى التحية فى تلك الرسالة، ويعلمها بأنه قد قرأ إعلاناً فى احدى الصحف لوزارة الخارجية.. وهى تعلن عن مسابقة للتعيين فى وظيفة ملحق دبلوماسى وقنصلى لدى الوزارة.. وكان أهم شرط للقبول هو امتلاك المتقدم للغتين..

ترددت مريم فى البداية، قبل أن تقرر..

وبغض النظر عن قرارها سواء بخوض التجربة أو عدمه.. فقد تركت مريم العمل فى الأكاديمية نظراً لموقعها بالقرب من ميدان التحرير، والاضطرابات السياسية التى كانت تسود أجواء تلك الفترة..

مكثت فى المنزل مرة أخرى بعد ذلك، ثم مضت فى مشوار حياتها بعد أن فتح الله لها المستقبل من أوسع أبوابه.. فتعلمت لغتين أخريين.. ثم أصبحت ما تستحق أن تتاله جزءا جهودها فى تنمية قدراتها الذاتية..

إلا أن السعادة قد طرقت أبواب حياتها أخيراً.. ذات نهار فى طريقها للقاء عمل.. فى أواخر فصل الشتاء، بينما كانت السماء تمطر أمطار الوداع استعداداً لحلول فصل الصيف..

كانت مريم فى طريقها لأداء مهمة جديدة عليها، كادت أن تعود عنها بسبب الأمطار. إلا أنها ذهبت وهى لا تعلم من الذى كان ينتظرها خلف هذه الأمطار..... عثرت أخيراً على أفضل ما يمكن أن تتمناه أى امرأة..

سواء كانت تعيش الآن السعادة الكاملة.. أم لا...!!! فهذا أمر لا يهم ولا يمثل فرقاً.. فلكل إنسان مشاكله الخاصة وإن بدا لك ولمن حوله سعيداً هانئاً.. فنحن قد خُلِقنا فى كبد.. ولا يمكننا أن نضمن السعادة لأنفسنا.. وإنما فقط نُهيئ أنفسنا لاستقبال السعادة. نستعد نفسياً للرضا بما قدره الله، وإن فعلنا سَعِدنا.. وهنا يكمن الفرق.. فعندما ترضى يمنحك الله أكثر مما قد حلمت يوماً..

أما هى فقد فعلت ما فعلت وهى لا تزال على اقتناع بأنها تلميذة فى مدرسة الحياة مهما كبرت.... تعيش فى مرحلة بحث دائم عن أخطاء ارتكبتها فى حق نفسها أو فى حق الآخرين، وتحاول إصلاحها وتجنبها.. هى تخطئ وتتوب وتعتذر.. هى تبحث وتجد.. هى تدعو الله، وتنتظر وتصبر وترضى... هى ليست أكثر أو افضل من أى إنسان، فالناس جميعاً سواسية وإن اختلفوا...

هى امرأة عربية..

الفهرس :

٣	كلمة كاتبة:
٥	البداية :
٨	الفصل الأول :حوار مع صديقى الروسى.....
١٧٧	الفصل الثانى: العزيزة تتيانا ايفانوفا وحقيقة تتراعى ما بين عدو وصديق.....
٢١٦	الفصل الثالث: الصداقة عابرة القارات " الأمريكى صديق المصرىين ".....
٢٥٩	الفصل الرابع :حقيقة العمالقة من هنا وهناك.....
	الفصل الخامس :حياة جديدة ونظرة عن كئب عبر الكئير من الثقافات الأجنبيية المختلفة
٢٨٨